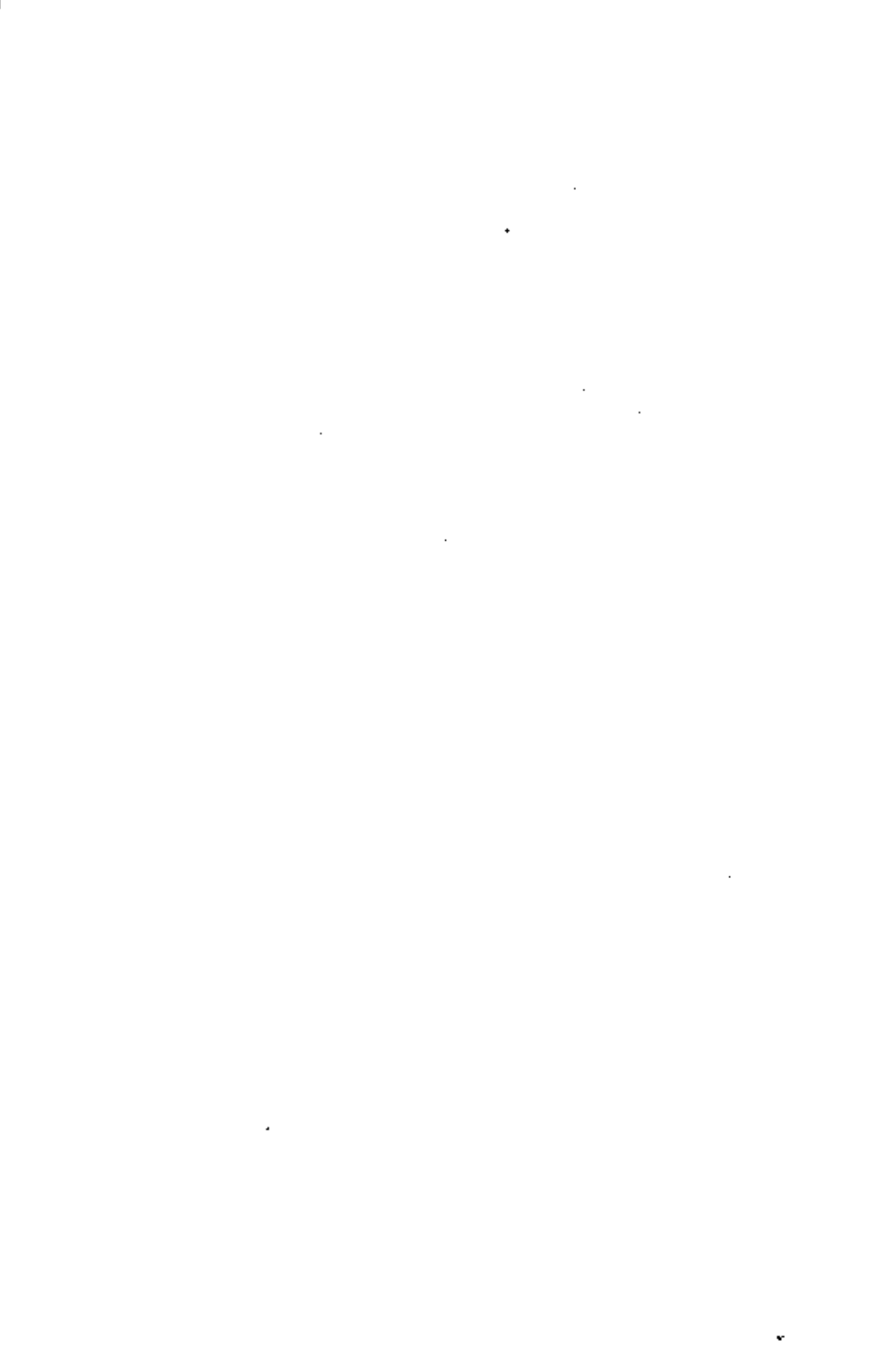


صَبْحُ الْأَسَدِ

الجزء الثامن



دار الكتب السلطانية

كتاب

صنعة الأسيجة

تأليف

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجزء الثامن

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة

١٣٣٤ هـ
١٩١٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ

المقصود الثالث

في المكتبة إلى أهل الجانب الجنوبي من جرت العادة بالمكتبة إليه
من العرب والسودان، وفيه ثلاث جمل

الجملة الأولى

(في المكتبة إلى من بهذا الجانب من العُربان)

وقد ذكر في "التحقيق" من كُتِبَ منهم جماعة بالطُرُقَات الموصلة من الديار
المصرية إلى بلاد الحبشة وغيرها . ثم قال : ولعل هؤلاء أيضا من عُربان الممالك
المحروسة ، غير أنه لا إقطاعات لهم ، وعد منهم ثمانية أشخاص ، وذكر أنه كتب
إلى كل منهم الأسم ومجلس الأمير :

الأول — سَمْرَةَ بن كامل العامري .

الثاني — عَبَّاد بن قاسم .

الثالث — كِال بن سِوَار . قال : وهو مستعَدَّت المكتبة في العشر الأول من
جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعائة .

الرابع — جُنَيْد : شيخ الجَوَابرة من الهكاريَّة بأبواب التوبة . قال : وهو
مستعَدَّت المكتبة في سنة تسع وستين وسبعائة .

الخامس — شريف : شيخ النعمانية ، بأبواب التوبة أيضا ، ومكاتبه مستجدة حينئذ .

السادس — علي : شيخ دُغيم .

السابع — زامل الثاني .

الثامن — أبو مهنا العمراني .

الجملة الثانية

(في المكتبة إلى مسلمي ملوك السودان ، وهم أربعة ملوك)

الاول — ملك التوبة . وهو صاحب مدينة دُقَلَّة : وقد تقدم الكلام عليها مستوفى في الكلام على المقالة الثانية في "المسالك والممالك" . قال في "التعريف" : وهو رعية من رعايا صاحب مصر ، وعليه حمل مقره ، يقوم به في كل سنة ، ويُخطب [ببلاده] ^(١) خليفة العصر ، وصاحب مصر .

قلت : هذا كان في الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون» وهذه الإناوة كانت مقررة عليهم من زمن الفتح ، في إمارة عمرو بن العاص رضى الله عنه ، ثم صارت تنقطع تارة وتُجمل أخرى ، بحسب الطاعة والعصيان . وهي الآن مملكة مستقلة بذاتها ، ولذلك أوردتُ مكتبة صاحبها في جملة الملوك :

ورسم المكتبة إليه إن كان مسلما على ما ذكره في "التعريف" :

صدرت هذه المكتبة إلى المجلس الجليل ، الكبير ، الغايزي ، المجاهد ، المؤيد ، الأوحيد ، العُضد ، محمد الإسلام ، زين الأنام ، نحر المجاهدين ، عُمدة الملوك والسلاطين .

(١) الزيادة من "التعريف" .

وذكر ذلك في «التتقيف» نقلا عنه . ثم قال : ولم أجد له مكاتبة متداولة بين الجماعة . قال : ولم يكتب له شيء في مدة مباشرتي بديوان الإنشاء ، ولم يزد على ذلك .

ورأيت في الدستور المنسوب للفتح العلاءي بن فضل الله أن مكاتبه هذه المكاتبة أيضا ، وأنه يقال بعد عمدة الملوك والسلاطين : «أدام الله سعادتَه» ، وبلغه في الدارين إرادته ، تتضمن إعلامه كَيْتَ وكَيْتَ ، فيتقدم بكذا وكذا ، فيحيط علمه بذلك . ثم قال : والمكاتبة إليه في قطع العادة ، والعلامة «أخوه» ولا يخفى أن العنوان بالألقاب ، ويظهر أن التعريف «صاحب دُقلة» .

الثاني — ملك البرنو . قال في «التعريف» : وولاده محمد بلاد [ملك] التكرور من الشرق ؛ ثم يكون حدها من الشمال بلاد [صاحب] أفريقية ، ومن الجنوب الهمج ؛ وقد تقدم الكلام عليها مستوفى في المقالة الثانية في الكلام على المسالك والممالك . ولم يذكر هذه المملكة في «مسالك الأبصار» . قلت : وملكها يزعم أنه من ذرية سيف بن ذي يزن ملك اليمن على ماورد به كتابه في أواخر المائة السابعة . ورسم المكاتبة إليه على ما ذكره في «التعريف» :

أدام الله تعالى نصر الجناح الكريم ، العالى ، الملك الجليل ، الكبير ، العالم ، العادل ، النازى ، المجاهد ، الهمام ، الأوجد ، المظفر ، المنصور ، عز الإسلام ، (من نوع ألقاب ملك التكرور) : يعنى شرف ملوك الأنام ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، جمال الملوك والسلاطين ، ظهير الإمام ، عضد أمير المؤمنين الملك فلان . ويدعى له بما يناسبه ، وبعد إهداء السلام والتشوق هذه المقابضة تبدي ، على ما سياتى ذكره في مكاتبه .

وهذا صدر يليق به : ولا زالت هم سلطانة غير مقصرة ، ووفود حجة غير محصرة ، وسيفه في سواد من جاوره من أعدائه الكفار يقول : (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) صدرت ، وطامتل مسكة أفضه عقى ، وعبرة طينيه سواد إلا أنه من السواد اليق ، وشيبة ملكه الذي يفديه سواد الحلق . أوجها وذ أسكنه [مسكنه ^(١)] من سويداء القلب لا يريم ، وأراه غرة الصباح الوضاح تحت طزة الليل البهيم . وحكى ذلك عنه في " التنقيف " ولم يزد عليه .
ورأيت في الدستور المنسوب للقر العلاءي بن فضل الله أن مكاتبته في قطع الثلث ، والعلامة « أخوه » وتعريفه « صاحب برؤ » .

قلت : ووصل من هذا الملك كتاب في الدولة الظاهرية (برقوق) يتشكى فيه من عرب جذام المجاورين له ، ويذكر أنهم أخذوا جماعة من أقاربه بأعوهم في الأقطار ، ومأل الكشفت عن خبرهم ، والمنع من بيعهم بمصر والشام ، وأرسل هدية صالحة من زنبقى وغيره . وكتب جوابه بخط زين الدين طاهر : أحد كتآب الدتست . صدره : أعز الله تعالى جانب الجناب الكريم ، العالى ، الملك الجليل ، العالم ، العادل ، الغازى ، المجاهد ، الهام ، الأوحيد ، المظفر ، المنصور ، المتوكل ، نحر الدين أبى عمرو عثمان بن إدريس : عز الإسلام ، شرف ملوك الأنام ، ناصر العزة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، جمال الملوك والسلاطين ، سيف الجلالة ، ظهير الإمامه .
وئمت إليه به مع رسوله الوارد شعبة المحيح ، فأعيد وقد كتب الجواب على ظهره بعد سنة أو سنتين .

الثالث - ملك الكايم . قال في " مسالك الأبصار " : وقاعدة الملك جنبها بلدة أسمها « جيمى » ومبدأ مملكته من جهة مصر بلدة أسمها « زلا » وأحرها طولاً بلدة

يقال لها « كَاكَا » وبينهما نحو ثلاثة أشهر . قال : وعسكرهم يتلثمون ، ومليكمهم على حَقارة سلطانه ، وسوء بُقعة مكانه ، في غاية الأندرك من الكبرياء ، يمسح برأسه عَنانَ السماء ، مع ضَعْف أجناد ، وقلة متحصِّل بلاد ، محجوب ، لا يراه أحد إلا في يوم العيدين بكرة وعند العَصْر ، وفي سائر السنة لا يكلمه أحد ولو كان أميراً إلا من وراء حجاب .

وقال في "التعريف" ملوكها من بيت قديم في الإسلام ، وجاء منهم من ادعى النسب العَلَوِيَّ في بني الحسن ، وهو يمتدُّ بِمَذَهَبُ الشافعي . ورسم المكتبة إليه على ما ذكره في "التعريف" كرم مكتبة صاحب البرنو ، بدون الكريم ، وتبعه على ذلك في "التنصيف" ناقلاً له عنه . ثم قال : ولم أطلع على مكتبة له غير الذي قد ذكره .

الرابع — ملك مالى . قال في "مسالك الأبصار" وهي في نهاية الغرب متصلة بالبحر المحيط ، وقاعدة الملك بها بنى . وهي أعظم ممالك السودان ، وقد تقدم في المقالة الثانية في الكلام على المسالك والممالك ذكر أحوالها ، وما تيسر من ذكر ملوكها ، وأن مالى أسم للإقليم ، والتكرور مدينة من مدنه ، وكان ملكها في الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون » منسا موسى ، ومعنى منسا السلطان .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" أنه وصل منه كتاب عن نفسه لنفسه فيه ^(١) ناموساً ، وأنه وصل إلى الديار المصرية حاجاً ، واجتمع بالسلطان الملك الناصر ، فقام له وتلقاه ، وأكرمه وأحسن نزله ، على ما هو مبسوط في موضعه .

(١) عبارة "المسالك" في الكلام على مملكة مالى فيها « ولقد جاء كتاب من هذا السلطان الى الحضرة السالطانية بمصر وهو بالخط المغربي في ورق عريض ، السفر الى جانب النطر وهو يسك فيه ناموسا لنفسه » فلفل مالى الأصل هكذا « عن نفسه وهو يسك لنفسه الخ » فتدبر .

قال في "التعريف": «وملك التكرور هذا يدعى نسبا إلى عبد الله بن صالح
ابن الحسن، بن علي، بن أبي طالب .

ورسم المكتبة إليه على ما ذكره في "التعريف": «أدام الله تعالى نصر المقتز
العالى، السلطان، الجليل، الكبير، العالم، العادل، المجاهد، المؤيد، الأوحيد،
عز الإسلام، شرف ملوك الأنام، ناصر الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين،
جمال الملوك والسلطين، سيف الجلالة، ظهير الإمامة، عضد أمير المؤمنين»
الملك فلان، ويدعى له بما يناسب . وبعد إهداء السلام والتشويق «هذه
المفاوضة تبدي» .

قال : ولا يعرض له ولا يقتر بشيء من الألقاب الدالة على النسب العلوى .
وهذا صدر لهذه المكتبة ذكره في "التعريف" .

ويسرله القيام بقرضه ، وأحسن له المعاملة في قرضه ، وكثر سواده الأعظم
وجعلهم بيض الوجوه يوم عرضه ، وتمعن بملك يجد الحديد يحفف سمائه والذهب
نبات أرضه ، صدرت هذه المفاوضة وصدرها به ملو . وشكرها عليه يخلو ، ومن أيا
حبه في القلوب سر كل فؤاد ، وسبب ما حلي به الطرف والقلب من السواد ، تنزل
به سفنها المسيرة في البحر وترسى ، وتمثل عند ملك ينقص به زائده وينبئ موسى
منسى ، وتقيم عليه والدهر لا يطرفه فيما ينوب ، والفكر لا يسوقه إلا إذا هبت صبا
من أرضه أو جنوب .

والمتداول بين جماعة كتاب الإنشاء أن المكتبة إليه : «أعز الله تعالى جانب
الجانب الكريم العالى، الملك، الجليل، العالم، العادل، المجاهد، المؤيد، المرابط،
المناظر، العابد، الناسك، الأوحيد، فلان، دُعر الإسلام والمسلمين، نُصرة الغزاة

والمجاهدين، عَوْنُ جُيُوشِ الموحِّدين، رُكْنُ الأئمة، عماد المِلَّة، جمال الملوك
والسلاطين، وليّ أمير المؤمنين» والدعاء .

وذكر نحو ذلك في الدُّستور المنسوب للقرّ العلافيّ بن فضل الله؛ ثم قال ويقال :
« صدرت هذه المكتبة إلى الجناب العالي مملوءة الصدر بشُّكره ، باسمه الثغر برفعة
قدره، موضحة لعلمه الكريم كُتبت وكُتبت . وذكر أنّ خطابه بالجناب الكريم، والطلب
والقصد والختم بالإحاطة؛ وذكر هو وصاحب "التنقيف" أن المكتبة إليه في قطع
الثلاث، والعلامة «أخوه»؛ وتعريفه «صاحب مائى وغانة» .

الجملة الثالثة

(في المكتبة إلى ملوك المسلمين بالحبشة)

قد تقدم في المقالة الثانية في الكلام على المسالك والممالك أن بلاد الحبشة
سبعة ملوك مسلمين، لهم سبع ممالك؛ كل مملكة منفردة بملك؛ وبها الجوامع
والمساجد ينادى فيها بالأذان، وتقام بها الأُجُوع والجماعات، وهم مع ذلك تحت أمر
صاحب أمّرا ملك ملوك الحبشة؛ يختار لولاية ممالكهم من شاء توليته، ولا يردون
ويصدرون إلا عن أمره، وهي مملكة أوقات والزَّيْلَع، ومملكة دَوَّارو، ومملكة
أرابيني، ومملكة هَدْيِيَّة، ومملكة شَرْحَا، ومملكة بابي، ومملكة دَارَة .

وقد تقدم الكلام عليها وعلى أحوالها مستوفى عند الكلام عليها في المقالة الثانية .
قال في "مسالك الأبصار" : وهذه المسالك تُجاور ناصع، وسواكن، ودهلك؛
وليس بها مملكة مشهورة .

قال في "التعريف": ولم يرد من هذه الملوك السبعة كتاب ، ولا صدر إليهم خطاب . قال : فإن ورد منهم شيء فتجربى مكاتبتهم مثل مكاتبة صاحب الكاتم والبرنؤ . وقد تقدم أن رسم المكاتبة إليهما على ما ذكره في "التعريف" : « أعز الله تعالى نُصرةَ الجانبِ الكريمِ ، وأعزَّ اللهُ تعالى جانبَ الجانبِ الكريمِ » على ما كتب به القاضي زين الدين طاهر في جواب صاحب البرنؤ على ما هو المذكور في موضعه .

المقصود الرابع

(في المكاتبة إلى أهل الجانب الشمالي ، وفيه ثلاثة أطراف)

الطرف الأول

(في المكاتبات إلى أمراء الأتراك بالبلاد المعروفة ببلاد الروم)

(المسماة الآن ببلاد الدروب)

قال في "التعريف": وهي البلاد المحصورة بين بحري القرم والخليج القسطنطيني تنتهي في شرقها إلى بحر القرم المسعى بحر نيطش ، وفي الغرب إلى الخليج القسطنطيني وتنتهي متشاملة إلى القسطنطينية ، وتنتهي جنوبا إلى بلاد الأرمن ، يحدها البحر الشامي . قال : وهذه البلاد بلاد متسعة ، وهي مفرقة لملوك مجتمعه ، ولكنه لا يطلق عليهم إلا اسم الإمارة ، ولا أنظام لكتبتهم ، ولا اجتماع لبلتيم ، ثم قال : وأكبرهم صاحب كرميان ، وله بينهم وضع محفوظ ، ونظام مرعى .

أما ملوكها ، فأجل من لديهم منهم جماعة بنى قرمان ، لقرب ديارهم ، وتواصل أخبارهم ، ولينكياتهم في ممتلك سيس وأهل بلاد الأرمن ، وأجبايحهم لهم من ذلك

الجناب، مثل آجتياح عساكرنا لم من هذا الجانب؛ فمكاتبنا إلى نبي قرمان لانكاد
تقطع، وأما إلى البقية فأقل من القليل، وأخفى من سرأى الضئيل. ثم عد منهم
سنة عشر أميرا، وذكروا رسم المكاتب إلى كل واحد منهم :

الأول - صاحب كرميان . قال في "التعريف" : ولم يكتب إليه مدة مقامى
بالأبواب السلطانية ؛ ويسببه أن تكون المكاتبه إليه بالمقر نظير صاحب ماردين،
لكن بأبسط ألقاب ؛ إذ هي أذعى لأستحسانهم لقلّة معارفهم ، وعلى هذا التقدير
يكون رسم المكاتبه إليه : « أعزّ الله تعالى نصر المقرّ الكريم ، العالى ، الملكى ،
الأجلى ، العالى ، العادل ، المجاهدى ، المؤيدى ، المرابطى ، المناغرى ، المظفرى ،
المنصورى ، الفلانى ، عون الأنام ، شرف الملوك والسلاطين ، نصير الغزاة والمجاهدين ،
زعيم الجيوش ، مقدم العساكر ، ظهير أمير المؤمنين » .

قال : فإن لم يُسمع له بكل هذه المخاطبه ، ولم يؤهل لنظير هذه المكاتبه ،
كتبت إليه هذه الألقاب مع الجناب الكريم ، وخوطف بالإمارة إن لم يسمع له
بالمخاطبة بالملك .

قال في "التتيف" ولعل مكاتبته بالجناب مع هذه الألقاب كما ذكر ومخاطبته
بالإمارة أولى ؛ لأنه إذا كان بنو قرمان أجل لدى ملوكنا ، ومكاتباتهم بالدعاء والمجلس
العالى ، فيتعين حيث هو أكبر منهم أن يكون هو أعلى منهم رتبة في المكاتبه بدرجتين^(١)
وهي : الجناب الكريم . قال : هذا هو الأولى عندي .

قلت : وهذا كله إنما كان قبل أن يملؤ قدر ابن عثمان صاحب برسا الآتى ذكره ،
ويرتفع قدره على من بتلك البلاد جملة ؛ أما بعد ارتفاعه وأخطاطهم دونه فينبى
أن يُنظر في قدر المكتوب إليه ، ويكتب إليه بحسب ما تقتضيه الحال .

(١) لعله بدرجة تأمل .

الثاني - صاحب طُنغزُلو ، قال في " التعريف " ورسم المكتبة إليه :
« صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالی الأمیری » ولم يذكر العلامة إليه . قال
في " التنقيف " والذي وجدته مسطوراً في مكاتبه الأسم والسامى بالياء .

الثالث - صاحب تُوَازَا . قال في " التعريف " : وهو في المكتبة نظيرُ
صاحب طُنغزُلو ، ولم يزد على ذلك ، غير أنه ذكر أن اسمه في زمانه كان « على أرينه »
وذكر في " التنقيف " أنه لم يقف له على رسم مكتبة سوى ذلك .

الرابع - صاحب عَيْدِي . قد ذكر في " التعريف " أن اسمه في زمانه دَنَدَار
أخو يُوُس صاحب أنطاليا ، وأنه نظير صاحب تُوَازَا في المكتبة ، فتكون المكتبة
إليه : صدرت والعالی . قال في " التنقيف " ولم أقف على رسم مكتبة إليه سوى
ذلك ، إلا أنه ذكر بعد ذلك صاحب عدليو . وقال : إن المكتبة إليه الأسم والسامى
بالياء ، وذكر أن المقر الشهابي بن فضل الله لم يتعرض إلى ذكره في " التعريف "
ثم قال : وقد تكون هي عَيْدِي المقدم ذكرها ، وإنما تكررت بتغيير الحروف . قال
ولم يتحور هل هما أشنان أو واحد .

الخامس - صاحب كَصَطْمُونِيَّة وهي قَسْطَمُونِيَّة . قال في " التعريف "
وكانت آخروقت لسلطان باشا ، وكان أميراً كبيراً ، كثير العدد ، موفور المندد ، ذاهبية
وتنح . ثم قال : وورث ملكه أبنه إبراهيم شاه ، وكان عاقراً لأبيه ، خارجاً عن
مرأضيه ، وكان في حياته منفرداً بمملكة سَنُوب . قال : وهي الآن داخلَةٌ في ملكه ،
منخرطةٌ في سلطه .

وذكر أن رسم المكتبة إليه : « أدام الله تعالى نعمة المجلس العالی الأمیری » بأكل
الألقاب ، واتم ما يُكتَب في هذا الباب ، وذكر في " التنقيف " نقلاً عن القاضي
ناصر الدين بن النشائي ، وأمين الدين خضر مثل ذلك ، وأن العلامة إليه « أخوه » .

السادس - صاحب فإويًا . قال في "التعريف" وهو (يعنى في زمانه) مراد الدين حمزة ، وهو ملك مضعوف ، ورجلٌ مجالس أنسه مشعوف . قال : ورسم المكتبة إليه « صدرت هذه المكتبة إلى المجلس السامى الأميرى » بالياء . قال في "التشيف" وهو غير بعيد .

السابع - صاحب برسا . وقد ذكر في "التعريف" انه في زمانه أرخان بن عثمان . ثم قال : وهو نظير صاحب فإويًا في المكتبة ، فتكون مكاتبته السامى بالياء . قال في "التشيف" ولم أطلع على رسم للمكتبة إليه غير ذلك ، إلا أنه ذكر في الفصل الأول من الباب الرابع في الكلام على مكاتب الحكام أرخان بن عثمان . وقال : إن لقبه سيف الدين . ثم قال : ويقال إنه صاحب برسا ، وذكر أن رسم المكتبة إليه في قطع العادة والدعاء والمجلس العالى ، والعلامة أخوه ، وتعرفه اسمه .

قلت : وقد تقدم في الكلام على المسالك والممالك أن الأمر قد آل في بني عثمان إلى أرخان بن عثمان جق ، ثم إلى ابنه مراد بك ، وأنه أتسع ملكه وجاوز في الفتح الخليج القسطنطينى حتى قارب خليج البنادقة ، ثم إلى ابنه أبى يزيد قزاد في الملك على ما كان بيد أبيه ، وتزوج في بنى قومان ، ودخل بنو قومان وسائر التركمان في طاعته ، ولم يبق خارجًا عن ملكه إلا سيواس ، فإنها كانت مع قاضيا إبراهيم المتغلب عليها ، ولم يزل كذلك حتى قصده تمرتك وأسره ، ومات في يديه ، وملك بعده ابنه سليمان جلى . ثم مات ، وملك بعده أخوه محمد بن أبى يزيد بن مراد بك ابن عثمان جق ، وهو القائم بها إلى الآن . وكانت المكتبة قد استقرت إلى أبى يزيد
(١)

في الأيام الظاهرية (برقوق)

(١) ترك يابسا في الاصل لصورة المكتبة .

(١)
الثامن — صاحب أكبرها . قد ذكر في "التعريف" : أنه كان في زمانه دمرخان
ابن قرآشي ؛ وذكر أن مكاتبته نظير مكتبة صاحب برسا ، يعني السامى بالياء ،
وذكر في "التتيف" : أنه لم يقف على سوى ذلك .

التاسع — صاحب مرمرها . وقد ذكر في "التعريف" : أنه في زمانه كان
تجشبي بن قرآشي . وقال : إن رسم المكتبة إليه : « صدرت هذه المكتبة إلى
المجلس العالي » .

قلت : وقد تقدم في المسالك والممالك أن هذه البلدة كانت جزيرةً بالخليج
القسطنطيني بها مقطع رخام ، وأن النصارى غلبوا عليها .

العاشر — صاحب مغنيسيا . ذكر في "التعريف" : أن اسمه صاروخان .
وقال : إن المكتبة إليه السامى بالياء . وذكر في "التتيف" : أنها صارت بعده
إلى ابنه إسحاق بن صاروخان ، وأنه كتب إليه في شوال سنة سبع وستين وسبعائة
بالأسم والسامى بالياء .

الحادي عشر — صاحب نييف . ذكر في "التعريف" : أنه في زمانه كان
على باشا أخو صاروخان صاحب «مغنيسيا» المقدم ذكره ، وذكر أن رسم المكتبة
إليه مثل أخيه المذكور ، فتكون صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالي .

الثاني عشر — صاحب بريكي . ذكر في "التعريف" : أنها في زمانه كانت
بيد ابن أيدين ولم يصرح باسمه . قال : وإن المكتبة إليه « أدام الله تعالى نعمته
المجلس العالي » بالألقاب التامة ، وذكر في "التتيف" : أنه لم يقف له على مكتبة
غير ذلك .

(١) هي كذلك في كتاب "الممالك" والذي تقدم في ج ٥ تولا عن "التعريف" أيضا صاروخان ،
ولست في نسخة "التتيف" التي بأيدينا .

الثالث عشر - صاحب فؤده ، ذكر في "التعريف" : أنه كان في زمانه أرخان
ابن منشاء ، وأن المكتبة إليه نظير صاحب بركي ، فتكون الدعاء مع العالی بالألقاب
الثامنة أيضاً ، وذكر في "التثقيف" : أنه لم يهف في مكاتبه على غير ذلك .

الرابع عشر - صاحب أنطاليا . ذكر في "التعريف" : أنه كان في زمانه
أسمه خضر بن يونس . وقال : إن رسم المكتبة إليه « صدرت هذه المكتبة إلى
المجلس العالی » . وذكر في "التثقيف" : أن خضر بن يونس المذكور كان يلقب
سنان الدين ، وأنه استقر بعده دادى بك ، ثم استقر بها آخر محمد المعروف بكاجوك ،
وذكر أن المكتبة إليه « أخوه » والدعاء والعالی . ثم قال : وهو الأصح لأنه آخر
ما استقر عليه الحال في مكاتبه وكتب به إليه .

الخامس عشر - صاحب قرأصار . ذكر في "التعريف" : أنه كان في زمانه
أسمه زكريا ، وأن رسم المكتبة إليه : هذه المكتبة إلى المجلس السامى ، بلاياء ،
وذكر في "التثقيف" : أنه لم يطلع على مكتبة إليه سوى ذلك ، وأنه لم يكتب
إليه شيء في مدة مباشرته .

السادس عشر - صاحب أرمنآك . ذكر في "التعريف" : أنها كانت في زمانه
بيد ابن قرمان ولم يصرح باسمه ، وذكر في "التثقيف" : أن أسمه علاء الدين سليمان .
قال في "التعريف" : ورسم المكتبة إليه : أدام الله تعالى نعمة المجلس العالی
بأكل الألقاب وأكبرها ، وأجمعها وأكثرها . وذكر في "التثقيف" أن آخر
من استقر بها في شوال سنة سبع وستين وسبعائة علاء الدين على بك بن قرمان ،
ووافق على رسم المكتبة المذكورة . وقال : إن العلامة إليه « أخوه » وتعريفه
« فلان بن قرمان » .

(١) لعله "العلامة إليه" .

قال في "التعريف": وإلاخوة صاحبها آبن قِرْمَان المذکور رسومًا في المكتبات، فأكبرهم قَدْرًا، وأتقنهم نابًا وطُفْرًا، الأمير بهاء الدين موسى . وقد تقدّم في الكلام على المسالك والممالك في المقالة الثانية أنه حضر إلى الأبواب السلطانية، وحجّ مع الركب الشريف، ثم عاد إلى الأبواب السلطانية، وأجلس في المرّتين مع أمراء المشورة، وأثيرك في الرأي . وسأل السلطان في كتابة منشور بما يفتحه من بلاد الأرمن فكُتِبَ له . قال في "التعريف": وأسقطت المكتبة إليه مثل مكتبة أخيه . قال : أما بقية بني قِرْمَان فدوتهما في المكتبة .

وأعلم أن صاحب "التعريف" قد زاد على ذلك من أمراء هذه البلاد ستة نفر .

أحدهم - الحاكم بالعلّام . وذكر أنه كان اسمه حسّام الدين محمود بن علاء الدين، وأنه كتب إليه في سؤال سنة سبع وستين وسبعائة «أخوه» والدعاء، والعالى، في قطع العادة .

الثاني - صاحب بلاط ورمح . ذكر أنه كان بها «أمير موسى» بن إبراهيم ابن منتشا، وأن المكتبة إليه في قطع العادة «والده والدعاء، والمجلس العالی» .
الثالث - صاحب أكردور وهي أكردون . ذكر أنه كان بها إلياس بن مصطفى من بني حميد، وأن رسم المكتبة إليه على ما استقر عليه الحال عند ما كتب إليه في سؤال سنة سبع وستين وسبعائة «والده» والسامى بالياء .

الرابع - صاحب أباسلوق . ذكر أنه كان بها عيسى بن أيدين، وأنه كتب إليه في سؤال من السنة المذكورة أيضا .

(١) كذا بأعمال جميع حروفها نعم تقدم في القواعد «بلاط» فقط ولم نعر عليها بعد البحث والتصحيح .

الخامس — صاحب بلى شار . ذكر أنه كان بها الأمير محمد ولم يذكر نسبه .
وقال : إن المكتبة إليه الأسم والسامى بالياء .

السادس — الأمير ذروان بن كيمان بن منشأ . ذكر أنه من استجذت مكاتبه
في شوال سنة سبع وستين وسبعائة .

وأعلم أنه قد زاد في "التتيف" ذكر مكتبة جماعة لم أتحمق هل هم من أهل
هذه البلاد أم من غيرها .

منهم صاحب قلعة الحنفاء ، ذكر أنه كان اسمه سيف الدين قوحي ، وأن المكتبة
إليه في قطع الثلث والسامى بالياء .

ومنهم صاحب قلعة الجوز ، في قطع الثلث الأسم والسامى بالياء ، وتعريفه اسمه .
ومنهم صاحب بكجري : استجذت الكتابة إليه في شوال سنة سبع وستين
وسبعائة ، وكتب إليه الأسم والسامى بغير ياء .

ومنهم الحاكم بقلعة أبيض كتب إليه الأسم ومجلس الأمير .

ومنهم الحاكم بقلعة نعمة ، كتب إليه الأسم ومجلس الأمير أيضا .

ومنهم الحاكم بقلعة أشنى : وهي أشنو كُتب إليه كذلك .

على أنه قد ذكر منهم جماعة أيضا ليسوا من أهل هذه البلاد جملة ؛ منهم نائب
خلاط ، وصاحب موغان ، وهي موقان ، والحاكم بإسعرود وهي سيرت ، وصاحب
قيشان وهي قاشان .

وقد تقدم أن خلاط من أرمينية ، وموقان من أرمينية ، وإسعرود من ديار ربيعة
من الجزيرة القراتية ، وقاشان من عراق العجم ، وبالجملة فقد خلط في "التتيف"
في البلدان تخليطا كثيرا ، وخلط بعض أقاليم البلاد ببعض .

قلت : قد تقدم في صدر الكلام على المكتاتبات ذكر أصول وعمدها الكاتب في كتبه ثم الكتب السلطانية وغيرها ؛ وأنا أذكر هنا ما يختص منها بالكتب الصادرة عن السلطان على النمط الجاري عليه الاصطلاح الآن ليسهل التصدُّ إليها لقربها ، ويحصل الغرض من ذلك ، بذكر [تسعة] أمور :

أولها - مقاديرُ قطع الورق ؛ قد تهدم في الكلام على مقادير قطع الورق المستعملة في دواوين الإنشاء جملةً ، والذي يختص منها بالكتب الصادرة عن السلطان أربعة مقادير :

أحدها - قطع البغدادى الكامل ؛ وقد مرَّ أنه يكتب فيه للقائات .

وثانيها - قطع النصف ، وفيه يكتب إلى أكابر الملوك من دون القائات .

وثالثها - قطع الثلث ، وفيه يكتب إلى الرتبة الثانية من الملوك .

ورابعها - قطع العادة ، وفيه يكتب إلى أصاغر الملوك والولاة وغيرهم .

الثانى - العُنوان ؛ قد تقدم في مقدمة الكتاب أنَّ الذى كان يكتب عُنوانات الكتب السلطانية في الزمن المتقدم هو صاحب ديوان الإنشاء دون غيره ؛ أما الآن ، فإنَّ كاتب كلِّ كتاب صار هو الذى يكتب عُنوانه بنفسه .

وقد جرت العادة في عامة الكتب السلطانية أن يكون المكتوب فيها هي ألقاب المكتوب إليه وتُعوَّنه التي في صدر المكتبة في الباطن ؛ ثم يدعى للمكتوب إليه في آخر الألقاب بالدعوة التي صدر بها الدعاء في الصدر مثل : أعزَّ الله أنصاره ، أو ضاعف الله نعمته ، وما أشبه ذلك من الأدعية التي تُفتح بها المكتاتبات ؛ فإن كان الكتاب مفتتحاً بالحمدلة أو بلفظ من فلان ، كُتب في العنوان الألقاب التي في صدر الكتاب بعد ذلك ؛ ثم بعد الدعاء بحلِّي بياضاً قليلاً ؛ ثم يذكر تعريف

المكتوب إليه . مثل «صاحب فلانة» ونحو ذلك مما تقدم ذكره من التعريفات .
وتكون كتابة العُنوان بنظير قلم الباطن في الدقة والغلظ . وتكون أسطره متصلة من
أول عرض الدرّج إلى آخره ، وأسطره متلاصقة متتالية .

الثالث — الطّرة التي يُكْتَب فيها تعريفُ المكتوب إليه ، والعلامة التي يكتبها
المكتوبُ عنه ، والديبُ في كتابته .

وقد جرت العادةُ في ذلك أنه يكتب في رأس الدرّج في الجانب الأيمن
«إلى فلان» وفي الجانب الأيسر «بسبب كذا وكذا» وفي الوسط العلامة التي يعلمها
السلطانُ مثل «أخوه» أو «والده» أو «آسمة» : يُنظَر عند علامة السلطان على
الكتاب فيعلم حالّ الكتاب ، ويجرى الأمرُ في العلامة على هذا الرسم ، وتكون كتابتها
بقلم الكتاب من ثلث أو رفاع أو غيرهما ، إلا أن يكون الكتابُ بمختصر الطُّومار في قطع
البغدادى فيكون ذلك بقلم الثلث . وهذه الطّرة تقطع بعد أن يعلم على الكتاب .

الرابع — البياض في أعلى الكتاب ، وقد جرت العادةُ في الكُتُب السلطانية أن
العلامة إلى المكتوب إليه : إن كانت «أخوه» أو «والده» ترك فيه ثلاثة أوصال
بياضا بما فيه من وصل العُنوان ؛ ثم تكتبُ البسملةُ في رأس الوصل الرابع ؛ وإن
كانت العلامةُ إليه الأسم ، ترك وصلان بياضا فقط وكتبتُ البسملةُ في أول الوصل
الثالث ؛ ثم يُكْتَب السطر الأول من الكتاب على سمت البسملة ملاصقا لها ؛ ثم يحلّي
موضع العلامة بياضا . ويكتبُ السطر الثاني على سمت الأول في أواخر ذلك
الوصل على قدر إصبعين من آخره ؛ ثم يجعل بين كل سطرين أربعة أصابع مطبوقة ،
إن كان القطع صغيرا ، وإن كان القطع كبيرا كان فيه قدر رُبع ذراع أو نحوه بحسب

(١) لعله في الكتابة أى يكتب ما يناسب العلامة .

المناسبة؛ فإذا آتتهى إلى آخر الكتاب كتب «إن شاء الله تعالى» في الوَسَطِ على بُعدٍ قدر إصبعين من السطر الآخر، ثم يكتب: «كُتِبَ في تاريخ كذا من شهر كذا سنة كذا وكذا» ويكون إلى آخر ذكر الشهر سطر، ومن أول سنة كذا إلى آخره سطر. ثم يكتب المستند على نحو البُعد المذكور: فإن كان بتلقّي كاتب السَّرِّ خاصَّةً كتب «حَسَبَ المرسوم الشريف» فقط. وإن كان بتلقّي كاتب السروكُتاب الدُست من دار العَدْل كتب «حَسَبَ المرسوم الشريف» في سطر، وتحتّه بقدر إصبع «من دار العَدْل الشريف» في سطر. وإن كان برسالة الدَّوادار كتب «حَسَبَ المرسوم الشريف» في سطر، وتحتّه بقدر إصبع «رسالة الجناب العالي الأميري الفلاني الدَّوادار الفلاني» بقلب السلطان «ضاعف الله تعالى نعمته». وإن كان من ديوان الخاص، كتب «حَسَبَ المرسوم الشريف» في سطر وتحتّه «من ديوان الخاص الشريف». وإن كان بخط السلطان: بأن كُتِبَ على القِصَّة بخط الشريف، كتب «حَسَبَ الخطَّ الشريف» في سطر واحد. وإن كان بإشارة النائب الكافل كتب «بالإشارة العالية الأميرية الكبرية الفلانية» في سطر، وكتب تحتّه بقدر إصبع «كافِل الممالك الشريفة الإسلامية أعلاها الله تعالى». وإن كان بإشارة أستاذ الدار، كتب «بالإشارة العالية الأميرية الكبرية الفلانية» في سطر، ثم يكتب تحتّه بقدر إصبع «أستاذ الدار العالية أعلاها الله تعالى». على أنه قد تقدّم في الأقباب أن كتابتهم أستاذ الدار هو عرف جرى عليه اصطلاحهم؛ وأن الصواب فيه إستدَار بغير ألف بعد التاء. وتكون كتابة المستند ببياض من جانبيه، سواء كان سطرا واحدا أو سطرين؛ ثم إذا فرغ من كتابة المستند، كتب الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في سطر كامل على بُعد قدر إصبعين من المستند؛ ثم يكتب الحَسْبَةَ على قدر إصبعين من سطر الحمدلة والتصلية.

وقد تقدّم في الكلام على الخواتم في المقالة الثالثة نقلاً عن عبد الرحيم بن شيث أن موضعها من ثلث السطر الأخير من أوله إلى حين تنتهي كتابتها .

الخامس - قد ذكر ابن شيث في معالم الكتابة أنه لا يُكتب في حواشي الكتب السلطانية : لأن في ذلك شُحاً بالورق ، وذلك مما لا يليق بالسلطان ؛ ولا خفاءً في استقباح ذلك ، بل قد يُستقبح ذلك في غير السلطان كما سيأتي ذكره في الإخوانيات .

السادس - العلامة السلطانية على المكتوب ، في بيت العلامة من البياض السابق ذكره . قد ذكر في "التعريف" أن أكبر من يكتب إليه من الأمراء ومماليك البيت الشريف فترجمته بالخط الشريف « والده » ومن دون ذلك « الأسم الشريف » ؛ أما الغرباء بكلوك المسادين والعربان وأكابر القضاة وأهل الصلاح والأكابر؛ فترجمته بالخط الشريف « أخوه » ومن دون ذلك الأسم الشريف .

والذي استقر عليه الحال آخر في زماننا أن لأكابر الأمراء من النواب وغيرهم « أخوه » لرفع مكان الأخ على الولد ، ولين دونهم « والده » ولين دون ذلك « الأسم » وبقى الحال على ما ذكره ؛ وقد سبقت ترجمة كل مكتوب إليه في الكلام على الكتابة إليه .

أما القانات الكبار فقد تقدم في الكلام على الكتابة إليهم أنه تكتب لهم طُغرة بالألقاب السلطانية في موضع العلامة ؛ وأما ملوك الكُفَر ، فسيأتي أنه تكتب طُغرة بالألقاب السلطانية فوق البسمة .

السابع - على الكتب السلطانية : قد تقدم في صدر الكلام على المكتبات نقلاً عن ابن شيث من كتاب الدولة الأيوبية أن كتب السلطان يكون طيها

في عَرْض أربعة أصابع ، وأن مقتضى ذلك أن كُتِبَ السلطان بالديار المصرية كانت تُطَوَّى على هذه الهيئة كما في كُتِبَ أهل المغرب الآن ، والذي آسَفت عليه الحال آخراً أنها يجعل طيها في صورة أنبوب القنّاة ولا تُضَمَط في طيها لتكون نيّلة تعظيماً لأمر السلطان وإجلالاً لقدره .

الثامن — ختم الكتاب : قد تقدم في الكلام على الخواتم واللواحق في المقالة الثالثة أن الكتب السلطانية كانت تختم ^(١) بسحابة ، ويُطَبَع عليها بطين أحمر ، يُوتى به من سيراغ ، وتختم بخاتم كما تختم المغاربة الآن ، أما الآن فقد آسَفت الحال على أن الكتب تُلصَق بالنشا أو ما في معناه من الكثيراء ونحوها ، وقد سأل الشيخ جمال الدين بن نباتة في رسالته التي كتبها إلى الشهاب محمود رحمه الله حين بلغه وقوع بعض كُتّاب دِمَشق في حقه عن غير طين الختم إلى النشا ، ولم أقف على زمان تغير ذلك ولا من غيره ، على أني حللت معظم أسئلة هذه الرسالة في خلال هذا الكتاب مفزقة في مواضعها .

التاسع — أن الكتب الصادرة عن الأبواب السلطانية : إن كانت إلى أحد من عظماء الملوك كالتقانات ببلاد الشرق ، أو ملوك بلاد المغرب ونحوهم من يتعاني البلاغة في الكتب الصادرة عنه ، كتبت مسجوعة كلها ، وإن كانت إلى صغار الملوك والحكام كتبت غير مسجوعة ، وإن كانت إلى أحد من أهل المملكة ، فإن كانت في أمرٍ بد وقوعه : كالكتابة بالإشارة بوقاء الليل ، أو جلوس السلطان على التخت لأقرب أمره ، أو بزيمه من المرض ، أو ولادة ولد له ، أو الإشارة بفتح ، أو الإعلام بركوب الميدان ، أو الإنعام بتيّل أو نحوها ، كتبت مسجوعة ، وإلا كتبت مرسلة غير مسجوعة .

(١) يريد تلف عليها حماية كما يؤخذ من بقية العبارة وما تقدم في جزه .

الطرف الثاني

(في المكتبة عن ملوك الديار المصرية على المصطلح المستقر عليه

الحال، إلى ملوك الكُفْر)

وأعلم أن ملوك الكفر المكاتبين عن هذه المملكة جميعهم نصارى : من الروم ،
والفرنج ، والكُرج ، والحَبْشَة وغيرهم ؛ إذ كانوا هم المستوفين على أكثر الممالك ؛
أما اليهود ، فإنهم لم يبق لهم مملكة معروفة ، بل هم تحت الذمة أين كانوا . قال
تعالى : (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيَا تَقْفُوا إِلَّا يُجْبَلِ مِنْ اللَّهِ وَجِبَلٍ مِنَ النَّاسِ) .
قال في " التعريف " وجميع الكُتُب المكتوبة إلى ملوك الكُفْر لا يشتملها الخطُّ
الشريف أصلاً ، بل يُكْتَب فوق البسملة في الكتاب بخط الكاتب عوض العلامة
الشريفة أسطر قصيرة بياض من الجانيين ماصورته :

« من السلطان الأعظم الملك الناصر - مثلاً - العالم ، العادل ، المجاهد ، المرابط ،
المُتَأَمِّر ، المؤيد ، المُظَفَّر ، المنصور ، الشاهنشاه ، فلان الدنيا والدين ، سلطان الإسلام
والمسلمين ، نُحْيِي العَدْل في العالمين ، وارث المُلْك ، مَلِك العرب والعجم والتُرك ؛
ظَلَّ اللهُ في أرضه ، القائم بسُنَّتِهِ وقَرَضَهُ ؛ إسكَنْدِر الزمان ، مَمْلُك أصحاب المنابر
والتُّخوت والتَّيجان ؛ واهِب الأقاليم والأَمْصار ، مُبِيد الطُّغاة والبَغاة والكُفَّار ، حامي
الحرمين والقِبْلَتَيْن جامع كلمة الإيمان ، ناسِر لواء العَدْل والإحسان ؛ سيد ملوك
الزمان ، إمام المتقين ، قسيم أمير المؤمنين ؛ أبى فلان ، ابن السلطان الشهيد الملك
الفلاني فلان ، خَلَّد اللهُ سلطانه ، ونصر جنوده وجيوشه وأعوانه » .

وأوضح ذلك في " التثقيف " فقال : ويكون في الطرة بعد وصلين بياضاً من أول
الكتاب بهاميش جيد من الجانيين يَمْنَة ويسرة ، ويكونان في قدر بياضهما سواء

تقدير أربعة أصابع فأكثر من كل جانب، من الورق العريض، وفي قطع العادة دون ذلك . وتكون الأسطر متقاربة، ما بينهما من البياض تقدير إبهام أو أزيد منه بشيء يسير، وإذا انتهت الألقاب بترك بعدها وصلًا أبيض، ثم يكتب البسملة الشريفة، وبعدها رسم المكتابة للكتوب إليه .

الطرف الثالث

(في المكتابة إلى من وراء بحر القيرم بالجانب الشمالي منه)

وهو صاحب البلغار والسرب . وهي بلاد في نهاية الشمال ، متاخمة لصاحب السراى ، وقد ذكر في " التعريف " المكتابة إليه في المكتابة إلى جملة ملوك المسلمين . وقال : إن صاحبها يظهر الأتقياء لصاحب السراى ، وإنه أرسل رسلته تطلب له الأتوية من الأبواب السلطانية فجهزت إليه مع ما جرت به العادة من السيف والتشريف والحليل المترجمة الملجمة . وذكر أن رسم المكتابة إليه على ما كتبت إذ ذاك :

«عزَّ الله نصر الجناح الكريم، العالى، الملكى، الأجلى، الكبرى، العالمى، العادلى، المجاهدى، المؤيدى، المرابطى، المناغىرى، الأوحدى، سيف الإسلام والمسلمين، ناصر العزاة والمجاهدين، زعيم الجيوش، مقدم العساكر، جمال الملوك والسلطين، دُخر أمير المؤمنين» .

ثم هذا الطرف يشتمل على أربعة مقاصد مشتملة على الجهات الأربع :

المقصود الأول

(في المكتبة إلى ملوك الكفار ببلاد الشرق ، وجملة من بها من ملوك

النصارى المكاتبين عن هذه المملكة مملكان)

الأولى - مملكة الكرج من النصارى الملكية . قال : في "التعريف" ويقال في المسلمين الكرد ، وفي النصارى الكرج . قال : وموقع هذه [البلاد] بين بلاد الروم وبين بلاد أرمينية . وهي بلاد جليسة ، ومملكة مفحمة ، وكأنها مفتطعة من البلادين ، ولها ملك قائم ، وبها ملك دائم ، وأمها مدينة تقليس ، وسلطان بيت هولانكو بمملكة إيران يحكم عليها ، ويرالغهُ تصل إليها ، إلا أنه لا يطغى بها سيئله ، ولا تجوس خلال ديارها للغرب المضرمه خيله ، وإنما له بها ثومان اتخذ سدادا لغرها ، وقياماً بأمرها ، مترطم فسيح يواديها ، أهل حل ورحال ، وتقل من حال إلى حال . قال : وأجر من كان له في هذه البلاد سمعة ، وأقيمت به للمهابة صرعه ؛ الشيخ محمود بن جوبان ، وكان باسلاً لأبطال ، ورجلاً مر المداق ، ولما جرت الكائنة لأبيه ، لاذ بالسلطان (أزبك قان) ثم لم تطل له مدة ، ولا أنفجحت له حائق شده ؛ وأناه أجله وما استطاع رده . ثم قال : وعسكر الكرج صليبة دين الصليب وأهل البأس والتجده ، وهم للعساكر الهولانكوهية عناد وذخر ، ولم بهم ووثوق وعليهم أعبياد ، [ولا] سبياً لأولاد جوبان وبنيه ، وبقايا تحفیه ، لسالف إحسان جوبان إليهم ، ويد مشكورة كانت له عندهم ، وكان صديقاً لملكهم برطلمان بفرس عنده الصنائع ، ويستترعيه الودائع ؛ فكان أخص خصيص به ، وأصدق صديق له ، يدعوه للمهم ، ويستصرخ به في المليم ، ويعده ردها لعسكه ؛ ومزبلا لمنكوه .

وعقب ذلك بأن قال : وبرطلما المذكور عهدى به حتى برزق من أجل ملوك
النصرانية ، وأغرق أنساب بنى المعمودية ، وقد كان كاتب الأبواب السلطانية
بسبب كنيسته المصلبه ، وأن ترقع عنها الأيدي المتغلبه ، فبرزت الأواصر المطاعة
بإعادتها عليهم وكانت قد أخذت منهم سوى بظاهر القدس الشريف . وأخذت
مسجدا ، وعمر هذا على طوائف العلماء والصلحاء وان لم يعمل هذا سدى . قيل
إنه كان يحسن لجوآن قصد البلاد ، ويبدل له عليه الطارف والتلاد . وذكر أن
رسم المكتبة إليه : « أدام الله تعالى بهجة الحضرة العلية ، حضرة الملك الجليل
الهمام ، الباسل ، الضرغام ، السميع الكرار ، الغضنفر ، المنحنت ، المتوج ، العالم
فى ملته ، العادل فى رحيمته ، بقية الملوك الأغرقيية ، سلطان الكرج ، ذخر ملك البحار
والخليج ، حامى حى الفرسان ، وارث آبائه فى الأسرة والتيجان ، سباج بلاد الروم
وإيران ، سليل اليونان ، خلاصة ملوك السريان ، بقية أبناء التخت والتيجان ،
مميز النصرانية ، مؤيد العيسوية ، مسيح الأبطال المسيحية ، معظم البيت المقدس
بعقد النبى ، عماد بنى المعمودية ، ظهير الباب بابا رومية ، مواد المسلمين ، خالصة
الأصدقاء المقربين ، صديق الملوك والسلاطين » .

وهذا دعاء أورده فى " التعريف " يلىق به وهو : وحى ملكه بوذه لا يجنده ،
وبوفائه بعنده لا يجنده ومدبته ، وبما عندنا من سبحا الإحسان لا بما يظن أنه من
عنده ، وبما فى رأينا المورى لا بما يقده النار من زنده . وربما قيل مصافى
المسلمين بدل مواد المسلمين .

أما فى " التنقيف " فقد ذكر أن للكرج ملكين (أحدهما) صاحب تقيس المقدم
ذكره ، وذكر أنه كان اسمه إذ ذاك « داود » (الثانى) الحاكم " بسخوم " و " أنحاس " .
وهما مدينتان على جانب بحر القيرم من الجانب الجنوبي كما تقدم ذكره فى الكلام على

المسالك والممالك في الجانب الشمالي، وسمى صاحبها إذ ذاك (ديادان). قال :
ورسم المكتبة إلى كلٍّ منهما في قطع النصف : أطال الله تعالى بقاء حضرة الملك
الجليل . المكرم ، الخطير ، الباسل ، الهمام ، المقدس ، الروحاني ، فلان ؛ عِزَّ الأُمَّة
المسيحية ، كثر الطائفة الصليبية ، نفرد دين النصرانية ، ملك الجبال والكرج
والخرجان ، صديق الملوك والسلاطين ، وتعريف كلٍّ منهما "ملك الكرج" .

ثم قال : وقد ذكر القاضي المرحوم شهاب الدين بن فضل الله في المكتبة
المذكورة من التغييرات مالا حاجة إلى ذكره : لأن ما ذكرته هو المستقر في المكتبة
إليه إلى آخر وقت .

قلت : وذلك لأنه في زمن المقر الشهابي بن فضل الله كان مرعى الجانب
بمألاة التتر وأنضمامه إلى جوبان ، كما تقدمت الإشارة إليه ، فكانت المكتبة إليه
إذ ذاك أعلى وأغرم ، فلما زالت دولة التتر من إيران وتحدت قسوتهم انحطت رتبة
المكتبة إلى ملك الكرج عن هذه الرتبة . ثم قد تقدم في المسالك والممالك
في الكلام على مدينة تفليس أنها من إقليم أَرَّان ، وأنها كانت قد فتحها المسلمون .
ثم غلب عليها الكرج وملكوها ، فلو عبّر عن صاحبها بتملك تفليس كما كان يعبر عن
المستولى على سييس من الأرمن بتملك سييس ، وعن المستولى على قبرس بتملك
قبرس على ما سياتي ذكره على الأثر إن شاء الله تعالى .

الثانية — مملكة الأرمن وقاعدتها مدينة "سييس" قبل فتحها ، وقد سبق
في الكلام على مدينة سييس عند ذكر مضافات حلب ، في الكلام على الممالك الشامية
في المسالك والممالك ذكر حدود هذه البلاد وبيان أحوالها ، وأنها كانت تسمى

في زمن الخلفاء بلاد الثغور والعواصم؛ وأنها كانت بأيدي المسلمين، وأهلها نصارى
 أرمن، وعليهم جزية مقررة يؤدونها إلى الملوك؛ إلى أن كانت طاعتهم آتراً لبقية الملوك
 السلاجقة ببلاد الروم، والعمال والشحاني على بلادهم من جهة الملك السلجوقي حتى
 ضعفت تلك الدولة، وسكنت شقاشق تلك الصولة، وانتدب بعضهم لقتال
 بعض، وصارت الكلمة شورى، والرعية فوضى، وشواخ المعافل مجالاً للتخريب،
 والبلاد المصونة قاصية من الغم للذيب، وطمع رئيس النصارى بهذه البلاد حينئذ
 فيها واستنسر بقاءه، وأشد إنكائه، ورأى سواماً لا ذائد عنه فساقه، ومناعاً لاحامية
 له فلا منه أوساقه؛ فاستولى على هذه البلاد وتملكها، ونحيف مواريت بنى سلجوق
 وأستهلكها. وذكر في "مسالك الأبصار" أن كبيرهم كان يسمى قليج بن لأون.

قال في "التعريف" وقد أخذ في آخرت الأيام الناصرية، يعني (محمد بن قلاوون)
 بلاد ماوراء نهر جاهان وأمها آياس، وكان قد أخذ بعض ذلك [أيام] الملك المنصور
 (لاجين) واستنيب به أمدم الكرجي؛ ثم أعيدت إلى الأرمن بمواطاة أمدم
 حين قتل لاجين وضعفت الدولة. وذكر أنه قرر على الأرمن ملوك الديار المصرية
 قطعة مقررة بلغت ألف ألف ومائتي ألف درهم مع أصناف، ثم حط لهم منها؛
 ثم صاروا بعد ذلك بين طاعة وعصيان. وذكر أنه كان ملوك البيت الهولاكوي
 عليهم حكم قاهر، وله فيهم أمر نافذ، قبل ضعف شوكتهم، ولين قسوتهم، وخلو
 عليهم من قسوتهم. ثم قال: ولو تمكنوا من دمشق لمحو آثارها، وأنسوا أخبارها؛
 ثم أشار إلى أن ملكها يومئذ صاهر صاحب قبرس ليتقوى به؛ وأنه مع ذلك أوصى
 سلطاننا صاحب مصر على ابنه بوصية أشهد عليها أهل مملكته، وجعل ذلك وسيلة
 لبقاء دولته؛ وكتب له تقليد عوضاً عن أبيه وجهز إليه، وأليس التشریف فلبس

(١) وَقِيلَ الْأَرْضُ بِهِ وَخَادِمٌ . قَالَ فِي "التعريف" : وَمَنْ مَلَكَ مِنْهُمْ سَمِيَ التَّكْفُورَ ، سَمَةً جَرَتْ عَلَيْهِمْ مِنْذُ كَانُوا وَإِلَى الْآنَ . قَالَ : وَمَلَكَهُمْ مَلَكَ عَرِيقٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ ، يَزْعُمُ أَنْ أَصْلَهُ مِنَ الْبَيْتِ الْقُسْطَنْطِينِيِّ . قَالَ : وَعِنْدِي نَظَرٌ فِي دَعْوَاهُمْ ذَلِكَ : إِذْ كَانَ أَهْلُ ذَلِكَ الْبَيْتِ هُمْ صَبِيلَةُ الرُّومِ وَمَعْتَقَدُهُمْ مَعْتَقَدُ الْمَلِكَانِيَّةِ وَالْبَيْتُ التَّكْفُورِيُّ - أَرْمَنُ وَمَعْتَقَدُهُمْ مَعْتَقَدُ الْيَعَاقِبِيَّةِ أَوْ مَا يُقَارِبُهُ ، وَبَيْنَ الْمَعْتَقِدِينَ بَعْدَ عَظِيمٍ ، وَبَوْنٌ فَأَه . وَقَدْ ذَكَرَ فِي "التعريف" أَنَّ اسْمَهُ لِيَفُورِ بْنِ أَوْشِيرٍ . وَذَكَرَ أَنَّ رَسْمَ الْمَكْتَابَةِ [إِلَيْهِ] صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَكْتَابَةُ إِلَى حَضْرَةِ الْمَلِكِ ، الْجَلِيلِ ، الْبَطَلِ ، الْبَاسِلِ ، الْهَامِ ، السَّمِيدِ ، الضَّرْغَامِ ، الْغَضَنْفَرِ ، فَلَانَ بْنِ فَلَانَ ، نَجْرِ الْمَلَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ ، ذُنُرِ الْأُمَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ ، عِمَادِ بْنِ الْمَعْمُودِيَّةِ ، صَدِيقِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ .

وهذه أدعية - ذكرها في "التعريف" تناسبه :

وَقَفَّهَ اللَّهُ تَعَانِي لَطَاعِيَةً بِكَفِّهِ ذِمَامُهَا ، وَبِقِيهِ مَصَارِعَ السُّوءِ الْإِزَامُهَا ، وَتَجَرِي لَهَ بِالسَّلَامَةِ فِي النَّفْسِ وَالْمَالِ أَحْكَامُهَا .

آخِرُ : وَلَا عِدَمَ مِنْ مَنِينَا الْكَرَمِ الَّذِي أَجَارَهُ ، وَالْأَمْنِ الَّذِي أَمَّنَ جَارَهُ ، وَالْأَمَانَ الَّذِي وَسَّعَ عَلَيْهِ وَجَارَهُ ، وَالْعَفْوَ الَّذِي وَقَاهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ نَارًا وَقُودَهَا النَّاسَ وَالْجِحَارَةَ .

آخِسِرُ : أَبْقَاهُ اللَّهُ لَوْلَا يَدَايِهِ ، وَقَرَّضَ مِنْ الْخِدْمَةِ يُؤَدِّيهِ ، وَدَيَّنَ فِي ذِمَّتِهِ مِنَ الْوِطْنِيَّةِ يَقُومُ بِهِ مَعَ طَرَائِفِ مَا يَهْدِيهِ .

(١) في التعريف بدون خادم .

(٢) في التعريف المطبوع ص ٥٧ ليفور بن أوشين ، ونخشى أن يكون تصحيحا .

آخر : أراه الله ما يستدفع به من مواضع السيوف البلاء إذا نزل ، والسّمهرى
الذى لا يرويه البحر إذا نهل ، والسّيل الذى لا يقف فى طريقه شىء ولا يمشى
على مهمل .

أخسر : صان الله تعالى بمصانعه من أهل ملته كل قبيل ، وأمن الله بمدارائه
من خوف جيوشنا المنصورة كل سبيل ، وصد عنه بصدق صداقته بعث جنودنا
الذى لا يرده وأوله بالقرات وآخره بالنيل .

آخر : ولا زال يتوقى بطاعته بوادى الأيمن ، وعوادى الخليل موشحة
بالأعنه ، وعبث الجيوش حيث لا سبق إلا أحد الأقسام الثلاثة : القتل أو الأسر
أو المنه .

أخسر : جنب الله رأيه سوء التعكيس ، وشراً مؤزّن لئله إبليس ، وأخذ
جانب قلاعه وأول تلك الجانب سيس .

والذى ذكره فى "التشيف" أنه كان اسمه كسند بن هنيوم ، وأن رسم
المكاتبه إليه على ما كان استقر عليه الحال إلى حين الفتح فى سنة ست وسبعين
وسبعمائة ، فى قطع العادة : «صدرت هذه المكاتبه إلى حضرة الملك الجليل ، المكرّم ،
المبجل ، المعظم ، المعزّز ، الهام ، الباسل ، فلان بن فلان ، عزّ دين النصرانية ، كبير
الطائفة الصليبية ، عماد بن المعمودية ، صديق الملوك والسلاطين ، أدام الله
نعمته ، وحرس مهجته ، ثعلبه كذا وكذا» . وتعريفه «مملك سيس» قال : وكتبت
أنا والجماعة إليه بهذه المكاتبه مرّات .

قلت : وقد بطلت هذه المكاتبه بفتح سيس حين فتحها قسطنطين المنصورى
نائب حلب فى الدولة الأشرفية «شعبان بن حسين» فى التاريخ المقدم ذكره ،

وَأَسْتَقَرَّتْ نِيَابَةٌ فِي رِثْبَةِ نِيَابَةِ طَرَابُلُوسَ وَمَا فِي مَعْنَاهَا ؛ ثُمَّ أَسْتَقَرَّتْ تَقْلِيمَةَ عَسْكَرِ
فِي مَضَافَاتِ حَلَبَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ فِي الْمَسَالِكِ وَالْمَمَالِكِ هُنَاكَ . وَإِنَّمَا كَانَ
يُقَالُ لَهُ مَمْتَلِكٌ سِيسَ دُونَ مَلِكٍ سِيسَ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّهَا كَانَتْ أَوَّلًا بِيَدِ الْمُسْلِمِينَ ،
ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهَا رِئِيسُ الْأَرْمَنِ الْمُقْتَدِمُ ذَكَرَهُ فَلِكُلِّهَا مِنْ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ ، وَفِيهِ الْحَمْدُ
فِي إِعَادَتِهَا إِلَى يَدِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَسْتَقَرَّرَاهَا فِي جِهَةِ الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ .

المُقْتَصِدُ الثَّانِي

(فِي الْمَكْتَابَةِ إِلَى مَلُوكِ الْكُفَّارِ بِيَلَادِ الْمَغْرِبِ مِنْ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ)
وَمَا وَالِاهَا مَا هُوَ شَمَالِي الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ)

قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْمَسَالِكِ وَالْمَمَالِكِ مِنَ الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا
قَدْ آفَتْحُوا جَزِيرَةَ الْأَنْدَلُسِ فِي خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَنَّهَا
أَقَامَتْ بِأَيْدِي الْمُسْلِمِينَ إِلَى رَأْسِ السَّبْتِائَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا بِيَدِ الْمُسْلِمِينَ
إِلَّا غَرْبَانَاطَةَ وَمَا مَعَهَا مِنْ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ ، عَرَضَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي طُولِ عَشْرَةِ أَيَّامٍ ؛
وَبَاقِي الْجَزِيرَةِ عَلَى سَعْتِهَا بِيَدِ أَهْلِ الْكُفْرِ مِنْ نَصَارَى الْفَرَنْجِ ، وَأَنَّ الْمُسْتَوْلىَ عَلَى
ذَلِكَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ مَلُوكٌ :

الأول - صَاحِبُ طَلِيطَلَةَ وَمَا مَعَهَا ، وَلَقَبَهُ الْأَذْفُونِيُّ : سَمَةَ عَلَى كُلِّ مَنْ مَلَكَ
مِنْهُمْ ، وَعَامَّةُ الْمَغَارِبَةِ يَسْمُونَهُ الْفُتْسَ ، وَهُوَ مَمْلُوكَةٌ عَظِيمَةٌ وَعُمَلَاتٌ مُتَبَعَةٌ ، فَتَشْتَمِلُ
عَلَى طَلِيطَلَةَ ، وَقَشْنَالَةَ ، وَإِشْبِيلِيَّةَ ، وَبَلَنْسِيَّةَ ، وَقَرْطَاجَنَةَ ، وَجَبَانَ ، وَجَلِيبَةَ ،
وَسَائِرَ أَعْمَالِهَا .

(١) ضلعها يا قوت عن الحيدى بضم الطاءين وفتح اللامين ثم قال واكثر ما سمعته عن المغاربة ضم الاول
وكسر الثانية . وكذلك ضبطه المؤلف فيما تقدم في جزءه هـ فليتبه .

الثاني - صاحب أشبونة وما معها، وتسمى البرتقال، ومملكته صغيرة واقعة في الجانب الغربي عرضاً له، تشمل على أشبونة وغرب الأندلس.

الثالث - صاحب برشلونة، وأرغون، وشاطبة، وسرقسطة، وبلنسية، وجزيرة دانية، وميورقة.

الرابع - صاحب بيرة: وهي بين عمالات قشتالة، وعمالات برشلونة، وقاعدته مدينة يبلونة، ويقال للملكها ملك البشكنس. ووراء هؤلاء بالأرض الكبيرة صاحب إفرنسة التي هي أصل مملكة الفرنج كما تقدم في الكلام على المسالك والممالك، وملكها يقال له الريد إفرنس. قال في "التعريف": وهو الملك الكبير المطاع، واما الأدفونس هو صاحب السلطة، وذكره أشهر في المغرب لقربه منهم، وبعد الريد إفرنس.

والمكاتب منهم ملكان:

الأول - الأدفونس المبدأ بذكره. قال في "التعريف": ويصده جمهور الأندلس، وبسيفه قيتت بجاحمها الشمس، وهو وارث ملك لذريق. ولذريق هذا الذي أشار إليه في "التعريف" هو الذي آتت عنها المسلمون من يده حين الفتح في صدر الإسلام. قال صاحب "التعريف": وحدثني رسول الأدفونس بتعريف ترجمان موثوق به من أهل العدالة يسمى صلاح الدين ترجمان الناصري: أن الأدفونس من ولد هرقل المفتوح منه الشام، وأن الكتاب الشريف النبوي الوارد على هرقل متوارث عندهم مصون، يلقب بالديباج والأطلس، ويذكر أكثر من ادخار الجواهر والأعلاق، وهو إلى الآن عندهم لا يخرج، ولا يسمع بإخراجه،

(١) هي بلنسية المتقدمة أصهنت إلى برشلونة فيما بعد.

يُنظَرُ فِيهِ بَعِينَ الْإِجْلَالِ ، وَيُكْرَمُونَهُ غَايَةَ الْكِرَامَةِ ، بَوْصِيَّةٍ تَوَارَثَهَا مِنْهُمْ كَابِرٌ عَنْ كَابِرٍ
وَنَظْفٌ عَنْ سَلْفٍ .

قال : وكان الأدفونش من قَوِيّ طَمَعِهِ فِي بِلَادِ مِصْرَ وَالشَّامِ فِي أَحْرَى الْيَالِي الْأَيَّامِ
الْفَاطِمِيَّةِ . ثُمَّ قَالَ : وَمَكَاتِبَاتُهُ تَتَوَاصَلَةٌ ، وَالرُّسُلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ مَا تَنْقَطِعُ عَلَى سُوءِ
مَقْاصِدِهِ ، وَخُبَيْثِ سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ ؛ أَهْدَى مَرَّةً إِلَى السُّلْطَانِ سَيْفًا طَوِيلًا وَنُوبًا بِنْتُنُقِيًا
وَطَارِقَةً طَوِيلَةً دَقِيقَةً ، تَشْبَهُ النَّعْشِ ، وَفِي هَذَا مَا لَا يَخْفَى مِنْ أَسْتِفْحَاحِ بَابِ الشَّرِّ
وَالنَّصْرِيحِ الْمَعْرُوفِ بِالْكَتَابَةِ ؛ فَكَانَ الْجَوَابُ أَنْ أُرْسَلَ إِلَيْهِ جَبَلٌ أَسْوَدٌ وَحَجْرٌ ، أَيْ
إِنَّهُ كَلَبٌ إِنْ رُبِطَ بِالْحَبْلِ وَالْأَرْمَى بِالْحَجْرِ .

قال في "التعريف" : ورسم المكاتبة إليه أطال الله بقاء الحضرة السامية ، حضرة
الملك الجليل ، المهام ، الأسد ، الباسل ، الصرغام ، الفضنفر ، بقية سلف قيصر ،
حامي حماة بنى الأصفر ، المنع السلوك ، وارث لذريق وذرايم الملوك ، فارس
البر والبحر ، ملك طليطلة وما يليها ، بطل النصرانية ، عماد بن المعمودية ، حامل
راية المسيحية ، وارث التيجان شبيه مريمنا المعمدان ، محب المسلمين ، صديق
الملوك والسلاطين .

دعاء وصدر يليقان به

وكفاه شَرُّ نَفْسِهِ ، وَجَنَاهُ ثَمَرُ غَرَسِهِ ، وَوَقَاهُ فَعَلَ يَوْمَ يُعْرَى عَلَيْهِ مِثْلَ أَمْسِهِ ، وَأَرَاهُ
مِقْدَارَ النَّمْعَةِ بِالْبَحْرِ الَّذِي تَمَعَّ بِسُورِهِ وَتَوَقَّى بِرُؤْسِهِ .

أَصْدَرْنَاهَا إِلَيْهِ وَجِنْدُ اللَّهِ لَا يَمْتَعُهُمْ مَانِعٌ ، وَلَا يُضِرُّهُمْ فِي اللَّهِ مَا هُوَ جَامِعٌ ، وَلَا يَبَالُونَ
أَكْتَابَ يُخَلِّفُونَهَا أَمْ كُتُبًا ، وَجِدَاوِلَ تَعْرِضُ لَهُمْ أَمْ بَحَارًا لَا تَقْطَعُهَا إِلَّا وَثْبًا .

أَخْسَرَ : وَوَقَاهُ بِتَوْفِيقِهِ بِلَافِ الْمُهَيِّجِ ، وَكَفَاهُ بِأَسْ كَلِّ أَسَدٍ لَمْ يُجِجْ ، وَحَاهُ مِنْ
شَرِّ قَتْنِهِ لَا يَبُلُّ الْبَحْرُ الَّذِي تَحْصُنُ بِهِ عُبَارَهَا مِنَ الرَّجْحِ .

أصدرناها إليه وأستننا لا ترد عن بحر ، وأعتننا لا تصد بسور ولو ضرب من وراء البحر .

قلت : وينبغي أن تكون في قطع النصف .

الثاني — صاحب برجلونة ، وهم في "التثقيف" بفعله هو الأذفونش المقدم ذكره . وقال : إنه يقب أمفونش ، دون حاكم . ثم قال : وهم طائفة الكيبلان ورسم المكتبة إليه في قطع النصف بقلم الثلث الكبير « آدم الله تعافى بهجة الحضرة الموقرة ، الملك الجليل ، المكرم ، المبجل ، الخطير ، البطل ، الباسل ، الهمام ، الضرعام ، الريدأرغون ، فلان ، نصير النصرانية ، نغر الأمة العيسوية ، دخر الملة المسيحية ، حامى النغور ، ممتلك السواحل والبحور ، عماد العمودية ، ظهير بابا روميه ، ملاذ القُرسان ، جمال النخوت والتيجان ، صديق الملوك والسلاطين ، صاحب برجلونة » .

قال في "التعريف" : أما الريد قرنس فلم يرذ له إلا رسول واحد ، أ برق وأرعد ، وجاء يطلب بيت المقدس على أنه يفتح له ساحل قيسارية أو عسقلان ، ويكون للإسلام هما ولاية مع ولاته ، والبلاد مناصفة ، ومساجد المسلمين قائمة ، وإدرات قومها دارة ، على أنه يبدل مائتي ألف دينار تجل وتجل في [كل] سنة ، نظير [نصف] البلاد التي يتسلمها على معدل ثلاث سنين ، ويُطرف في كل سنة بغرائب التحف والهدايا . وحسن هذا كتاب من كتبة القبط ، كانوا صاروا رؤوساً في الدولة بعائم بيض وسراير سود ، وهم أعداء زرق ، يبرعون الموت الأحمر ، وعملوا على تمشية هذا القصد و [ان] سرى في البدن هذا السم ، وتطلب له الدرّياق فعز .

(١) مراده الثلث الثقل .

(٢) الزيادة من "التعريف" ص ٦٣ .

وقالوا : هذا مالٌ جليلٌ معجلٌ ثم ماذا عدنى أن يكون منهم وهم تُقطعة في بحر،
وحصاةٌ في دهناء .

قال : وبلغ هذا أرى رحمه الله، فألى أن يُجَاهِرَ في هذا، ويجاهدَ بما أمكنه،
ويدافعَ بهما قدرَ عليه، ولو لاوى السلطانَ على رأيه إن أصغى إلى أولئك الأفككة؛
وقال لى : تقوم معى وبتكلم، ولو خُصِبت منا ثيابنا بالدم، وراسلنا قاضى القضاة
القزوينى الخطيب، فأجاب وأجاد الإستعداد؛ فلما بكرنا إلى الخِدمة وحضرنا بين
يدى السلطان بدار العدل، حضرت الرسل، وكان بعضُ أولئك الكتبة حاضرا،
فاستعدَّ لأن يتكلم؛ وكذلك استعدينا نحن : فما استتم كلامهم حتى غَضِبَ السلطانُ
وحَمَى غضبه، وكاد يتصرَّم عليهم حطبه، ويتعجل لهم عطفه، وأُسكِتَ ذلك المناقِ
بجزئته، وسكتنا نحن اكفاءً بما بلغه السلطان مما رده بحجته؛ فصدَّ ذلك
الشیطانُ وكفى الله المؤمنين القتال؛ ورُدَّتْ على راميا النصال . وكان الذى قاله
السلطان : والكم أتم عرقم . القيم توبة دمياط من عسكر المَلِكِ الصالح، وكانوا
جماعة أكرادٍ مفلقة جمعة؛ وما كان بعد هؤلاء الترك؛ وما كان يشغلنا عنكم إلا قتال
التر؛ ونحن اليوم بحمد الله تعالى صلح [نحن وإياهم] ^(١) من جنس واحد ما يتخلى بعضه
عن بعض، وما كنا نريد إلا الابتداء؛ فأما الآن فتحصلوا وتعالوا، وإن لم تجوا
فنحن نجحكم ولو أننا نخوض البحر بالجليل؛ والكم صارت لكم السنة تذكرون بها
القدس؛ والله ما ينال أحد منكم منه ترابه إلا ما تسفيه الرياح عليه وهو مصلوب !
وصرخ فيهم صرخة زعزعت قواهم، وردهم أفتح رد، ولم يقرأ لهم كتابا، ولا رد
عليهم سوى هذا جوابا .

(١) الزيادة من "الترغيف" .

قلت : فإن آتفق أن يكتب إلى الرّيد إفرنس المذكور فتكون المكتابة إليه مثل المكتابة إلى الأدفونش أو أجل من ذلك .

وأعلم أن الرّيد فرّنس هو الذي قصد الديار المصريّة بمواطاة الأدفونش : صاحب طليطلة المقدم ذكره ، وماكوا ديمباط ، وكانت الواقعة بينهم في الدولة الأيوبية في أيام الصالح أيوب ؛ وأخذ الرّيد فرّنس وأميسك وحيس بالدار التي كان ينزلها نغر الدين بن لقمان : صاحب ديوان الإنشاء ، بالمنصورة ، ورسم عليه الطوائشي صبيح ، ثم نفّس عنه ؛ وأطلق لأمر فرّ عليه ؛ وقال في ذلك جمال الدين بن مطروح أبياته المشهورة وهي :

[قُلْ للفرّنسيّس اذا جدّه * مقال صدق من قول نصح
أنت مصرًا تبغى ملكها * تحسب أن الزمر يا طبل رنج
وكل أحمالك أودعهم * بحسن تدبيرك بطن الصريح
حسين ألفا لا ترى منهم * غير قتييل أو أسير جريح
وقسك الله لأمثالها * لعل عيني منكم يستريح
أجرك الله على ماجرى * أفئت عباد يسوع المسيح
قل لهم إن اضمروا عودة * لأخذ نار أو قصيد صحیح
دار ابن لقمان على حالها * ^(١)والقيد باقي الطوائشي صبيح]

(١) بيض هذه الأبيات في الاصل وقائعا عما تقدم في ج *

المقصود الثالث

(في المكتبة لملوك الكفار بالجانب الجنوبي)

والمكاتب بهذا الجانب منهم ملكان :

الأول — صاحب أمخرا : ملك ملوك الحبشة ، ولقبه عندهم حطى . بفتح الحاء وكسر الطاء المشددة المهملتين ، سمة على كل من ملك عليهم منهم .

قد تقدم في الكلام على المسالك والممالك في المقالة الثانية أنه نصراني يعقوبي ، يحكم على تسعة وتسعين ملكا ، منهم سبعة مسلمون ، وهم صاحب وقات ، وصاحب دوارو ، وصاحب أراييني ، وصاحب شرخا ، وصاحب هذية ، وصاحب بآلي ، وصاحب داره ، وأنه لولا أن معتقد دين النصرانية لطائفة البعاقبة أنه لا يصح تعمد معمودي إلا باتصال من البطريك ، وأن كرسي البطريك كنيسة الإسكندرية فيحتاج إلى أخذ مطران بعد مطران من عنده ، لشمخ بأفنه عن المكتبة ، لكنه مضطر إلى ذلك .

قال في " التعريف " ورسم المكتبة إليه :

أطال الله بقاء الحضرة العالية ، الملك ، الجليل ، الهام ، الصردام ، الأسد ، الفصنقر ، الخطير ، الباسل ، السمدح ، العالم في ملته ، العادل في مملكته ، المنصف لرعيته ، المستمع لما يجب في أقضيته ، عزز الملة النصرانية ، ناصر الملة المسيحية ، ركن الأئمة العيسوية ، عماد بني المعمودية ، حافظ البلاد الجنوبية ، متبع الحواريين ، والأخبار الربانيين ، والبطاركة القديسين ، معظم كنيسة صهيون ، أوجد ملوك البعثوية ، صديق الملوك والسلاطين ، ويدعى له دعاء مفخما يليق به .

وهذا دعاء وصدر يليقان به، ذكرهما في "التعريف" :
 وأظهر فضله على من يُدانيه من كل ملك هو بالتاج معتصب ، ولتُكفَّ الججاج
 بالعدل متعصب ، ولقطع حجاج كل ما نأد بالحق معتصر أو لخلق معتصب .
 صدرت هذه المفاوضة إلى حضرته العلية ومن حضرة القدس سراها ، ومن
 أسرة الملك القديم سراها ، وعلى صفاة تلك السريرة الصافية ترد وإن لم يكن بها
 غليل ، وإلى ذلك الصديق الصديق [المسيحي] تصل ، وإن لم تكن بعثت إلا من
 تلقاء الخليل .

ولم يذكر القطع الذي يكتب إليه فيه . أما في "التنقيف" : فإنه ذكر أنه
 يكتب إليه في قطع الثلث بقلم التوقيعات مانصه :

أطال الله بقاء الملك ، الخليل ، المكرم ، الخطير ، الأسد ، الضرعام ، الهام ،
 الباسل ، فلان بن فلان ، العالم في ملته ، العادل في مملكته ، حطى ملك أمحرا ، أكبر
 ملوك الحبشان ، نجاشي عصره ، سيد الأمة المسيحية ، عضد دين النصرانية ، عماد بن
 المعمودية ، صديق الملوك والسلاطين ، والدعاء ، وتعريفه «صاحب الحبشة» .

قال : فإن كانت المكتبة جوابا ، صدر الكتاب إليه بما صورته : ورد كتاب الملك
 الخليل ، ويد كرقية المكتبة . ثم قال : وهذه المكتبة هي التي استقر عليها الحال عند
 ما كتبت جوابه في التاسع من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وسبعائة .



وهذه نسخة جواب كتاب ورد عن صاحب الحبشة من سألته الملك المظفر
 صاحب اليمن ، على الملك «الظاهر بيبرس» رحمه الله ، بطلب مطران يقيمهم لهم
 البطرك ، مما كتب به القاضي محي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله ، وهي :

ورد كتابُ الملك ، الجليل ، المهام ، العادل في ملته ، حطّى ملك أممرا أكبر ملوك
 الخُشنان ، الحاكم على ما هم من البُلدان ، تَجاشى عصره ، صديق الملوك والسلاطين ،
 سلطان الأممرا حرس الله نفسه ، وبى على الخير أسه ، فوقفنا عليه وفهمنا ماتضمنه :
 فأما طلبُ المَطْران فلم يحضُر من جهة الملك أحدٌ حتى كان تعريف الغرض المطلوب ،
 وإنما كتابُ السلطان الملك المظفر صاحب اليمن ورد مضمونه أنه وصل من جهة
 الملك كتابٌ وقاصد ، وأنه أقام عنده حتى يسير إليه الجواب . وأما ما ذكره من كثرة
 عساكره ، وأن من جعلتها مائة ألف فارس مسلمين ، فانه تعالى يكثر في عساكر
 الإسلام . وأما وخم بلاده فالآجالُ مقدرة من الله تعالى ، ولا يموتُ أحدٌ إلا بأجله ،
 ومن فرغ أجله مات .

وأعلم أن العادة جرت أنه كلما كُتب إليه كتابٌ عن الأبواب السلطانية كتب
 قرينه كتابٌ عن البَطْرِيك . قال في "التعريف" : ولأوامر البَطْرِيك عنده
 ما لشريعته من الحرمة ، وإذا كتب كتابا فأتى ذلك الكتابُ أوّل مملكته ، نرج
 عميدُ تلك الأرض فحمل الكتاب على رأس علم ، ولا يزال يحمله بيده حتى يخرج
 من أرضه ، وأربابُ الديانة في تلك الأرض : كالقُسوس والشامسة حوله مشاةً
 بالأدخنة ، فإذا نرجوا من حدّ أرضهم تلقاهم من يليهم أبدا كذلك في كل أرض
 بعد أرض حتى يصلوا إلى أممرا ، فيخرج صاحبها بنفسه ، ويفعل مثل ذلك الفعل
 الأوّل ؛ إلا أن المَطْران هو الذى يحمل الكتاب لمعطته لا لتأبى الملك . ثم لا يتصرف
 الملك في أمر ولا نهى ، ولا قليل ولا كثير ، حتى ينادى للكتاب ، ويجمع له يوم الأحد
 في الكنيسة ، ويُقرأُ والملك واقف ؛ ثم لا يجلس مجلسه حتى ينفذ ما أمره به .

الثانى — صاحب دُنُقَلَة . قد تقدم في الكلام على المسالك والممالك
 أن دُنُقَلَة هي قاعدة مملكة التوبة ، وأنها كانت في الأصل يكون ملكها من نصارى

الثوبة، ومعتمدُهم معتقدُ اليعاقبة، وأنه رُعا غلب عليها بعضُ المسلمين من العرب فلنكها، وقد تقدم ذكر المكتبة إلى صاحبها إذا كان مسلماً، أما إذا كان نصرانياً فقد ذكر في "التثقيف" أن المكتبة إليه: هذه المكتبة إلى النائب، الجليل، المجل، المؤقر، الأسيدي، اباسل، فلان، بمجد الملة المسيحية، كبير الطائفة الصليبية، غرس الملوك والسلاطين، والدعاء، وتعريفه «النائب بدُقله» .

المقصد الرابع

(في المكتبة إلى ملوك الكفار بالجناب الشمالي من الروم والفرنجية على اختلاف أجناسهم، وجميعهم معتقدُهم معتقدُ المِلِكانيَّة)

وجملة ما ذكر من المكاتبات في "التعريف" و"التثقيف" اثنا عشرة مكتبة:

الأولى - مكتبة الباب، وهو بطريرك المَلِكِيَّة، القائم عندهم مقام الخليفة، والعجب من جعله في "التثقيف" بمزلة القان عند النار، والقان إنما هو بمزلة ملكهم الأكبر، والباب ليس من هذا القبيل، بل إليه أمر الديانة حتى في التحليل والتحرير .

وقد تقدم في الكلام على المسالك والممالك عند ذكر البطارقة أنهم كانوا يُسمون القسيس ونحوه آباء، ويُسمون البطريرك آباء فأجروا أن يأتوا على البطريرك بسمة له تميزه عن غيره من الآباء، فاختاروا له لفظ الباب، وأنه يقال فيه الباب والآباء ومعناه أبو الآباء، ثم لما غلب الروم على المملكة، وعلت كلمتهم على اليعاقبة، خصصوا اسم الباب ببطريركهم، فصار ذلك علماً عليه، ومقره مدينة رومية على ما تقدم

(١) مراده أن يطلقوا على البطريرك سمة الخ .

هناك ، ورسمُ المكتبة إليه على ما ذكره في "التتيف" ضاعفَ اللهُ تعالى بهجةَ الحضرة السامية ؛ الباب الجليل ، القديس ، الروحاني ، الخاشع ، العامل ، ياباً رومية ؛ عظيم الملة المسيحية ، فُدوة الطائفة العيسوية ، مملكِ ملوكِ النصرانية ، حافظ الجُسور والخُجان ، ملاذِ البَطاركة والأساقفة والقُسوس والرهبان ، تالي الإنجيل ، معرّف طائفتهِ التحريم والتخليل ، صديقِ الملوك والسلاطين . والدعاء ، وصدرت هذه المكتبة .

قال في "التتيف" : هذا ما وجدته مسطوراً ولم يكتب إليه شيءٌ في مدة مباشرة ، ولا أدري في أي شيء كان يكتب إليه ولا عرفت تعريفه . ولم يتعرض له المقرئ الشهابي بن فضل الله في "التعريف" جملةً ، ورأيت في بعض الدساتير أنه لم يكتب إليه إلا مرة واحدة ، وأن الكتابة إليه في قطع النصف مع المكتبة المتقدمة .

الثانية - المكتبة إلى ملك الروم صاحب القسطنطينية . قد تقدم في الكلام على المسالك والممالك أنها صارت أخيراً إلى بني الأشركى ، فصار الأشركى سمة لهم ملكاً بعد ملك . قال في "التعريف" وقد كان قبل غلبة الفرنج ملكاً جليلاً ، يرجع إليه من عبّاد الصليب سائر الملوك ، ويفتقر إليه منهم الغني والصعلوك ، وكتب التواريخ مشحونةً بأخباره ، وذكر وقائعه وأثاره ، وأقول من ألبس هامته اللؤلؤ ، وأصار جمعه إلى القلعة ، هارون الرشيد حين أغزاه أبوه المهدي إياه ، فأزال السّم من أنفه ، وحنّ جامع عطفه . فاما غزوات مسلمة بن عبد الملك ويزيد بن معاوية فإنها لم تبلغ فيه حدّ النكايه ، ولا أعظمت له الشكايه ، قال : وهذا الملك الآن كان السلطان (أزبك) قد كاد يبرّز تاجه ، ويُقيم تاجه ، ويحل من جانب البحر المفلح رتاجه ، فأحتاج إلى مُداراته وبذل له نقاش المال ، وصحب أيامه على مَضض

الاحتمال؛ وكانت له عليه قطيعة مقررته، وجملة مال مقدّره؛ ثم عميت علينا بعده منهم الأخبار، وتوثق بالدنيا الإديبار .

ورسم المكتبة إليه على ما ذكره في " التعريف " : ضاعف الله تعالى بهجة الحضرة العالية ، المكرمة ، حضرة الملك ، الجليل ، الخطير ، الهمام ، الأسد ، الغضنفر ، الباسل ، الضرغام ، المعروق ، الأصيل ، المنجد ، الأثير ، الأييل ، البلاوس ، الريدأرغون ، ضابط الممالك الرومية ، جامع البلاد الساحلية ، وارث القياصرة القدماء ، محيي طرق الفلاسفة والحكماء ، العالم بأموار دينه ، العادل في مملكته ، معزز النصرانية ، مؤيد المسيحية ، أوجد ملوك العيسويه ، محوّل النخوت والتيجان ، حامى البحار والخلجان ، آحر ملوك اليونان ، ملك ملوك السريان ، عماد بنى المعمودية ، رضى الباب بايا رومية ، ثقة الأصدقاء ، صديق المسلمين ، أسوة الملوك والسلاطين . ثم يكتب اسمه هنا ويدعى له ؛ ولم يذكر قطع الورق الذى يكتب إليه فيه .

وهذا دعاء وصمدر يليقان به ، أوردهما في التعريف .

وجعل له من السلامة ^(١) يدا لا تزغزعه من أوطانه ، ولا تنزعه من سلطاناه ، ولا توجب له إلا استقرارا لبيجانه ، وأستقرارا بملكه على مادارت على حصونه مناطق خلجاناه ، ولا برحت شمار الود تدنو من أفنانه ، وموائيق العهد تيوى له مايسر به من إشادة معالم سلفه وشد بناء يونانه : أصدرناها ، وشكره تجاره البحر لا يوقف له على آحر ، ولا يوصف مثل عقده الفاجر ، ولا يكتر إلا قيل : أين هذا القليل من هذا الزاجر .

(١) في التعريف « مع الإسلام » .

آخر له : وَنَظَمَ سِلْكَه ، وَحَمَى بِحُسْنِ تَأْتِيهِ مُلْكَه ، وَدَفَى بِحُبِّهِ هُلْكَه ،
وَأَجْرَى بِوَدِّهِ رِكَابَه وَفُلْكَه ، وَوَقَاهَ كِذْبَ الكَاذِبِ وَكُفَّ إِفْكَه ، وَأَشْهَدَ عَلَى بَوْدِهِ
الليْلِ والنَّهَارِ وَمَا جَنَّ كَاثُورُ هَذَا كَاثُورَه وَلَا يَمْسُكُ هَذَا مِسْكَه .

قلت : هذا الدعاء والصدور وإن أوردته في "التعريف" في جملة الأدعية له
والصدور ، فإنه منحط الرتبة عن المكتبة السابقة ؛ اللهم إلا أن يُخصَّ هذا بحالة
متابذة أو تهديد ، ونحو ذلك .

وذكر في "التتقيف" أن الذي استقرَّ عليه الحال في المكتبة إليه أنه يُكتَبُ إليه
في قَطْعِ النَّصْفِ ما نصه : ضَاعَفَ اللهُ تَعَالَى [بهجة ^(١)] حَضْرَةَ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ ،
الْمَكْرَمِ ، الْمَبْجَلِ ، الْأَسَدِ ، الْخَطِيرِ ، الْبَاطِلِ ، الْبَاسِلِ ، الْهَمَامِ ، الضَّرْطَامِ ، فُلَانِ ،
العَالِمِ فِي مِلَّتِهِ ، الْعَادِلِ فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، عَزَّ الْأُمَّةَ الْمَسِيحِيَّةَ ، كَبِيرَ الطَّائِفَةِ الصَّلِيَّةِ ،
بِحَمَالِ بْنِ الْمُعْمُودِيَّةِ ، صَحْمَامِ الْمُلُوكِ الْيُونَانِيَّةِ ، حُسَامِ الْمَمْلُوكَةِ الْمَاكْصُونِيَّةِ ،
مَالِكِ الْيَرْزَلِيَّةِ وَالْإِمْلَاحِيَّةِ ، صَاحِبِ أَمْصَارِ الرُّوسِ وَالْعَلَّانِ ، مُعَزِّ اعْتِقَادِ الْكُرْجِ
وَالسُّرْيَانِ ، وَارِثِ الْأَسْرَةِ وَالتَّيْجَانِ ، الْحَاكِمِ عَلَى الثُّغُورِ وَالْبُحُورِ وَالخُلُجَانِ ، الضُّوْقِسِ
الْأَنْجَالُوسِ الْكَنْبِنُوسِ الْبَالَاوُغِسِ ، صَدِيقِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ؛ ثُمَّ الدَّعَاءُ .
صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَكْتَبَةُ إِلَى حَضْرَتِهِ تَشْكُرُ مَوْلَاتِهِ ، (وَمِنْ هَذِهِ الْمَادَّةِ) وَتَوْصَّحَ
لِعَالِمِهِ السَّعِيدِ .

ورأيت في بعض الدساتير أنه يهتمها بقوله : فَيُحِيطُ بِذَلِكَ عِلْمًا ، وَاللَّهُ تَعَالَى
يَدِيمُ بِهَيْجَتِهِ .

(١) مقتبسة من "التعريف" نسخة الكلام .

قال في "التثقيف" : وتعريفه « ضابط مملكة الروم » وذكر أن هذه المكتبة هي المتداولّة بديوان الإنشاء بين كُتّابه ، وأنه هو كُتّب بها إليه ، ولم يتمرّض لإيراد المكتبة التي ذكرها في "التثقيف" بل أحال في معرفتها لمن أرادها على النظر فيه .

الثالثة - المكتبة إلى حُكّام جنوة : وهم جماعة متفاوتو المراتب ، وهم : البودشطا ، والكبطان ، والمشايخ . ورسم المكتبة إليهم على ما ذكره في "التثقيف" في قطع الثلث :

صدرت هذه المكتبة إلى حضرة البودشطا والكبطان الجليلين ، المكرّمين ، الموقرين ، المبجلين ، الخطيرين ، فلان وفلان ، والمشايخ الأكبر المحترمين ، أصحاب الرأي والمشورة ، الكنون بجنوه ، أجداد الأئمة المسيحية ، أكابر دين النصرانية ، أصدقاء الملوك والسلاطين ، ألهمهم الله تعالى رشدهم ، وقرن بالخير قضدهم ، وجعل النصيحة عندهم . تتضمن إعلامهم كذا وكذا . وتعريفهم «الحُكّام بجنوة» .

قال في "التثقيف" والذي استقر عليه الحال آخر في مفتح سنة سبع وستين وسبعائة بإبطال المكتبة إلى البودشطا والكبطان ، بحكم أنهما أبطلا ، واستقر [ت مكتبة] الدّوج مكانهما بما نصه :

صدرت هذه المكتبة إلى الدّوج الجليل ، المكرّم ، المبجل ، الموقر ، الخطير ، فلان ، والمشايخ ، والباقي على ما تقدم ذكره .

قلت : هكذا هو في "التثقيف" بدال وواو وجيم ، والمعروف إبدال الجيم في آخره كانا على ما سياتي ذكره في الكلام على صاحب البندقية على الأثر .

وأعلم أنه قد ذكر في "التتيف" أنه كان لصاحب جنوة مُقَدِّم على الشوانى بقبرس، وقيل إنه كان بالمأغوصة، وأنه كتب إليه في رمضان جواباً عما ورد عنه في قطع العادة مانصه :

وردت مكتبة المُسْتَنِيم، الجليل، المجل، الموقر، الاسد، الباسل، فلان، مجد الملة المسيحية، كبير الطائفة الصليبية، غرس الملوك والسلاطين، ثم الدعاء، وتعريفه «مقدم الشوانى الجنوية بقبرس» .

الزامة - المكتبة إلى صاحب البندقية . قال في "التتيف" : ورسم المكتبة إليه على ما استقر عليه الحال عند ما كتب إليه جوابه في شهر رجب سنة سبع وستين وسبعائة، وهو يومئذ مَرَكْرَادُو في قطع الثلث :

وردت مكتبة حضرة الدوج، الجليل، المكرم، الخطير، الباسل، الموقر، المقصم، مَرَكْرَادُو غر الملة المسيحية، جمال الطائفة الصليبية، دوج البندقية والماسية، دوج كزال دين بنى المعمودية، صديق الملوك والسلاطين، والدعاء . وتعريفه «صاحب البندقية» : ثم ذكر بعد ذلك نقلاً عن خط القاضي ناصر الدين ابن النشائي أنه كتب في الجواب إلى دوك البنادقة :

وردت مطالعة دوك الجليل، المكرم، المجل، الموقر، البطل، الهام، الضرغام، الغضنفر، الخطير، مجد الملة النصرانية، نجر الأئمة العيسوية، عماد بنى المعمودية، معز بابا رومية، صديق الملوك والسلاطين، دوك البنادقة، وديارقة، والرؤسا، والإصطنبولية . ثم قال : ولم يذكر تعريفه ولا قطع الورق الذى يكتب إليه فيه، ثم نقل عنه أيضاً أن المكتبة إلى دوك البندقية : هذه المكتبة إلى حضرة المحقق، الجليل، المجل، الموقر، المكرم، المقصم، الباسل، الضرغام، فلان،

عزَّ الأمة المسيحيَّة، بحال الطائفة العيسويَّة، دُخِر الملة الصليبية، صديق الملوك
والسلاطين . ثم قال : هكذا رأيتُه من غير ذكر تعريفه ولا القَطْع الذي يكتب
إليه فيه . قال : وما يبعد أنه غيرُ الأوَّل ولم يزد على ذلك .

قلت : ومقتضى ما ذكره من جميع ذلك أن الدوك غيرُ المملكِ نفسه . على أن
المكتبة الأولى والثانية في الجواب متقاربان . أما المكتبة الثالثة فنحطه عن
الأوَّلَيْن . على أنه قد تقدّم في الكلام على المسالك والممالك عند ذكر البندقيَّة
نقلا عن ابن سعيّد أن مَلِك البنادقة يقال له الدوك بضم الدال المهملة وواو وكاف
في الآخر، وهذا مما يحتاج إلى تحرير؛ فإن كان الدوك هو المَلِك فتكون المكتبة
إليه اختلقت باختلاف الحال، أو باختلاف غرض الكتاب، أو عدم إطلاعهم على
حقيقة الأقدار والوقوف مع ما يلحقُ إليهم من المزاحمة في كل وقت وهو الظاهر .

الخامسة — المكتبة إلى صاحب سنوب، من سواحل بلاد الروم، قبل أن تُفتح
ويستولى عليها التترُّجان . قال في "التعريف" وهي على ضفة الخليج القسطنطيني،
وملكها روميٌّ من بيت المَلِك القديم، من أقارب صاحب القسطنطينية . قال :
ويقال إن أباه أعرى من آباءه في السلطان . قال : ولكن ليس ملكه بكبير، ولا
عنده بكثير، ويكونُ بينه وبين أمراء الأتراك حروب، يكون في أكثرها المغلوب .
وذكر أن رسم المكتبة إليه مثلُ مملِّك سيبس، فتكون على ما ذكره في مكتبة
مملِّك سيبس :

صدرت هذه المكتبة إلى حضرة المَلِك، الجليل، البطل، الباسل، الهمام،
السَّميدع، الضَّرغام، الغَضنفر، فلان؛ نخر الملة المسيحية، دُخِر الأمة النصرانية،
عماد بن العموديَّة، صديق الملوك والسلاطين .

وهذا دعاء يليق به، ذكره في "التعريف" :

وكفاه شرّ ما يُنوب ، وروحَ خاطره في الشمال برّياً ما يُهبُّ من الجنوب ، ووقاه
سوءَ فعلٍ يُورث الندم وأول ما يقرع السنّ سنوب .

السادسة - المكتبة إلى صاحب البُلغار والسرب . قد تقدّم في الكلام على
المكتبات إلى ملوك الإسلام بالجانب الشمالي نقلًا عن "التعريف" ما يقتضي أن
ملكها مسلمٌ، وذكّرت مكاتبته الإسلامية هناك، وعلى ذلك أقصر في "التعريف"
وتقدّم النقل عن "مسالك الأبصار" أنها صارت إلى ملوك النصارية، وعليه أقصر
في "التثقيف" وهو المراد هنا .

ورسم المكتبة إليه على ما ذكره في "التثقيف" نقلًا عن ابن النشائي في قطع
الثلاث ما نصه :

أطال الله تعالى بقاءَ حضرة الملك، الجليل، المكرّم، المجلّ، المهّام، الصّراغ،
الباصل، الدوقس، الأنجالوس، الكنينوس، فلان، عماد النصارية، مالك السرب
والبلغار، نقر الأئمة العيسويه، ذنر الملة المسيحية، فارس البحور، حامى الحصون
والتنور . والدعاء، أصدرنا هذه المكتبة، وتعريفه «صاحب البلغار» .

وأعلم أنه في "التثقيف" بعد أن أورد المكتبة المتقدمة لصاحب السرب والبلغار،
نقلًا عن ابن النشائي ذكر نقلًا عنه أيضا أن المكتبة إلى صاحب السرب في قطع
الثلاث نظير ممتلك سيس، فتكون المكتبة إليه على ما تقدّم أنه الذي استقر عليه الحال
في المكتبة لممتلك سيس :

صدرت هذه المكتبة إلى حضرة الملك، الجليل، المكرّم، المجلّ، المعزز،
الهّام، الباسل، فلان، عزّ دين النصارية، كبير الطائفة الصليبية، عماد بنى

(١) أى البلد التي هي عاصمة ملكه .

المعمودية، صديق الملوك والسلاطين، أدام الله نعمته، وحرّس مَهجته، تعلمه
كذا وكذا؛ وتعريفه «صاحب السُّرب» .

ثم قال : ولم أدر هل يجتمعان لشخص واحد تارة فيكون بهما آثان تارةً وواحد
تارةً أم لا . ثم قال : على أنه لو كان الأمر كذلك لكان يتعين أن يذكر مكتبة
صاحب البُلغار وحده مَقْرَدًا كما ذكر مكتبة صاحب السُّرب وحده مفردًا .

قلت : كِلَا الأمرين محتملٌ، فيجوز أنهما كانا مجتمعين لواحد، وأنه كتب
تعريفه بالإضافة إلى أحدهما استغناءً به عن الآخر، أو أنه كتب إلى صاحب
السُّرب بمفرده، ولم يعط رتبته في قِطْع الورق عن رتبة من اجتمعا له، ولا يلزم من
ذلك أنه كان يكتب لصاحب البُلغار بمفرده لاحتمال أنه لم يكتب إليه شيء حينئذ،
وبالجملة فهذا أمر راجع إلى النقل .

السابعة — المكتبة إلى ملك رُودِس . قال في "التعريف" وهي جزيرة تقابل
شَطوط البلاد الرومِية . قال : وأهلها في البحر حَرَامِيَّة ، إذا ظفروا بالمسلم ،
أخذوا ماله ، وأحيوه ، وباعوه أو استخدموه ؛ وإذا ظفروا بالقرنبي ، أخذوا
ماله وقتلوه .

ورسم المكتبة إليه مثل ممتلك سِيس ، إلا أنه لا يقال فيه معزّ يابا رومِية ،
وتختصر بعض ألقابه لأنه دونه، وحينئذ فيتجه أن تكون المكتبة إليه :

صدرت هذه المكتبةُ إلى حضرة الملك الجليل ، البطل ، الباسل ، السُميدع ،
فلان ، نقر الملة المسيحية ، دُخر الأمة النُصرانية ، صديق الملوك والسلاطين ، أو نحو
ذلك . على أنه في "التعريف" لم يذكر في المكتبة إلى ممتلك سوس ، معزّ يابا
رومِية ؛ فلم يكن ليجتاج أن يقول : إلا أنه لا يقال فيه معزّ يابا رومِية .

وهذا دعاء يليق به ، ذكره في "التعريف" وهو

قَدَّمَ اللهُ لَهُ الْأَعْذَارَ ، وَكَفَاهُ قَوَائِمَ الْإِنْذَارِ ، وَحَدَّرَهُ عَاقِبَةَ الْبَنَى قَبْلَ أَنْ لَا يَنْفَعَ الْحِذَارُ .
 آخِرُ : فَكَ اللهُ مِنْ وَثَاقِهِ كُلِّ مَاسُورٍ ، وَأَقَالَ كُلَّ غَرَابٍ لَهُ مِنَ الرَّجُوعِ
 وَجَنَاحُهُ مَكْسُورٌ ، وَعَصَمَهُ بِالتَّوْبَةِ مِمَّا أَقْرَفَ ، لَا بِالْبَحْرِ وَلَوْ أَنَّهُ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ، وَسُورِ
 مَدِينَتِهِ وَلَوْ أَنَّهُ مِائَةٌ سُورِ .

الثامنة — المكتبة إلى صاحب جزيرة المصطكى . قال في "التعريف" : وهي
 جزيرة صغيرة لا تبعد مدى من الإسكندرية ، وصاحبها صغيراً في مالٍ ولا في رجال ؛
 وجزيرة ذات لحظ لا يطربها بزرع ، ولا يدربها بحلأ ، إلا أنها تبيت
 هذه الشجرة فتحمل منها وتجلب ، وترمى السفن عليها بسببها وتطلب ؛ قال :
 وفي ملكها خدمة لرؤسنا إذا ركبوا شبح البحر ، وتجهز لهم إلى حيث أرادوا ، وتجهز
 لهم إذا توجهوا وإذا عادوا . ورسم المكتبة إليه على ما ذكره في "التعريف" كالمكتبة
 إلى صاحب جزيرة رويس المتقدمة الذكر آنفاً وهي :

صدرت هذه المكتبة إلى حضرة الملك الجليل إلى آخر ما تقدم .

وهذه أدعية تليق به ذكرها في "التعريف" دعاء من ذلك ، وفقه الله لطاعته ،
 وأنفضه من الولاء بقدر طاقته .

آخر : اطاب الله قلبه ، وأدام إلينا قرّبه .

آخر : لا زال إلى الطاعة يبادر ، وعلى الخدمة أنهض قادر ، ومكانه تزم
 إليه ركائب السفن بكل واريد وصادر .

التاسعة — المكتبة إلى ممتلك قبرس . وإنما قيل له ممتلك قبرس لأنها كانت
 قد فتحها المسلمون ؛ ثم تغلب عليها النصارى وملكوها ؛ فقيل لمن غلب عليها ممتلك

ولم يُقَلْ له مَلِكٌ ؛ وذكر في "التثقيف" عن القاضي ناصر الدين بن النشائي أن المكتبة إليه [مثل] ممتلك سيس ولم يزد على ذلك ؛ وحينئذ فتكون المكتبة إليه مثل ما استقر عليه الحال في المكتبة إلى ممتلك سيس في قطع العادة :

صدرت هذه المكتبة إلى حضرة الملك ، الجليل ، المكرّم ، البطل ، المعزّز ، الهام ، الباسل ، فلان ؛ عزّ دين النصرانية ، كبير الطائفة الصليبية ، عماد بن المعمودية ؛ صديق الملوك والسلاطين ؛ أدام الله نعمته ، وحرس مهجته ، وتعريفه «ممتلك قبرس» .

قال صاحب "التثقيف" : ولم أقف على مكاتبة إليه ابتداءً ولا جواباً سوى ذلك ، إلا أنه كتب إليه عن الأمير الجاي اليوسني عند وقوع الصلح في سنة اثنتين وستين وسبعائة ، يعني عند ما كان الجاي أتابك العساكر المنصورة .

العاشره — المكتبة إلى ملك مؤنفراد . ذكر في "التثقيف" أنه كان بها ابن ملك إصطنبول ، وأنه كتب إليه في سنة ثلاث وثلاثين وسبعائة :

أصدرناها إلى حضرة الملك الجليل ، المكرّم ، البطل ، الهام ، الأسد ، الصرغام ، فلان ؛ مجد النصرانية ، نجر العيسوية ، عماد بن المعمودية ، جمال الطائفتين الرومية والقرنجية ، ملك مؤنفراد ، وارث الساج ، مِعزّ الباب ، أدام الله بقاه ، وحفظه ووقاه ، وأورثه من ابيه تحته وتآجه وآلاه ؛ تتضمن إعلامه كذا وكذا . ثم قال : هذا ما وجدته مسطوراً في رسم المكتبة المذكورة ، ولم يكتب إليه شيء في مدة مباشرتي ، ولم أدر ما تعريفه ، ولا في أي قطع يكتب إليه . قال : والذي يظهر أنه يكتب إليه في قطع العادة ، وأن يكون تعريفه « ملك مؤنفراد » .

الحادية عشرة - المكتبة إلى صاحبة نابل . وقد ذكر في "التثقيف" أنه كان اسم صاحبها جوانا، وأنه كُتِبَ إليها في أواخر سنة ثلاث وسبعين وسبعائة ماصورته :

صدرت هذه المكتبة إلى الملكة، الجليّة، المكرّمة، المبجلة، الموقرة، المفضّحة، المعزّزة، فلانة، العالمة في ملتها، العادلة في تملكها، كبيرة دين النصرانية، نصيرة الأئمة العيسويّة، حامية الثغور، صديقة الملوك والسلاطين . ثم الدعاء، وتتضمّن إعلامها، وتعرّيقها «صاحبة نابل» ولم يذكر قطع الورق لمكتبتها، ولا خفاء أنه يكتب إليها في قطع العادة لصغر مقامها .

قلت : فإن ولي مملكته رجل، فينبى أن يكتب إليه بهذه المكتبة على التذكير أو أعلى من ذلك، لميزة الرجال على النساء . وهؤلاء جملة من تعرض إلى مكاتبتهم في "التعريف" و"التثقيف" من ملوك الكُفْر، فإن أتفتت المكتبة إلى أحد سواهم فليُقس على من هو مثله منهم . ثم قد ذكر في "التثقيف" الفصل بكفا، وذكر أنها جارية في حكم جنوة، وأنه لم يكتب إليه شيء عن المواقف الشريفة، ولا خفاء في ذلك، فإن مقام القنصل دون أن يكتب عن الأبواب السلطانية .

الفصل الخامس

من الباب الثاني من المقالة الرابعة

(في الكتب الواردة على الأبواب الشريفية السلطانية بالديار المصرية ؛

من جرت العادة بمكاتبتها إليها من أهل المملكة وغيرها من

سائر الممالك المكتاتبة عن هذه المملكة ؛ وهي نوعان)

النوع الأول

(المكتاتبات الواردة عن ملوك المسلمين ، وهي على قسمين)

القسم الأول — في الكتب الواردة عن أهل هذه المملكة ، بالديار المصرية ،
والبلاد الشامية ، ممن يؤهل للكاتبية إلى الأبواب السلطانية ، من التواب وغيرهم :
من الأمراء ، وأرباب الأقاليم : من الوزراء ، والعلماء ومن في معانهم ؛ وهم على
ضريبتين :

الضرب الأول

(في المطالعات الواردة عن أكابر أهل النوبة بالديار المصرية

والبلاد الشامية : من التواب ومن في معانهم)

قد جرت عادة من يكتب إلى الأبواب السلطانية من أهل هذه المرتبة ، أن
يكتب جميعهم كتبهم في قطع العادة ؛ فإن كان بالديار المصرية فن الورق البلدي ،
وإن كان بالبلاد الشامية فن الورق الشامي ، وجميع ذلك في الورق الأبيض ، إلا
نائب الشام ونائب الكرك ، فإنهما قد جرت العادة فيهما بأنهما يكتبان إلى الأبواب
السلطانية في الورق الأحمر الشامي ، شيء اختصابه دون سائر أهل المملكة .

ثم قد ذكر في "عرف التعريف" أن الملوك لا يكتب إليهم إلا «يُقْبَلُ الأَرْض»
 ويُبَي . ويُحْتَم الكتاب بما صورته : طالع الملوكُ بذلك وللآراء العالية مَزِيدُ العُلُو؛
 أو أنهى الملوكُ ذلك وللآراء العالية مَزِيدُ العُلُو، والعنوان «المَلِكِي الفلاني» ، مطالعة
 الملوك فلان » وحينئذ فالذي جرت به العادةُ في ذلك أن يبتدئ الكاتبُ فيكتب
 فهرست الكتاب في رأس الدَّرَج من جهة وجهه ، في عَرَضِ إصبع ، في الجانب الأيمن
 « إلى الأبواب الشريفة » وفي الجانب الأيسر «بسبب كذا وكذا» ثم يَلْبُ الدَّرَج
 ويكتب في ظاهره ، بعد ترك ما كتبت الفهرستُ في باطنه ، العُنوان ؛ فيكتب :
 «المَلِكِي الفلاني» في أول العُنوان ، و«مطالعة الملوك فلان» في آخره . ثم بعد ذلك
 يَلْبُ الدَّرَج ، ويترك وصلًا أبيض ، ويكتبُ بالبسمة في رأس الوصل الثاني بعد
 حُلُو هاميش من الجانب الأيمن . ثم يكتبُ تحت البسمة ملاصقًا لها ما صورته
 «المَلِكِي الفلاني» بحيث يكون آخر المَلِكِي الفلاني مسامتًا لجلالة البسمة ، يَلْبُ
 السلطان ، كأنه ينسب نفسه إلى سلطانه . ثم يكتب صورة الكتابة على سمت البسمة
 في سطر ملاصق للمَلِكِي الفلاني «يُقْبَلُ الأَرْض ويُبَي كذا وكذا» فإن كان ابتداء
 كتب ويُبَي أن الأمر كذا وكذا ، ويأتي بمقاصد الكتابة : فإن كانت فصلا
 واحدا ذكره وختم الكتاب بأخر كلامه ؛ وإن كان الكتاب مشتملا على فُصول أتى
 بالفصل الأول إلى آخره . ثم يَحُلُّ بياضا قدر خمسة أسطر . ثم يسردُ الفصولَ بعد
 ذلك فَصلاً فصلاً : يُحَلُّ بين كل فصلين قدر خمسة أسطر أيضا ، ويقول في أول
 كل فصل «الملوكُ يُبَي كذا وكذا» وإذا أتى على ذكر السلطان ، قال : خَلَدَ اللهُ
 سلطانه ؛ أو خَلَدَ اللهُ ظَلَمَهُ ؛ أو أتى على ذكر المرسوم الشريف ، قال : شَرَفَهُ اللهُ
 وعظَّمَهُ ونحو ذلك ؛ وإذا سأل في أمر ، قال : والمملوكُ يعرضُ على الآراء الشريفة
 كذا وكذا ، أو إن اقتضت الآراء الشريفة كذا فلها مَزِيدُ العُلُو ، ولا يقال : يسألُ

الصدقات الشريفة، إلا في أمر جليل أو شيء مهم، والعرض أبلغ في الأدب، ولا يلقب أحدا بالجناب والمجلس ومجلس الأمير، وإذا ذكر كبيرا في الدولة كالثائب الكافل، ونائب الشام، أو نائب حلب، أو أمير كبير. قال: إن مملوك مولانا السلطان خلد الله ملكه الأمير فلان الدين فلان الناصري مثلا، كافل الممالك الشريفة، أو نائب السلطنة الشريفة بالمملكة الشامية المحروسة، أو كافل المملكة الشامية المحروسة، أو نائب السلطنة الشريفة بحلب المحروسة، أو الأمير فلان الدين فلان الناصري مثلا، أو القاضي فلان الدين، أو ناظر الجيوش المنصورة بالأبواب الشريفة، وما يجرى هذا الجري، ولا يدعى في المطالعة لأحد. وإذا آتت الفصول إلى آخرها، قال: وقد جهز المملوك بمطالعه هذه مملوكه فلانا السني مثلا المسائل بها. وإن كان ثم مشافهة، قال: وقد حمله مشافهة يسأل المسامع الشريفة سماعها إن اقتضت ذلك، أو ينهبها إلى المسامع الشريفة إذا رسم له بإنائها، طالع بذلك، أو أنهى ذلك.

ثم قد جرت عادة النواب بالبلاد الشامية أن يقموا في صدر المكتبة ما اشتمل على أخبار البلاد الشرقية من مملكة إيران المجاورة لأواخير هذه المملكة: من تجديد أمر، أو حركة عدو، أو حكاية حال مهمة من أحوال تلك البلاد، مثل أن يقال في أول المكتبة، وينهى أن قصاده عادوا من البلاد الشرقية بخيرين بكذا وكذا، ويشرح الحال التي أخبر بها قصاده.

وإن كان الخبر نقلا عن نائب من نواب الأطراف كالرها ونحوها، قال: إن مطالعة نائب فلانة وردت بكذا وكذا، ويذكر ما تضمنته ملخصا. وإن كانت المطالعة جواب مثل شريف ورد فقط، قال: وينهى أن المرسوم الشريف

شرفه الله تعالى وعظمه ورد على المملوك على يد فلان الدين فلان البريدي بالأبواب الشريفة يتضمّن ما اقتضته المراسيم الشريفة ، أو ما اقتضته الآراء الشريفة شرفها الله تعالى وعظمها : من كذا وكذا ، ويذكر نصّ المثال الشريف حرفاً حرفاً ، ثم يقال : وتفهّم المملوك ما رسم له به ، وقابل المراسيم الشريفة زاد الله تعالى شرفها - بتكرار تقبيل الأرض والامتثال ؛ وتقدّم بكذا ، ان كان الأمر مما نفذ ، أو والذي ينهيه المملوك كذا وكذا إن كان الأمر قد توقّف .

ثم إن كان النائب عظيم القدر كاتب السلطنة الشريفة بالشام أو حلب ، جعل بعد ما بين كل سطرين تقدير رأس إصبع ؛ وإن كان دون ذلك جعل ما بينهما أقل من ذلك حتى ينتهي في أقل الرتب إلى ملاصقة السطور بعضها ببعض .

وإن كانت المطالعة في أمر مهمّ كأسقرار نائب أو بشارية بفتح أو نحو ذلك ، أتى بجميع الكتاب مسجماً وإلا فلا .

وهذه نسخة مطالعة عن نائب الشام ابتداءً .

يقبل الأرض ، ويُنهى أنه ورد على المملوك مكاتبه نائب السلطنة الشريفة بحلب المحروسة ، يذكر فيها أن قُصّاده عادوا من جهة بلاد الشرق ، وأخبروا أن العدو المخدول فلانا قد نرج عليه عدو من ورائه وقصد بلاده فكّر راجعا إليه بعد أن كان قاصداً هذه الجهة ، وأحبّ المملوك إحاطة الخواطر الشريفة بذلك .

المملوك يُنهي أن مطالعة نائب الرّحبة المحروسة وردت على المملوك يخبر فيها أن فلانا التركاني قد عاد إلى الطاعة الشريفة ، ولأدبمراحم الأبواب العالية ، وأنه ما كان حمله على ما وقع منه من عدم المقابلة إلا الخوف من السطوات الشريفة ، وأنه يسأل كتابة أمان شريف له وجماعته ومن يليه بأن يكونوا آمينين على أنفسهم ،

وأموالهم ، وسائر ذات يدهم ، وأنه إذا وصل إليه الأمان قصد الأبواب السلطانية ، وتمثل بالمواقف الشريفة ، وأمثل ما تبرز به الأوامر المطاعة في أمره وأمر جماعته . والمملوك ينظر ما يردُّ به الجوابُ الشريف في أمره لكاتب نائب الرِّحبة المحروسة بما يعتمده في أمره .

المملوكُ يُنهي أنه قد بلغ المملوك أن البحر مشغولٌ بمراكب الفرنج ، ولم يعلم إلى أيِّ مكان يقصدون ، وقد أخذ المملوك في الاحتراز على السواحل المذكورة بإقامة المرَّكبين ، وأمرهم بالاحتراز والاحتفاظ ، وقد عرض المملوك ذلك على الآراء العالية ليكون ذلك على الخواطر الشريفة ، ويكتب به النواب بالبلاد المجاورة للبحر .

المملوك يُنهي أن الأمير فلانا الفلاني : أحد أمراء الطبلخاناة بدمشق المحروسة قد توفى إلى رحمة الله تعالى ، والمملوك يسأل الصدقات الشريفة في استقرار أمرته باسم مملوك مولانا السلطان عز نصره ، ولد المملوك فلان ، إعانة له على الخدمة الشريفة ، وجبراً لحاظر المملوك ، فإن حسن ذلك بالآراء الشريفة ، وإلا فلرأى العالی مزيد العلو .

المملوك يُنهي أن الأمير فلان الدين فلانا : أمير حاجب بالشام المحروس ، كان قد برزت المراسيمُ الشريفةُ باستقراره في نيابة صفد المحروسة ، وقد توجه إلى محل نيابته ، والمملوك يعرض على الآراء الشريفة إن حسن بالرأى الشريف أن يستقر في الوظيفة المذكورة الأميرُ فلان الدين فلان : أحد الأمراء الطبلخاناة بدمشق المحروسة ، فإنه كُفِّء لذلك ، أو يستقر من تبرز به الآراء الشريفة .

المملوك ينهي أن فلانا : أحد رجال الحلقة المنصورة بدمشق المحروسة ، قد درج بالوفاة ، وقد كتب المملوك مربعةً باسم فلان الدين فلان باستقراره على إقطاعه ، وجهَّزها إلى الأبواب الشريفة لتعرض على الآراء العالية ، فإن حسن بالرأى الشريف

إمضاؤها وإلا فيستقر على إقطاعه من تبرز المراسيم الشريفة باستقراره ، وقد جهز
المملوك هذه المطالعة على يد مملوكه فلان إلى الأبواب الشريفة .

طالع بذلك ، إن شاء الله تعالى ثم يكمل .



وهذه نسخة مطالعة عن نائب الشام أيضا ، في جواب مكالبة شريفة وردت
عليه وهي :

يَقْبَلُ الأَرْضَ وَيُنْهِي أَنْ المرسوم الشريفة - شرفه الله تعالى وعظمه - ورد على
المملوك على يد فلان الدين فلان البريدي ، بالأبواب الشريفة ، يتضمن أن المرسوم
الشريفة اقتضى الإجتهد والأهتمام في حفظ السواحل والمواني ، وإقامة الأيزك
والأبدال في أوقاتها على العادة ، وإلزام أربابها بمواظبتها ، وإلزام المنورين بالديبانات
والمناظر والمناور في الأماكن المعروفة ، وتعهد أحوالها وتفقدتها ، وتقويم أحوالها
بحيث تقوم أحوالها على أحسن العوائد وأكملها ، ولا يقع على أحد ذلك بسببها .
وأن المملوك يتقدم باعتماد ما اقتضاه المرسوم الشريفة من ذلك مع مضاعفة الاحتفال
بذلك والمبادرة إليه . فوقف المملوك على المرسوم الشريفة شرفه الله تعالى وعظمه ،
وتفهم ما رسم له به ، وقابل المراسيم الشريفة زاد الله تعالى شرفها بالامتثال ، وتقدم
باعتماد ما اقتضته المراسيم الشريفة من ذلك ، وأخذ في حفظ السواحل والمواني ،
وإقامة الأيزك والأبدال ، وإلزام أربابها بمواظبتها ، وإلزام المنورين بالديبانات
والمناظر [فقامت الأحوال] على أحسن العوائد ، وجرى على أكمل القواعد ، ولم
يكن عند المملوك غفلة عما هو بصده من ذلك ، وقد أعاد المملوك فلان الدين فلانا
البريدي المذكور بهذه المطالعة : ليحصل الوقوف عليها . طالع بذلك



وهذه نسخة مطالعة تشتمل على ابتداء وجواب : يقبل الأرض وينهى أنه قد حضر رسولاً من القيان فلان بالملكة الفلانية [وقصدُه التوجه] إلى الأبواب الشريفة ، والملوك يعرض على الآراء العالية أمره ، فإن أذن له في التوجه إلى أبوابه الشريفة ، جهزه الملوك إليها على العادة .

الملوك ينهى أن المرسوم الشريف شرفه الله تعالى وعظمه ورد على الملوك على يد فلان الدين فلان المسفر من الأبواب الشريفة ، يتضمن طلب فلان الفلاني ، وحملة إلى الأبواب الشريفة محتفظاً به ، فبادر الملوك ما برزت به المراسم الشريفة بالأمثال ، وتقدم بطلب فلان المذكور وسلمه إلى فلان الدين المسفر المذكور ، وبعث معه من يحتفظ به في الطريق إلى حين وصوله إلى الأبواب الشريفة .



صورة وضع المطالعة من ثواب السلطنة ومن في معناهم ، إلى الأبواب الشريفة
الجانب الأيمن الطرة الجانب الأيسر
إلى الأبواب الشريفة
العنوان

الملكي الفلاني مطالعة الملوك
فلان

الصدر

بسم الله الرحمن الرحيم

الملك الظاهري مثلاً

يقبل الأرض وينهى أن المرسوم الشريف شرفه الله تعالى وعظمه ، ورد على الملوك ، على يد فلان الدين فلان البريدي ، ويكل عليه إلى آخره .

المضرب الثاني

(من المطالعات الواردة إلى الأبواب السلطانية عن أهل المملكة)

المطالعات الواردة من الوُلاة ^(١) ومن في معناهم .

(١) يضر له في الأصل بقدر صفة

القسم الثاني - في الكتب الواردة على الأبواب السلطانية، عن أهل الممالك الإسلامية المكتوبة عن هذه المملكة . وحالها مختلف باختلاف حال مصطلح أهل البلاد وحال المكتوب عنه في روضة القدر . وفائدة معرفة ذلك أنه إذا عرف الكاتب مصطلح كل ملكة في الكتابة ، ظهر له ما هو وارد عن ملكها حقيقة وما هو مفتعل عليه ، ولا يخفى ما في ذلك من كبير الفائدة ، وعظيم النفع ، وارتفاع قدر الكاتب عند ملكه بإظهار الزيف بحك المعرفة .

ومن غريب ما وقع في هذا المعنى أنه ورد رسول من الشرق ، في الأيام الظاهرية الشهيديّة برقوق سقى الله تعالى عهده ، وأظهر لأهل الطرقات أنه رسول من عند طقتمش صاحب بلاد أذربك ، ورفعت بطاقته بالقلعة المحروسة بذلك ، فأمر السلطان النائب الكافل وأكابر الأمراء بالخروج لملاقاته على القرب من القاهرة ، فخرجوا وتلقوه بالتمظيم ، على أنه رسول طقتمش خان المقدم ذكره ، وأنزل بالسيدان الكبير تعظيماً لأمره ، فلما عرض كتابه نظر فيه المقرّ البدرى بن فضل الله ، نعمده الله تعالى برحمته ، وهو يومئذ صاحب ديوان الإنشاء الشريف ، فوجده غير جارٍ على مصطلح كتب القانات في الورق والكتابة ، فاستفسر الرسول المذكور عن ذلك ونوقش في قضيبته ، فأخبر أنه عن الحاكم بالقرم من أتباع طقتمش خان ، فإنكر عليه ذلك ، وحطّ رتبته عند السلطان وأهل دولته عما كان عليه ، وعلا بذلك مقدار المقرّ البدرى بن فضل الله المشار إليه عند السلطان ، وشكر له ما كان من ذلك .

ويشتمل على أربعة مقاصد :

المقصود الأول

(في الكتب الواردة عن أهل الشرق؛ وفيه أطراف)

الطرف الأول

(الكتب الواردة عن القانات العظام من بني جنكرخان؛ ولها حالان)

الحال الأولي - ما كان الأمر عليه قبل دخولهم في دين الإسلام .

وكان الأمر يجرى في كتابتهم مجرى المخاصنة ، والتصريح بالعداوة ، ولم أقف على مقادير قطع ورق كتبهم يومئذ ولا ترتيب كتابتها .

وهذه نسخة كتاب كتب به هولاكو بن طوحي ، بن جنكرخان ، المنتزع العراق من أيدي الخلفاء العباسيين . كتب به إلى الملك المظفر قطز في سنة ثمان وخمسين وسبعائة ، وهو :

من ملك الملوك شرقاً وغرباً القان الأعظم :

بأسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء .

يعلم الملك المظفر قطز الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا إلى هذا الإقليم يتمنون بأنعامه ، ويقتلون من كان سلطانه بعد ذلك .

يعلم الملك المظفر وسائر أمراء دولته وأهل مملكته بالديار المصرية وما حوتها من الأعمال ، أننا جئنا الله في أرضه ، خلقنا من تحتها ، وسلطنا على من أحل عليه غضبه ، فسأوا إلينا أموركم تسلموا ، قبل أن ينكشف الغطاء فتندموا ، وقد عرفتم أننا نحرّبنا البلاد ، وقتلنا العباد ، فلکم منا الهرب ، ولنا خلقكم الطلب ؛

فما لكم من سيوفنا خلاص : حيولنا سوابق ، وسيوفنا قواطع ، وقلوبنا كالجلال ،
وعندنا كالرمال ، ومن طلب حربنا ندم ، ومن فصد أماننا سليم ؛ فإن أتم لشروطنا
وأوامرنا أطعتم فلکم مالنا ، وعليکم ما علينا ؛ فقد أعذر من أئدر . وقد ثبت عندكم
أننا كفرة ، وثبت عندنا أنكم الفجرة ، فأسرعوا إلينا بالجواب قبل أن تضرم الحرب
نارها ، وتربكم بشرارها ، فلا يبقى لكم جاه ولا عز ، ولا يمصمكم ميا جبل ولا
حرز ، فما بقي لنا مقصد سواكم ، والسلام علينا وعليكم ، وعلى من أتبع الهدى ،
وخشى عواقب الردى ، وأطاع الملك الأعلى .

الحلال الثانية — ما كان الأمر عليه بعد دخولهم في دين الإسلام مع قيام العداوة
بين الدولتين .

وكان عادتهم في الكتابة أن يكتب بعد البسملة « بقوة الله تعالى » ثم يكتب
بعد ذلك « بإقبال فان فرمان فلان » يعني كلام فلان .
ولهم في ذلك طريقتان .

إحداهما — أن يكتب بسم الله سطرا ، ويكتب « الرحمن الرحيم » سطرا
تحتها ، ويكتب « بقوة الله » سطرا « وتعالى » سطرا آخر تحته ؛ ثم يكتب تحت
ذلك في الوسط بهامش من الجانبين « بإقبال فان » سطرا ، وتحت « فرمان فلان »
باسم السلطان المكتوب عنه سطرا آخر .

والطريقة الثانية — أن تكتب البسملة جميعها سطرا واحدا ، ثم يكتب تحت
وسيط البسملة « بقوة الله تعالى » سطرا « وميامين الملة المحمدية » سطرا آخر ؛
ثم يكتب تحت ذلك سطرا آخر بزيادة يسيرة من الجانبين « فرمان السلطان فلان »
يعني كلام السلطان فلان .

ولم أقف على قطع الورق الذي كُتِب فيه حينئذ ، والظاهر أنه في البغداديّ الكامل تعظيماً لشأن المكتوب عنه عندهم . وبالجملة فإن الظاهر أنّ الكتب الواردة عنهم على تَمَطِ الكتب الواردة من هذه المملكة إليهم ، بحراً على قاعدة كُتِب هذه المملكة من أنّ الغالب مضاهاتهم لأكابر الملوك في كتبهم في الهيئة والترتيب شرقاً وغرباً .

وهذه نسخة كتاب على الطريقة الأولى ، ورد عن السلطان « أحمد » صاحب مملكة إيران ، من بنى هولاكو المقدم ذكره ، وهو أوّل من أسلم منهم ، كتب به إلى الملك المنصور « قلاوون » صاحب الديار المصرية ، تعهده الله تعالى برضوانه ، ورد مؤرخاً بأوسط جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وسبعمائة ، ورأيت في بعض الدساتير أنه من إنشاء الفخر بن عيسى الموصلية ، وورد بخطه وهو :

بِقُوَّةِ اللَّهِ

بِسْمِ اللَّهِ

تَعَالَى

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِأَقْبَالِ قَائِدِ

فِرْمَانَ أَحْمَدِ .

إلى سلطان مصر ، أما بعد ، فإنّ الله سبحانه وتعالى بسابق عناية ، وتوهم هدايته ، قد كان أرشدنا في عثمان الصبا ، ورمان الحداثة ، إلى الإقرار برُبوبيّته ، والاعتراف بوحدانيّته ، والشهادة لمحمد ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، بصِدْقِ نُبوّته ، وحُسن الاعتقاد في أوليائه الصالحين من عباده وبريّه (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْشِمْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) فلم نزلْ نَميلُ إلى إعلاء كلمة الدين ، وإصلاح أمور الإسلام والمسلمين ، إلى أنْ أفضى إلينا بعد أئمتنا الجليل ، وأخينا الكبير ، نوبه المثلث ، فأضفى علينا من

جَلَّابِيبِ الطَّافَةِ وَطَائِفِهِ ، مَا حَقَّقَ بِهِ آمَانَنَا فِي جَزِيرِ آلَايِهِ وَعَوَارِفِهِ ، وَجَلَّى هَذِهِ
 الْمَمْلَكَةَ عَلَيْنَا ، وَأَهْدَى عَقَيْتَنَا الْبِنَاءَ ، فَاجْتَمَعَ عِنْدَنَا فِي قُورَيْبَاتِنِ الْمُبَارَكِ - وَهُوَ الْمَجْتَمِعُ
 الَّذِي تُقَدِّحُ فِيهِ الْآرَاءُ - جَمِيعُ الْإِخْوَانِ وَالْأَوْلَادِ وَالْأَمْرَاءِ الْكِبَارِ ، وَمَقْدَمُو الْعَسَاكِرِ ،
 وَرِجَالُ الْبِلَادِ ، وَأَنْفَقْتَ كَلِمَتَهُمْ عَلَى تَنْفِيذِ مَا سَبَقَ بِهِ حُكْمُ أُخْتِنَا الْكَبِيرِ ، فِي إِنْفَازِ الْحَمِّ
 الْغَفِيرِ ، مِنْ عَسَاكِرِنَا الَّتِي ضَاقَتْ الْأَرْضُ بِرُحْبِهَا مِنْ كَثْرَتِهَا ، وَأَمَلَاتِ الْأَرْضُ رُعبًا
 مِنْ عَظِيمِ صَوْلَتِهَا ، وَشَدِيدِ بَطْشَتِهَا ، إِلَى تِلْكَ الْجَهَةِ بِهَيْمَةٍ تَخْضَعُ لَهَا صَمُّ الْأَطْوَادِ ،
 وَعِزْمَةٌ تَلِينُ لَهَا الصَّمُّ الصَّلَادِ ، فَفَكَّرْنَا فِيهَا تَمَخُّضَ زُبْدِ عِزَاتِهِمْ عَنْهُ ، وَاجْتَمَعَتْ
 أَهْوَاؤُهُمْ عَلَيْهِ ، فَوَجَدْنَاهُ مَخَالِفًا لِمَا كَانَ فِي ضَمِيرِنَا مِنْ اقْتِضَاءِ الْخَيْرِ الْعَامِّ ، الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ
 عَنْ تَقْوِيَةِ سِعَارِ الْإِسْلَامِ ، وَأَنْ لَا يُصْدِرَ عَنْ أَوْامِرِنَا مَا أَمَكْنَا إِلَّا مَا يُوجِبُ حَقْنَ
 الدَّمَاءِ ، وَتَسْكِينَ الدَّهْمَاءِ ، وَتَجْرِي بِهِ فِي الْأَقْفَارِ رُخَاءُ نَسَائِمِ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ ،
 وَيَسْتَرِخُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ فِي سَائِرِ الْأَمْصَارِ ، فِي مِهَادِ الشَّفَقَةِ وَالْإِحْسَانِ ، تَعْظِيمًا لِأَمْرِ اللَّهِ ،
 وَشَفَقَةً عَلَى خَلْقِ اللَّهِ ، فَأَلْهَمْنَا اللَّهُ تَعَالَى إِطْفَاءَ تِلْكَ النَّارِ ، وَتَسْكِينَ الْفِتَنِ النَّارِ ،
 وَإِعْلَامَ مَنْ أَسَارَ بِذَلِكَ الرَّأْيِ بِمَا أُرْشَدْنَا اللَّهُ إِلَيْهِ : مِنْ تَقْدِيمِ مَا يُرْجَى بِهِ شِفَاءُ مِرْجَاحِ
 الْعَالَمِ مِنَ الْأَدْوَاءِ ، وَتَأْخِيرِ مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ آخِرَ الدَّوَاءِ ، وَأَنْتَا لَا تَجِبُ الْمَسَارَعَةَ
 إِلَى هَرِّ النَّصَالِ لِلنَّصَالِ إِلَّا بَعْدَ إِبْصَاحِ الْمَحْجَهَةِ ، وَلَا تُبَادِرُ لَهَا إِلَّا بَعْدَ تَبَيُّنِ الْحَقِّ
 وَتَرْكِيبِ الْحُجَّةِ ، وَقَوَى عِزْمَتَنَا عَلَى دِمَارِ أَيْنَانِهِ مِنْ دَوَاعِي الصَّلَاحِ ، وَتَنْفِيذِ مَا ظَهَرَ لَنَا بِهِ وَجْهُ
 النَّجَاحِ ، إِذْ كَانَ ، الشَّيْخُ قَدْوَةُ الْعَارِفِينَ « كَمَالُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ » الَّذِي هُوَ نِعْمَ الْعَوْنُ
 لَنَا فِي أُمُورِ الدِّينِ ، فَأَرْسَلْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ اللَّهِ لِمَنْ [لَتِي] دُعَاةً ، وَنِقْمَةً عَلَى مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ
 وَعَصَاهُ ، وَأَنْفَقْنَا أَقْضَى الْقَضَاةِ قَطْبَ الْمِلَّةِ وَالْدِّينِ ، وَالْأَثَابَكَ بِهَاءِ الدِّينِ ، الَّذِينَ
 هُمَا مِنْ تِنَاتِ هَذِهِ الدَّوَلَةِ الزَّاهِرَةِ لِيُعْرَفُوهُمْ طَرِيقَتَنَا ، وَيَتَحَقَّقَ عِنْدَهُمْ مَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ
 لِعُمُومِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعِ نَبَاتِنَا ، وَبَيْنَا لَمْ أَنَا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى بَصِيرَةٍ ، وَأَنَّ الْإِسْلَامَ

يُجِبُّ مَا قَبْلَهُ ، وَأَنَّهُ تَعَالَى الْفَيْءُ فِي قُلُوبِنَا أَنْ نَتَّبِعَ الْحَقِّ وَأَهْلَهُ ، وَنُشَاهِدَ أَنَّ عَظِيمَ نِعْمَةِ اللَّهِ لِلْكَافَّةِ بِمَا دَعَانَا إِلَيْهِ مِنْ تَقْدِيمِ أَسْبَابِ الْإِحْسَانِ ، أَنْ لَا يُحْرَمُوهَا بِالنَّظَرِ إِلَى سَائِرِ الْأَحْوَالِ فَكُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ؛ فَإِنْ تَطَلَّعْتَ نَفْسُهُمْ إِلَى دَلِيلِ تَسْتَحْكُمُ بِسَبَبِهِ دَوَاعِيَ الْإِعْيَادِ ، وَحُجَّةٍ يَتَّقُونَ بِهَا مِنْ بُلُوغِ الْمُرَادِ ؛ فَلْيَنْظُرُوا إِلَى مَا ظَهَرَ مِنْ أَمْرِنَا مِمَّا أَشْتَهَرَ خَبْرُهُ ، وَعَمَّ أَثَرُهُ ، فَإِنَّا أَبْتَدَأْنَا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ بِإِعْلَامِ الدِّينِ وَإِظْهَارِهِ ، فِي إِيرَادِ كُلِّ أَمْرٍ وَإِضْدَارِهِ ، تَقْدِيمًا لِنَامُوسِ الشَّرْعِ الْمُحَمَّدِيِّ ، عَلَى مَقْتَضَى قَانُونِ الْعَدْلِ الْأَحْمَدِيِّ ، لِإِجْلَالٍ وَتَعْظِيمٍ ؛ وَأَدْخَلْنَا السَّرُورَ ، عَلَى قُلُوبِ الْجُمْهُورِ ، وَعَفَوْنَا عَنْ كُلِّ مَنْ اجْتَرَحَ سِنَّةً وَأَقْتَرَفَ ، وَقَابَلَنَاهُ بِالصَّفْحِ وَقُلْنَا عَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفَ ؛ وَتَقَدَّمْنَا بِإِصْلَاحِ أُمُورِ أَوْقَافِ الْمَسَالِمِينَ مِنَ الْمَسَاجِدِ وَالْمَشَاهِدِ وَالْمَدَارِسِ ، وَعِمَارَةِ بِقَاعِ الدِّينِ وَالرِّبَاطِ الدُّوَارِسِ ؛ وَابْتِغَاءِ حَاصِلِهَا بِوُجُوبِ عَوَائِدِهَا الْقَائِمَةِ إِلَى مَسْتَحْقِقِيهَا بِشُرُوطِ وَأَقْفِيئِهَا ؛ وَمَعْنَا أَنْ يَلْتَمَسَ شَيْءٌ مِمَّا اسْتَعْدِدْتَ لَهَا ؛ وَأَنْ لَا يَغْيَرَ أَحَدٌ شَيْئًا مِمَّا قَرَّرَ أَوْلَا ؛ وَأَمْرِنَا بِتَعْظِيمِ أَمْرِ الْمُجْتَاحِ وَتَجْهِيزِ وَفِدَايَا ، وَتَأْمِينِ سُبُلِهَا ، وَتَسْيِيرِ قَوَائِلِهَا ؛ وَإِنَّا أَطْلَقْنَا سَبِيلَ التَّجَارِ الْمُتَرَدِّدِينَ إِلَى تِلْكَ الْبِلَادِ لِيسَافِرُوا بِحَسَبِ اخْتِيَارِهِمْ عَلَى أَحْسَنِ قَوَاعِيدِهِمْ ؛ وَحَرَمْنَا عَلَى الْعَسَاكِرِ وَالْقَرَاغُولَاتِ وَالشُّحَاتِي فِي الْأَطْرَافِ التَّعَرُّضَ لَهُمْ فِي مَصَادِرِهِمْ وَمَوَارِدِهِمْ ، وَقَدْ كَانَ قَرَاغُولٌ صَادَفَ جَاسُوسًا فِي زِيَّ الْفُقَرَاءِ كَانَ سَبِيلُهُ أَنْ يَهْلِكَ ، فَلَمْ يُهْرَقْ دَمَهُ ؛ لِحُرْمَةِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَعْدَنَاهُ إِلَيْهِمْ . وَلَا يَخْفَى عَنْهُمْ مَا كَانَ فِي إِنْتِزَاعِ الْجَوَاسِيسِ مِنَ الضَّرْرِ الْعَامِّ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّ عَسَاكِرَنَا طَلَمَّا رَأَوْهُمْ فِي زِيَّ الْفُقَرَاءِ وَالنُّسَاكِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ ، فَسَاءَتْ ظُنُونُهُمْ فِي تِلْكَ الطَّرَافِ ، فَفَتَلَوْا مِنْهُمْ مَنْ قَتَلُوا ، وَفَعَلُوا بِهِمْ مَا فَعَلُوا ، وَارْتَضَعَتِ الْحَاجَةُ بِعَدَدِ اللَّهِ إِلَى ذَلِكَ بِمَا صَدَرَ إِذْنُنَا بِهِ مِنْ فَتْحِ الطَّرِيقِ وَتَرَدُّدِ التَّجَارِ ، فَإِذَا أَمَعَنُوا الْفِكْرَ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ وَأَمْثَالِهَا لَا يَخْفَى عَنْهُمْ أَنَّهَا أَخْلَاقٌ حَيْلِيَّةٌ طَبِيعِيَّةٌ ، وَعَنْ شَوَائِبِ

التكلف والتصنع عريه . وإذا كانت الحال على ذلك فقد ارتفعت دواعي المصرة التي كانت موجهة للخالفة ، فإنها إن كانت طريقا للدب والذود عن حوزة الإسلام ، فقد ظهر بفضل الله تعالى في دولتنا النور المبين ، وإن كانت لما سبق من الأسباب ، فمن يتجوزي الآن طريق الصواب ، فإن له عندنا لزلزلي وحسن مآب . وقد رقعنا الحجاب ، وأتينا بفصل الخطاب ، وعرفناهم [طريقنا] وما عزمنا بنية خالصة لله تعالى على استئنافها ، وحرمتنا على جميع العساكر العمل بخلافها ، لترضى الله والرسول ، ويؤوح على صفحاتها آثار الإقبال والقبول ، وتسترخ من اختلاف الكلمة هذه الأمة ، وتنجلي بنور الإختلاف ، ظلمة الإختلاف ، والعمه ، وتبشكر سابع ظلها البوادي والحواضر ، وتقر القلوب التي بلغت من الجهل العناجر . ويعني عن سالف الجرائر ، فإن وفق الله سلطان مصر إلى ما فيه صلاح العالم ، وانتظام أمور بني آدم ، فقد وجب عليه التمسك بالعروة الوثقى ، وسلوك الطريقة المثلى ، بفتح أبواب الطاعة والإلتحاد ، وبذل الإخلاص بحيث تعمرك تلك الممالك وتيك البلاد ، وتسكن الفتنه الناثرة ، وتقدم السيوف الباتره ، وتحل العامة أرض الهويثي وروض الهدون ، وتحلص رقاب المسلمين من أغلال الذل والهون . وإن غلب سوء الظن بما تفضل به واهب الرحمة ، ومنع معرفة هذه النعمة ، فقد شكر الله مساعينا وأبلى عذرنا ، (وما كنا معديين حتى نبعث رسولا) والله تعالى الموفق للرشاد والسداد ، وهو المهيم على البلاد والعباد ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة كتاب على الطريقة الثانية ، كُتِبَ به عن السلطان « محمود غازان » صاحب إيران أيضا ، إلى السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون » صاحب الديار المصرية وما معها من البلاد الشامية ، وهي :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِقُوَّةِ اللَّهِ تَعَالَى

وَمِيَّامِينَ الْمِلَّةِ الْحَمْدِيَّةِ

فرمان السلطان محمود غازان

لِيَعْلَمَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ، أَنَّهُ فِي الْعَامِ الْمَاضِي، بَعْضُ عَسَاكِرِهِمُ الْمُفْسِدَةُ دَخَلُوا
أَطْرَافَ بِلَادِنَا، وَأَفْسَدُوا فِيهَا لِعِنَادِ اللَّهِ وَعِنَادِنَا، كِبَارِدِينَ وَنَوَاحِيهَا، وَجَاهِرُوا
اللَّهَ بِالْمَعَاصِي فِيمَنْ ظَفِرُوا بِهِ مِنْ أَهْلِهَا، وَأَقْدَمُوا عَلَى أُمُورٍ بَدِيعَةٍ، وَأَرْتَكَبُوا
آثَامًا شَدِيدَةً، مِنْ مُحَارَبَةِ اللَّهِ وَتَحْرِيقِ نَامُوسِ الشَّرِيعَةِ، فَأَنِينَا مِنْ تَهْجُمِهِمْ، وَغَرْنَا
مِنْ قَتْلِهِمْ، وَأَخَذْنَا الْحِجْمَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ بِغَدَبَتِنَا إِلَى دُخُولِ بِلَادِهِمْ، وَمَقَابَلَتِهِمْ عَلَى
قَسَادِهِمْ، فَرَكِبْنَا بَيْنَ كَانِ لَتَيْسَا مِنَ الْعَسَاكِرِ، وَتَوَجَّهْنَا بَيْنَ اتَّفَقِ مِنْهُمْ أَنَّهُ حَاضِرٌ،
وَقَبْلَ وَقُوعِ الْفِعْلِ مَنَاءً، وَأَشْتَهَارِ الْفَتْكِ عِنَاءً، سَلَكْنَا سَبِيلَ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَأَقْتَفَيْنَا آثَارَ
الْمُتَقَدِّمِينَ، وَأَقْنَدِينَا بِقَوْلِ اللَّهِ ﴿لَيْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ وَأَقْنَدْنَا
صُحْبَةَ يَعْقُوبَ السَّكْرِيِّ جَمَاعَةً مِنَ الْقَضَاءِ، وَالْأَيْمَةَ الثَّقَاتِ، وَقَلْنَا ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ
النَّذْرِ الْأُولَى أَرْفَتِ الْأَرْفَةَ لَيْسَ لَهَا مِنْ نُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ فَقَابَلْتُمْ ذَلِكَ بِالْإِصْرَارِ،
وَحَكَمْتُمْ عَلَيْكُمْ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالْإِصْرَارِ، وَخَالَفْتُمْ سَبِيلَ الْمُلُوكِ، فِي حُسْنِ السُّلُوكِ،
وَصَبَرْنَا عَلَى تَعَادِيكُمْ فِي عَيْكُمْ، وَخُلُودِكُمْ إِلَى بَغِيكُمْ، إِلَى أَنْتِ نَصَرْنَا اللَّهُ، وَأَرَاكُم
فِي أَنْفُسِكُمْ قَضَاءَ ﴿أَقَامِنَا مَكَرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمُنُ مَكَرَ اللَّهِ﴾ وَظَلَمْنَا أَنَّهُمْ حَيْثُ تَحَقَّقُوا كُنْتُمْ
الْحَالِ، وَأَلَّ بِهِمُ الْأَمْرُ إِلَى مَا أَلَّ، أَنَّهُمْ تَدَارَكُوا الْفَارِطَ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَرَتَقُوا مَا فَتَقُوا
بِقَدْرِهِمْ، وَوَجَّهَ إِلَيْنَا وَجْهَ عُدْرِهِمْ، فَإِنَّهُمْ رَبَّمَا سَيَرُوا إِلَيْنَا حَالِ دُخُولِهِمْ إِلَى الدِّيَارِ
الْمِصْرِيَّةِ، رُسُلًا لِإِصْلَاحِ تِلْكَ الْقِضِيَّةِ، فَبَقِينَا بِدَسْتِغِ غَيْرِ مَشْحُوحِينَ، وَتَبَطَّنَا تَبَطُّ
الْمُنْمَكِنِينَ، فَصَدَّمْ عَنْ السُّعَى فِي صِلَاحِ حَالِهِمُ التَّوَانِي، وَعَلَّقُوا نُفُوسَهُمْ عَنِ الْيَقِينِ

بِالْأَمَانِي، ثُمَّ بَلَّغْنَا بَعْدَ عَزِيدِنَا إِلَى بِلَادِنَا أَنَّهُمُ الْقَوَا فِي قُلُوبِ الْعَاكِرِ وَالْعَوَامِّ، وَرَأَمُوا
 جَبْرًا أَوْهَتْوَا مِنَ الْإِسْلَامِ، أَنَّهُمْ فِيمَا بَعْدَ يَلْقَوْنَنَا عَلَى حَلَبَ وَالْفُرَاهِ، وَأَنَّ عَزْمَهُمْ
 مُصِرٌّ عَلَى ذَلِكَ لِأَسْوَاهِ؛ بِحَمْعَتَا الْعَاكِرِ وَتَوَجُّهِنَا لِقَاقِهِمْ، وَوَصَلْنَا الْفُرَاتَ مَرْتَيْنِ
 ثُبُوتَ دَعْوَاهُمْ، وَقَلْنَا لَعَلَّ وَعَسَاهُمْ، فَمَا لَمَعَ لَهُمْ بَارِقُ، وَلَا نَزَّ شَارِقُ، فَتَدِمْنَا إِلَى
 أَطْرَافِ حَلَبَ، وَنَجَّيْنَا مِنْ تَبَطُّبِهِمْ غَايَةَ الْعَجَبِ؛ وَفَكَّرْنَا فِي أَنَّهُ مَتَى تَقَدَّمْنَا بِعَسَاكِرِنَا
 الْبَاهِرَةِ، وَجَمُوعِنَا الْعَظِيمَةِ الْقَاهِرَةِ، رُبَّمَا أَنْحَرِبَ الْبِلَادَ مَرُورُهَا، وَبِإِقَامَتِهِمْ فِيهَا
 فَسَدَتْ أُمُورُهَا، وَعَمَّ الضَّرُّ الْعِبَادَ، وَالْخِرَابُ الْبِلَادَ؛ فَعُدْنَا بَقِيًّا عَلَيْهَا، وَنَظَرَةُ لُطْفَ
 مِنْ اللَّهِ إِلَيْهَا. وَهَذَا نَحْنُ الْآنَ مَهْتَمُونَ بِجَمْعِ الْعَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ، وَمُشْحِدُونَ غِرَارَ
 عَزَائِمِنَا الْمَشْهُورَةِ، وَمُسْتَعْلُونَ بِصُنْعِ الْمَجَانِيقِ وَأَلَاتِ الْجِحْصَارِ، وَعَازِمُونَ بَعْدَ
 الْإِنذَارِ ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَدِّينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾. وَقَدْ سِيرْنَا حَامِلًا هَذَا الْكِتَابِ
 الْأَمِيرَ الْكَبِيرَ نَاصِرَ الدِّينِ عَلَى خَوَاجَا، وَالْإِمَامَ الْعَالِمَ مَلِكَ الْقَضَاةِ جَمَالَ الدِّينِ مُوسَى
 ابْنَ يَوْسُفَ، وَقَدْ حَمَلْنَا هُمَا كَلَامًا شَافِهِنَاهُمَا بِهِ، فَلَتَقَفُوا بِمَا تَقَدَّمْنَا بِهِ إِلَيْهِمَا فَإِنَّهُمَا
 مِنَ الْأَعْيَانِ، الْمُعْتَمِدِ عَلَيْهِمَا فِي الدِّيَوَانِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ فَلْيَنْهَ الْجُبَّةُ الْبَالِغَةَ
 فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ فَلْتَعُدُّوْا لَنَا الْهَدَايَا وَالشُّحُفَ، فَمَا بَعْدَ الْإِنذَارِ مِنْ عَازِرٍ،
 وَإِنْ لَمْ تَنْدَارِكُوا الْأَرْضَ فِدْمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالَهُمْ مَطْلُوبَةٌ بِتَدْيِيرِهِمْ، وَمَطْلُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ
 فِي طَوْلِ تَقْصِيرِهِمْ.

فَلْيَمِينِ السُّلْطَانَ لِرَجِيئِهِ النَّظَرَ فِي أَمْرِهِ. نَقَدَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ وُلَّاهُ
 اللَّهُ أَمْرًا مِنْ أُمُورِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتْهُمْ، آحْتَجَبَ دُونَ
 حَاجَتِهِ وَخَلَّتْهُ وَقَفَّرَهُ ». وَقَدْ أَعْدَرْنَا مِنْ أَنْذَرْنَا، وَأَنْصَفْنَا مِنْ حَذَرْنَا، وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِنْ

(١) تَعَدَّى السُّكْرَانَ كَتَبَ حَذْمًا كَأَسْمَحْمَا أَنْظَرَ الْقَامُوسَ.

أتبع الهدى - في العشر الأوسط من شهر رمضان سنة سبعمائة - بجبال الأكراد،
والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا [محمد] المصطفى وآله وصحبه
وعترته الطاهرين .

قلت : وقد تقدم جواب هذين الكآين في الكلام على المكآبات إلى القانات
ببلاد الشرق من نبي جنكخان فليُنظر هناك .

الطرف الثاني

(في المطالعات الواردة إلى الأبواب السلطانية عن أهل الشرق :
من الملوك والحكام ببلاد أتباع القانات وآن في معناهم)^(٢)

(١) تقدم له أنه لا يقال العشر الأوسط بل العشر الوسطى أو الوسط قال وبعض النحويين أجازوه
فما في الجواب على ذلك الرأي .

(٢) ترك في الأصل باقي الصفحة بياضاً ولم يكتب عن هذا الطرف شيئاً .

الطرف الثالث

(في رسم المكاتبات الواردة عن صاحب اليمين إلى هذه المملكة)

وعادة مكاتبتِه أن يحدو حدو الديار المصرية ، فيما يكتب إليه عنها ، فيبتدئ المكاتبة بلفظ : أعز الله تعالى أنصار المقام الشريف ، العالى ، المولى ، السلطانى ، الفلاقى بقلب السلطنة ، ثم يقول أصدرها من مكان كذا ، ويذكر المقصد ، ويختم بالدعاء ونحوه ، ويكتبون في قطع الشامى الكامل بقلم الثلث .

وهذه نسخة كتاب عن الملك الأشرف « إسماعيل » صاحب اليمن ، إلى الملك الظاهر « برقوق » صاحب الديار المصرية ، في شهر سنة ثمان وتسعين وسبعائة ، على يد القاضى برهان الدين المحلى ، تاجر الخصاص ، والطواشى آفتخار الدين فخر دوادار الملك الأشرف صاحب اليمن المذكور ، وهو :

أعز الله تعالى أنصار المقام الشريف العالى السلطانى الظاهرى ، وزاده فى البسطة والقُدرة ، وضاعف له مواد الاستظهار والنظر العزيز ، وجعل الظفر مقرونا برأيه أينما يمت ما بينهما تميز ، ومحبوباً إلى عساكره المنصورة حيث توجهت وفتح بركة أيامه كل مفقل ممتنع بامرٍ وجيز ، ولا زال يمتثل الأوامر والمراسم ، راقلاً فى أردان العز والمكّارم ، ممدوداً على الأمة [منه] ظل المراحم ، بمنه وكرمه .

أصدرها إليه من رُبدة زبيد المحروسة مُعربة عن صدق ولأته ، متمسكة بوثيق أسباب آلائه ، ناشرة طيب نسائه ، مترجمة ناظمة لنشور الكتاب الكريم الظاهرى الوارد على يد المجلس العالى البهائى ، بتاريخ ذى الحجة عظم الله بركاتها ، سنة سبع وتسعين وسبعائة ، أحسن الله خاتمها ، فلقيناه باليدى ، ووضعناه على الرأس والعين ، وأستدللنا به على شريف همته ، وصفاء مودته ، ونأكيد أجوته ، وسألنا الله

تعالى أن يمتنع بقاء دولته القاهره، وينشر في المشارق والمغرب أعلامه الزاهره؛
 ففضضنا ختامه، فوجدنا فيه من نشر السلم الأريج أذكاه، ومن أنوار ما حقه القلم
 الشريف ما يججل منه نوار الربيع وبهائه، فانشرحت به الصبوره، وتزايد به الشور،
 وقوت به الأعين، وكثر التهجده به كما استعذبت الألسن؛ وأمثلنا المرسوم الشريف
 في تعظيم المجلس العالي ذي الجلالين؛ برهان الدين إبراهيم بن عمر المحلى، ومراعاته
 في جميع أموره وسرعة تجهيزه؛ على أنا نجله ونجله، ونوجب حقه ولا نجمله، فهو
 عندنا كما كان في عهد الوالد المرحوم الملك الأفضل، بل أمكن وأفضل، فهو لدينا
 المكين الأمين؛ وجهزنا له المتجر السعيد الظاهري، وبرزت مرآسنا إلى الثواب
 شفر عدن المحروس أن لا يعترض في عشور ونول، وحملناه على ظهور مرآكنا عيننا
 مكرما، وعرفناه أن لا يصرف على الحمل السعيد ولا الدرهم الفرد، وذلك قليل منا
 لأجل غلمان بابكم الشريف شرفه الله تعالى وعظمه؛ وجهزنا الهدية السعيدة المباركة
 المتقبلة، محبته هو والأمير الأجل الكبير الأفتخاري : أفتخار الدين فاير اللوادار،
 وصارت بأيديهما بأوراق مفصلة؛ للقام الشريف والأمرء الأجلء الكبراء، ومحبتهما
 نقر من المعلمين البازدارية؛ برسم حمل الطيور للصيد السعيد، والمهتارية للصفات
 الجباد، على أنا لو أهدينا إلى جلال المقام الشريف الظاهري أعز الله أنصاره
 بمقدار هنته الشريفة العاليه، ورؤيته المنيفة السامية، لاستصيرت الأفلاك الدائرة،
 والشهب السائر، واستقلت السبعة الأقاليم تحفه، والأرض وما أقتنه طرفه، ولم
 نرض أن نبعث إليه الأنام ممالك وخولا، ونجبي إليه ثمرات كل شيء قبالا، ولو رام
 محب المقام هذه القضية، لقصر عنه حوله، ولم يصل إليه طوله، ولكنه يرجع
 إلى المشهور، بين الجمهور، فوجدنا العمل يقوم مقام الاعتقاد، وليس على المستمر^(١)

(١) لعله "الاعتقاد يقوم مقام العمل" أو "العمل يقوم مقام الاعتقاد" تأمل .

على الطاعة سوى الإجتهد ، والمخلص في الولاء ، محمول على قدرته لا على ما أراد ،
فوتق بهذه القضية ، وأغدأ إلى المقام الشريف على يد موصليها هذه الهدية ، راجيا
إلى إنعامه في بسط عذره ، وحمله على شروط المحبة طول دهره ، وتصريفه بين
أوامره المتشابهة ، ومراسيمه المتقبلة . والمسئول الإتحاف بالمهمات والمراسيم الشريفة
شرفها الله تعالى وعظمها .

ونوضح لعلمه الكريم ما أفاء الله به علينا من النضر الذي خفقت بؤده ، وأشرقت
سعوده ، وبرقت سيوفه في رقاب المارقين ، وأطردت في رايته المارب فتناولها باليمين
(نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) وفتح الفلاح والمصانع ، والاستيلاء على
المرابع والمزارع ، واستئصال شافة المارقين ، واسترجاع حصن قاف المحروس بعد
طول مكثه تحت يد العرب ، فكم من كمي مقتول ، وأسير مكبول ، وحصان ترك
سبيلها ، ورب حصان كثر عليه عويلها ، فغربنا المعائل ، وأطلقنا العقائل ، وأوطنهم
الحجيم (وما جعله الله إلا بشري لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله
العزير الحكيم) وغير ذلك ما أرسلنا على يد المجلس البرهاني والأير آفتخار الدين :
فانحر الدوادار ، لقضاء بعض الحوائج الطارئة من الديار المصرية « ألف وأربعمائة
وسبعون قطعة من أصناف النهار ، وسبع قطع حرير » والمستمد من إحسان المقام
الشريف العالي ، بروز أمره الأشرف العزيز النافذ المطاع ، أفذه الله تعالى شرفا
وغربا ، وأمضاه بعدا وقربا ، في قضاء حوائجها وسرعة تجهيزها وقبولها إلى يمن
اليمن ، وعزق تعزق قريبا .

وبعد ، فإن الجلالة والاحترام بهما دوام الموالاة ، وتوفير الحُرُمات ، بل
هي أعظم الكرامات ، والمسئول من المقام الشريف الظاهري أعز الله تعالى
أنصاره ، وضاعف آفتداره ، بروز أمره الأشرف إلى النواب بمصر المحروسة ،

وغير الإسكندرية ، والشام ، بالجلالة والإحترام ، لكافة غلماننا الواردين إلى الديار المصرية ، ومن أنسب إلينا من تاجر وغيره ، مسافراً كان أو مقبياً ، وأن يُعَارَ في مهماته ، جلالة تقياً ظلالها ، ويشمله إقبالها ، كما سبق للوالد المرحوم المقدس الملك المجاهد ، تغشاه الله برحمته ، بل نرجو فوق ذلك مظهرها ، إن شاء الله ، فتم خطوط ناصرية من السلطان حسن والملك الصالح لحُدَامنا التقدماء ، لما أرسلوا إلى الإسكندرية ودمشق ، كُتِبَ لهم مِرْبَعَاتٌ ومِنَالَاتٌ شريفة ، ولا غرؤ أن يُبَدَى المستعطي مافي ضميره إلى المُعْطَى ، والأشتهار بما بيننا وبين المقام الشريف من الأخوة الممهّدة ، والمصافاة المؤكّدة ، والمودات المحكّمة ، والأسباب الثابتة ، أوجب ذلك ؛ وحسن الظن الجليل نطق به لسان الحال ، في هذا الإِسْتِرسال ؛ ولم يحف عن المقام الشريف أن لله عوارف يجذب بها القلوب إليه ، ولطائف خفية يستدل بها الحب عليه ؛ وتعاطى كأس الوداد ، يدل على حسن الاعتقاد ؛ ولذلك نطق اللسان ، وكتب اللسان ، بما أقرض على عباده الرحمن ؛ فقال في محكم كتابه المبين ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ . ومحب المقام الشريف يقدم الكتاب ، ويسأل الجواب ، بالإذن الشريف : ليعتمد بعد الله عليه في حج البيت الحرام ، عند تيسير الله تعالى لذلك ، فقد حسن ظنه بذلك ، وركن إليه لفضاء الفرض والتبرك بالمشاعر العظام ، فلا زالت أيام المقام الشريف على منابر الدنيا تُنْتَلَى ، وآيات الشكر لله سبحانه على استقراره في الملك العقيم تُنْتَلَى . جميع هذا الخطاب مقدّمة الإيجاب بالإذن بالحج ، وتفسير المحمل في كل عام ، إلى بيت الله الحرام ، لحاج اليمن تعذرت عليه الطرقات ، ولم يُطَق حَمَلُ التَّفَقّات ، وزجوا من الله تعالى أن يفتح ببركة أيامه الشريفة ، وشمول الفكر الشريف ، بحل عقدة هذه الأسباب ، إنه هو الكريم الوهاب ، بمنه وكرمه .

وأما ما نعتضده من أمانة المجلس البرهاني فإنها متينة ، وشواهدُها من أقواله وأفعاله مُبينه ، خصوصاً في المقام الشريف ، وأستمتلته للقلوب بالعبارات اللطيفة ؛ فقد نظّم معاقِدَ الائتلاف ، وتزايد بشرحه الأئس في محاورته والإختلاف ؛ ولولا المهّم الشريف لاستوقفناه عندنا عاماً كاملاً من بعد هذا التاريخ : لئلي علينا آياتِ المقام الشريف ؛ شرفه الله تعالى وعظمه . وعلى لسانه ما يُبديه في المواقف الشريفة شفاهاً إن شاء الله تعالى .

في سابع جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وسبعائة ، أحسن الله تعالى ختامها ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وباطناً وظاهراً .

قلت : أما إمام الزيدية باليمن فلم أقف له على مكاتبة ، وإن كان المقتر الشهابي ابن فضل الله قد أشار في كتابه "التعريف" إلى أنه ورد عنه . مكاتبة إلى الأبواب السلطانية الناصرية (محمد بن قلاوون) يستجيشه على صاحب اليمن ، والغالب على الظن أن مكاتبته أعرابية ، كما أن إمارته أعرابية : إذ لا اعتناء لأهل البادية وعربان الوادي بقن الإنشاء جملة ؛ وإنما يكتب عنهم بحسب ما يقتضيه حالهم ، على أن فيما يأتون به مقنعا من الفصاحة والبلاغة بكل حال ، إذ عنهم قد علم اللسان وعليهم فيه يُعول .

الطرف الرابع

(في الكتب الواردة إلى الأبواب السلطانية عن ملوك الهند)

قد تقدم أن المكاتبه إلى صاحب الهند تُسبه المكاتبه إلى القانات العظام بإيران وتوران . وتقدم أن الكتب الواردة عن القانات المذكورين تكون في معنى الكتب الصادرة إليهم في قطع الورق والترتيب ، من حيث إن الغالب جريان العادة

في الأجوبة بأن تكونَ على نَمَطِ الكُتُبِ الواردة ، وحينئذ فيكون مقتضى ذلك أن الكُتُبِ الواردة من صاحب الهند في هيئة الكُتُبِ الصادرة إليه في قطع الورق وغيره ، فتكون في البُعْدَادِيِّ الكَامِلِ بقلم مَحْتَصِرِ الطُّومَارِ بِالطُّغْرَاءِ وَالْمُحَطَبَةِ الْمَكْتَبَتَيْنِ بِالذَّهَبِ ، إلى ما يجرى مجرى ذلك مما تقدم ذكره في المكتبات إلى القانات .

قلت : ولم أفت على صورة مكتبة من ذلك ولا على نسخة شيء ورد ، لكن قد تقدم في الكلام على المسالك والممالك في المقالة الثانية عند ذكر مملكة الهند أن من جملة ممالك الهند مملكة تُعرف بالسيلان ، وقد رأيت في تذكرة (محمد بن مكرم) التي جمعها في وقائع ديوان الإنشاء بالديار المصرية ؛ أنه في سنة اثنين وثمانين وثمانمائة ، وصل كتاب من صاحب السيلان هذه في صفيحة ذهب رقيقة ، عرض ثلاثة أصابع ؛ في طول نصف ذراع ، وحواله مدورة (حلقه) داخلها شبيهة بالخطوط أخضر ، عليه كتابة تُشبه الخط الرومي أو القبطي ، فطلب من يقرؤه فلم يوجد ؛ فُسِّلَ الرُّسُلُ عما هو مكتوب فيها . فقيل : إنه سير رسوله رومان ورفيقه ، وقصد أن يسير معهما الهدية إلى الباب الشريف ، فقيل له : ما لهم طريق . فقال لهم : سافروا إلى (هرمز) فحضروا إليها ، وذكروا أن مضمون الكتاب السلام ، والدعاء للسلطان ، وأن بلاد السيلان مضر ، وبلاد مضر السيلان ؛ وأنه ترك صحبة صاحب اليمن مرة واحدة ، وتعلق بحجة مولانا السلطان خلد الله ملكه ؛ وسأل أن يحضر رسول من عند مولانا السلطان إلى عنده صحبة رُسُلِهِ ، ورسول آخر إلى عدن ينظر حضورهم من تلك الجهة على تلك الطريق ، وأن عنده الجواهر والألوان والقبيلة والقماش الكثير من البر وغيره ، وكذلك البقم والقرقة وجميع ما يطلب الكارم ؛ وأن عنده في كل سنة عشرين مراكبا يسيرها إليه ، فيطلق مولانا السلطان التجار إلى

البلاد ، وأن رسول صاحب اليمن حضر في هذه السنة يتسلم التّقايمَ والفيلةَ حتى يسافروا إلى اليمن فردّه ، ولم يُعطه شيئاً ، وأنه يُعَيّ التّقايمَ والفيلةَ إلى أبواب مولانا السلطان ، وأنّ بمملكة سيّلان سبعمائة وعشرين قلعةً ، وبها معادنُ الجواهر والياقوت ومقاصُ اللؤلؤ . ولم يزد على ذلك . ورأيت في كتاب "الذيل" على تاريخ ابن الأثير نحو ذلك ، وفيه ذكر البلاد التي مرّت عليها رسلُ صاحب السيلان في طرقها .

المقصد الثاني

(في المكاتبات الواردة عن ملوك العرب)

والعادةُ الجاريةُ في الكتب الواردة عنهم أن تكونَ على تنطٍ واحدٍ في الورق ، مع تقاربِ الحلال في الترتيب ، وتكونُ كتبهم في طومارٍ واحدٍ ، في عرض نحو شبرين ، في طول نحو ثلاثة أشبار ، والبسملةُ بعد بياض نحو شبرٍ وثلاثة أصابع مطبوقة من أعلى الطومار ، وعرض سبعة أصابع مطبوقة عن عين البسملة ؛ والسطور منحطّةُ الأوائل مرتفعةُ الأواخر حتى يصيرَ البياض الذي في أعلاها في آخر سطرِ البسملة قدرَ شبرٍ فقط ، وبين كلِّ سطرينِ قدرُ عرضِ إصبعٍ ونصفِ إصبعٍ ، وكلُّ سطرٍ ينقص عن الذي فوقه قليلاً من جهة اليمن على التدرّج ، حتى يكونَ السطرُ الآخرُ قطعةً لطيفةً في زاوية الطومار التي على اليسار من أسفل ؛ ثم يكتب بحاشية الطومار من أسفله آخذاً من آخر السطر الأخير ، ويكون بين ذلك وبين الكتابة الأصلية قدرُ رأسِ خنصرٍ ، وينتدئ السطرُ الأولُ منها بقطعةٍ لطيفةٍ منحطّةِ الأوّلِ مرتفعةِ الآخرِ ثم السطرُ الثاني قطعةً أطولَ من ذلك ، ولا يزال كذلك حتى يكمل السطرُ فيكتب أسطراً كاملةً ، إلا أنه في أوّل كلِّ سطرٍ ينقصه قليلاً عن الذي قبله حتى يكونَ السطرُ

الأخيراً قدر الأتملة في زاوية الطومار من جهة البسمة ، ويكون بين كتابة الأصل وبين كتابة الحاشية قدرُ إصبعين بياضاً إلى سمت البسمة ، أسطراً متضابفة حتى ينتهى إلى آخر الكلام ، ويكتب في آخره بقلم الثلث : وكتب في التاريخ المؤرخ ، ويزاد فيه هاء مشقوفة راجعة إلى الخلف . وفيه جعل :

الجملة الأولى

(في المكتبة الواردة عن صاحب تونس)

وعادة مكاتبته أن تفتتح بلفظ : « من عبدالله الفلاني » بقلب الخلافة الخاص به ، « أمير المؤمنين ابن فلان » . ويقال : في كل من آبلته أمير المؤمنين إن كان قد ولي الخلافة ويدعى له « إلى أخينا فلان » ويؤتى بالسلام والتحية ، ثم يتخلص بالبعدية إلى المقصد ، ويحتم الكتاب .

وهذه نسخة كتاب عن المتوكل على الله أحمد بن أبي عبدالله بن أبي بكر ، إلى السلطان الملك الظاهر (برفوق) صاحب مصر ، جواباً عن كتابه إليه . وهو : من عبدالله ، المتوكل على الله ، أمير المؤمنين « أحمد » ابن مولانا الأمير أبي عبدالله ، ابن مولانا أمير المؤمنين أبي يحيى أبي بكر ، ابن الأمراء الراشدين ، أعلى الله به كلمة الإسلام ، وضاعف نوافل سيغفه من عبدة الأصنام ، وغص عن جانب عزه عيون حوادث الأيام .

إلى أخينا الذي لم تزل تُسأله من إخوانه الكريم ، في ذات الرب الرحيم ، قبلة صفاء لم تُغيرها يد عباد ولا أتراح ، وتشار من حفظ عهده ، والقيام بحق وده ، على ما يؤكّد معرفة الخلوص من لدن تعارف الأرواح ، وتبادر لما يبعث القلوب على الإبتلاف ، والأمن بفضل الله من عوائق الإختلاف ، وإن فتحتم الدار وتنايت

الصور والأشباح . وَتَشْرِفُ بِمَا لَهُ مِنْ مَزِيدِ الإِعْظَامِ ، بِمَجَاوِرَةِ البَيْتِ الحَرَامِ ، وَالقِيَامِ
بِمَا هُنَاكَ مِنْ مَطَالِعِ الوَحْيِ الكَرِيمِ وَمَشَاعِيرِ الصَّلَاحِ ، وَبِحَتْيِ مِنْ أَنْوَانِهِ الكَرِيمَةِ
الشَّرِيفَةِ ، وَمَطَالِعِهِ العَالِيَةِ المُنِيفَةِ ، وَجُوهِ البَشَائِرِ رَاقِمَةِ اللُّغَرِّ والأَوْضَاحِ . وَتَسْتَمِدِّي
مَائِسِرُنَا مِنْ أَنْبَاءِهِ ، عَمَّنْ يَرِدُ مِنْ نِقَائِهِ ، حَتَّى مِنْ أَنْوَارِ الصُّبْحِ وَسُقْرَاءِ الرِّيَاحِ ؛ وَتَقْبَلُ
إِلَى اللَّهِ بالدعاء أَنْ يُخْبِرَنَا عَنْهُ ، وَيُطْلِعَنَا مِنْهُ ، عَلَى مَا يُقَرُّ عِيُونَ القَوْمِ وَيُشْرَحُ صُدُورَ
النَّجَاحِ - السُّلْطَانِ الجَلِيلِ الطَّاهِرِ ، المَلِكِ الأَعْظَمِ «الظاهر» ، جَمَالِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا ،
مُؤَيَّدِ كَلِمَةِ اللَّهِ العُلْيَا ، سَيْفِ المِلَّةِ المَرْهُوبِ المَضَاءِ ، بِيَدِ القَضَاءِ ، وَرُكْنِهَا البَاسِقِ
العَلَاءِ ، فِي أَوْجِ عِزِّهَا المُنْدَاحِ للقضاء ، المَشْهُودِ لَهُ مِنْ لَدُنْ حَلِّ القَائِمِ ، وَلَوْثِ العَامِ ،
بِالشَّمَامَةِ الَّتِي تُرْعِبُ الأَسَدَ فِي أَحْبَابِهَا ، وَتَسْتَعْدِمُ لَهُ سَائِرَ الأُمَّمِ ؛ تُرْكِمُهَا وَعَمْرِيهَا
وَتَحْمِيهَا ، المَخْتَارِ للقِيَامِ بِعَقْدِهِ بَيْنَ عِبَادِهِ ، فِي أَرْضِهِ وَبِلَادِهِ ، الفَائِزِ مِنْ جَوَارِ بَيْتِ اللَّهِ
وَمَقَامِ خَلِيلِهِ ، وَمُشْرِعِ المَجِيحِ إِلَيْهِ وَتَسْيِيرِ سَبِيلِهِ ، بِمَا أَحْرَزَ لَهُ سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ ، وَعِزَّ
المَقَامَيْنِ ، كَوَكَيْبِ السَّعْدِ الَّذِي شَقِيَتْ بِهِ أَعْدَاؤُهُ ، وَبَدْرِ الدِّينِ الَّذِي اسْتَضَاءَتْ بِهِ
أَنْحَاؤُهُ ، مِيزَانِ العَدْلِ لِإِنصَافِ الحَقُوقِ ، وَشَمْسِ الهِدَايَةِ النَّبِيَّةِ الغُرُوبِ وَالثَّرُوقِ ؛
(أَبِي سَعِيدِ بَرَقُوقِ) وَصَلَ اللَّهُ لَهُ رَتَبَةً رَاقِيَةً يَنْبَغُ مَحَامِلُهَا ، وَنِعْمَةً بَاقِيَةً يَنْقَبُ أَظْلَمُهَا ،
وَعِزَّةً وَاقِيَةً تَسِيمُ جُوهَ أَعْدَائِهِ خَسَفَهَا وَذُلًّا ، بَيْنَهُ وَكِرْمِهِ .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ نَاطِمِ الشَّمْلِ وَقَدِ رَابَ ثَمَرُهُ وَشَنَائِهِ ، وَجَابِرِ الصَّدْعِ وَقَدِ آتَسَعَتْ
عَنِ الجَبْرِ جِهَاتُهُ ، وَرَادَ الأَمْرَ وَقَدِ أَمَيَا ذَهَابُهُ وَقَوَاتُهُ ، وَوَصَلَ الجَبَلَ وَقَدِ آسْتَوَى
أَنْقِطَاعُهُ وَأَنْبَتَاتُهُ ، العَالِمِ الَّذِي لَا يُعْزَبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِمَّا تُكْنَهُ أَرْضُهُ وَسَمَوَاتُهُ ،
الَّذِي قَرَنَ العُسْرُ سُورًا ، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ، فَلَا تَحْزُكُ ذَرَّةٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَلَا يَكُونُ
فِي مُلْكِهِ إِلَّا مَا تَقَدَّرَ أَحْكَامُهُ وَإِرَادَاتُهُ .

والصلاة والسلام الأكلين ، على سيدنا ومولانا محمد رسول الله الذي صدقت
 بالحق آياته ، وقامت بحجة دعواه معجزاته ، ونطقت بأنه رسول الله على لسان
 وحيه الصادق الأمين كلماته ، المبعوث بالملة السمعة ، ومن أركاها حج بيت الله
 المقدسة أركائه ووجرائه ، المعظمة عند الله حرمانه ، المعفورة بان سبقت له الحسنيا
 بحجه سيئاته ، وعلى آله وأصحابه الذين قضوا رضى الله عنهم وهم أولياء دينه الكريم
 وولائه ، وأنصار حربه المفلح وحماته ، ويؤت دناعه في صدور الأعداء ووجائه .
 والرضا عن الإمام المهدي القائم بهذه الدعوة الموحدية قيام من خاصت له نيأته ،
 وصدق في ذاته دعواته ، وصممت لإظهار دينه القويم عزماته ؛ وصلة الدناء
 لهذا المقام الأحمدي المتوكل الفاروق ، بتصير تمضي به في صدور أعدائه شبائه ،
 وعز يطرد به استقلاله وثباته ، وسعد تطيب به أيامه المتصلة وأوقاته ، وتطول
 به حياته .

فإننا كتبنا لسلطانكم - كتب الله لكم من إسماعه ما يتكفل بمره ونصره ، ويتضمن
 إطالة زمنه المبارك وعصره ، ويقوم بحفظ فطره الشريف ومصره - من حضرتنا
 العلية "قونس" كلاًها الله تعالى ، ووجوه نصر الله العزيز لدينا وضاحة الأسرة
 متبلجة الصور ، وآيات فتحه المبين ولفه المنة محكمة السور ، وأحاديث الشكر على نعمه
 سبحانه مسلسلة الخبر ، ويثربنا بما من الله به عليكم قد عمل بمقتضاه من تحت
 لآياتنا الكريمة من البشر . وإلى هذا فوجه إليكم بعد تقريب حب شرعت في مله
 الوفاء قواعده ، وقيل في عقد الصفاء شاهده ، وأستقل بصلة الخلوص عائده ، وثبت
 في مرسوم الصداقة الصادقة زائده ؛ إعلامكم أنا علم الله من حين أنصل بنا خبركم
 الذي جره القدر المقدور ، وجرى به في أم الكتاب الحكيم المستطور ، لم نزل نتوجه إلى

(١) مراده من تحت حكنا وسياستنا .

الله تعالى في مظان قبول الدعاء، ورفع النداء؛ بأن يجبركم بفضلته من حيث صدق،
ويصلكم بغيره إثر ما قطع، ويعطيكم من نعمته أضعاف مائة، إلى أن دارك الله
بلطفه وأجاب، وتأذن بفضلته في قبول الدعاء بظهور الغيب وهو مستجاب، فرد
عليكم ملككم، وصرف إليكم ملككم، فاخذ القوس باريها، وفوق السهم مقرطها
وراميها، وأخذ القضايا حكماً ومقنيا، وإذا كان العويل يفضي إلى النجدة، والبلأ
يقضي بالجلدة، والفرج يذفع في صدر الشدة، فلا جرم خفر الله للأيام ما اقترقت،
لما أنابت وأعترفت، وهل هو إلا التحيص الإلهي أراكم الله من باطن الضراء
سراءكم، وأجزل من جانب الغماء نعماءكم، والتبر بعد السبك يروق النواظر خلاصة
نضاره، والبدر بعد السرار تتألق أشعة أنواره .

ولما جاءنا بنصركم البشير، وطلع من نية الهناء بأنجام السرور إلينا يسير، هررنا
له أعطاف الأرتياح، وتلقينا منه وارد التهاى والأفراح، وحمدنا الله لكم على ما من به
من الفوز والتجاح؛ ورأينا أن تهنتكم به من فروضنا المؤكدة، وعهودنا المجتدة،
وأنة لا يقوم به عنا هنالك، ويؤدى ما يجب منه بين يدي كرمي جلالكم، إلا من له
من ديار الملوك، قرب الأدب والسلوك؛ فاقطنى نظرننا الجميل أن عينا له شيخ دولتنا
المستشار، وعلمها الذي في مهماتها إليه يسار؛ فلان .

وقد كان منذ أعوام يتطارح علينا في أن نحلى للفتح سبيله، ونبأه من ذلك مأمولة،
ويذ الضنة لا تسمع به طرفة عين، ونفس الإعتباط لا توجب فيه دواعي البين، إلى
أن نعين من تهنتكم الكريمة ماعيته، وسهل شأته علينا وهونه، فوجهناه والله تعالى
يسعد وجهته، ويجعل حجه لقبول الأعمال حجة . وحملناه من أمانة الحب ما بقي
إليكم، ومن حديث الشوق ما يقص أخباره عليكم، ومن طيب الشاء ما يقص ختامه

بين يديكم، وأصحبناه برغم اضطبلاتكم الشريرة ما بسر الحب سبيلها، وأوضح الخلوص دليلها، ورجونا من فضلكم على نزارتها قبولها، إذ لو كانت الملوكة تُهادى على قدر جلاطها، لما أنسعت لذلك خزائن أموالها، أكنها عنوان الحب السليم، حسب ما اقتضاه الحديث النبوي الكريم .

وفي أثناء شرونا في ذلك، وسألوكنا منه أيمن المسالك، وصل إلينا كتابكم الكريم، تعريف النواظر في وجوه بشائره نضرة النعم، فأطلعنا منه على ما راق العيون وصفنا ونعتنا، وعبر للخلوص سبيلا لا ترى القلوب فيها عوجا ولا أمنا، والله هو من كتاب كتب من البيان تكاتب، وأستأثر بفلك الإجابة فأحرز به سعادة الكاتب، فقسما بالقلم وما سطر! والخبير وما حبر! لو رآه عبد الخيد لتركه غير حميد، أو بصره بيده لأعاده في مقام بليد، ولو قُصص على قس إباد فصاحت له لثله عن منبر خطابته بعكاز، أو صحب على سبحان وإيل ذيل بلاغته لأراه كيف يتولد السحر الحلال بين المعاني الراقية والألفاظ .

ولما استقرينا من فحواه، وخطابه الكريم ونحوه، تشوقكم لأخبار جهادنا، وسروركم بما يُسببه الله من ذلك بلادنا، رأينا أن نُخفف أسمعكم منه بما قوت به عين الإسلام، وأتبع صدور الليالي والأيام . وذلك أنا من حين صدر من عدو الملة في الجزيرة ماصدر، حسب ما جرّه محتوم القدر، لم نزل نبيح لأساطيلنا المنصورة حرمة وسماء، ونطرق طروق الغارة الشعواء بلادهم وقراء، ونكتسح بأيدي الاستلاب ما جمعت بها يدها، إلى أن ذاقوا من ذلك وبأل أمرهم، وتعرفوا ناقية مكرم .

وكان من جزائهم المعترضة سببا في خلوق الخطار، ومجتبى الأخطار، وركاب البحار: من الحجج والشجار، جزيرة "غودش" وبها من أعداء الله جم كثير، وجمع

كبير، فأرسلنا عليهم من أسطولنا المنصور غربانا نعتت عليهم بالمؤمن ، وعرفت المسلمين بركة هذا الطائر الميؤمن ، وشحنها عدداً وعدداً ، واستمددنا لها من الله ملائكة سمائه مدداً ، فسارت تحت أجنحة النجاح إليها ، وتحوم إلى أن رمت تحالب حراسها عليها ، فلما نزلوا بساحتها ، وكبروا تكبيرة الإسلام لإباحتها ، هبت الذي كفر ، وودَّ الفرار والحين يناديه أين المفرء ، فلما قضى السيف منهم أوطاره ، وشفى الدين من دماهم أواره ، وشكر الله من المسلمين أنصاره ، عمدوا إلى ماخطاه السيف من واليد وولد ، ومن أخذ إلى الأرض من رجالهم عن المدافعة فلم يعترضه بالقتل منهم أحد ، بجمعوا منهم عدداً يُنيف بعد الأربعانة على الأربعين ، وجاءوا بهم في الأصفاذ مقرنين ، وأمتلأت بغنائمهم والحمد لله أيدي المسلمين . وأنقلبوا فرحين بما آتاهم الله مستبشرين ، إلى أن دخلوا حضرتنا العلية بسلام آمين .

فعرناكم بهذا الفتح : لتأخذوا بحظكم من شكر الله عليه ، وتتوجهوا في مثله بصالح أديعتكم إليه ، وهو سبحانه وتعالى يطعمنا ويطعمكم على مايسر النفوس ويهينها ، ويملو وجوه البشائر ويبيديها ، بتمه وكرمه ، والسلام العطر المحيا الجميل المحيا عائداً عليكم ورحمة الله وبركاته .

الجملة الثانية

(في المكاتبات الواردة عن صاحب "تلمسان" من نبي عبد الواد)

ورسم مكاتبه فيما وقعت عليه في المكاتب الواردة على صاحب الديار المصرية أن يبدأ الكتاب بقوله : إلى الحضرة الفلانية حضرة فلان - بالألقاب المعظمة المفحمة ثم يدعى له بما يناسب الحال ، ويؤتى بخطبة ، ثم بالسلام ، ويقع الخطاب في أثناء الكتاب بالإخاء بلفظ الجمع ، ويحتم بالدعاء المناسب .

كما كتب عبد الرحمن بن أبي موسى بن يَمْرَاسِن ، إلى السلطان الملك الناصر
(محمد بن قلاوون) في سنة خمس وعشرين وسبعمائة :

إلى الحضرة العالمة السامية ، السنية ، الماجدة ، المحسنة ، الفاضلة ، المؤيدة ،
المظفرة ، المنصورة ، المالكة ، حضرة السلطان ، الملك ، الجليل ، الفاضل ،
المؤيد ، المنصور ، المظفر ، المعظم ، ناصر الإسلام ، ومُذَلِّ عبدة الأصنام ، الذي
أيده الله بالبراهين القاطعة ، والأثوار المنيرة الساطعة ، الأعلى ، الأوحد ، الأكل ،
الأزفع ، الأئجد ، الأسمى ، الأسمى ، ذى العبد الظاهر ، والشرف الباهر ، الملك
الناصر ، ابن السلطان ، الملك ، الجليل ، العادل ، الفاضل ، المؤيد ، المظفر ، الأعلى ،
الأوحد ، الأكل ، الأزفع ، الأئجد ، الأسمى ، الأسمى ، ناصر الإسلام والمسلمين ،
ومُعَلِّي كلمة الموحدين ، المقدس ، المرحوم ، ذى المجد المشهور ، والفخر المنشور ،
والذكر المدخور . الملك المنصور ، أدام الله علو قدره في الدنيا والآخرة ، وأسبغ عليه
نعمه باطنه وظاهره ، وجعل وجوه محاسنهم في صفحات الدهر سارة سافره ،
وصفحة أعدائهم خائبة خاسره .

وبعد حمد الله الذى أظهر الأمر العلى الناصرى وأيده ، وبسط في قول الحق
وفعله لسانه ويده ، وسدّد نحو الصواب متجاه كُله ومقصدّه ، والصلوة التامة المباركة
على سيدنا محمد رسوله المصطفى ، الذى خصّه الله بعموم الدعوة وأفرده ، وقرن ذكره
بذكره فأبقاه أبد الدهر وخَلده . والرّضا عن آله الكرام ، وحقابته الأعلام ، الذين
حفظوا بالتوقير والتعزير مغيبه ومشيده ، وكانوا عند استئلال السيوف ، وجمال
الختوف ، عدده المظفر وعدده . والدعاء لذلّم المقام الشريف بسعد يطيل في شرف
الدين والدنيا مدده وأمده .

سلامٌ عليكم ورحمةُ الله وبركاته ، من أخيك ، البرّيك ، الحريص على تصافيك ،
عبد الرحمن بن أبي موسى بن يغمراسن ، وإنا كتبناه إليكم كتبَ الله لكم أنجح
المقاصد وأرحمها ، وأتبعها عِزًّا وأَوْصَحها ، من حصن "بلسان" حرسها الله تعالى ،
ولا نأخى بفضلِ الله تعالى إلا ما عَوَدَ من بشارتِ رُحْمَتِ جِياذُها ، ومَسارٍ يتناولُ
إلى العزِيدِ أَعْتِياذُها - وإلى هذا أعلى الله كلمتكم ، وأمتع المسلمين بطول بقائكم ،
فإنا نعرفكم بوصول كتابكم الخَطيرِ الأثير ، فنلقيناه بما يجب من التكرم والتعظيم ،
وتتبعنا فُصوله ، وأسْتَوْعَبنا فُرُوعه وأُصوله ، ونَحَقَّقنا مَقْتَضاه ومَحْصُوله ، وعلمنا
ما أَنْطَوَى عليه من المِنَّة والإفضال ، وأشتمل عليه من التفصيل والإجمال ، ومن أعظم
ذلك إذْ نَكَّم لنا في أداء فرض الحجِّ المبرور وزيارة سيد البشر، الشفيع في المحشر ،
الذي وجبت له نبوته ، ومُنَى الغيب عليه مُنْجِدِل ، وأدم صلوات الله عليه في طينته
مُنْجِدِل ، ودلم الله أننا لم نزل آمالنا متعلقة بِطُكِّ المَشاعيرِ الكريمة ، وقلوبنا متشوقة
إلى نِكِّمِ المَشاهِدِ العظيمه ، فلنا في ذلك نيات صادقة التَّجْوِيم ، وعَرَماَتُ داعية
التصميم ، وكان بؤدنا لو ساعدنا المِقْدار ، وجرى الأمر على ما نُحِبُّه من ذلك ونُحْتار ،
أن نُمْتع برؤية المواطن التي تُفَرِّجُ أَبصارا ، ويُتَشَفَى بها إيرادا وإصدارا ، ولعلَّ الله
تعالى يَنْفَعنا بِخالص نياتنا ، وصادق طَوِيَّاتنا ، بمنه وكرمه .

وقد وجب شُكْرُكم علينا من كلِّ الجهات ، وأتصلت المحبة والمودة طُولَ الحياة ،
غير أن في قلوبنا شيئا من ميلكم إلى غيرنا وأسْتِنْنا سَكَم ، ونحنُ والحمد لله أعلم الناس
بما يجب من حقوقِ ذلكم المَقامِ الشريف ، ولنا القُدرة على القيام بواجبكم ، والوفاء
بكرمِ حقكم ، وليس بيننا وبين بلادكم من يُحْتَسَى والحمد لله من كيدِه ، ولا يَبْأَلِي بهزله
ولا جِدّه ، وقد توجّه إلى بابكم الشريف قرابتنا الشيخ الصالح الحسيب الأورع
الأكل الزاهد أبو زكريا يحيى ابن الشيخ الصالح المرابط المقدس المرحوم أبي عبدالله

محمد، بن جرار الوادى، وهو من أهل الدين والخير، وقد شاقهنا بما يلقى به إلى ذلك المقام الشريف من تقرير الود والإخاء، والمحبة والصفاء، مما يعجز عنه الكتاب؛ فللمقام الشريف يتق إلى قوله ويعامله بما يليق ببيته ودينه، وغرضنا أن نعرفه بجميع ما يصلح لذلك المقام الشريف مما في بلادنا، ويصلحكم إن شاء الله في أقرب الأوقات، على أحسن الحالات، ولكم بذلك علينا المنة العظمى، والمزية القسوى، والله تعالى يبني ذلك المقام الشريف محروس المذاهب، مشكور المناقب؛ إن شاء الله تعالى.

المجلة الثالثة

(في المكاتبات الواردة عن صاحب "فاس" إلى الأبواب

السلطانية، بالديار المصرية)

وعادة كتبهم أن تفتح بلفظ « من عبد الله فلان أمير المسلمين » . وأول من كتب منهم أمير المسلمين « يوسف بن تاشفين » حين استولى على المغرب، قبل بى صرين، خضوعاً أن يتلقب بأمر المؤمنين مضافاً للخلفاء . وهو :

من عبد الله على أمير المسلمين، وناصر الدين، المجاهد في سبيل رب العالمين، ملك البرين، ومالك العدوئين، ^(١) أبى سعيد، ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، ملك البرين، وسلطان العدوئين، أبى سعيد ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، ملك البرين، وسلطان العدوئين، القائم لله بإعلاء

(١) كذا في الأصل الوحيد وصوابه "أبى الحسن" كما يؤخذ مما تقدم في الكلام على ملوك فاس من أن عليها هذا يكنى أبى الحسن وأنه ابن الساطق أبى سعيد عثمان ابن السلطان أبى يوسف جعقوب بن عبد الحق ظل ماقى الاصل من أعمال النسخ فتنه .

دين الحق، أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، منح الله التأييد مقامه، وقسح لفتح
معاقل الكفر وكسر جحافل الصفر بأبامه .

إلى السلطان، الجليل، الكبير، الشهير، العادل، الفاضل، الكامل، الحافل،
الملك، الناصر، المجاهد، المرابط، المتأخر، المؤيد، المظفر، المنصور، الأستعد،
الأستعد، الأرق، الأوفى، ناصر الدنيا والدين، وقامع البغاة والمعتمدين، مفيد الأوطار،
مفيد الكفار، هازم جيوش الأرمين والفرنج والكرج والتتار، مالي صدور البراري
والبحار، حامى القبلتين، خديم الحرمين، غيث العفاة، عون العناة، مصرف
الكتاب، مشرف المواقب، ناصر الإسلام، ناشر الأعلام، فخر الأنام، ذخر الأيام،
قائد الجنود، عاقد البوند، حافظ الثغور، حامى الجمهور، نظام المصالح، بقية السلف
الصالح، ظهير الخلافة وعضدها، ولي الإمامة وسندها، عاضد كلمة الموحدين، ولي
أمير المؤمنين، أبي المعالي (محمد) ابن السلطان، الكبير، الجليل، الشهير، الشهيد،
الخطير، العادل، الفاضل، الكامل، الحافظ، الحافل، المؤيد، المظفر، المعظم
المجمل، المكبر، الموقر، المعزز، المجاهد، المرابط، المتأخر، الأوحده، سيف الدين
(قلاوون) أدام الله فضل عزمه الماضى بتأييده، وأدار الأفلاك بتشيده ملكه
الشامخ وتمهيدته، وطهر أرجاءه من أرجاس المنافقين، وأذناس المارقين، بما يريق
عليها من دماهم، فما كل متطهر يجزئ عنه غسل مائه أو تيمم صعيده .

سلام كريم، طيب عميم، أرجب الشميم، متضوع النسيم، تستمد الشمس باهر
سنانه، ويستعير المسك عاطر سنانه، يخص إحاء كم العلى، ووقاء كم الوقي،
ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذى أيد المؤمنين، على عدوهم فأصبحوا ظاهرين، وعرف
الإسلام وأهله من السر العجيب، والصنع الغريب، ما فيه عبرة للسامعين والنظرين،

حِكْمَةٌ عَجَزَتْ عَنْ فَهْمِ سِرِّهَا الْمَكْتُومِ ، وَقَصُرَتْ عَنْ كُنْهَيْهَا الْمُخْتُومِ ، أَلْبَابُ عَيْسِدِهِ
 الْقَاصِرِينَ . وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الَّذِي أُرْسِدَ بِهِ الْخَائِنِينَ
 الْحَاثِرِينَ ؛ وَأَرْسَلَهُ بِالْمُهْدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَلَّمَهُ بِرَغْمِ الْجَاهِلِينَ
 الْكَافِرِينَ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَيْهِ وَبِلَادِهِمْ هَجَرُوا ، وَالَّذِينَ آوَأُوا مِنْ أُوْىِ
 إِلَيْهِمْ وَنَصَرُوا ، وَالَّذِينَ جَاءَهُدُوا فِي اللَّهِ فَصَبَرُوا ، فَفَازُوا بِذِكْرِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
 وَأَجْرِ الْمُجَاهِدِينَ الصَّابِرِينَ ؛ وَصَلِّهِ الدُّعَاءَ لِحَزْبِ الْإِسْلَامِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا
 بِفَضْلِ لَا يَزَالُونَ مَعَهُ لِأَعْدَائِهِمْ قَاهِرِينَ ، وَسَعْدٍ لَا يَنْفَكُونَ لَهُ بِأَمْلِهِمْ ظَافِرِينَ ،
 وَنَصْرٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ .

فَإِنَّا كَتَبْنَا لَكُمْ - كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ مَجْدًا مَدِينَةَ الظَّلَالِ ، وَعَضُدًا حَيِّدَةَ الْإِلَالِ ، وَسَعْدًا
 جَدِيدَ الشَّرِبَالِ - مِنْ مَنْصُورَةِ "تِيَامَسَانَ" حَرَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، وَالصَّنَائِعُ الرَّبَّانِيَّةُ تُكَيِّفُ
 الْعَجَائِبَ ، وَتُعَرِّفُ الْعَوَارِفَ الرِّغَائِبَ ، وَتَسْتَنْفُ الْأَسْمَاعَ بِمَا تُسْمِعُهَا مِنْ إِجْزَالِ
 الْمُنُوحِ وَالْمَوَاهِبِ ، وَتُقَوِّفُ الرِّقَاعَ بِمَا تُودِعُهَا مِنْ أَحَادِيثِ الْفُتُوحِ الْغَرَائِبِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
 عَلَى مَا يَسَّرَ مِنَ الْمَأْرَبِ ، وَسَمَّلَ مِنَ الْمَوَاهِبِ . وَإِخَاؤُكُمْ الصَّادِقُ مَبْرُورُ الْجَوَانِبِ ،
 مَا نُورِ الْمَنَاقِبِ ، مُشْرِقُ الْكَوَاكِبِ ، مُغْدِقُ السَّعَائِبِ ، نَائِي الْمَرَائِبِ ، سَائِي الْعَرَاقِبِ ،
 وَاللَّهُ تَعَالَى يُبْقِيهِ فِي ذَاتِهِ ، وَيُقِيهِ مِنْ صَرْفِ الدَّهْرِ وَأَذَاتِهِ . وَإِلَى هَذَا وَصَلَ اللَّهُ
 لَكُمْ سَعْدًا جَدِيدًا ، وَجَدًا سَعِيدًا ، وَمَجْدًا حَمِيدًا ، وَمَجْدًا حَمِيدًا ، فَقَدْ وَصَلَ كِتَابُكُمْ
 الْأَيْمِرَ ، الْمُرْزَى بِالْمَسْكَ النَّثِيرِ ، فَاجْتَلَيْنَا مِنْهُ رَوْضَةً جَادَهَا الْبَيَانُ فَأَمْرَعَهَا ، وَرَادَهَا الْبَيَانُ
 فَوْشَعَهَا ، وَاجْتَنَبْنَا مِنْ غُصُونِ سَطُورِهِ ثَمَرَاتٍ وَدَادٍ مَا آتَيْتُهَا ، إِنْبَاءً عَمَّا تَلَقَّاهُ الْإِخَاءُ
 الْكَرِيمَ مِنْ قِبَلِ الشَّيْخِ الْأَجَلِّ ، أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَرَّاحِ مِمَّا عَنَّا تَحْمَلُ ، وَفِي إِفْقَائِهِ

وأدائه بمحضرتكم الكريمة أحسن وأجمل ، وهو ما كان عليه عزيم مؤلاتنا الوالدة
الحقها الله تعالى رضوانه ، وبوأها جأته : من حج البيت المحرم ، وزيارة [القبر] المعظم
المكرم ، والصلاة بالمسجد الحرام ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وفائتها في شد
الرجال المسجد الأقصى ونعم المغتم ، وقضاء النكس بتلك المناسك والمشاهد ، والبرك
بتلك المعالم المنيفة والمعاهد ، وما وصف مع ذلك بهذا الجانب الغربي ، ووصف
من أمر قتلنا لكل مارق أبي وكافر حربي ، وما منحنا الله من تزيين لوب أهل
الإيمان مبهج ، ولصدور عبدة الصلبان مخرج ، وأن الإخاء الكريم حصل له بذلك
أهبي آتجاج ، وحل منه محل القبول الذي آتج له من أفتى سبيل القصد أنهى
آتجاج ، فمقد العزم على تلقى الوافد من تلقائنا ، والوارد رجاء أداء فرض الحج من
أرجائنا ، بتسهيل سبيله ، وتيسير أرتعاله إلى بيت الله ورسوله ، وأنه متى وقع الشعور
بتقدم المولاة رحمها الله تعالى على بلاده ، وقرها من جهاته المحجودة من جود جوده
بمهاده ، يقدم للخروج من يتلقى ركبها ، ويعتمد بالبر والتكريم جابها ، حتى تمد وجهتها
الشريفة بجبل نظره وإيابها ، وقام عنا بتأوده من برها ، وساهم فيما تقدمه إلى الله عز
وجل من صالح أجرها ، وقد قابلنا هذا الفضل من الشكر بأجرله ، ومن البر بأحفاه
وأحفله ، وحصل لدينا بإزائه سليم وده وكريم إخوانه ، من تخليص ولأته ، وتمحيص
صقانه ، من لا يزال عهد الأتيق في نهائه ، وعقد الوتيق في أزد يده وتمائه ، وغضنه
الوريق في رويق غلوائه ، ولئن كانت المولاة الوالدة قدس الله روحها ، وبرد ضريحها ،
قد وافت بما قدمت عند الله من صالح العمل ، وماتت على ما أبرمت في قصد البيت
الشريف من نية وأمل ، اذ كانت رحمة الله تعالى عليها قد تأهبت لذلك ، واعتدت
لسلوك تلك المسالك ، وأداء ما فرض الله من السعاية والمناسك ، وعلى الله إجزال
نوايا ، وعنده نحتسب ما ألمم فآلم من مصابها - فإن لدينا ممن يبت بحرمة الحرم إينا ،

ويلزم بحق التربية علينا، من يقومُ عندنا مقامها، ويرومُ من ذلك المقصد الشريف مرامها، وسنوردها إن شاء الله تعالى على نلِّكم البقاع، ونوردها من نلِّكم الأقطار والأصقاع، ما يجعلُ بحسن نظركم مورده ومصدره، ويطابق في جميل آعتنائكم وحفيل احتفالكم حبه ومحبه، بفضل الله وعونه .

وأما تشوق ذلكم الإخاء، لمواصلة الكتب بسائر الأنباء، فإن من أقرها عهدا، وأعدتها حديثا يهادى ويهدى، ما كان من أمر العاق قاتل أبيه، الحال من إقليم تلمسان وممالكها بالمحل النبيه، وذلك أن أسلافه بن زيان، كانوا قد استولوا على هذه المملكة في سالف الزمان، ولم يزل بينهم وبين أسلاف المحتوين على ملك المغرب الأقصى وقائع تُوردهم الحام، وتذيقهم الموت الرؤم، فيدعون المنازعة، ويعودون للوادة، ثم لم يلبثوا، أن يتكثروا، ولم يصبوا، أن يفدروا، إلى أن كان من حصار عمنا المقدس المرحوم أبي يعقوب قدس الله تربته إياهم، فأكثر موتهم وكدر محياهم، وتعادى بهم الحصار سبع سنين، وما كانوا غير شردية قليلين، وهنالكم اتصلت بينكما المراسله، وحصلت الصداقة والمواصله، ثم حم موته، وتم قوته، رحمة الله تومه، ورضوانه يشمله وبعمه، ففتس خناقهم، وعاد إلى الإيدار محاقهم، وصرف القائم بعده عنهم الحين، عما كان هو رحمة الله قد طوعه من بلاد مغراوة وتحين، فأثسعت عليهم المسالك، وملكوا ما لم يكن فيه لأوائلهم طمع من الممالك، لكن هذا الخائن وعمه كانا من أسارته الفتن، وعم به فيها غوامر الميحن، فسلكا مسلك أسلافهما في إذاعة المهاده، والروضان عن الإعلان بالمقاتته .

ولما سؤل الشيطان لهذا العاق قتل والده، والإستيلاء على طارفه وتاليه، لم يقدم عملا على إشغاص إرساله بحضرة مولانا المقدس أبي سعيد، قدس الله

مَنَوَاهُ ، وجعل الجنة مأواه ، في السَّلْمِ راعباً ، ولحُكْمٍ ، وادعته طالباً ، فاقنضى النظر المصليحي حينئذ موافقته في غرضه ، وإن كان باطنه على مراضه ، فقوى أمره ، وصيرى ضره ، وشيرى شره ، ووَقَدَ تحت الرماد بحره ، وسرى إلى بلاد جيرانه الموحدين داؤه ، و طال عليهم تضييقه واعتدائه ، وأستشعر ضعفهم عن مدافعتيه ، وهنهم عن مقاومته ومنازعته ، فبغى وطمغى ، ولم يدر أن من فوقه سَقَبَ السماء رَقاً ، وباطن جماعة من عرب أفريقية المفسدين وبحره بحيل الأطماع إليها ، وأقام على بحاية عشرين سنة يشد على بحاية الحصار ، ويشن على أخواز تونس النغار ، حتى كان من هزيمة جيشه لصاحبها ما كان ، بمالأة منهم ومن غيرهم من وراثيه (٩) كابن الفحاني ، وأبن الشهيد ، وأبن عمران ، فأدعى ذلك صاحبها السلطان أبا يحيى أعزّه الله تعالى أن بعث إلينا وزيره في طلب النصرة رسولاً ، وأوقد علينا أعز ولده أبا زكريا في إذهاب المضرة عنه دخيلاً ، فخطبنا إذ ذاك هذا الخائن العاق مبصرين ، ويقوله تعالى ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين أقتلا فأصليحوا بينهما ﴾ مذكرين ، فما زاده الموعظة الاشرأ ، ولا أفادته التذكرة إلا بطراً ، وحين ذكّر فلم تنفعه الذكرى ، وفكّر فلم يتيسر لليسرى ، آمتلنا فيه أمر الله تعالى المرتب على قوله ﴿ فإن بعث إحداهما على الأخرى ﴾ فآزمعنا قُدعه ، وأجمعنا رده وردعه . وفي أثناء ذلك وصل إلينا أيضا سلطان الأندلس مستفتياً على النصارى أعداء الله جيرانه على طاغيتهم ، المصير على عداوته وعداوتهم ، بفحوزنا معه ولدنا عبد الواحد في أربعة آلاف من الأبطال ، وأممدناهم بما كفاهم من الطعام والعدّة والمسال ، فأجاز من سبنة إلى الحضراء بحللاً ، ولم يُقدّم على منازلة جبل الفتح عملاً ، وكان هذا الجبل الخطير شأنه منذ استولى عليه العدو قصمه الله في سنة تسع وستين تسجاً في قموات أهل العُدوتين ، وغُصّة لنفوس الساكنين بالجهتين ،

لإطلاعه عليهما، وإرساله جوارح جواريه إليهما، تخطف من رام العبور يعمر الزقاق،
وما يقرب الملجأ إلى هذا المغفل المستقر من الخفاق، فكم أردل وأتم، وأتمكل وأيم -
فاحاطت به العاديات السواحجُ برأ وبحرا، وأذاقت من به من أحماس الأعلاج شرا
وحضرا، إلى أن أساموه للسلمين قهرا وقسرا، ومنع الله حزبه المؤمنين فتحا ونصرا،
وسمع الطاغية الغادر إجابة الله تعالى بأمره، فطار بما قدر عليه من حشوده وجنوده
إلى إغائته ونصره، فوصله بعد ثمانية أيام، من تسليمه للإسلام، فنزل بحمله ورجله
إزائه، وأقسم بعبوده لا يبرح فناءه، حتى يعيد إليه دينه، أو يلقي منونه دونه،
فاكذب الله زعمه، وأوهن عزمه، وأحنت يمينه، وأقلع بعد شهرين وأيام مذبلا،
وأسرع العود إلى مستقره وأسأله كيف نجما، وكان ذلك سبب إنايته للسلم وأقياده،
وإجابته لترك ما كان له على أصحاب "عمرناطة" من معتاده، وكانوا يعطونه ما ينيف
على الأربعين ألفا من الذهب في العام، ضريبة أزمهم الطاغية أداءها في عقد
مصالحته أي الزام، فبمناه تركها وإسقاطها، والزمناء فيما عقدها له من السلم أن
يدع أشراطها، والحمد لله الذي أعز بنا دين الإسلام، وأذل رقاب عبدة الأصنام،
وقد آعتينا بحصين حصن هذا الجبل تنميا لها وتكيلا، وأبتدأنا من تحصين أسواره
وأبراجه بما يقدو على جبينه ناجا وإكليلا . وكذا في هذه المدية التي جرت بها هذه
الأحوال، وعمرت فيها هذه الأهول والأهوال، منازلين أخانا المتنع "بديجلماسة"
من بعض بلاد القبلة، ومحاولين من إزاحة ضره، والإراحة من شره، ما فيه الصلاح
والفلاح على التفصيل والجملة، لعنايته في الفساد، ودعايته إلى العناد، ومعاذته
صاحب "يامسان"، ومساعدته على البغي والعدوان، فسهل الله آفتناحها، وعجّل
من صنائه الجميلة منها مباحها، وذلك بعد تسليم جبل الفتح بثلاثة أشهر ونصف،
ويسر الله تعالى في ذلك من بدائع الصنائع ما يقصر عنه كل نعت ووصف .

وفي خلال تلك المنازلة ، وحال تلك المحاولة ، لاحظت الخائن التماساني قُرْصه ، جَرَعَ منها عَصَه ، إذ ظنَّ أنا عنه مشْعُولون ، وفي أمرٍ ماعرض من سِحْمِ مَاسَة وَجَبَلَ الفتح معتمِلون ، فخرج من بلده على حين شَقْلَه بالعزيمة والجلد ، إلى حصن ماور ريت الذي هو بين بلاده وبلادنا كالحلْد ، فوجد هناك ولدنا الأسعدَ تاشقين ، في ثَلَّة من بني صرّين ، آسادِ العرّين ، فلما نذرُوا به نارُوا إليه مُسرِعين ، فنكص على حَقْبِهِ ، ولم يرْ له جُنَّة أوقى من هَرَبِهِ ، وواد لذلك ثانيه ، فلم تكن عساكرنا عن طرده وائيه ، بل رَدَّته في الحافرِهِ ، وأنشدته بلسان حايلٍ السائحِهِ :

إِنْ عَادَتِ العَقْرُبُ عُدْنَا لَهَا * وَكَانَتِ النُّعْلُ لَهَا حَاضِرَهُ

ولما فرغنا والحمد لله من تلك الشواغل ، وأرغنا من الخائن التماساني ترك ما هو فيه من إهارة الفتن وإغلب ، فأعرض وأشاح ، وما لاحظ عليه مخيلة فلاح ، نهدنا نحو أرضه ، لتجزيه بقُرْصِهِ ، بجيوش يضيق عنها فسح كل مدي ، وخيول تذر الأكم للحوافر تُجْبِدَا ، تنقض على الأقران أمثال الأجادل ، وتقض الجنادل من حوافرها بأصلب من الجنادل ، فكفنا بتسلم منازل مزيلا فمزلا ، وتسّم معاقله معقلا فمعقلا ، وجل رعاياه أقر بفضلنا ، وتفر من جورهِ إلى عدلنا ، ومن تمسك منهم بجبهه ، أو سلك من اللقي في سبله ، فاده السيف برعته ، وأستزله على حكه ، والنفوس مع ذلك يؤمهم ، والإحسان يُسْمَلُهُمْ ويعمهم ، حتى لم يبق إلا معقله الأشب ، ومزله الذي رأى أنه عن عين الشوايب محتجب ، قد شخخ أنفا حيا ، وصالح كفا للثراب ، ولم يرض لهامنه عمام إلا العائم ، ولا لأنامل شرفاته خواتم ، إلا النجوم العواتم ، فنزلنا بساحه ، وأقبلنا على كفاحه ، وجعلنا نقدفهم من حجارة المجانيق ، بأمدل النيق ، ومن كيزان النقط الموقده ، بأمثال الشهب المرصده ، ومن السهام العقاره ، بأمثال العقارب

(١) كذا في الأصل بإهمال الحروف ولعله مصحف عن بزرت نابل

الجراره ؛ حتى غدت جذرائهم مهذومه ، وجسومهم مكلومه ؛ وتغور شرفاتهم
 في أفواه أبراجهم مهتومه ؛ وظلت الفعلة تسيء إزاء أبراجهم أبراجا ، ومهدد منها
 تسوير أسوارهم أذراجا ؛ وللماول في أسانلها إغوال ، وللعوايل على أعالها أحمال ،
 وللأشقياء مع ذلك شدة وجلد ، وعدة وعدد ، وحدة ولدد ، يقاتلون حميه ؛ وينازلون
 بنفوس أبيه ، وحجارة الحجايق تشدح هامهم ، وبنات الكائن تزلزل أقدامهم ؛ وهم
 في مثل ذلك لازمون إقدامهم ، إلى أن آستدت أزمتهم فلم يجدوا لها من فارح ،
 وأحاطت بهم الأوجال من خارج ؛ وهذمت أبراجهم الشواحق ، وريدت حنايرهم
 والحنادق ؛ وأخذت الكوة ، في العروج ، إلى البروج ، والحماة ، في السباق ، إلى الأفاق ،
 والرماة ، في النضال ، بالنصال ، فن مرقي سلما ، غير متقي مؤلما ، ومشتغل بالنقب ،
 غير محفيل بنابور الحجارة المنصب ؛ وأفرج الميضيق ، وأتهج الطريق ؛ وأفتحته
 اطلاب الأبطال ، وولجته أقبال القبائل وولى الأشقياء الأذبار ، وعادوا بالفرار ،
 وبدت عليهم علامات الإذبار ؛ وسابقوا إلى الأبواب ، فكانت يجيئهم من أقوى
 الأسباب ، وقتل منهم الرحام ، من أساره الهدم والحسام ؛ فمملحنا مادارت عليه
 الأسوار الخارجة : كفرار السبع والمذب ، وجميع الحنان والعروش التي ما أنفك الشقي
 يجتهد في عمارتها ويتعب ؛ وأدلتنا بالنداء أن كل من جاءنا هاربا ، ووصل إلينا تائبا ،
 منحاه العفو ، ومحونا عنه الحقو ؛ وأوردناه من إحساننا الصفو ؛ فتبادروا عند ذلك
 يتساقطون من الأسوار ، تساقط جينات الثمار ؛ فرادى ومثنى ، آيين إلى الحسنى ؛
 فيسعهم الصفح ، ويحسبهم المن والمنح .

ولما رأى الخائن قلة من بقي معه ، وشاهد تفرق من ذلك الموقف جمعه ؛ أمر
 بسراح من في قبضته وسجنه ، واعتقدهم عوناً له فكانوا أعون شيء على وهيه ووهيه ،
 وأعتمد الناس في بقية يومهم السور توسع ألقابه ، وتفتقز أبوابه ؛ إلى أن جهم

الليل، وحقاق منهم بالأعداء الوئيل؛ ولزم كل مكرهه، ولم يكن الليل ليحجبه من عمله ولا يحجزه؛ وبات الفرار إلينا يهربون، ومن كل نفق يتسربون؛ فلما ارتفع الضياء، وتمتع الضعاء، أمرنا ولدينا: يعقوب وعبد الواحد، ووزيرنا القاعدله بالمرأصد، بأن زحفوا إليها، مع أطلابنا تحت راياتنا المنصورة عليها؛ فرجفت قلوبهم، ووجبت جنوبهم؛ ولم يكن إلا كلاً حتى أدت طيت تلك الصهوه، ونسنت فيها الدرره، ونسأمت بسيد العنوه، وقصمت عراها عروة عروه، وأزولوا من صياصيمهم؛ وتمكنت يد القهر من نواصيمهم، وحققت عليهم كلمة العذاب من معاصيمهم؛ وفر الشقي إلى قناء داره، في نفر من ذويه وأنصاره؛ وفيهم ولداه مسعود وعثمان، ووزيره موسى ابن علي معينه على البغي والعصيان؛ وعبد الحق بن عثمان الخائن الغادر، وابن أخيه العامل بعمله ثابت بن عامر، فكنفهم هنالك أولياء دولتنا عليه، فأوردوهم ويوسف ولد الشقي السائب حياض المنيه، ونيدت بالعرء أجسامهم، وتقدمنا لقوين، بأن يمد على الرعية ظل التأمين؛ ويوطأ لهم كنف التهديمه والتسكين، ويوطد لهم مهاد العافية، وتكف عنهم الأكف العاديه، حتى لا تمتد إليهم كف مثيب، ولا ينفيت نحوهم طرف مستلب؛ ومن آتتهب شيئاً أمر برده، وضد عن قصده - وكل لنا والحمد لله بالاستيلاء على هذا القطر جميع البلاد، الداخلة في ولاية بني عبد الواد؛ ونسخت منها دولتهم، ومجيت من صحيفتها دعوتهم؛ وعوض الرعايا من خوفهم أمنا، ومن شومهم يمنا؛ وشملتهم كلمتنا الراقية، المنصورة بكلمة الله الباقية؛ وفي ذلك معتبر لأهل اليقين، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة لليقين.

والحمد لله على هذه النعمة التي أفاضت على النعم جلالاً، والصبيغة التي بهرت الصنائع بحملاً؛ وأضقت على المسامين من الصلاح والعافية سربالاً. وقد رأينا من حق هذا الإتمام الجسيم، والصنع الراقى الوسيم؛ أن نبيع العفو بعد المقدرة،

(١) بالإحسان لمن أسلف لنا غمطه أو شكره ، [فمننا] على قبائل بني عبد الواد ، وأضفينا عليهم صنوف الملابس نساء ورجالاً ، وأوسعنا لهم في العطاء بجبالاً ، وأفعمنا لهم من الحياء بجبالاً ، وأقطعنا لهم من بلاد المغرب حاطها الله تعالى ما هو خير من بلادهم ، وحبوناهم منها بما كفل بإحساب مرادهم ، وإخصاب مرادهم ، وحططناهم بقبائل بني مرين ، وحططناهم بالجماد الكلمة من نقول المنقولين ، وتزوير المزورين ، وأعددنا منهم لأوان الجهاد أوفر عدد ، وأعددنا من فرسانهم ورجالهم ليطعان الأعادي أكبر مدد ، وأزيل عن الرأيا بهذه البلاد الشرقية إضرهم ، وأزيج عنهم بتوتى العدل فيهم جزؤهم ووزرهم ، وخففنا عنهم ما آد من المغارم ، وهاد من المكارم ، فانشرحت صدورهم ، وصلحت أمورهم .

والحمد لله الذى تلى محال الباغين ومجالهم ، وأورثنا أرضهم وديارهم وأموالهم ، وأخذهم بما احتقبوا من العاثم ، واكتسبوا من الجرائم واستحلوا من التحارم ، وأباحوا من المنكرات ، وأذاعوا من المنكرات ، وطالما أصبح ربهم معيدن السوق ، وموطن العقوق ، ومقطن إضاعة الحقوق ، لاسيما في أيام المسرور بهناته ، المعرور بما سؤل له الشيطان وأملئ له من ترهاته ، المشهور بقتل أبيه ، الماثور من متالبه ومعابيه بما لم يأت الدهر له بشييه ، ولقد طبقت الآفاق معاصيه ، وبلغت أخبار خيائته من باطراف المعمور وأقاصيه ، ولكن الله تعالى أملئ له ليكثر ما نيمه ، حتى إذا شاء أخذه أخذ القرئ وهى ظلمه .

والحمد لله الذى طهر بأيدينا هذه الأرحاء من أرجاسه ، ورخص عنها بأيدينا أوضار أدناسه وأنجاسه ، وأباح لأهلها بهلاك هذا المرید المراد ، وأراح منه ومن شيعته

(١) يرض في الأصل هذه الكلمة وقد اجتبناها من المقام .

(١١) البلاذ والعباد ؛ ولولم يكن إلا ما نال الحجاج من تعذيبه وتعذيبه ، وطال عليهم من تعرضه لهم وتعذيبه ؛ حتى حجز عن الحجاز الشريف قصاده ، وحجز بقطع السبيل عن بيت الله الحرام من أراده ؛ فكسب الحجاج ، وسد عليهم المسالك والفجاج ؛ وفرق فريقهم ، وعوق طريقهم . والآن بحمد الله حقت الحقائق ، وارتفعت العوائق ؛ وصح العليل ، وفتح السبيل ؛ وتسهل العرام ، وتيسر القصد إلى البيت الحرام ؛ مكان رده الزوار عليكم أرسالا ، ووفود الأبرار للسلام خفانا ونثالا ؛ يأتون من كل فج عميق ، ويقضون ما يقضون من مناسكهم ، آمين في مسالكهم ، إلى البيت العتيق ؛ وهكذا أيضا خلا وجهنا لجهاد الروم ، ولإعداد من يغزونها في عقر دارهم للقصد المروم ؛ وأن نجدد من هذا العمل بجزيرة الأندلس حماها الله تعالى ما لسلفنا بها سلف ، ونبدد من شمل عباد الصليب ما خلّفهم بفضل الله تعالى خير خلف ؛ فعمل الجهاد ، بهذه البلاد ، هو الفضيلة التي لنا الله سبحانه ذنرها ، والحسنة التي في صفاتها أعمالنا سطرها ، ويجوئنا المنصورة عز دين الإسلام بهذا المغرب الغريب ، وبسوفنا المشكورة والله المشكور ذل بها الصليب ، أوزعنا الله تعالى شكر آلائه ، وأمتنا بتواتر نعمائه ، بمنه وفضله .

وأهينا لعلمكم الكريم هذه الأنباء السارة ، والآلاء الدآزة ؛ لما ذكرتم من تشوقكم لإستطلاعها ، وسطرتهم من تشوقكم لإستماعها ، ولعلمنا أنكم تسرون بقطع دابر الباغين ، وتشتبشرون بحجم أنواء الطاغين ؛ وتؤثرون بالإخبار بإتلاف الكلمة على أعداء الله الكافرين إثار الحامدين لفعل الله تعالى في إظهار دينه الشاكرين . لازتم تشرع تحوكم المباشر ، وتفرع بذكركم المنابر ، وترقع لأجتلاء آثار أمركم الستار ،

(١) لم يذكر في الكلام جواب لو ، ولكنه معلوم أي تكفى تأمل .

وَأَسْرَجَ جَلَاءَ أَخْبَارِ سِيرَتِكُمُ الْبَاهِرَةِ النَّوَاطِرَ، وَتَجَمَّعَ لِسَجَايَاكُمْ السَّنِيَّةَ الْعَلَاءَ، وَمَزَايَاكُمْ الْعَلِيَّةَ السَّنَاءَ، نَوَاقِبُ الْمَنَاقِبِ وَقَوْلُ خَيْرِ الْمَفَاحِرِ، إِنَّ شَاءَ اللَّهُ . وَالسَّلَامُ الْأَثَمُ، الْأَضْوَعُ الْأَثَمُ، يُحْصَى إِخَاءُكُمْ الْأَوْفَى، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

قلت : جواب هذا الكتاب [تقدم] في الكلام على المكتوبات عن الأبواب السلطانية في المكتوبات إلى الملوك .



وهذه نسخة كتاب ورد من أبي الحسن المرينيِّ صحبة الهدايا، والحرة الحاجة في شهر رمضان المعظم سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، ونصه بعد البسملة :

من عبد الله على أمير المسلمين، ناصر الدين، المجاهد في سبيل رب العالمين، ملك البرين، مالك العدوتين، ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، ملا البرين، سلطان العدوتين، أبي سعيد، ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، ملك البرين، وسلطان العدوتين، أبي سعيد،^(١) ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، ملك البرين، وسلطان العدوتين، أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، منح الله التأييد مقامه، وفسح لفتح معاقل الكفر وكسر جحافل الصفر أيامه .

إلى السلطان الجليل، الكبير، الشهير، العادل، الفاضل، الكامل، الكافل، الملك، الناصر، المجاهد، المرابط، المؤيد، المنصور، الأسعد، الأصعد، الأرق، الأوفى، الأتجد، الأتجد، الأتجم، الأتجم، الأوحده، الأوفى، ناصر الدين، عاضد كلمة المسلمين، محيي العدل في العالمين، فاتح الأمصار، حائر ملوك الأقطار، مفيد

(١) تقدم في ص ٨٧ من هذا الجزء التنبيه على سلسلة نسب أبي الحسن فنه .

الأوطار، مُبِيدُ الكُفَّارِ، هازِمُ جُيُوشِ الأَرَمَنِ والقَرَنَجِ والكُحْجِ والنَّارِ، خادِمِ
 الحَرَمِينَ، غَيْثُ العُقَاةِ، غَوَّثُ العُنَاةِ، مُصَرِّفُ الكِتَابِ، مُشْرِفُ العَوَاكِبِ، ناصِرِ
 الإسلامِ، ناصِرِ الأَعْلَامِ، نَخْرِ الأَنَامِ، ذُنُورِ الأَيَّامِ، قائِدِ الجُنُودِ، عاقِدِ البُنُودِ، حافظِ
 الثُّغُورِ، حائِطِ الجُمُهورِ، حاميِ كَلِمَةِ الموحِدِينَ، أبايِ المَعَالِي، محمدِ بنِ السُّلطانِ،
 الجليلِ، الكبيرِ، الشَّهيرِ، الشَّهيدِ، الخَطيرِ، العادلِ، الفاضِلِ، الكافلِ، الكاملِ،
 الحافظِ، الحافلِ، المؤيَّدِ، المُكْرَمِ، المَبجَلِ، المَكبَّرِ، الموقرِ، المعزَّرِ، المعزَزِ، المجاهدِ،
 المرابطِ، المُتَأَمِّرِ، الأُوحدِ، الأُسْعِدِ، الأَصْعِدِ، الأوفى، الأَنْقَمِ، الأَنْصَحِ، المقدسِ،
 المرحومِ، الملكِ المنصورِ، سَيْفِ الدُّنْيَا والدِّينِ، قَسِيمِ أميرِ المُؤْمِنِينَ . أبقَى اللهُ مُلْكَهُ
 موصولَ الصَّوْلَةِ والأَقْبِدَارِ، مَحْيَى الحُوْزَةِ حَامِيًا لِلدِّيَارِ، حَمِيدَ المَأْتَرِ المَأْتُورَةِ والآثَارِ،
 عَزِيزَ الأَوْلِيَاءِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ والأَنْصَارِ .

سَلامٌ كَرِيمٌ، زَاكٍ عَمِيمٌ، تُشْرِقُ إِشْرَاقَ النِّهَارِ صَفْحَاتَهُ، وَتَعْبِقُ عَنِ شِدَا الرُّوضِ
 المِطَارِ نَفْحَاتَهُ، يُحْضِ إِخَاءَكُمُ العَالِيَّ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ .

أما بعد حمد الله الذي وسع العباد مَنًا جسيما ، وفضلا جزيلا ، وأهمهم الرِّشَادَ
 بأنَّ أبدى لهم من آثار قدرته ، على مفسدات وحدته ، بُرهانا واضحاً ودليلاً ، وألزم أُمَّةَ
 الإسلامِ ، حَجَّ بيتِهِ الحَرَامِ ، من أَمْتِطَاعٍ إليه سبيلا ، وجعل تعظيم شعائره من تقوى
 القلوب ، ومَنَابِتِ مَحَطِّ الأوزارِ والدُّنُوبِ ، فما أَجْزَلَ نِعْمَتَهُ مَنِيلاً ، وأَجْمَلَ رَحْمَةَ رَبِّهِ
 مَقِيلًا ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدِ المِصْطَفَى مِنَ أَفْضَلِ العَرَبِ
 فَصِيلَةً ، فِي أَكْمَلِ يَهَاكِ الأَرْضِ فَصِيلَةً ، وَأَكْرَمِهَا جَمَلَةً وَتَفْصِيلًا ، المَحْبِي نَحْمُ الرِّسَالَةَ ،
 وَحَسْمُ أَدْوَاءِ الضَّلَالَةِ ، فَأَحْسَبُ اللهُ بِهِ النُّبُوَّةَ نَهْمًا وَالرِّسَالَةَ تَكْمِيلًا ، المَخْصُوصِ بِالْحَوْضِ
 المَوْرُودِ ، وَالمَقَامِ المَحْمُودِ ، يَوْمَ يَقُولُ الظَّالِمُ (يَا رَبِّي لِيْتِي لِمَ أَتَيْتُنِي فَلَا نَأْتِيكَ) المَبْرُؤِ

من دار هجرته ، ومقرّ نصرته ، محلاً ما بين بيته ومينبه فيه روضةً من رياض الجنة لم يرل بها تزيلاً ، والرضا عن آله الأبرار ، وأصحابه الأخيار ، الذين فضلتهم سابقة السعادة تفضيلاً ، وأهلتهم العناية [بأمر الدين إلى أن يوسعوا الأحكام برهانا ودليلاً ، فإننا نحيط علم^(١) الإخاء الأعز ما كانت من عزم مولانا الوالدة قدس الله روحها ، وتقر صريحها ، على أداء فريضة الحج الواجبه ، وتوفية مناسكه اللازبه ، فاعترض الحرام ، دون ذلك المرّام ، وعاق القدر ، عن بلوغ ذلك الوطر ، فطوى كتابها ، ومحل إلى مقرّ الرحمة بفضل الله ما بها ، وعلى الله أجرها ، وعنده يحسب ذخرها ، وإن لدينا من نوجب إعظامها ، وتقييمها بحكم البر مقامها ، وعزمها إلى ما أمته مصروف ، وأملها إلى ما كانت أمته موقوف ، وهى محل والدتنا المكرمة ، المبرورة ، الأثيرة ، الموقرة ، المبجلة ، المفضلة ، المعززة ، المعززة ، المعظمة ، المطهرة ، أسنى الله مكانتها ، وسنى من هذا القصد الشريف لباتها ، وقد شيعناها إلى حج بيت الله الحرام ، والمثول بحول الله تعالى ما بين زمزم والمقام ، والفوز من السلام ، على صريح رساله ، ومثابة الجلالة ، ينزل السؤل والمرّام : لتظفر بأملها المرغوب ، وتنفّر بعد أداء قرضاها لأكرم الوجوب .

وحين شخص لذلك الغرض الكريم ، موكبها ، وحلص إلى قصد الحرم العظيم ، مذهبها ، والكرامة تلحفها ، والسلامة إن شاء الله تكفنها ، وأصحابها من حور دولتنا وأحظياتها ، ووجوه دعوتنا العلية وأوليائها ، من اخترناه لهذه الوجهة الحميدة الأثر ، والرحلة السعيدة الورد إن شاء الله تعالى والصدر ، من أعيان بنى مريم أعزهم الله تعالى والعرب ، وأولاد المشايخ أولى الديانة والتقوى المسالين دلاء القرب ، إلى

(١) فى الأصل وأهلتهم العناية الاخاء الخ ولا يخفى ما فيه . ولعله سقط من قلم الناصح شئ . فزدنا ما بين

التريعين لاعلى أنه هو الساقط بل يرتبط الكلام نوع ارتباط تأمل .

عَقْدَ الْكَرْبِ ؛ وَكُلٌّ مِنْ لَهُ أَثَرَةٌ مَشْهُورَةٌ ، وَشَهْرَةٌ بِالْمَرْأَى الرَّابِحَةِ وَالسَّجَايَا الصَّالِحَةِ
 مَأْتُورَةٌ ؛ وَقَصْدُهُمْ مِنْ آدَاءِ فَرِيضِ الْحَجِّ قَصْدُهَا ، وَوَرْدُهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ
 مَنَهْلِ بَرَكَاتِهِ الْجَمَّةِ وَرَدَّهَا ؛ وَهَكَذَا سَيْرُنَا مِنْ تَحَوُّفِ هَذِهِ الْبِلَادِ إِلَيْكُمْ مَا تَيْسَّرُ فِي الْوَقْتِ
 تَسِيرُهُ ، وَإِنْ تَعَدَّرَ فِي كَثِيرٍ مِمَّا قَصَدْنَاهُ وَهَذَا الْغَرَضُ أَرْدَنَاهُ تَسِيرُهُ ، لِطَوْلِ الْمَغِيبِ
 عَنْ الْحَضْرَةِ ، وَالشُّغْلِ بِتَهْيِيدِ الْبِلَادِ الَّتِي فَتَحَهَا اللَّهُ عَلَيْنَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ ؛ وَعَيْنًا
 لِإِيرَادِهَا لَدَيْكُمْ ، وَإِيَادِهَا عَلَيْكُمْ ؛ أَبَا إِسْحَاقَ ابْنَ الشَّيْخِ أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنِ عُمَانَ
 السُّوَيْدِيَّ ؛ وَأَمِيرَ الرِّكْبِ الْحَسَنَ بْنَ عِمْرَانَ وَغَيْرَهُمْ ، كَتَبَ اللَّهُ سَلَامَتَهُمْ ، وَيَمِّنُ
 ظَنَّهُمْ وَإِقَامَتَهُمْ . وَمَقَامُ ذَلِكَ الْإِخَاءِ الْكَرِيمِ يُسْتَنَى لَهُمْ مِنَ الْبُسْرَى وَالنَّمْهِيلِ الْقَصْدَ
 وَالسُّوْلَ ، وَيَأْمُرُ نُوَابَ مَالِهِ مِنَ الْمَالِكِ ، وَقُوَامَ مَا بَيْنَا مِنَ الْمَسَالِكِ ، لِتَكُلَّ الْعِنَايَةُ بِهِمْ
 فِي الْمَمَرِّ وَالْقُقُولِ . وَمَعْظَمُ قَصْدِنَا مِنْ هَذِهِ الْوَجْهِةِ الْمُبَارَكَةِ لِإِصَالِ الْمُصْحَفِ الْعَزِيزِ
 الَّذِي خَطَطْتَاهُ بِيَدِنَا ، وَجَمَلَنَاهُ ذَخِيرَةً يَوْمِنَا لَعَدْنَا ؛ إِلَى مَسْجِدِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا ، وَعَصَصَةِ
 دِينِنَا وَدُنْيَانَا ؛ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِطَبِيعَةِ زَادِهَا اللَّهُ تَشْرِيفًا ، وَأَبْنَى عَلَى
 الْأَيَّامِ نَحْرَهَا مُنِيفًا ، رَغْبَةً فِي النَّوَابِ ، وَحِرْصًا عَلَى الْقَوْزِ يَحْتَظُّ مِنْ أَجْرِ التَّلَاوَةِ فِيهِ
 يَوْمَ الْمُنَابِ .

وَقَدْ عَيْنًا بِيَدِ مَحَلِّ الْوَالِدَةِ الْمَذْكُورَةِ فِيهِ ، كَرَّمَ اللَّهُ جَبْهَتَهَا ، وَيَمِّنُ وَجْهَتَهَا ، مِنْ
 الْمَالِ مَا يُسْتَرَى بِهِ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ الْمُحَوَّطَةِ مِنَ الْمَسْتَعْلَاتِ مَا يَكُونُ وَقْفًا عَلَى الْقَرَاءَةِ
 فِيهِ ، مَوْبَدًا عَلَيْهِمْ وَعَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الْمَسَالِكِ فَوَائِدُهُ وَمَجَانِيهِ . وَالْإِخَاءَ الْكَرِيمِ يَتَلَقَّى
 مِنَ الرُّسُلِ الْمَذْكُورِينَ مَا إِلَيْهِمْ فِي هَذِهِ الْأَغْرَاضِ أَلْتَيْنَاهُ [وَيَأْمُرُ] بِاحْتِضَارِهِمْ لِأَدَائِهِمْ
 بِالْمَشَافَهَةِ مَا لَدَيْهِمْ أَوْ عَيْنَاهُ ، وَيُوعِزُّ بِإِعَاتِهِمْ عَلَى هَذَا الْغَرَضِ الْمَطْلُوبِ ، وَيُسِّرُّ لَهُمْ
 أَسْبَابَ التَّوَصُّلِ إِلَى الْأَمَلِ وَالْمَرْغُوبِ ، وَشَأْنَهُ الْعَوْنُ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، وَلَا سِيَّمَا

ما كان من أمثال هذا إلى مثل هذه السُّبُل الواضحة ؛ وشكراً بآدابكم موطد الأساس ،
مطرِد القياس ، متجدد مع الحظّات والأنفاس ؛ والله يصلّ للإخاء العلى نُصرة أيامه ،
ويوالى نُصرة أعلامه ؛ ويُبقي الثغور القصية ، والسُّبُل السرية ، منوطةً بتقضيه
وإبرامه ، مَحُوطةً بمعاوضة أسيافه وأقلامه ، والسلامُ الكريمُ العميم ، يخصُّ إخاءكم
الأعزّ ، ورحمةُ الله وبركاته - وكتب في يوم الخميس المبارك الخامس والعشرين
من ربيع الأول عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة .



وهذه نسخةُ كتابٍ عن السلطان عثمان بن أبي العباس المرينيّ ، في العشر الأوسط^(١)
من شعبان سنة أربع وثمانمائة ، وهو :

من عبد الله وولّيه : عثمان أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، سلطان
الإسلام والمسلمين ، ناسر بساط العدل في العالمين ، المفتدى بآثار آبائه الكرام ،
المفتنحى سننهم الحديدة في نُصرة الإسلام ، المُعَمِّل نفسه العزيزة في التهم بما قلده
الله من أمور عبادته ، وحياطة تُؤوره وبلاده ، سيف الله المسلول على أعدائه ، المنتشر
عدله على أقطار المعمور وأعمائه ، ظلّ الله تعالى في أرضه ، القائم بسنته وقرضه ،
عماد الدنيا والدين ، علم الأئمة المهتدين ، ابن مولانا السلطان المظفر القان الخليفة
الإمام ، ملك الملوك الأعلام ، فاتح البلدان والأقطار ، مهّد الأقاليم والأمصار ؛ جامع
أشادت الحماد ، مانح الصادر والوارد ؛ الملك الجواد ، الذي حلّت محبته في الصلور
محلّ الأرواح في الأجساد ؛ أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ؛ أبي العباس
ابن مولانا أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، أبي سالم ، ابن مولانا

(١) جرى على طريقة بعض النعاة وإن كان الأكثر أنه يقال العشر الوسطى أو الوسط .

أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، أبي الحسن، ابن مولانا أمير المسلمين،
 المجاهد في سبيل رب العالمين، أبي سعيد، ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل
 رب العالمين، أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، وصل الله تعالى أسباب تاييده
 وعرضه، وقضى باتصال عرف تجديد سعده، وأتاه من جميل صنعه ما يتكفل
 بتيسير أمره وبلوغ قصده .

إلى محل أخينا الذي نُؤثر حق إخوانه الكريم، وتبني على سلطانه السعيد ثناء الوليِّ
 الحميم، ونشكر ماله فينا من الحبِّ السليم، والوُدِّ الثابت المقيم، السلطان الجليل،
 الماجد الأصيل، الأعزَّ الخطير المئيل، الشهير الأجد الأرفع، الهام الأمتع،
 السرى الأرضي، المجاهد الأمضى، الأوحيد الأسنى، المكين الأنهى، خديم
 الحرمين الشريفين، حائر الفخرين المنيفين، ناصر الدنيا والدين، محيي العدل
 في العالمين، الأجد، الأود، المكين، الأخلص، الأفضل، الأكل، أبي السعادات
 قرَج، ابن السلطان الجليل، الأعزَّ المئيل، الخطير الأصيل، الأرفع، الأجد،
 الشهير، الهام، الأوجد، الأسنى، الأسمى، الأرضي، المجاهد، الأمضى، خديم
 الحرمين الشريفين، حائر الفخرين المنيفين، الأفضل، الأكل، المبرور، المقدم،
 المرحوم، أبي سعيد (برقوق) بن أنص، وصل الله تعالى لسلطانه المؤيد جدًّا
 لا يُعجم عوده، وعزًّا لا يميل عموده، ونصرًا يملأ قطره بما يقص به حسوده،
 وعرضًا يأخذ بزمام أماله السنى فيسوقه ويقوده .

سلامٌ عليكم ورحمةُ الله وبركاته .

أما بعد حمد الله على سبوغ نعمائه، وترادف لطفه وآلائه، الذي عرفنا من ولانكم
 الكريم ما سرنا من أطراد أعتائه، وأبجج النفوس والأسماع من صفاء وآلائه،

ومواصله صفاته ، والصلوة والسلام الأكلين على سيدنا ومولانا محمد خاتم رُسله
وأنبياؤه ، ومبلغ رسالاته وأنبائه ، صاحب المقام المحمود ، والحوض المورود ، واللواء
المعقود ، فاشكرم بمقامه وحوضه ولوائه ، والرضا عن آله وصحبه وأوليائه ، الذين
هم للذين بدور آهنتدائه وتُجوم آفتدائه ؛ وصلية الدعاء لمقامكم الكريم بدوام عزه
وأعتلائه ، وأقتيال النصر المبالغ في أحتفاله وأحتفائه ، وحياطة أتحائه وأرجائه ،
وتأييد عزمائه وآرائه .

فإنا كتبنا إليكم كتب الله لكم سعدا سافرا ، وعزما ظافرا ، من حضرتنا العلية
بالمدينة البيضاء كلاًها الله تعالى وحرسها ، ونعم الله سبحانه لدينا واكفة السجال ،
ولولاه جل جلاله سابق الأذيال ، وخلافكم التي تزعج بعين الرجوانية ، ونقتنى
في كل منقبة كريمة سيرها الحميدة ومداهبها - وإلى هذا وصل الله سعدكم وإلى
عزكم ، وكنا بهذا يقرر لكم من وادنا ماشاع وذاع ، ويؤكد من إخلاصنا
إليكم ما نتحدث به الشمار فتوعيه جميع الأسماع ، وقد كان آتتهى إلينا حركة
عدو الله وعدو الإسلام ، الباغى بالأجترأ على عباده سبحانه بالبؤس والأبتقام ،
الآخذ فيهم بالعتب والفساد ، الساعى بجهده في تهديم الحصون وتخريب البلاد ،
وتعرفنا أنه كان يعلق أمله الخائب بالوصول إلى أطراف بلادكم المضرية ، وأنتهاز
الفرصة على حين غفلة من خلافتكم العلية ، والحمد لله الذى كفى بفضل شره ، ودفع
نقمته وضره ، وأنصرف ناكصاً على عقبيه ، خائباً من نيل أربه . ولقد كنا حين سيعنا
يسوء رأيه الذى غلبه الله عليه ؛ وما أضر خلق الله من الشر الذى يجده فى أجراه
ظله يسمى بين يديه [عز منا على] أن يُمدكم من عساكرنا المظفرة بما يضيّق عنه
المضا ، ويجهز لجهتكم من أساطيلنا المنصورة ما يتحد فى إمداد المناصرة ويرضى ؛

فالحمد لله على أن كفى المؤمنين القتال ، وأذهب عنهم الأوجال ، وتبهر لهم الأعمال ،
وهياً لخلافكم السنية وللمسلمين ، هناءً يتضمن السلامة لكم ولهم على تعاقب الأعوام
والسنين .

وبحسب ما لنا فيكم من الود الذي أسست المصافاة بنبائه ، والحب الذي أودع
الإخلاص برهائه ، وقع تحيُّرنا فيمن يتوجه من بابنا الكريم لتفصيل مجملته ، وتقدير
مالدينا فيه على أتم وجه الاعتقاد وأكمله ؛ على الشيخ ، الأجل ، الشريف ، المبارك ،
الأصيل ، الأسنى ، الحظي ، الأعز ، الحاج ، المبرور ، الأمين ، الأختل ، الأفضل ،
الأكل ؛ أبي عبد الله محمد ، ابن الشيخ الأجل ، الأعز ، الأسنى ، الأوجه ، الأتوه ،
الأرفع ، الأجد ، الآثر ، الأزهى ، الشريف ، الأصيل ، المعظم المثيل ، الأشهر ،
الأخطر ، الأمتل ، الأجل ، الأفضل ، الأكل ، المرضي ، المقدس ، المرحوم
أبي عبد الله محمد ، بن أبي القاسم ، ابن نفيس الحسنى العراقى ؛ وصل الله تعالى
سعادته ، وأحمد على حضرته السنية وفادته ، حسب ما يبي بشرح ما حملناه نقله ،
ويكل بايضاحه لديكم بقطته وتبته ، إن شاء الله تعالى ، وهو سبحانه وتعالى يديم
سعادته ، ويحفظ مجادته ، ويُسنى من كل خير إرادته ، والسلام عليكم ورحمة
الله وبركاته .

الجملة الرابعة

(في عادة الكتب الواردة عن صاحب الأندلس)

والرسم في ذلك أن يكتب «الأبواب الشريفة» ويصفها ، ثم يقول : «أبواب
السلطان الداني» ويصفه ، ويذكر ألقابه ، ثم يدعو له ، ثم يقول : «سلام كريم»
ويصفه . من فلان ، ويذكر السلطان المكتوب عنه ، ثم يقول : أما بعد حمد الله ،

ويأتى بـمُحطبة في المعنى تشتمل على التحميد، والتصلية على النبي صلى الله عليه وسلم، والرّضا عن الصحابة رضى الله عنهم، ثم يقول: فإنّا كتبنا اليكم، ويأتى على مايناسب المقام، ثم يخْرِط في سِلْكِ المَفْصُودِ إلى آخره ويختم بالدعاء.

وهذه نسخةُ كتاب كُتِبَ به عن أمير المسلمين السلطان أبي عبد الله محمد بن أبي الحجاج يوسف بن نصير بن الأهر، صاحب غرناطة - من الأندلس، إلى السلطان الملك الأشرف "شعبان بن حسين" ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، لإنشاء الوزير أبي عبد الله بن الخطيب، صاحب ديوان إنشائه، يشير فيه إلى حادثة القَرْنَجِ بالإسكندرية، الواقعة في سنة سبع وستين وسبعمائة، إلا أنه وهم في لقبه الملوكيّ فلقبه المنصور. وهي:

الأبوابُ الشريفةُ التي تعنو لِعِزَّةِ قَدْرِهَا الأبوابُ، وتَعْتَرِي إلى تَسَبُّ عَدْلِهَا الحِكْمَةُ والصَّوَابُ، وتُؤَدِّيهَا الأَقْطَارُ البعيدةُ مَفْتِيحَةً بولائها، واصلهَ السبب بعلائها، فيَصْدُرُ بما يَشْفِي الجَوَى منها الجَوَابُ، فإذا حَسُنَ منابٌ عن أئمة الهدى، وسَبَّاقِ المَدَى، كان منها عن عُمومة النُبُوَّةِ التَّوَابُ، وإذا ضَفَّتْ على العُقَاةِ بغيرها أُنُوَابُ الصَّلَاتِ، ضَفَّتْ منها على الكعبة المقدسة الأثواب - أبواب السلطان الكبير، الجليل الشهير، الطاهر، الظاهر، الأوحَدُ، الأَسْعَدُ، الأَصْعَدُ، الأَعْجَدُ، الأَعْلَى، العادل، العالم العايل، الكامل، الفاضل، الكافل، سلطان الإسلام والمسلمين، رافعِ ظلالِ العُدُلِ على العالمين، جمالِ الإسلام، عِلْمِ الأَعْلَامِ، نَغْرِ اللَّيَالِي والأَيَّامِ، مَلِكِ البَرِّينَ والبَحْرَيْنِ، إمامِ الحَرَمَيْنِ، مؤمِّلِ الأَمْصَارِ والأَقْطَارِ، وعاصِبِ تاجِ الفَخَّارِ، هَزِيمِ القَرْنَجِ والتَّرَكِ والتَّارِ، الملكِ المَنْصُورِ أَبِي الفُتُوحِ شَعْبَانَ، ابنِ الأَمِيرِ،

الرفيع المجاهد ، الكريم البتوة والولادة ، الطاهر الظاهر ، الكبير ، الشهير ، المعظم ،
المجيد ، الأسمى ، الموقر ، الأعلى ، فقير الملّة ، سيف الأئمة ، ناج الإمارة ، عز
الإسلام ، جمال الأيام ، قمر العيادين ، أسد أئمة الدين ، تمام الطغاة والمعتدين ،
المقدس ، المظفر ، الأمير أبو علي حسين ، ابن السلطان الكبير ، الشهير ،
ملك الإسلام والمسلمين ، والد السلاطين ، [سيف خلافة الله في العالمين ، ولي
أمير المؤمنين ، وظهير الدين] سلطان الحج والجهاد ، وكاسي الحرم الأمين ،
قانع المعتدين ، قاهر الخوارج والمتمردين ، ناصر السنّة ، محيي الملّة ، ملك البرين
والبحرين ، مقيم رسوم الحرمين الشريفين ، العادل ، العالم ، العامل ، الطاهر ،
الظاهر ، الأسعد ، الأصعد ، الأوحد ، الأعلى ، المنصور ، المؤيد المعان ، المرفع ،
المعظم ، المبجل ، المؤمل ، المجاهد ، المرابط ، الغازي ، أبي عبد الله محمد بن قلاوون ،
الصالحي أبقاه الله ، وقلق الصباح يشهد بكاله ، وخدمة الحرمين الشريفين طراز
مذهب على حلة أعماله ، ومسورات الإسلام ، أمانة على طول الأيام ، من إعماله ،
ولا زال رثكاً للدين الحنيف ، تراحم على مستلمه الشريف ، شفاء أماله .

سلام كريم ، برعميم ، كما استودعت الرياض أسرارها ، صدر النسيم ، وأرسلت
مطالع الفجر أنهارها ، من بحر الصباح الوسيم ، ينبري من الطيب ، والحمد المطيل
المطيب ، في الصوان الكريم ، ويقف موقف الأئمة والفهامة ، بما استحفظ
من الأمانة إلى محل الإمامه ، وقوف الحفيظ العليم ، يعتمد مشاريع تلك الأبواب
الشارعة إلى الفضل العميم ، المقابلة لذيّام وسائل الإسلام بالصدر المشروح ، والبر
المشوح ، والقلب السليم - من معظ سلطاناه ، ومجّل شأنه ، المنقخر بالانتظام في سنك

خُصَّانَه ، أمير المسلمين بالأندلس ، عبد الله الغالب بالله ، محمد بن يوسف بن إسماعيل
ابن فرج بن نصر ، بلغه الله من رضاه أقصى سؤله ، وأعانه على جهاد عدو الله
وعدو رسوله .

أما بعد حمد الله جامع قِلادة الإسلام ، على الدوام ، آمنة من الإخرام ، والإنتثار ،
مفصلة النظام ، بحر المآثر العظام ، والآثار . معترف أهلها ، في حزن البسيطة وسهولها
عوارف الصنع المتآثر ، وإقالة العثار . القوى العزيز الذي لا يغالب قدره بالإحتشاد
والاستكثار ، ولا يتبدل غيبه المحجوب ، بعد ما عين حكمة الوجوب ، في خزائن
الاستنثار ، حتى تظهر خبيثة عيائه بأوليائه ، المعترفين بالائه ، بادية للأبصار ، فيما
قرب وبعد من الأعصار ، ورحمته عند الاستغاثه به والانتصار ، في مختلف الأقطار
والأمصار . الولي الذي لا تمكدر هبات فضله شروط الاعتصار ، ولا تسيب خطب
حمده ضرائر الاقتصار والاختصار .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله نعمة الاكوان ، وسر الدهور والأزمان ،
وفائدة الأدوار . نور الله التميز باختصاصه ، واستصفائه واستخلاصه ، قبل خلق
الظلمات والأنوار . ورحمته الوارفة الشاملة ، الهامية الهاميه ، على الحصص والوحدات
والنجد والأغوار . أقرب عوالم الشهادة والخلق ، إلى حضرة الحق ، على تعدد الرتب
وتفاضل الأطوار . منقذ الناس من البوار ، ومبوتهم من جور الله خير الحوار .
نبي الرحمة والجهاد والفوار . المنصور على الأحزاب عند ما استداروا بمثوى نبوته على
الأطم والأسوار دور السوار . الواعد عن ربه بظهور دينه الحق على الأديان فمهما
أوقدوا نار الحرب تكفل الله لهم بإطفاء النار وإنقاذ الأوار .

والرضا عن آله وأصحابه حمة الدمار ، ومقنحى الغمار ، وبذلك كرائم الأموال من
دونه وفائس الأعمار ، القاميين في سماء ملته للاهتداء بسنتهم ، والإقتداء بسنتهم ،

مَقَامَ النجومِ الهاديَةِ والأقمارِ ، ماصقَلتْ مَدَاوِيسُ النَّسيمِ سُيوفَ الأَنهارِ ، وتَجَلَّ
الوَرْدُ من تَبَسُّمِ البَهارِ ، وغازلتْ عيونُ زَهَرِ المَبَرَّةِ عُيونَ الأَزهارِ ، وطردَ أدهمُ الليلِ
أشهبَ البَهارِ .

والدُّعاءُ لثَمَكِ الأَبوابِ ، المَعمَدَةُ المِجَنابِ ، المَعوَدَةُ بِاجْتِلاءِ غُررِ الفَنوحِ ، والمَطالِعِ
المَشيدَةِ المَصانِعِ عِلى العِزِّ المَنوحِ ، والأَوَّابِ ، المُوَيَّدَةِ الدَّوَابِ ، بالملائِكَةِ والرُّوحِ ،
بِإِعلاءِ المَظاهِرِ والشُّروحِ ، وإِنارةِ اللهِ تَعالى بِأَهْلَةِ تلكِ الشُّروحِ سَاحاتِ تلكِ
الشُّروحِ ، ولا زالتْ أَفلامُ بِشارِها تأتي عِلى سُورَةِ الفَنحِ بِأَكْلِ الشُّروحِ .

إِنا كَتَبناهُ لِمَنابِتِكُمُ السُّلطانِيَةِ دارِ العِزِّ الأَحمى ، والمُلُكِ الأَشرفِ الأَسمى ،
والصَّيِّبِ البَعيدِ المَرعى ، كَتَبَ اللهُ لَها من عِنايَتِهِ - وقد فَعَلَ - أوقَرَ مَقاسِمِ النِّعمى ،
وجَمَلَ غيَتِ نَوايِها الأَهمى ، وَحَظَّ جَلالَها من اللهُ الأَسمى ، ودامتْ كَواكِبُ سَعودِها
تَمزُّقِ جِلايِبِ الظُّلَمِ ، وأَخبارُ بِأسِها وَجُودِها ، وسَعادَةُ وَجُودِها ، تُهَدِّيا عِلى البُعدِ
رِكابُ الدَّأما ، وتَرَفِّرفُ بِرِياحِ آرتِياحِها أَجِنَةُ بَناتِ المِساءِ ، من مَنزِلنا المُجَبورِ ،
بِسَعادَةِ سُلطانِكُمُ المَنصورِ ، ونِجْزى عَدوِّه المَذحُورِ ، بِجِراءِ غَرناطَةِ دارِ مَلِكِ الجِهادِ
بِجِزيرةِ نَغرِ الأَندلسِ ، وَالى اللهُ عَنا الدِّفاعِ ، وَأَنارَ بِمَشكاةِ نُورِهِ الَّذى وَعَدَ بِإِتمامِهِ
الأَعلامَ مِنها والأَبْفاعِ ، ووَصَلَ لَها بِشَرفِ مِخاطِبَتِكُمُ الأَرْتِفاعِ وإِلا تِفاعِ ، حَتى تَشْفَعِ
بِنايِكُمُ الأَوتارِ وَنُورِ الأَشفاعِ ، وآلاءِ اللهُ لَدَينا ، بِنِعمَةِ دِينِ الإسلامِ عَلينا ،
قَدِ أَجَلَّتِ اللِسانُ الشُّكُورِ ، وَإِنِ اسْتَنفَدتِ الرِّواحُ والبُكُورِ ، والثَّقَةُ باللهِ فى هَذا
الشُّعْرِ الغَرِيبِ قَدِ كَثُرَتِ العَدَدُ المَعزُورِ ، والحَقُّ الصَّريحُ قَدِ كافَحَ الرُّورِ ، والنُوطِينُ عِلى
الشَّهادَةِ قَدِ شَرَحَ الصُّدُورِ ، وأَقْطَعِ فى الجِنَةِ المَنازِلِ والدُّورِ ، والمَعْرِفَةُ بِمَقامِ تلكِ
الأَبوابِ الشَّرِيفَةِ عَقِبِدَةً لِأَبْئِدِ ، وأَدْواحُ حَلائِها حائِمُ الحَمْدِ بِها تَهْدِلُ ، ومَحافِلُ

تَنَاهَا تَتَرَاكُمْ فِي سَمَاوِيهَا الْأَلْوَةُ وَالْمَعْنَدُ ، [وَالْحَلُّ مَا عَلِمْتُمْ : بِحَرْزِ الْوَجْرِ الْأَوَّاحِ ، وَعَدُوُّ
وَأَقْرَبُ الْأَفْوَاحِ] وَحَرَمٌ لَوْلَا آتِقَاءُ اللَّهِ مَقْتَحَمُ السِّيَاحِ ، وَجِيَادٌ صَمَّرَتْهَا مُصَابِرَةُ الْهَيَاحِ ،
وَدَاءٌ عَلَى الْأَيَّامِ مَتَوَقِّعُ الْاَهْتِيَاحِ ، وَعَدَدٌ إِلَى الْإِصْرَاحِ وَالْإِنْجَادِ عَظِيمُ الْاَحْتِيَاحِ ؛
فَالنَّفُوسُ إِلَى اللَّهِ تُجَهَّزُ وَتُسَلَّمُ ، وَالصَّبِيَانُ فِي الْمَكَاتِبِ تُدْرَبُ عَلَى مَوَاقِفِ الشَّهَادَةِ
وَتُعَلَّمُ ، وَالْأَلْسِنَةُ بِغَيْرِ شِعَارِ الْإِسْلَامِ لَا تُنْسَبُ غَالِبًا وَلَا تُسَكَّمُ ، إِلَّا أَنْ عَادَةَ الْخَيْرِ
اللطيف ، تخفيفُ الذَّمْرِ المُطِيفِ ، وَنَضْرُ النَّزْرِ الضَّعِيفِ ، عَلَى عَدَدِ الضَّعِيفِ ؛
وَالْحَالُ تُرْجَى بَيْنَ الْحَرْبِ وَالسَّلْمِ ، وَالْمُكَالَمَةِ وَالْكَلْمِ ، وَتَأْمِيلِ الْجَبْرِ ، وَأَرْتِقَابِ عَاقِبَةِ
الصَّبْرِ ، عَلَى حُمَاةِ الدَّيْرِ .

وإلى هذا فإننا أتصل بنا ما زامت الروم من المكيمة التي كان دفاعُ الله من دُونِهَا
سَدًا ، وَالْمَلَاتِكَةُ جُنْدًا ، وَالْعِصْمَةُ سُورًا ، وَالرُّوحُ الْأَمِينُ مَدَدًا مَنْصُورًا ، وَأَنهَا
اسْتَفْتَدَتْ الرُّسْعَ فِي أَحْتِشَادِهَا ، حَتَّى ضَاقَتْ الْمُلْجَجُ عَنْ أَعْوَادِهَا ، وَبَلَغَتْ الْمَجْهُودَ
فِي اسْتِفَادِهَا ، حَتَّى غَصَّ كَافِرُ الْبَحْرِ بِكُفَّارِهَا ، بِصِيحُ بِهِمُ النَّأْيِبِ ، وَيُدْمَرُهُمُ
الصَّلِيبُ ، وَقَدْ سَوَّلَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ يَكَاذَ نَعْرِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ شَجَا صُدُورِهِمْ ، وَمَرَمَى
أَمَالِ غُرُورِهِمْ ، وَمُحْوَمَ قَدِيمِهِمْ ، وَمَتَعَلَّلَ غَيْرِهِمْ ، لِيَتَّبِعُوا نَعْرَ الْإِسْلَامِ بِصُدْمَتِهَا ،
وَيَقُودُوا جَنَابَ السَّاحِلِ فِي رُمْتِهَا ، وَيَرْقَعُوا عَنْ دِينِهِمُ الْمَعْرَةَ ، وَيَتَلَقَّفُوا فِي الْقُدْسِ
كُرَّةَ الْكُرَّةِ ، وَيَقْلُصُوا مَا أَمْتَدَّ مِنْ ظِلَالِ الْإِسْلَامِ ، وَيَشِيْمُوا سُيُوفَ التَّغْلِبِ عَلَى
الشَّامِ ، وَيُجُولُوا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَبَيْنَ مَحَطِّ أَوْزَارِهِمْ ، وَحَجَّهِمْ وَمَزَارِهِمْ ، وَبَيْتِ رَبِّهِمْ
الَّذِي يَقْصِدُونَهُ مِنْ كُلِّ بَجْعٍ عَمِيقٍ ، وَيَرْكَبُونَ إِلَيْهِ نَهْجَ كُلِّ طَرِيقٍ ، وَقَبْرِ نَبِيِّهِمُ الَّذِي
يُطْفِقُونَ بِزَارَتِهِ مِنَ الشُّرُقِ كُلِّ حَرِيقٍ ، وَيَكْهَلُونَ الْجُفُونَ بِمَشَاهِدَةِ آثَارِهِ عَنْ بُكَاءِ

(١) الزيادة من الرحمة وهي لازمة كما لا يخفى .

(٢) شام السيف غمده واسنله ضد - والمراد هنا المعنى الثاني كما لا يخفى .

وشهيق ، وشوقٍ بذلك الحبيبِ حَلِيق . ويقطعوا جبلَ المسامين حتى لايتأثى بلوغُ
فريقٍ ولا غَرَضُ تشريقٍ ، واللهُ مِنْ ورائهم مُحِيط ، وبدمائهم مُشِيط ، وعباده
بَصِير ، ولدينه الحقُّ وليُّ وتصير ، (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ
لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) . فما هو إِلَّا أَنْ صَمَّا جَرَادُهُمْ ، وَخَلَصَ
إِلَيْهَا مُرَادُهُمْ ، وقاضٍ عليها بجرهم ، وعظمٌ من المحاولة أمرهم ، حتى آسَ تَرَكَ الشَّرْكَ
بعضُ أسوارها ، ونالَ النهبُ مستطرفَ ديارها ، وظننتُ أنها الوهيةُ التي لأتُرقع ،
والمُصيبةُ التي غلَّتْها لأتُقع ، وأشتعلَ الباسُ ، وذُعمِرَ الناسُ ، وأرى الشدةَ مَنْ
تدارك بالفرج ، وأعادَ إلى السعةِ من الحرج ، وأنشأ ریحَ النَّصْرِ عَاطِرَةَ الأَرَج ، ونصر
حزبَ الإسلامِ مَنْ لاغالبَ لمن ينُصره ، وحصرَ العدوُّ من كان العدوُّ يحُصره ، وظهر
الحقُّ على الباطل ، والحالي بزينةِ اللهِ على العاطل ، فخرجَ العدوُّ الخاسرَ عما حازَه
والسبوفُ تُرهِقُه حيثُ تلقَّيه ، والسهمُ تُثَبِّته وتثبِّته ، وغرماً كُرةُ الإسلامِ تستَقْضي
منه دينها وتستوفيه ، والخزى قد جَلَّ سبأله الضُّب ، وحناءُ الدِّماءِ قد خضبتْ
مشيخته الشُّب ، والغلبُ قد أخضعَ رقابه الغلبُ ، فكمْ من غريقٍ أزدته دُرُوعه ،
لمَّا حَسِبَى بِالرُّوعِ رُوعه ، وطعيرٍ نُظِمَتْ بالسَّهْرَى ضُلُوعه ، فغلبوا هُنَالِكَ وَأَقْبَلُوا
صَاحِرِينَ ، وأحقَّ اللهُ الحقُّ بكلماته وقطعَ دابرَ الكافرين ، (لَكُمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٌ
غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ) . فأى رحمةٍ منشورةٍ ضفقتْ على
الإسلامِ ظلامُها ، وخِطَّةِ نعمةٍ أوسعَ نطاقها ورَحْبُ مجالها ، وبجلى صَنِيعِ رَاقِ
عُيُونِ الْمُؤْمِنِينَ جَاحِهَا ، فاهترتْ بها الأَرْضُ ورَبَّتْ ، وسُكِرَ اللهُ جَلَّ جلاله أَعْرَبَتْ ،
وَأَسْتَبَشَّرَتِ النَّفُوسُ ، وَذَهَبَ البُوسُ ، وَضَفَا بِعِنتِ اللهِ اللُّبُوسُ ، وظهرتْ عنايةُ اللهِ
بِقَامِكُمْ ، وإقالةِ عَثْرَةِ الإسلامِ في أيامكم ، فما كان اللهُ سبحانه لِيُضِيعَ لَكُمْ خِدْمَةَ

(١) صمما عليهم كنعن طلع أظفر الفاموس في باب الميموز .

الحرمين ، وإنها للوسيلة الكبرى ، والدريعة إلى سعادة الدنيا والأخرى ، وهي
عهدة الله التي يَصُونُهَا من كل أهتِصَام ، وقِلَادَتُهُ التي ما كان يتركها بغيرِ نِظَام .
وكان من لطائف هذا الفتح الذي أجزَلَ البشري ، وأوسع أعلام الإسلام نَشْرًا ،
ورُودَهُ بعد أن شُفِيَتِ العِلَّةُ ، ونُصِرَتِ المِلَّةُ ، وبعد أن جَفَا الدهرُ وتَجَافَى ، وعادى
ثم صَافَى ، وهَجَرَ ووَافَى ، وأمرَضَ ثم عافَى ، فلو ورد مُقَدِّمُهُ قبل نَالِيهِ ، وَقَدِّمُهُ متَأَخِّرًا
عن كَالِيهِ ، أو كانت أَوَاخِرُهُ بعيدًا ما بينها وبين أَوَالِيهِ ، لَأَوْحَشَتِ الطُّنُونُ وسَاعَتُ ،
وبلغتِ المَهمومُ من النفوس ما شاءت ؛ فإن الإسلام كالجسد يتداعى كله لتألم بفضيه ،
ويَسَاهِمُ إخوانه في بَسَطِهِ وقَبْضِهِ ، وسَمَاؤُهُ مرتبطة بأرضه ، ونَفْلُهُ متعلق بقرضه ،
فالمحمد لله الذي خَفَّفَ الأثقال ، وألهم حَالِ الضَّرِّ الأنتقال ، وسَوَّغَ في الشُّكْرِ المَعْقَالَ ،
وزاروا قال ، وجمع بين إيقاظ القلوب ، وإزالة المطلوب ، وأن وجد العدو طعم
الإسلام مرًا فما ذاقه ، وعُودَهُ ضَلْبًا فما أطاقه ، وورق عن طريق بيت الله ماعاقه ،
وقاد إليكم في بيوتكم فضل الجهاد وساقه [ورد المكر السيئ على العدو وأحاقه ^(١)]
فما كانت هذه المَكِيدَةُ إلا داهية للكفر طارقه ، ونكنة لعصب التثليث عارقه ،
ومُعْجِزَةٌ من آثار النبي الشريف لهذا الدين المنيف حارقه ، واستأصلت للعدو المال ،
وقطعت الآمال ، وأوهنت اليمين والشمال . فبادرنا عند تعرف الخبر ، المختال من
أثواب المَسْرَةِ في أممِ الحبر ، المَهْدِي أعظم العبر ، إلى تهنئتك تطير بنا أجنحة
الإرتياح ، مُبارية للرياح ، وتستفِرْنَا دواعي الأفراح ، بحسب الودِّ الفُرحِ ، وكيف
لا يُسَّرَ البَسَارُ بيمينه [والوجهُ بيمينه ، والمسلمُ يدينه ، وخاطبناكم مهتئين ولولا العوائق ^(١)]
التي لا تبرح ، والموانع التي وصحت حتى لا تُنْشِرَ ، ومكايده هذا العدو الذي يأسوبه
الدهرُ ويَجْرَحُ ، لم تجترِ بإعلام القلم ، عن إعمال القدم ، حتى نتشرف [بالورود على

(١) الزيادة من "الزبجاة" .

تلك العتابة الشريفة ، ومنتاز زيارة الأبواب المنيفة ، فنفضي [الفرض تحت رعيها ،
وبركة سعيها ، لكن المرء جنيب أمليه ، ونية المؤمن أبلغ من عمله ، فهينئنا بما حولكم
الله من ظفر شهدت برضا الله مراسمه ، وأقترت عن تُغور العناية الربانية مباسمه ،
وتوقرت لديكم مواهبه ومقاسمه ، وبيئ البيت المقدس مكان فضل الله ومنه ،
وسلامة مجته ، وبيئ الإسلام عصمة نغره المؤثر ، وطهارة كتابه المنشر ، وجمال
عنوانه ، وقفل صوانه ، وباب إيوانه : مرفاً القسطاط ، ومركز لواء الرباط ،
ومحط رحال الإغباط ، ومتخير الإسكندر عند البناء والإختطاط . ومما زادنا بجهنا
بهذا الفتح ، وسرورا زائدا بهذا المنح ، ما تحققنا أنه يثير من شفقة المسلمين لهذا
القطر الذي لا يزال يطرفه ما طرق الإسكندرية على مر الأيام ، وتجلب عليه برأ
وبجراً عبدة الأصنام ، بحيث البرموصول ، والكفر بكثرة العدد وصول ، ويران
الجوار [متراية للعيان ، والفراسخ القليلة] متوسطة بين مختلف النحل والأديان ، والعند
لا يتسب ، والصريح إلا من عند الله لا يحسب ، فنحنجنا بالدعاء ألسنة فضلائه ،
وتسهمنا خواطر صالحيه وأوليائه ، والله لا يقطع عن الجميع عوائد آلائه ، ويعرفنا
بركة أنبيائه ، وينصنا في أرضه بملائكة سمائه .

وقد كانت اتصل بنا في هذه الأيام الفارطة الذنر الذي ملأ اليد استكثارا ،
والخلد اعتدادا واستظهارا ، والهيم تغارا ، وأضاء القطر أنوارا : جوابكم الكريم يئم
من نفعاته شدا الإذخر والخليل ، وتتمس من خلال حافاته بركات الخليل ، وتقوى
الوجوه به آثار المعاهد ، وتلتصع من ثانيا وفادته بوارق الفوائد ، فأشكرم به من وافد
تخطوب ، وزائر مرقوب ، صدعتابه في حفل الجهاد اتحاء وأفصحارا ، ثم صناه

في كرائم الخزائن آفتاءً تلقف وأدخارا ، وجعلنا قِوَاهُ سُكْرًا مِعْطَارًا ، وشَاءَ سِقِيْ
 في الخاضعين مَطَارًا ، ودعَاءُ يُعْبِي اللهُ به لمقامكم السني في أولياته مَنْدَارًا ، ويجهز به
 لملئكم كما فعل أنصارا ، ويثيبكم الجنة التي لا يرضى السعداءُ غيرها قرآرا ،
 والله تعالى يجعل لأفلاك الهناء على مخاطبة مقامكم الرفيع العلاء مَدَارًا ، ويُقيم الشكر
 ألزم الوظائف لحقكم آئندارا ، والثناء أولى ما تحلى به مجدكم شعارا ، ويثيبكم للإسلام
 رُحْمًا شديدًا ، وظلًا مديدًا ، وسماءَ مِدرارا ، ما استأنفت البدورُ إبدارا ، وطأب الليل
 نهارا ، والسلام .

المقصود الثالث

(في رسم المكاتبات الواردة عن ملوك السودان ، وفيه ثلاثة أطراف)

الطرف الأول

(في المكاتبات إلى صاحب مالي^(١))

وهو المستولى على التكرور وغناته وغيرها ، وهي أعظم ممالك السودان المسلمين
 مملكة ، ولم أقف لأحد منهم على صورة مكتبة إلى الأبواب السلطانية ، إلا أن المقر
 الشهابي بن فضل الله في كتابه "مسالك الأبحار" عند الكلام على هذه المملكة
 تعرض لذكر سلطانها في زمان الملك الناصر «محمد بن قلاوون» وهو منسى موسى ،
 وذكر أنه ورد منه كتاب يمسيك لنفسه فيه ناموساً ولم يورد نسخته .

(١) كذا في الأمل ولعله « المكاتبات الواردة من صاحب مالي » كما يقتضيه التقسيم فتنه .

الطرف الثاني

(في المكاتبات الصادرة عن صاحب البرنو)

ورسم مكاتبه أن تكتب في ورق مربع بخط الخط المغاربه : فإن فضل من المكاتبه شيء كتب بظاهرها ، وتفتح المكاتبه بخطه مفتحة بالحد ، ثم يتخلص إلى المقصد ببعدية ، ويأتي على المقصد إلى آخره ، ورأيت قد ختم مكاتبه إلى الأبواب السلطانية بقوله : والسلام على من اتبع الهدى . وكان ذلك جهل من الكاتب بمقاصد صناعة الإنشاء ، إذ لا يتنون إلى حقائقها .

وهذه نسخة كتاب ورد على الملك الظاهر « أبو سعيد برقوق » ووصل في شهر سنة أربع وتسعين وسبعمائة ، صحبة ابن عمه ، مع هدية بعث بها إلى السلطان بسبب ما يذكر فيه من أمر عرب جذام المجاورة لهم ، وهي في ورق مربع ، السطر إلى جانب السطر ، بخط مغربي ، وليس له هامش في أعلاه ولا جانبه ، وثمة الكتاب في ظهره من ذيل الكتاب وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

الحمد لله الذي جعل الخط ترأسا بين الأبعد ، وترجما بين الأقارب ، ومصافحة بين الأحباب ، ومؤنسا بين العلماء ، وموحشا بين الجهال ، ولولا ذلك لبطلت الكلمات ، وقسدت الحاجات . وصلوات الله على نبينا المصطفى ، ورسولنا المرتضى ، الذي أغلق الله به باب النبوة وختم ، وجعله آخر المرسلين بشيرا وقديرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، ماناحيت الورق ، وما عاقب الشروق الأصيل . ثم بعد ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، رضي الله عنهم أجمعين .

من المتوكل على الله تعالى ، الملك ، الأجل ، سيف الإسلام ، وربيع الأيتام ،
 الملك المقدم ، القائم بأمر الرحمن ، المستنصر بالله المنصور في كل حين وأوان ،
 ودهير وزمان : الملك ، العادل ، الزاهد ، التقى ، النقي ، الأتجد ، الأتجد ، الغشمم ،
 نحر الدين ، زين الإسلام ، قطب الخلافة ، سلالة الكرماء ، كهف الصدور ، مصباح
 الظلام ، أبي عمرو عثمان الملك ، ابن إدريس الحاج أمير المؤمنين المرحوم ، كرم الله
 ضريحه ، وأدام ذرية هذا ملكه - هذا اللفظ وارد على [لسان] كاتبنا لأننا ولا نفر -
 إلى ملك المصر الجليل ، أرض الله المباركة أم الدنيا .

سلام عليكم أعطر من المسك الأذقر ، وأعدب من ماء النعام واليم ، زاد الله ملككم
 وسلطانكم ، والسلام على جلسائكم وفقهائكم وعلمائكم ، الذين يدرسون القرآن والعلوم ،
 وجماعتكم ، وأهل طاعتكم ، أجمعين .

وبعد ذلك ، فإننا قد أرسلنا إليكم رسولنا ، وهو ابن عمي ، اسمه إدريس بن محمد
 من أجل الحاجة التي وجدناها ، وملوتنا ، فإن الأعراب [الذين] يُسمون جدّما
 وغيرهم قد سبوا أحرارنا : من النساء والصبيان ، وضعفاء الرجال ، وقرايتنا ، وغيرهم
 من المسلمين . ومنهم من يشركون بالله ، يُمارقون للدين ، فغاروا على المسلمين
 فقتلواهم قتلا شديدا ، لقتنة وقعت بيننا وبين أعدائنا ، فسيب تلك الفتنة قد قتلوا
 ملكنا ، عمرو بن إدريس الشهيد ، وهو أخونا ابن أيتنا إدريس الحاج ، بن إبراهيم
 الحاج ، ونحن بؤسيف بن ذي يزن ، و [الذي] قبيلتنا ، العربي القرشي ، كذا
 ضبطناه عن شيوخنا ، وهؤلاء الأعراب قد أفسدوا أرضنا كلها ، في بلد يربو كافة
 حتى الآن ، وسبوا أحرارنا وقرايتنا من المسلمين ، ويبيعونهم لجلاب مصر والشام
 وغيرهم ، ويختمون ببعضهم ، فإن حكم مصر قد جعله الله في أيديكم من البحر إلى
 أسوان ، فإنهم قد اتخذوا متجرا ، فتبعثوا الرسل إلى جميع أرضكم ، وأمرايكم ،

ووزرائكم، وقضائكم، وحكامكم، وعلماكم، وصواحب أسواقكم، ينظرون ويحنون
ويكشفون؛ فإذا وجدوهم فليترعوهم من أيديهم، وأيتلوهم، فإن قالوا نحن أحرار ونحن
مسلمون فصدقوهم ولا تكذبوهم؛ فإذا تبين ذلك لكم فاطلقوهم وردوهم إلى حرماتهم
وإسلامهم، فإن بعض الأعراب يفسدون في أرضنا ولا يصاحون، فإنهم الجاهلون
كتاب الله وسنة رسولنا، فإنهم يزيتون الباطل، فاتقوا الله واحشروه ولا تتحدوهم
يُسترقوا ويأعوا، قال الله تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ . وقال الله تعالى لتبني عليه السلام ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ
بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ . وقال الله تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ
بِعَظْمِ لِقَسَدَتِ الْأَرْضِ﴾ . وكان عليه السلام يقول: «السلطان ظل الله في الأرض
يأوى إليه كل مظلوم» . وقال: «المؤمنون كالبنيان يسد بعضهم بعضاً إلى يوم
القيامة» . وقال: «المؤمن أخو المؤمن لا يظلمه ولا يسلمه» إلى آخره. وفي الحكمة:
ومن الفرائض الأمر بالمعروف على كل من بسطت يده في الأرض (أراد به السلاطين)
وعلى من تصل يده إلى ذلك (أراد بذلك القضاة والحكام والأمراء) فإن لم يقدر
فلسانه، (أراد بذلك الفقهاء والعلماء) وإن لم يقدر فقبله، (أراد بذلك عامة
المسلمين) أطل الله بقاءكم في أرضكم . فاجروا الأعراب المفسدين عن دعرهم،
قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وقال عليه
السلام: «كلكم راجع وكلكم مسئول عن رعيته» . وقال في الحكمة: لولا السلطان
لاكل بعضهم بعضاً . وقال تعالى لتبني داود عليه السلام ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً
فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ
يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ مِمَّا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ والسلام على من
أتبع الهدى - ولم يؤرِّخ .

الطرف الثالث

(في المكاتبات الصادرة عن ملك "الكائيم" ولم أقب له على مكتبة إلا أنه يُشبه أن تكون المكتبة عنه نظير المكتبة عن صاحب "البرنو"
فإنه على قُرب من مملكته والله أعلم

المقصد الرابع

(في الكتب الواردة من الجانب الشمالي، وهي بلاد الروم)
قد تقدم ذكر المكتبة إلى أمراءها، وأن كبيرهم الذي صار أمرهم إليه وأنقادوا
إلى طاعته الآن هو ابن عثمان صاحب برساً^(١).

القسم الثالث

(من المكاتبات الواردة إلى هذه المملكة الكتب الواردة عن ملوك الكفار،
وهي على أربعة أضرب)

الضرب الأول

(الكتب الواردة عن ملوك الكرج^(٢))

الضرب الثاني

(الكتب الواردة عن ملوك الحبشة)

والعادة فيها أن ترد في قطع^(٣) باللسان^(٣) ولم أظفر بصورة مكتبة في هذا
المعنى إلا مكتبة واحدة وردت على الملك الظاهر بيبرس، ضمن كتاب إلى صاحب
اليمن، وصاحب اليمن أرسله إلى هنا فيما وقفت عليه في بعض المصنفات، وهو:

(١) لم يذكر في الأصل نموذجاً من المكتبة ولا ترك لها بياضاً كالعادة فنبه .

(٢) لم يذكر لها نموذجاً ولم يتكلم على رسمها كثيراً . (٣) بياض في الأصل .

أَقْلُ الْمَالِكِ يَقْبَلُ الْأَرْضَ ، وَيُنْهَى بَيْنَ يَدَيْ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ ، خَلَّدَ اللَّهُ مَلِكَهُ ، أَنْ رَسُولًا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ وَالِي قَوْصِ ، بِسَبَبِ الرَّاهِبِ الَّذِي جَاءَنَا ، فَجِئْنَا مَا جَاءَنَا مَطْرَانُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ وَنَحْنُ عَيْبُدُهُ ، فَيُرْسِمُ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ لِلْبَطْرِيَرِكِ [أَنْ] يَجْهَزُ لَنَا مَطْرَانًا يَكُونُ رَجُلًا جَيِّدًا عَالِمًا ، لَا يَجْنِي ذَهَابًا وَلَا فِضَّةً ، وَيُرْسِلُهُ إِلَى مَدِينَةِ " حَوَان " . وَأَقْلُ الْمَالِكِ يُسِيرُ إِلَى تُوَابِ مَوْلَانَا الْمَلِكِ الْمَطْفَرِ : صَاحِبِ الْيَمَنِ مَا يَلْزِمُهُ ، وَهُوَ يُسِيرُهُ إِلَى تُوَابِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ ، وَمَا كَانَ سَبَبُ تَأْخِيرِ الرَّسُولِ عَنِ الْحَضُورِ إِلَى [مَا] بَيْنَ يَدَيْ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ فِي سَكَارٍ (؟) وَالْمَلِكُ دَاوُدُ قَدْ تَوَقَّى ، وَقَدْ مَلَكَ مَوْضِعَهُ وَلَدَهُ ، وَعِنْدِي فِي عَسْكَرِي مَائَةٌ أَلْفِ فَارَسٍ مَسَامِينٍ ، وَأَمَّا النَّصَارَى فَكَثِيرٌ لَا يُحْصَوْنَ ، وَالْكُلُّ غِلْمَانُكَ وَتَحْتَ أَمْرِكَ ، وَالْمَطْرَانُ الْكَبِيرُ يَدْعُوكَ وَاتَّخِذْ كُلَّهُمْ يَقُولُونَ آمِينَ ، وَكُلُّ مَنْ يَصِلُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى بِلَادِنَا نَكُونُ لَهُ أَقْلُ الْمَالِكِ ، وَنَحْفَظُهُمْ وَنَسَفِّرُهُمْ كَمَا يَجِبُونَ وَيَخْتَارُونَ ، وَأَمَّا الرَّسُولُ الَّذِي سَفَرُوهُ فَهُوَ مَرِيضٌ ، وَبِلَادُنَا وَبِحِمَّةٍ . أَيُّ مَنْ مَرِيضٌ لَا يَقْدَرُ أَحَدٌ يَدْخُلُ إِلَيْهِ ، وَأَيُّ مَنْ شَمَّ رَائِحَتَهُ فَيَحْرُسُ فَيَمُوتُ . وَنَحْنُ نَحْفَظُ كُلَّ مَنْ يَأْتِي مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ ، فَسِيرُوا مَطْرَانًا يَحْفَظُهُمْ .

قلت : وقد تقدم الجواب عن هذا الكتاب من كلام القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ، في الكلام على الكتب الصادرة عن الأبواب السلطانية إلى أهل الجانب الجنوبي من أهل الكوفة ، ولكن الكتاب المذكور يخالف ما تقدم هناك من ادعائه العظمة ، وأنه لولا اضطرابه إلى أخذ المطران من بطريرك الديار المصرية لكان يسمع بنفسه عن المكتبة ، ولعل ذلك كان في الزمن المتقدم .

الضرب الثالث

(الكتب الواردة عن ملوك الروم، ورأس الكل صاحب القسطنطينية)

وقد وقفت على كتاب ورد منه في السابع والعشرين من صفر سنة أربع عشرة
وثمانمائة في درج ورق فرنجي في نحو عشرين وصلا قطع النصف، والياض في أعلاه
وصل واحد، وفي أسفله وصلان، وله هامش عن يمينه وهامش عن يساره، كل
منهما تقدير إصبعين، ومقدار ما بين الشطور متفاوت: فأعلاه بين كل سطرين
أربعة أصابع مطبوعة؛ ثم بعد تقدير ثلث الكتاب بين كل سطرين قدر ثلاثة
أصابع؛ ثم بعد ذلك بين كل سطرين قدر إصبعين؛ ثم بعد ذلك بين كل سطرين
قدر ثلاثة أصابع إلى آخر الكتاب، والقلم في غاية [الدقة ب] قلم الرقاع الدقيق،
وفي آخره ثلاثة أسطر وقطعة بالحجرة بقلم أجل من الأول قليلا .

وهذه نسخة كتاب معربة بترجمة بطرك الميكانيكية، بحضور سيف الدين سيف^(١)
الترجمان، وهي :

المعظم، المنجد، المبجل، الضابط، السلطان، الكبير، سلطان مصر ودمشق
وحلب وغيرها، الملك الناصر (فرج) ابن السلطان الكبير المرحوم الظاهر (برقوق)
المحبوب إلى العزيز أكثر من أولاد مملكتي .

يُحِيطُ علمه أني ومملكتي طيبون بنعمة الله تعالى، وكذلك تكون - أن شاء الله
تعالى - سلطنتك المجدة طيبة في خير، وأن الحجة المودعة لم تزل بين والدك المرحوم
وبين والدي إلى آخر وقت . ونحن بحمد الله قد تزايدت محبتنا على ذلك وتكاثرت،

(١) لعله سودون الآق، بعد في الضرب الرابع .

وتتردد أيضا المحبة بيننا وبين سلطنتك المعظمة إلى الأبد ، فإن ذلك واجب ، وتردد رُسُلِكُمْ بَكْتِكُمْ إلينا ، وكذلك رسلنا بكتبتنا إلى مُلكِكُمْ ، وكان قصدنا أن نجهز إليكم رسولا لكنَّ الفتنَ في بلادنا ، وما بلغنا من سفر مولانا السلطان من تحت مملكته ، ولم نعرف إلى أي مكان توجه ، أوجب تأخير ذلك ، وأن حامل هذا الكتاب التوجه به إلى السلطان المعظم المسمى (سورمش) التاجر من اسطنبول هو من جهتنا ، وله عادة بالتردد إلى مملكتم المعظمة ، ونحن نعلم أن سلطنتك تحب الطيور الكواهي ، فجهزنا لكم صحبة المذكور نحس كواهي و بازدار ، ليكون نظركم الشريف عليهم ، وكذلك على البطاركة والنصارى والكائنس على حكم معدلة السلطان ومحبته ، والوصية بهم ، ومعاوتتهم و رعائيتهم وإجراؤهم على جارى عواندهم ، من غير تشويش على مال نفوسهم من انصافكم أولا وآخرا لأجل محبتكم لنا ومحبتنا ، واستمرار العناية بهم ، مع أن البطاركة عرفونا أن مولانا السلطان يبرز مرسومه بمراعاتهم ، والإحسان إليهم ، ولم يزالوا داعين له شاكرين من معدلته ، ونضعف شكرنا من إحسانكم على ذلك ، وتكونوا ان شاء الله تعالى طيبين ، والمحبة متزايدة في أيامكم وأيامنا ، ومهما كان لمولانا السلطان بمملكتنا من أطواع^(١) ، فيرسم يعرفنا بها وينادي بذلك .

والذى بآخره بالجرة علامة الملك مضمونها (مانويك المسيحى بنعمة الله ،

ضابط مملكة الروم البلاوغس) .

(١) كذا في الأصل ومراده من خدم أو حاجات .

الضرب الرابع

(الكتب الواردة من جهة ملوك الفرنج بالإنديس ، وإلجهايت الشمالية ،

وما والى ذلك)

والعادة فيها أن تكتب باللسان الفرنسي ، وعادة الكتب الواردة عنهم جملة أن تكتب في قرخة ورق قرتنجي مربعة على نحو مقدار القرخة البلدي أو دونها ، بأسطر متقاربة ، باللسان الفرنسي وقلمه ، ثم يطوى طياً مسطحاً ويعنون في وسطه ، ويطوى من جهتي الأوتل والآخر حتى يصير العنوان ظاهراً من الطي ، ثم يُحَرِّزُ وَيُحْتَمُّ بِسَعَاءَةٍ ، ويحتم عليه بطمعة في شمع أحمر على نحو ما تقدم في الكتب الواردة عن ملوك الغرب ، فاذا ورد على الأبواب السلطانية فكُتِّمَتْهُ ، وترجم بترجمة الأربمان بالأبواب السلطانية وكتب تعريبه في ورقة مفردة وألصقت به بعد كتابة الجواب من التعريب على ما تقدم ذكره في مقدمة الكتاب .

وهذه نسخة كتاب وارد من دوج البنادقة ميكائيل ، على يد قاصده نقولا البندق في سادس عشر صفر المبارك سنة أربع عشرة وثمانمائة ، ترجمة شمس الدين سقز ، وسيف الدين سودون ، الترجمة بالأبواب الشريفة ، في قرخة ورق قرتنجي مربعة متقاربة السطور ، وهو :

السلطان المعظم ، ملك الملوك « فرج الله » ناصر الملة الإسلامية ، خلد الله سلطانه .

يقبل الأرض بين يديه نقولا دوج البنادقة ^(١) ، ويسأل الله أن يزيد عظمته : لأنه ناصر الحق ومؤيده ، وموئل الممالك الإسلامية كلها . ويُنهي ما عنده من الشوق

(١) تقدم قبل بأسطر أن اسمه ميكائيل وأن اسم رسوله نقولا . فنبه

والحجة لمولانا السلطان ، وأنه لم تزل أكابر التجار والمحتمسين والمترددين من الفرج إلى الممالك الإسلامية شاكرين من عدل مولانا السلطان وعلو مجده ، وتزايد الدعاء ببقاء دولته ، وقد رغب التجار بالترداد إلى مملكته الشريفة بواسطة ذلك ، ولأجل الصلح المتصل الآن بيننا والمحبة .

وأما غير ذلك ، فإنه بلغنا ما اتفق في العام الماضي من حبس العرفي تغردمياط المحروس ، وأن مولانا السلطان مَكَّ قُنصل البنادقة والمحتمسين من التجار بنفر الإسكندرية المحروس ، وزَجَّهم بالحديد ، وأحضرهم إلى القاهرة ، وحصلت لهم البهلة بين جنوسهم والضُرر والفهر الزائد ، وكسر حرمتنا بين أهل طائفتنا ، فإن الذي فُعل مع المذكورين إننا فُعل معنا ، وتعجبنا من ذلك : لأن طائفتنا لم يكن لهم ذنب ، وهذا مع كثرة عدل مولانا السلطان في مملكته ، ومحبتنا له ، ومناداتنا في جميع مملكتنا بكثرة عدله ، ومحبتنا لطائفتنا ، وإقباله عليهم ، وقولنا بجمع ثوابنا : إنهم يُكرمون من يجدونه من مملكة مولانا السلطان ويُراعونه ويُحسنون إليه ، والمسئول من إحسانه الوصية بالقنصل والتجار وغيرهم من البنادقة ، ومراعاتهم وإكرامهم والإقبال عليهم ، والنظر في أمورهم إذا حصل ما يشبه هذا الأمر ، ومنع من يشاكلهم لتحصل بذلك الطمأنينة للتجار ، ويرتدوا إلى مملكته .



وهذه نسخة كتاب ورد من كبطان الماغوصة والمستشارين بها ، في ثامن عشر صفر المبارك سنة أربع عشرة وثمانمائة ، ترجمة شمس الدين سنقر وسيف الدين سودون الترحمانيين بالأبواب الشريفة ، وهو :

الملك المعظم ، ملك الملوك ، صاحب مصر المحروسة ، الملك الناصر ، عظم

الله شاه .

يَقْبَلُ الْأَرْضَ بَيْنَ أَيْدِيهِ الْكِبْطَانُ وَالْمُسْتَشَارُونَ، وَيُبْهُونَ أَنَّهُمْ آتَاءَ اللَّيْلِ دَاعُونَ
 بِطَوْلِ بَقَائِهِ، مَجْتَهِدُونَ فِي اسْتِمْرَارِ الصُّلْحِ وَالْمَوْدَةِ الَّتِي لَا يَشُوهُبُهَا كَدْرُ بَيْنِ الْقَوْمُونَ (٩)
 وَبَيْنَ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ، وَأَنَّ فِي هَذَا الْوَقْتِ تَمَّ حَرَامِيَّةُ غُرَابٍ يَتَحَرَّمُونَ بِأَطْرَافِ هَذِهِ
 الْبِلَادِ، وَالْمِينَ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ وَنَحْنُ لَمْ نَزَلْ نُشْحِطْهُمْ بِالْمِرَاكِبِ وَالْأَغْرَبَةِ، وَنَمْتَعُهُمْ
 مِنْ ذَلِكَ جُهْدَنَا وَقُدْرَتَنَا، حَتَّى إِنَّا أَحَدًا صَارَ لَا يَجْتَسِرُ عَلَى الدَّخُولِ إِلَى مِينَا
 الْمَاعُوضَةِ بِجَمَلَةٍ كَافِيَةٍ، مَعَ أَنَّا كُنَّا خَلَصْنَا فِي الْمُدَّةِ الْمَاضِيَةِ مِنَ الْحَرَامِيَّةِ الْمَذْكُورِينَ
 نَحْمَةً وَعَشْرِينَ نَفَرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَكْرَمْنَاهُمْ وَأَطْلَقْنَا سَبِيلَهُمْ [وَعَزَمْنَا أَنْ] نَجْهَزَهُمْ
 إِلَى دِمِيَاطٍ أَوْ إِلَى نَفَرِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ .

وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ، فَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ بَرطُلَمَا أَوْسَقَى لِلوَاقِفِ الشَّرِيفَةِ صَابُونًا فِي مَرَاكِبِهِ،
 وَكَانَ قَصْدُهُ أَنْ يَهْرَبُ بِذَلِكَ، فَلِلْعَالِ عَمَّرْنَا مَرَكِبًا كَثِيرًا، وَأَخَذْنَا بَرطُلَمَا الْمَذْكُورَ
 بِالْمَحَارَبَةِ، وَأَحْضَرْنَاهُ إِلَى الْمَاعُوضَةِ، وَعَهَدْنَا بِطَرُوقِ الْمَرْكَبِ إِلَى شَخْصٍ يُسَمَّى
 (أَرْمَانِ سَلْبُورِيُونِ) وَهُوَ رَجُلٌ مَشْكُورُ السَّيْرِ، وَقَلْنَا لَهُ إِنَّهُ يَتَوَجَّهُ إِلَى خَازِنِ الصَّابُونِ
 الْمَذْكُورِ وَيَسْتَشِيرُهُ إِنْ كَانَ يُوسِقُ شَيْئًا مِنَ الْأَصْنَافِ لِمَوْلَانَا السُّلْطَانِ، وَيَجْهَزُهُ إِلَى
 أَيِّ مَكَانٍ اخْتَارَهُ لِيَسْلِمَهُ لِيَدٍ مِنْ تَهْرُزُ لَهُ الْمَرَاثِمُ الشَّرِيفَةَ بِتَسْلِيمِهِ، فَلْيَفْعَلْ، وَهَذَا
 الْقَوْلُ كُلُّهُ يَكُونُ دَلِيلًا عِنْدَ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ عَلَى صِدْقِ الْوَلَاءِ وَالْتِمَسِكِ بِالصُّلْحِ،
 وَالْمُسْتَوْجَابِ مِنَ الصَّدَقَاتِ الشَّرِيفَةِ الْإِقْبَالِ عَلَى التُّجَّارِ الْجَنَوِيَّةِ الَّذِينَ عِنْدَ مَمْلَكَتِهِ،
 وَكَفِّ أَسْبَابِ الضَّرْرِ عَنْهُمْ، وَيُنْشَرُ مَعْدَلْتُهُ عَلَيْهِمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَدِيمُ بَقَاعِهِ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

الفصل السادس

[من الباب الثاني] من المقالة الرابعة

(في رسوم المكاتبات الإخوانيات - وهي جمع إخوانية، نسبة إلى الإخوان،

جمع أخی - والمراد المكاتبات الدائرة بين الأصدقاء . وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في رسوم إخوانيات السلف من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين ؛

وهي في الغالب لا تخرج عن ضربين)

الضرب الأول

(أن تُفْتَحَ المكاتبة باسم المكتوب عنه)

وكان رسمهم فيه أن تفتتح المكاتبة بلفظ « من فلان إلى فلان ، سلام عليك ،

إني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو » فلما كانت خلافة الرشيد وأمر أن يزداد

هنا في السلطانيات « وأسأله أن يصلي على سيدنا محمد عبده ورسوله » كما تقدم

في موضعه ، جرى الكُتاب في الإخوانيات على ذلك أيضا ، وكان الخطاب يجري

بينهم في ذلك بأنا ، وأنت ، ولي ، ولك ، وعندي ، وعندك ، وما أشبه ذلك

من ألفاظ الخطاب ، وكانت خاتمة الكتب عندهم بالسلام .

الضرب الثاني

(أن تفتح المكتبة باسم المكتوب إليه : تفخياً لأمره ، وتعظيماً لشأنه)
 وكانت رسمهم في ذلك أن يفتتحوا المكتبة بلفظ « إلى فلان من فلان ، سلامٌ
 عليك ، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو » وباقى الكتاب على ما تقدم في الضرب
 الأول في الخطاب والختام وغيرها .

الطرف الثاني

(في رسوم الإخوانيات المحدثّة بعد السلف ، وفيه ثلاثة مقاصد)

المقصد الأول

(في رسوم إخوانيات أهل المشرق ، وفيه أربعة منهاج)

المهييع الأول

(في صدور الأبتدآت ، وهي على أساليب ^(١))

الأسلوب الأول - أن تفتح المكتبة بالدعاء ، وعليه اقتصر أبو جعفر النعمان في كتابه " صناعة الكتاب " وكان على رأس الثلثانة في خلافة الرازي ، وقد تقدم في الكلام على مقدمات المكاتبات نقلاً عن " مواد اليان " أن الأديبة كانت في الزمن الأول تستعمل فيما يتعلّق بأمر الدين : مثل قولك : أكرمك الله ، وحفظه الله ووفقه ، وحافظه ، وما أشبه ذلك ؛ فعُدل عنها قصداً للإجلال والإعظام إلى الدعاء بإطالة البقاء ، وإدامة العز ، وإسباغ النعمة ، ونحو ذلك : مما يتنافس فيه أبناء

(١) لم يذكر هنا إلا الأسلوب الأول ونبه على أن النعمان اقتصر عليه فتنبه .

الدنيا، جرماً على عادة القُرس . ثم رثبوا الدعاء على مراتب : بفعلوا أعلها الدعاء بإطالة البقاء ، ثم بإطالة العُمُر ، ثم بالمَد في العمر ، وكذلك سائر المكتوبات على ما تقدم بيانه هناك .

ثم هو على ستة أضرب :

الضرب الأول

(المكتبة من المردوس إلى الرئيس ؛ وهو على صنفين)

الصنف الأول

(المكتبة إلى الأمراء)

قد ذكر النحاس أنه يقال في افتتاح مكاتبتهم : أطال الله بقاء الأمير، فإذا أردت أجل ذلك كله، كتبت : أطال الله بقاء الأمير في أعز العز وأدوم الكرامة والشُور والنبطة، وأتم عليه نعمه في علو الدرجة، وشرف من الفضيلة، ونتاج من الفائدة، ووهب له السلامة والعافية في الدنيا والآخرة ؛ وبلغ بالأمير أفضل ما تجرى إليه همته ، وتسمو إليه أمتيته ، أو بلغ بالأمير أفضل شرف العاجل والآجل ، وأجزل له ثواب الآخرة .

ثم قال : ومن الدعاء له : أطال الله بقاء الأمير في عز قاهر ، وكرامة دائمة ، ونعمة سابقة ، وزاد في إحسانه إليه ، والفضيلة لديه ، ولا أخلى مكانه منه .
قال : ومنه أطال الله بقاء الأمير ، وأدام عزه وتأييده ، وعكوه وتمكينه ، وكبت عدوه .

ثم ذكر أدعية أخرى للأمراء عن الفضل بن سهل . منها - أطال الله بقاء الأمير، ومكّن له في البسطة وتزايد النعمة ، وزاده من الكرامة والفضيلة ، والمواهب

الجليلة ، في أعزِّ عزِّ وأدومِّ سلامة ، وأسبَل عافية - ومنها - أطال الله بقاء الأمير ، وأدام له الكرامة مرغوباً إليه ، وزاد في إحسانه لديه ، وأتمَّ نعمته عليه ، ووصل له خير العاجل بجزيل الآجل .

الصف الثاني

(المكتبة إلى القضاة)

وقد قال النحاس : إنه يدعى للقاضي بمثل ما يدعى به للأمير ، غير أنه يجعل مكان الأمير القاضي ، إلا أن الفضل بن سهل قال : يدعى للقاضي القضاة : أطال الله بقاء القاضي ، وأدام عزِّه وكرامته ، ونعمته وسلامته ، وأحسن من كلِّ جميل زيادته ، وألبسه عفوهُ وعافيته . وإنه يدعى له أيضا : أطال الله بقاء القاضي في عزِّ وسعادة ، وأدام كرامته ، وأحسن زيادته ، وأتمَّ نعمته عليه في أسبَح عافية ، وأشتمل سلامة . قال : وقال غيرُ الفضل : إن الكُفَّ ، يكتب كُفَّاه ومن كان خارجاً من نعمته : أدام الله بقاءك أيها القاضي .

الضرب الثاني

(المكتبة من الرئيس إلى المرعوس : كالمكتبة عن الوزير وقاضي القضاة)

وغيرهما ، والخطاب في جميعها بالكاف)

قال النحاس : وهي على مرَّاتب ، أعلاها في حق المكتوب إليه أطال الله بقاءك وأدام عزِّك وأكرمك ، وأتمَّ نعمته عليك ، وإحسانه إليك وعندك . ودونه « أطال الله بقاءك ، وأعزِّك وأكرمك ، وأتمَّ نعمته عليك وعندك » . ودونه « أدام الله عزِّك ، وأطال بقاءك ، وأدام كرامتك ، وأتمَّ نعمته عليك ، وأدامها لك » .

ودونه « أعزك الله، ومد في عمرك، وأتم نعمته عليك، وما بعدة على توالي الدعاء^(١) الذي تقدم ». ودونه « أكرمك الله وأبقاك، وأتم نعمته عليك، وأدامها لك ». ودونه « أن تسقط وأدامها لك ». ودونه « أبقاك الله وحفظك وأتم نعمته عليك، وأدامها لك ». ودونه « أن تسقط وأدامها لك ». ودونه « حفظك الله وأبقاك، وأتمتع بك ». ودونه « عاقانا الله وإياك من سوء » .

قال في "صناعة الكتاب" : هذا إذا جرى الأمر على نسبه ولم تتغير الرسوم، وإلا فقد يمرض أن يكون في الدولة من هو مقدم على الوزير أو مساوي به فتغير المكتبة، فقد كان عبد الله بن سليمان (يعني وزير المعتضد) يكتب أبا الجيش (يعني ثمارويه بن أحمد بن طوئون) : أطال الله بأخى بقاءك إلى آخر الصدر، للصاهرة التي كانت بين أبي الجيش وبين المعتضد ولأن المعتضد كاه . ثم قال : فإن كان الرئيس غير الوزير، فربما زاد في مكاتبته زيادة لمن له محل : فيزيده ويكاتبه زيادة التأييد ودوام العز . قال : ويُدعى للفقهاء : أدام الله بقاءك في طاعته وسلامته وكفايته، وأعلى جدك وصان قدرك . وكان لك ومنك حيث لا تكون لنفسك . أو : أدام الله بقاءك في أسر عيش وأتم بال، وخصك بالتوفيق لما يحب ويرضى، وحبك برشده، وقطع بينك وبين معاصيه . أو : أطال الله بقاءك بما أطال به بقاء المطيعين، وأعطاك من العطاء ما أعطى الصالحين . أو : أكرمك الله بطاعته، وتولاك بحفظه، وأسعدك بعونه، وأيدك بنصره، وجمع لك خير الدنيا والآخرة برحمة، إنه سميع قريب . أو : تولاك من يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وكان لك من هو بالمؤمنين رؤوف رحيم . أو : أكرم الله عن النبار وجهك، وزين بالتقوى تجلك . أو : أكرمك الله بكرامته تكون لك في الدنيا عزاً، وفي الآخرة من النار حرزاً .

الضرب الثالث

(المكاتبة إلى النظراء، والمخاطبة فيه بالكاف)

قال في "صناعة الكتاب" وأعلى ما يكتب في ذلك (يعنى بالنسبة إلى المكتوب إليه) ياسيدي «أطال الله بقاءك وأدام عزك وتأييدك إلى آخر الصدر» . ودونه «أطال الله ياسيدي بقاءك» . ودونه «ياسيدي وأحي أطال الله بقاءك» . ودونه «أدام الله يا أحي بقاءك» .

الضرب الرابع

(المكاتبة إلى الأبناء، والمخاطب فيه بالكاف)

قال في "صناعة الكتاب" يكتب الرجل إلى ابنه : يا بني أنت ، أو : فذاك أبوك . أو : مات قبلك . أو : أسأل الله عز وجل يحفظك ويحافظك ورعايتك . أو : أرشدك الله أمرك . أو : أحسن البلاغ بك . أو : بلغ الله بك أفضل الأمل ، وأتم السرور بك ، وجعلك خلفا صالحا ، وبقية زاكية .

الضرب الخامس

(المكاتبة إلى الغائبين، والمخاطب فيه بالكاف)

قال النحاس : يدعى لهم : صرف الله السوء عنك ، وعن حظي منك . أو : أطال الله بقاء النعمة عليك وعلى فيك . أو : جعلت أنا وطاري وتالدي فذاك . أو : ملأني الله إخوانك ، وأدام بقاءك . أو : أستودع الله عز وجل ما وهب لي من خلقك ، ومنتحنى من أخوتك ، وأعزني به من مؤدتك . أو : حاط الله حظي منك ،

وأحسن المدافعة عنك . أو : ببقائك مُنعت ، وفقدك مُنعت . أو : نفسى تحديبك ،
واللهيبُيقبك ، ويهينى الأسواءُ فيك . أو : ملأنى الله النعمة ببقائك ، وهنأنى ما منحنى
من إخالِكَ . أو : أبى الله النعمة لى ببقائها لك ، وبلغها بك . أو : وفر الله حظى
منك ، كما وفر من المكارم حظك . أو : ملأنى الله ببقاك ، كما منحنى إخالكَ .
أو : دافع الله لى وللكارم عن حوْبائك ، وأمتعنى ببقائك ، وجمع أملى فيك بجمعه
المكارم لك . أو : زادك الله من النعم حسب تزيديك فى البر لإخوانك ، وبلغ بك
أماهم كما بلغ بهم آماهم فيك .

الضرب السادس

(المكاتبة إلى النساء)

قد ذكر النحاس أنهن يُكاتبن على نظير ما تقدم من مكاتبة الرئيس والمرؤوس
والنظير ، غير أنه قد وقع فى الاصطلاح من بعضهم أنه لا يقال فى مكاتبتهم وكرامتك
ولا وأتم نعمته عليك ، ولكن وأتم نعمته لَدَيْكَ ، ولا فضله عندك ، ولا سعادتك ،
ولا فعلت ولا أن تفعلى ، ولكن يقال : إن رأيت أن تمنى بذلك مننت به ، وما
أشبه ذلك ، وقد تقدم فى الكلام على مقدمات المكاتبات بيان كراهتهن لذلك .

قلت : ثم راعى الكُتَّاب فى تعظيم المكتوب إليه أن عدلوا عن خطابهِ بالكاف
عن نظير خطاب المواجهة إلى معنى الغيبة ، فقالوا : له ، وإليه ، وعنده ، ونحو ذلك
وخصوا الخطاب بالكاف بأدنى المراتب فى حق المكتوب إليه . على أنه قد تقدم
من كلام النحاس إنكار ذلك على من أعتمده محتجاً عليه بأنه لا أعظم من الله تعالى
مع أنه يقال فى الدعاء يا الله ونحو ذلك .

(١) كذا فى الأصل ولعل مراده وغير الكاف من ضمير خطاب المواجهة إلى الخ .

وقد ذكر ابن حاجب الثعالب في كتابه "ذخيرة الكتاب" أدعية مرتبة على الغيبة، وقال: أعلاها «أطال الله بقاءه»، وأدام تمكينه وأرتفاعه، ورفعته وسنانه، وكبت عدوه». . ودونه «أطال الله بقاءه، وأدام تأييده، وعلاه وتمهيدته، وكبت عداه». . ودونه «أطال الله بقاءه، وأدام تأييده وحرس حوابعه». . ودونه «أطال الله بقاءه، وأدام تأييده ونعمه». . ودونه «أطال الله بقاءه، وأدام نعمه». . ودونه «أطال الله بقاءه، وأدام عزه». . ودونه «أطال الله بقاءه، وأدام توفيقه وتسيده». . ودونه «أطال الله بقاءه، وأدام سداه وإرشاده». . ودونه «أطال الله بقاءه، وأدام حراسته». . ودونه «أدام الله تأييده». . ودونه «أدام الله توفيقه». . ودونه «أدام الله عزه وسنانه». . ودونه «أدام الله عزه». . ودونه «أدام الله حراسته». . ودونه «أدام الله كرامته». . ودونه «أدام الله سلامته». . ودونه «أدام الله رعايته». . ودونه «أدام الله كفايته». . ودونه «أبقاه الله». . ودونه «حفظه الله». . ودونه «أعزّه الله». . ودونه «أبده الله». . ودونه «حرسه الله». . ودونه «أكرمه الله». . ودونه «وقفه الله». . ودونه «سلمه الله». . ودونه «رعاه الله». . ودونه «عافاه الله». . وعلى معنى الغيبة يقال في الدعاء أطال الله بقاء الأمير . أو بقاء القاضي . أو بقاء سيدي . أو بقاء مولاي، وما أشبه ذلك في كل رتبة بحسبها .

وأعلم أن الداهيين من الكُتّاب إلى إجراء المخاطبة في المكتبة على معنى الغيبة كما هو طريقة ابن حاجب الثعالب وغيره، يعبرون عن المكتوب إليه بلقبه الخاص : كالوزير، والأمير، والحاجب، والقاضي، وما أشبه ذلك؛ وذكره بالسيادة وما في معناها، مفضلين لفظ الجمع، كسيدنا ومولانا على لفظ الأفراد كسيدي ومولاي؛ ويتعتون المكتوب إليه بالجليل أو الحاجب الجليل، ويعملون الأفراد دون ذلك في الرتبة فيقولون: سيدي، أو مولاي الأمير الجليل، أو الحاجب الجليل،

(١) لعله كالحاجب الجليل . ان لم يكن زائدا من فلم النسخ .

ونحو ذلك . ثم توسعوا في ذلك بفعلوا الدعاء متوسطا كلام الصدر على القرب من
الابتداء ، مقدمين بعض كلام الصدر عليه ، ومؤخرين بعضه عنه . مثل أن يقال
في المكتبة بشكر : إذا كان الشكر - أطال الله بقاء سيدنا الأمير فلان - ترجمان النبي ،
ولسان الطوبى ، وشاهد الإخلاص ، وعنوان الإختصاص ، وسببا إلى الزيادة ،
وطريقا إلى السعادة ، وكانت معارفه قد أحاطت بعمادته ، واستوتت على محاسنه ،
فألسن آثارها مع الصمت أفصح من لسانه ، وبيئاتها مع الجحود أبلغ من بيانه ،
ونحو ذلك . ثم أحدثوا اصطلاحا آخر أضافوه إلى الاصطلاح الأول ، قدّموا على
الدعاء لفظ « كتابنا » أو لفظ « كتابي » رتبة دون رتبة ، مثل أن كتبوا : كتابنا - أطال
الله بقاء الأمير - ونحن على أفضل ما عودنا الله من انتظام الأمور وسدادها ، واستقامتها
بحضرتنا وأطرادها . أو كتابي - أطال الله بقاء مولاي الحاجب - عن سلامة يتغصها
فتدك ، ويتغصها فراقك ، وما يجرى مجرى ذلك . وربما أبدلوا لفظ كتابنا أو كتابي
بلفظ كتبت بصيغة الفعل ، وربما أبدعوا بانظ أنا ونحوه . ثم خرج بهم الاختيار
إلى مصطلحات اصطلاحوا عليها مع بقاء بعض المصطلح القديم : فخطبوا بالحضرة
تارة ، وبالخدمة تارة ، وبالمجلس أئخرى ، فكتبوا : كتابي - أطال الله بقاء حضرة سيدنا
الوزير ، أو سيدنا الأمير ، ونحو ذلك ، أو أسعد الله الحضرة ، أو أسعد الله الخدمة ،
أو ضاعف الله جلال الخدمة ، أو أعز الله أنصار الخدمة . وربما كتبوا : صدرت
هذه الخدمة إلى فلان . وقد يكتبون : صدرت هذه الجملة ، إلى غير ذلك من
تفصياتهم التي لا يسع استيعابها ، ولا يمكن اجتماع متفرقاتها .

قلت : وبالجملة فضبط صدور الإخوانيات وابتدائها على هذا المصطلح
غير ممكن لأختلاف مذاهبهم في ذلك ، والذي تحصل لي من كلام النحاس

وَأَبْنُ حَاجِبِ النَّمَانِ ، وَتُرْسُلُ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِي ، وَالْعَلَاءُ بْنُ مُوَصَّلَايَا ، وَأَبِي الْفَرَجِ
الْبَيْهَقِيِّ ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْكُتَّابِ الْمُجِيدِينَ أَنَّ الْغَالِبَ فِي الْمَكْتَابَاتِ الدَّائِرَةِ بَيْنَ أَعْيَانِ
الدُّوَلِ عَلَى سَبْعَةِ أَسَالِيْبٍ :

الأسلوب الأول

أَنْ تَفْتَحَ الْمَكْتَابَةَ بِالْدُّعَاءِ

كَمَا كَتَبَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي إِلَى الصَّاحِبِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الشُّكْرِ وَالتَّشَوُّقِ .

أَطَالَ اللهُ بَقَاءَ سَيِّدِنَا الصَّاحِبِ الْخَلِيلِ ، فِي سَلَامَةِ دُنْيَا وَدِينِ ، وَتَقَاذِيرِ أَمْرٍ وَتَمَكِينِ ،
وَتَعَامٍ عِزٍّ وَتَأْيِيدِ ، وَثَبَاتٍ وَطَاقَةٍ وَتَمَهِيدِ ، وَعُلُوِّ قَدْرِ وَسُلْطَانِ ، وَتَعَاظِمِ خَطَرٍ وَشَانِ ،
وَتَوْلَاةٍ فِي نَفْسِهِ وَأَوْلِيَانِهِ بِأَحْسَنِ مَا عُرِفَ وَأُنْفِ ، مِنْ نَيْمِ دَائِرَةِ الْخَلْبِ ، مِنْتَفِرَةِ
الشُّعْبِ ، مِنْجِيَةِ الْجِهَاتِ وَالْجَوَابِ ، مَجْجُوبَةٍ عَنِ النَّوَابِغِ وَالشُّوَابِ ، وَأَرَاهُ فِي حُسَادِ
فَضَائِلِهِ ، وَكُفَّارِ قَوَاضِيهِ ، مَا عَوَّدَهُ فِيهِمْ مِنْ شَقَاءِ جُدُودِهِمْ ، وَفُلُوكِ حُدُودِهِمْ ، وَحُلُوكِ
النِّكَالِ بِهِمْ ، وَإِنْبَاتِ الْعِصْمَةِ مِنْهُمْ . وَجَعَلَ حُكْمَهُ قُطْبًا لِمَدَارِ الْأَنْفَالِكِ ، وَتَهْجَا
تَجَارِي الْأَقْدَارِ ، فَلَا يَنْزِلُ مِنْهَا مَحْبُوبٌ مَطْلُوبٌ إِلَّا تَوَجَّهَ إِلَيْهِ وَتَحَاةَ ، وَلَا مَحْذُورٌ إِلَّا
أَعْرَضَ عَنْهُ وَتَحَامَاهَا ، ثُمَّ كَانَتْ بَرُوعِيسَ مَعَانِدِيهِ حُلُولُهُ ، وَبِرِقَابِهِمْ إِحَاطَتُهُ ، وَفَوْقَ
ظُهُورِهِمْ تَحَلُّهُ ، وَعَلَى صُدُورِهِمْ تَجَسُّمُهُ ، أَمْرًا بَرَّحْنَا قَضَاءَ اللهِ لَهُ وَخَصَّصَهُ بِهِ ، وَأَعْطَتُهُ
الْأَيَّامَ عَلَيْهِ عَهْدَ أَمَانِيهَا ، وَأَمَرَّتْ لَهُ بِهِ عِنْدَ صَحَائِنَا ، عَاطِفَةً عَلَيْهِ بِطَاعَتِهَا وَمُؤَانَاتِيهَا ،
مُعْضِيَةً لَهُ عَنِ نَوَائِبِهَا وَتَبَوَّاتِيهَا ، وَحَقِيقٌ عَلَيْهِ جَلُّ أَسْمِهِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ بِهِ ، وَيَسْمَعَ
هَذَا الدُّعَاءَ فِيهِ ، إِذْ كَانَ مَرْفُوعًا إِلَيْهِ فِي أَوْفَرِ عِبَادَةِ فَضْلَا ، وَأَعْمَرَهُمْ نَيْلًا ، وَأَجْرَلَهُمْ
أَدْبَا ، وَأَكْثَرَهُمْ حَسْبَا ، وَأَعْمَلَهُمْ بِطَاعَتِهِ ، وَأَوْلَاهُمْ بِإِحْسَانِهِ وَمَعُونَتِهِ ،

كتبت هذا الكتاب أطال الله بقاء سيدنا صاحب الجليل ، ثم آنخرط في سلك مقصده إلى آخره .

الأسلوب الثاني

أن يتوسط الدعاء صدر الكتاب بعد الإبتداء بكلام مناسب للحال .
 كما كتب أبو إسحاق الصابي أيضا عن بعض الأمراء إلى أمير آخر، مبشرا بفتح :
 ومن أعظم النعم - أطال الله بقاء مولانا الأمير الجليل - خطرا ، وأحسنها أثرا ،
 نعمة سكنت ثوره ، وأطفأت قوره ، وعادت على الناس بحميل الصنع ، وجيليل النقع ،
 ونظام الأمور ، وصالح الجمهور ، فلك التي يجب أن يكون الشكر عليها مترادفا ،
 والاعتداد بها متضاعفا ، بحسب ما أزلت من المضره ، وجددت من المسره ،
 وأماطت من المخدور ، ونشرت من المأمول . وحقيق على الناس أن يعرفوا حقها ،
 ويؤفوها من حمد الله قسطها ، ويتجزؤه وعده الحق في أداها ، وإطالة الإمتاع بها ،
 والحمد لله على أن جعلنا ممن يعرف ذلك ويهتدى إليه ، ويعتقده ويتطوى عليه ،
 ويؤدى فرض الاجتهاد في الاستدامة والاستزادة منه ، وأن خصنا من هذه النعم
 بذوات الفضل السابغ ، والظلل المانع ، الجامعة لكبت العدو ومسائه ، وابتهاج الولي
 ومسرتة ، وهو المسئول جل اسمه وعز ذكره ، أن لا يسلبنا ما ألبسناه من سرايلها ،
 وأجزأنا من فضل ديوها ، وعودناه من جلاله أقدارها ، وتعاظم أخطارها ، ولا يعدمنا
 معونه منه على بلوغ أقصى الوسع في الاعتداد بها ، ومتمهي الطوق في البشرها ،
 بتنه وطوله ، وقوته وحوله .

وقد عرف مولانا الأمير فلان ما كاتب من كذا وكذا ، ثم أتى على ذكر الفتح إلى آخره .

الأسلوب الثالث

أن يُفتتح الكتاب بلفظ « كتابي » كما كتب الصابى عن الوزير أبى عبد الله الحسن بن سعدان ، إلى نحر الدولة بن بويه فى إشارة فتح .

كتابى - أطال الله بقاء مولانا الأمير الخليل نحر الدولة - ومولانا الملك السيد صمصام الدولة وتشمس الملّة ، جارٍ على أفضل حال ، جمع الله بينهما فى تمام عمرٍ ونصرٍ ، ونفادٍ أمرٍ ونهى ، وعلو كلمةٍ ورأى ، وسُبوحٍ موهبةٍ ونعمه ، وشكر الله يستريد من فضله ، ويستدرّ المادة من طوله ، وأنا جارٍ فيما أحمله من أعباء خدمتهما ، وأتولاه من تعاطم شئونهما ، على إجل ما عود الله ووزراء هذه المملكة المناصبين لها ، وأولياها المحاميين عنها ، من هداية إلى مرآشد الأمور ، وتوفيقٍ لصواب التدبير ، والحمد لله رب العالمين ، وقد كان كذا وكذا .

الأسلوب الرابع

أن يُفتتح الكتاب بلفظ « كتبت » كما كتب الصابى إلى صاحب الجيش فى تعزية :
 كتبت - أطال الله بقاء سيدنا صاحب الجيش - والعينُ عبرى ، والكيدُ حرى ،
 والصبرُ مسلوب ، والعزاءُ مغلوب ، بالقيجة فى سيدى فلان نصر الله وجهه ، وكرم مُنقلبه ، التى هدّت الجلّد ، وفنت فى العُضد ، وبسطت عُذر الجزوع ، وهجنت حلم الحليم ، فإن الله وإنا إليه راجعون ، وإلى أمره صائرون ، وعند الله نحسبه عُصنا ذوى ، وشهاباً خباً ، وعائق مِصنّة علقّت به أيدي الثواب ، وتخيّره سبهاً المصائب ، وقارنت بين قلوب الأبعاد والأقارب ، والخواص والعوام فى التألم لفقده والإستيحاش لمصرعه ، والكتابة لوقوع المهدور به ، وعز على أن يجرى لساني بهذا القول ، ويدي بهذا الخط ، إلى آخر المكتبة .

الأسلوب الخامس

أن يُفْتَحَ الكِتَابُ بِالْحَطَابِ : كما كتب صاحب ديوان الإنشاء في زمن المسترشد عن نفسه ، إلى نُجَاجِ الدَّوْلَةِ وَزَيْرِ دِمَشْقَ ، بعد هَلَاكِ زَيْنِ بْنِ أَقْسَنُقَر .

أيها السيد الرئيس المحامي عن سره ، والذي قَصُرَ إلا في المعالي ، رَبُّ نَائٍ بِجِسْمِهِ وَهُوَ دَائٍ بِقَلْبِهِ ، وَغَرِيبٌ إِذَا نَسَبَتْ وَأَمِيرٌ عَلَى دِمَشْقَ مَطَاعٌ فِي تَحْبِهِ ، وَلَهُ بِالْعِرَاقِ إِخْوَانٌ مِنْ حِزْبِهِ ، إِلَى آخِرِ الْمَكْتَابَةِ .

الأسلوب السادس

أن تُفْتَحَ الْمَكْتَابَةُ بِفَلْظِ : «أنا» كما كتب الصابي عن نفسه إلى الأمير أبي الحسن بهنّه يعيد .

أنا - أظالم الله بقاء سيدنا الأستاذ الأمير - أُحَاوِلُ الخِدْمَةَ لَهُ وَالقُرْبَةَ مِنْهُ مِنْذُ وَصَلْتُ إِلَى الْعَسْكَرِ الْمَنْصُورِ ، فَبِعَتْرُضٍ دُونَ ذَلِكَ عَوَارِضٌ يَجْرِي بِهَا الْمَقْدُورُ ، إِلَى الْحَيْنِ الْمَوْقُوتِ الْمَسْطُورِ ، وَقَدْ عَلِمَ مِنِّي وَشُهِرَ عَنِّي كَذَا وَكَذَا ، إِلَى آخِرِ الْكِتَابِ .

الأسلوب السابع

أن تُفْتَحَ الْمَكْتَابَةُ بِفَلْظِ « صَدَرَتْ » أَوْ « أَصْدَرْتُ » كما كتب صاحب ديوان الإنشاء في زمن المسترشد عن نفسه إلى أبي الفرج سعد بن محمد أشوقاً .

صَدَرَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ إِلَى نِلانَ ، وَلَوْاعِجُ الْأَشْوَاقِ إِلَيْهِ مِنْتَضَاعِفَةً مُتَرَادِفَةً ، وَأَسْتَمْتَرَارَ الصَّبْرِ عَلَى الْبُعْدَعَةِ قَدْ رَتَّ قُوَاهُ ، وَوَهَنَ عُمَرَاهُ ، وَأَعْوَزْنَا وَجِدَانَهُ إِذْ عَنَّتْ ذِكْرَاهُ ،

وإن كان ذكره سميراً خاطراً، ونجماً الناظر، والغريم الملازم، الذي يستحق غالبه اللبيب الحازم، إلى آخر الكتاب .

المهجع الثاني

(في الأجوبة على هذا المصطلح ، وهي على ضربين)

الضرب الأول

أن يفتح الجواب بما يُفتح به الابتداء ثم يقع التعرُّض بعد ذلك لوصول الكتاب والجواب عنه : إما ملاصقاً لأول الابتداء ، وإما بعد كلام طويل .
فأما ما هو متصل بأول الابتداء ، فكما كتب الصابي .

كتابي - ووصل كتاب مولاي وفهمته ، وجلّ عندي قدره وموقعه ، وسكنتُ إلى ماددٍ عليه من سلامته ، وسألتُ الله أن يُسبِّحَ عليه ظلِّها ، ويُنِّله نعمة كلِّها ،
فأما ما ذكره من كذا وكذا ، إلى آخر الكتاب .

وأما ما هو بعد كلام طويل ، فكما كتب الصابي أيضاً عن نفسه إلى الصاحب ابن عباد .

كتابي - أطل الله بقاء مولانا الصاحب الجليل كافي الكفاة - وليس من جارية إلا ناطقةً بشكره وحمده ، ولا في الدهر جراحة إلا عافيةً بفضلِهِ ورفده ، وأنا مستمرُّ له على دعاء : إن خلوتُ من أن يكونَ عهداً لصلاحي ، ورأيتُنا بلخاجي ، لألترمتُه عن الأحرار العائنين في نداءه ، المستظِلِّين بِذِراهُ^(١) ، فكيف وأنا أوّلُ ساهرٍ في مرآبِهِ ،

(١) الذي ما يستكن فيه الإنسان والفضل راجع ج ١٨ من اللسان .

وواريد لشرائعه ، وأحوالي جاريةً على استقامة أقوى أسبابها تصرف الأيام على آرائه ،
 واتباعها إشارته في أوليائه وأعدائه ؛ واخذ الله رب العالمين ، قضاءً لحقه وأقتضاً ،
 لمزيدة ، واستدامة للنعمة عنده ، التي استحصفت في أيدينا ستمًا ، وسالت علينا
 شعابها ، وعمرتنا سجاها ، ونفيات لنا ظلالها ، وما يزال بين رغبة مولانا الصاحب الجليل
 كافي الكفاة - أدام الله علوه ، وكبت عدوه ، في عبده ورغبة عبده إليه سر مكنون
 في الصدور ، ومستور تحت الضلوع ، فهما يتاجيان به على بعد الدار ، ويلتقيان
 عليه بالأفكار ، فإن تطلع من حجاب القلوب ؛ وشد من ظهور الغيوب ، فإن ظهوره
 يكون من جهته في نعمات الإنعام ؛ ومن جهتي في ثمرات الكلام . وقد وصل كتابه
 المخطوط بكرمه لا بقلبه ، إلى صنيعة المسائل بين يديه بيهمة لا بقدمه ، فلم يستطع
 أن ينهض من الفكر ، إلا بقدر ما يرى ساحة من الكفر ، ويلغنه إلى آخر الاجتهاد
 والعدو ؛ وأسأل الله أن يطيل بقاءه للأفضل المأخوذ منه ، والأفضل المأخوذ عنه ،
 والعلم الذي يزخر به بحره ؛ والفخر الذي يسحب له ذيله ، والعز الذي ضرب عليه
 رواقه ، والسلطان الذي ألقى إليه استحقاقه ، والأمر والنهي اللذين يحويهما ترانا
 واكتسابها ، إذا حوآهما غيره غلولا واعتصابا ، بمنه وطوله ؛ وقد كان كذا وكذا .

الضرب الثاني

(أن يفتح الجواب بلفظ «ورد أو وصل» ونحوهما)

كما كتب الصابي عن الوزير أبي عبد الله بن سعدان في جواب كتاب ورد عليه .
 وصل كتابك - أطال الله بقاءك - وفهمته ، وأدى فلان ما تحمله عنك ووعيته ،
 وأزددت به بصيرة في سدادك ومعرفتك ، وفضلك وحصافتك ، واجتماع الأدوات
 الجميلة فيك ، الداعية إلى إعلاء محللك ، وحميد حالك ، والثقة بك ، والاستقامة إليك ،

وأنيبتُ ذلك إلى مولانا الملكِ فلان ، فأصغى إليه مستمعاً ، وأوجب لك به حقاً متضاعفاً ، وأمرني بكذا وكذا إلى آخر مراده .

وكما كتب أبو الفرج البغاء في جواب كتاب :

ورد كتابك مُشافها من البرِّ ، ومؤدياً من الفضل ، ومتحملاً من المنِّ ، مانحاً وراز
الإنصاف إلى الإسراف ، وقرن الإكرام بالإنعام ؛ ولم أدر أيُّ المنح به أشكرُ ،
ولا بأيِّ العوارف له أعترف : أبما تحمله من جميل نيته ، أم ما أدنى من جليل مخاطبته ،
أم مانحني به فوائد ملاحظته ، أم ما اعتمدني من حلاوة مفاوضته ، إلى غير ذلك
من الوصول إلى النعمة التي لا أطاولها بذكر ، ولا أقاومها بمنة اعتداد : وهو ابتدأه
إيأى من المكاتب بما أحرز به على عادته قصب السبق ، وزاد على الرغبة مبرها
وبصدق الودُّ مخيراً ، وإلى البسط دليلاً ، وعلى مستأنف الخدمة بالمواصلة باعناً ،
ووجدته أبده الله قد فعل كذا وكذا .

المهيع الثالث

(في خواتم الإخوانيات على هذا المصطلح)

وأعلم أنه لم يكن لهم ضابط للاختامات ، ولا ما يقتضى ملازمة اختتام معين
لصديق معين ، بل ذلك موكل إلى رأى الكاتب لا يراعى فيه غير علو الرتبة وهبوطها ،
حيث تفاوتت رتب الاختتامات عندهم .

ثم الاختتامات لثبهم على أنواع شتى .

منها — الاختتامُ باستراحة الرأى ، وهو على مراتب : أعلاها «ولمولانا علو الرأى
في ذلك» كما كتب الصابى في خاتمة كتاب : ولمولانا علو الرأى في تشريف خادمه

بالقبول ، والتقديم بإعلامه بالوصول ، واستخدامه بما يتعلق بأراهه وأوطاره - ومن نظائر ذلك وأشكاله - إن شاء الله تعالى .

ودون ذلك - الاختتامُ بلفظ « فإن رأى كذا وكذا فعل » كما كتب الصابي في خاتمة كتابِ بشاره بفتح ، فإن رأى سيدي أن يعرفني موقعَ هذه البُشرى منه ، ومقابلتها بالشكر الواجبِ عليها ، ويتقدم بإشاعتها في نواحيه وأعماله ، ليُكَيِّتَ الله به عدوه وعدوئا ، ويُكَاتِبني بما أنطَلَعه من أحواله وأخباره ، وأنعمد إسماعقه به من مآربه وأوطاره ، فإنِّي أعتدّه شريكًا لنا مَاهِمًا ، وخليطًا مُفَاوِضًا ، فعلى إن شاء الله تعالى .

ودونه « فرأيك في كذا وكذا » كما كتب أبو الفرج البغاء في خاتمة كتاب في الحثّ على مواصلة الكُتُب ، فرأيك في إيناسنا بِمُتَبِّك متضمنةً ماثُورَه من إنبساطك ، ونعلمه من أخيارك ، موفِّقا إن شاء الله تعالى .

وقد تقدّم في الكلام على أصول المكاتبات لأشئ معنى كان فرأيك دونَ فإن رأيت .

وذكر ابن حاجب الثمان أن أعلى المراتب « وللآراء العالية فضلُ السمو ومزيد القدرة . ودونه « ورأى المجلس الفلاني فضلُ وُسْمُوهُ » . ودونه « ورأى الحضرة الفلانية فضلُه » . ودونه « ورأى حضرة مولانا أسمى » . ودونه « ورأى حضرة مولاي العالی » . ودونه « ورأيه موفِّقا » . ودونه « ورأيه السديدُ » . ودونه « ورأيه الأرشد » . ودونه « والمؤثر كذا » . ودونه « فأجب أن يفعل كذا » . ودونه « ويجب أن يفعل كذا » . ودونه « فافعل كذا من غير مخالفة » . ودونه « وانحذر المخالفة » .

ومنها - الإختتام بالدعاء، كما كتب الصابي خاتمة كتاب « وأسأل الله أن يطيل بقائه ، ويوصل إخوانه ، ويحفظه يميدا وقريبا ، ويرعاه غائبا وحاضرا .

ومنها - الإختتام بطلب مواصلة الكتب، كما كتب الصابي في خاتمة كتاب ؛ وأنا أسأله أن يواصلني بكتبه ، مضمنة أخباره الطيبة ، وأمره المتقل ، وأوطاره ومهماته ، معتمدا بذلك ، إن شاء الله تعالى .

ومنها - الإختتام بترك التكليف بالمكاتبة في غير الضروري ، كما كتب الصابي في آخر مكاتبة ، وما أطالب سيدي بالمكاتبة إلا عند الحاجة العارضة ؛ فإنه يفيدني بها جميلا أشكره ، ويستفيد مني سعيا يحمده ، فأما ماعدا ذلك مما يشغل أوقات راحته ، ويسد فوج خلوته ، فإنني أستعفي منها استعفاء المتقرب إليه ، المؤثر لما خف عليه ، وله فيما سألت فضل النظر فيه ، والإسعاف به ، إن شاء الله تعالى .

ومنها - الإختتام بالتحذير من المخالفة ، كما كتب الصابي في خاتمة كتاب إلى جماعة بتحصيل قوم : وليكتب كل واحد منهم بختبر من عني أن يظفر به من هؤلاء ، أو يقف على موضعه ، أو ينتهي إليه شيء من خبره ، وليحذر من التصير في ذلك . إلى غير ذلك من الإختتامات التي لا تحصى كثرة .

وقد ذهب كثير من الكتاب [إلى عدم تفضيل بعض الإختتامات على بعض] على أن ابن حاجب النعمان قد قال في "نذخيرة الكتاب" إن أعلى ذلك بالنسبة إلى المكتوب إليه : وللاراء الفلانية فضل السموم ومزيد الصدر . ودونه « ورأى المجلس الفلاني فضله وسموه » . ودونه « ورأى الحضرة الفلانية فضله » . ودونه « ورأى حضرة سيدنا أسمى » . ودونه « ورأى حضرة مولاي العالى » . ودونه « ورأيه

(١) اقتبسنا هذه الجملة من المقام وأضفنا ما لتتم الكلام وعبارة ابن حاجب النعمان تمددت في الصفحة

مَوْقِعًا . . ودونه « ورأيه السَّيِّدُ » . ودونه « ورأيه الأَرشَدُ » . ودونه « والمؤثَّرُ كذا » . ودونه « فأحبُّ كذا » . ودونه « ويحبُّ أن يفعل كذا » . ودونه « وسيدُّه أن يتمدَّ كذا » . ودونه « فافعل كذا » . ودونه « فافعل كذا من غير مخالفة » . ودونه « وأحذِّرِ المخالفة » .

المهَيِّع الرابع

(في عُنوانات الكتب على هذا المصطَلَح ، وفيها أربعة أحوال)

الحالة الأولى — أن يكون العنواُن من الرئِيس إلى المرئُوس ، قد ذكر في « صناعة الكتاب » أن العُنُواناتِ من الوزير والقاضي وغيرهما من الرؤساء على تسع مراتب :

(الأولى) أن يكتبَ في الجانب الأيمن « لأبي فلانِ أطال اللهُ بقاءه وأعزّه » ، وفي الجانب الأيسر « من فلانِ بن فلانِ » باسم الوزير وأسم أبيه إن لم يكنهُ الإمام ؛ فإن تكَّاه ، كتب « من أبي فلانِ » ، والقاضي في معنى ذلك .

(الثانية) أن يكتبَ في الجانب الأيمن « لأبي فلانِ أطال اللهُ بقاءه » فقط ، ويكتبُ الاسم^(١) ولا يكتبُ وأعزّه .

(الثالثة) أن يكتبَ في الدعاء للكتوب إليه ، أدام اللهُ عزَّه .

(الرابعة) أن يكتبَ أعزّه اللهُ .

(الخامسة) أن يكتبَ اشكرمه اللهُ وأدام كرامته .

(١) أي اسم الوزير في الجانب الأيسر وقوله ولا يكتب وأعزّه أي في الدعاء للكتوب إليه الذي هو

في الجانب الأيمن فتنبه .

(السادسة) أن يكتب أكرمه الله ، وفي ذلك يكتب أسم الوزير في الجانب الأيسر .

(السابعة) أن يكتب أبواه الله ، ولا يذكر أسم الوزير في هذه المرتبة وما بعدها .

(الثامنة) أن يكتب حفظه الله ولا يكتب أسم الوزير .

(التاسعة) أن يكتب عافاه الله .

وعلى نحو ذلك جرى أبى حاجب النعمان في " ذخيرة الكتاب " فقال : إنه يبدأ في الجانب الأيمن بذكر المكتوب إليه وتُعوِيه وكنيته وآسِمِه وآسِمِ أبيه ونسبِه المشهور من ناحيته أو قبيلته أو بلده ، ثم يذكر المكتوب عنه في الجانب الأيسر بأسمِه وآسِمِ أبيه ، فإن كان الكتاب عن الوزير ، ذكر كُنِيته في الجانب الأيسر ، إن كان الإمام أمره أن يكتب متكئبا أو متلقبا .

وقد سبق في الكلام على أصول المكاتبات في أوّل الباب الثاني من هذه المقالة أن من السلف من كره لأبي فلان وقال : الصواب أن يكتب إلى أبي فلان . قال في " صناعة الكتاب " ويكتب : لأبي الحسن ، فإن أعدت الكنية في الناحية الأخرى رفعت فقلت أبو الحسن على بن فلان على المبتدأ والخبر أو على إضمار مبتدأ ، وإن شئت خفضت على البدل ، فإن لم تعد الكنية كان الخفض أحسن فقلت لأبي الحسن ، ثم قال : وإن كتبت إلى رجلين كنية كل منهما أبو الحسن ، كتبت لأبوي الحسن إذا لم يكن لها ولد يُقال له الحسن ، فإن كان لكل منهما ولد يُقال له الحسن ، جاز أن يكتب لأبوي الحسنين . قال : والاختيار أن يكتب لأبوي الحسن أيضا ، لأن المعنى اللذين يُقال لكل واحد منهما أبو الحسن . ويجوز أن يكتب إلى الرجلين اللذين يكتبان بأبي الحسن : لأبي الحسن بفتح الباء وكسر الياء على لغة

من قال جاءني أبك ، والأصل فيه لأبي الحسن سقطت النون للإضافة ، ويكتب في الجمع لأبي الحسن بكسر الباء ، الأصل لأبين بكسرها أيضا ، سقطت النون للإضافة على لغة من قال : جاءني أبوك^(١) يعني بضم الواو ، ويجوز أن يكتب لرجل كنيته أبو الحسن لأبا الحسن على لغة القصر ، كما يقال لفتى الحسن .

قال في " ذخيرة الكتاب " وإن كان الكتاب إلى اثنين وكتابتهما مختلفتين : كآبي جعفر ، وأبي منصور ، وأبي بكر ، كتبت آباء جعفر ومنصور وبكر . وإن كانت كتابتهم متفقة مثل أن تكون كنية كل منهم أبو جعفر كتبت آباء جعفر .

الحالة الثانية — أن يكون العنوان من المرسوم إلى الرئيس . قد ذكر « النحاس » عن الفضل بن سهل أنه إذا حوَّطب الكُفء يجعلني الله فداءك بالصدر الكامل ، فأحسن دُعائه للعنوان ، أعزّه الله وأطال بقاءه ، وذكر أنه إذا كُتِبَ بأعزّه الله فأجمل العنوان مد الله في عمره . قال في " صناعة الكتاب " ولا يتكئ الرجل في كتبه ، إلا أن تكون كنيته أشهر من اسمه فيتكئ على نظيره ، ويسمى لمن فوقه ، ثم يلحق المعروف بأبا فلان ، أو المعروف بأبي فلان . قال : ويكتب : من أخيه ، إن كانت الحال بينهما تُوجب ذلك .

الحالة الثالثة — أن يكون العنوان من الرجل إلى أبنه ومن في معناه ، قد ذكر النحاس أنه يُعنون إليه من فلان بن فلان إلى فلان بن فلان ، ثم قال : وكذا كبير الإخوة والرجل إلى أهل بيته .

(١) كذا في الأصل ولم نعثر في كتب النحو على هذه اللغة ونعله تحريف من الناصح والأصل جاءني أبك

يعني بضم الباء فتأمل .

(٢) لعله إلى اثنين فأكثر وكتابتهم ... تأمل .

الحالة الرابعة — أن يكون المكتوب إليه امرأة . قال في "صناعة الكُتاب" :
 إن كان المكتوبُ إليه أمّ الخليفة ، كتب : للسيدة أمّ فلان أمير المؤمنين ، وإن
 كانت امرأة الخليفة وكان ابنها معهودًا إليه بالخلافة ، كتب للسيدة أمّ فلان وليّ
 عهد المسلمين ، وإن كانت امرأة رجل جليل ، كتب لحرّة أمّ فلان ، ولا يكتب
 اسمها ، ويدعو لها بالدعاء الذي يكون خطابها به .

هذا ما كان الحال عليه في زمن النحاس في خلافة الراضى وما حوّلها .

وقد ذكر ابن حاجب النعمان في "ذخيرة الكُتاب" أن الحال تغير عن ذلك عند
 تغير المكاتبات إلى المجلس العالى ، والحضرة السامية ، وما يجرى مجرى ذلك ، ثم قال :
 فعلى هذا إذا كتب إلى المكتوب إليه بالمجلس العالى أو السامى ونحوه ، فيجب
 أن يكتب عن نفسه بالملوك أو مملوكه أو العبد أو الخادم . وإذا كتب : الحضرة
 السامية أو العالمة ونحوها ، فيجب أن يكتب عن نفسه الخادم أو خادمها أو عبدها .
 وإذا كتب : حضرة سيدنا ونحوها ، فيجب أن يكتب عن نفسه خادمها أو خادمه
 وعبدها أو عبده . وإذا كتب : حضرة مولانا ونحوه ، فيجوز أن يكتب عن نفسه ماشاء
 من ذلك . قال : وفي الكتابة إلى النظير لا ضابط لعنوانه كما لا ضابط لمكاتبة ،
 بل له أن يكتب عن نفسه بما شاء مما تقدم ذكره .

ثم قال : وإن كانت المكاتبة من الرئيس إلى المرعوس ، فيجب أن يكتب : حضرة
 الفلانى بنير مولاي — ودونه : الفلانى بنير حضرة ، وكنيته ونحوه واسمه وأسم أبيه ،
 ويكتب عن نفسه ما يختار أن يكتبه الرئيس إلى المرعوس مما هو معروف مشهور ، ويزيد
 في اسمه وأسم أبيه ألفًا ولاما ، إن كانا مما يجوز أن يُزادا [فيهما] ، وإذا كتب المرعوس
 إلى الرئيس وكتب عن نفسه بما كتبه ، فيجب أن يحذف من اسمه وأسم أبيه الألف

واللام . قال : ولرئيس أن يكتب عن نفسه بما شاء من الكليات التي تليق بمنصبه وأسمه وأسم أبيه ونعته المقترن بأمر المؤمنين ، مثل ناصر أمير المؤمنين ، وحسام أمير المؤمنين ، وما أشبه ذلك .

المقصد الثاني

(في [رسوم] إخوانيات أهل المغرب)

وعادتهم فيها أن يكون الخطاب فيها خطاباً الموجهة ، مثل : أنت ، وأنا ، ولك ، وعندى ، وعندك . وربما خاطبوا الواحد بجمع تعظيماً للكتاب إليه ، كما يعبر عن المتكلم الواحد بتون الجمع تعظيماً له . قال ابن شيث في "معالم الكتابة" ولا يُعرف ذلك لغيرهم ، وربما وقع الخطاب عندهم على الغيبة أيضاً ، وفيه جملتان :

[الجملة الأولى]

(في مفتحات المكاتبات على اصطلاحهم ، وفيها مهيمان)

المهيمع الأول

(في ابتداء المكاتبات ، وهي على طرق)^(١)

منها — أن تفتح المكتوبة بالدعاء : إما بطول البقاء كما كتب عبد الله بن طاهر : أطل الله بقاء سيدي الأعلى ، ومقرعي في الجئي ، متممة عليه نعم ، ميسرة لديه الحمم ، أقول بدءاً أيديك الله : لقد أعشى الناظرين سنائك ، كما أعيا الطالبين مسعاك ، ولئن فئت الجميع ، لقد أبدعت الصديق ، فلا غاية لتجيد إلا وأنت آتيها ، ولا ذروة لعرز

(١) بيض لذلك في الأصل وزدناها من نظيرتها الآتية .

إلا ومن طَبَّكَ بآئِنَهَا ، لَكَ الْهُدَى وَالنَّاسُ ضُلَّالٌ ، وَفِي يَدَيْكَ الضُّوْءُ وَالْكُلُّ أَعْفَالٌ ،
وَإِنِ الْأَمْرُ كَذَا وَكَذَا .

وكما كتب أبو المطرف بن عميرة : أطال الله بقاء الأخ السيرى الكريم ، الحرى
بالتقديم والتعظيم ، أوجد قُرسان الإحسان ، وواحد عقبان البيان ، ولا زال قلمه جاني
بدائع السحر ، جالب بضائع الشجر ، مغبوط السبق ، عند كلال جياذ الكلام ، مبسوط
الرزق ، في حال إملاق الأقلام ، إنْ ذُكِرْتَ - أبغاك الله - البلاغة فمن على مؤردها
يسألك ، أو قيل في تيربعها بنت على خمس فإنما هي أنا ، لك ، صفوها متفجر
من معينك ، وشاؤها لا مطمع فيه لغير يمينك ، وشاؤها تستوفيه في هيئة ممهل ،
وجناتها ترعاه بعزة أحي مهلهل ، فقد صرت أمام أميها ، لا بل أمام أمتها ، والراضع
لرسلمها ، بل الراضع لأصلها . فهنيئاً لها أن كنت سابق غايتها ، وسائق رايتها ، وبشرى
أمهري وشنته براعتك ، ومشته براعتك ، لقد أوتى من الحسن ما تشتريه القلوب
بجباتها ، وتشتيه النفوس أكثر من حياتها ، وإن الأمر كذا وكذا .
وإما بالبقاء المجرد .

كما كتب أبو محمد بن عبد البر ، إلى بعض أرباب الأقلام :
أبى الله الشيخ في عزة تالدة طارفه ، وسعادة لاتزال طارقة بكل عارفه ، ولا زال
قاصده نخباً من رفته برؤض ناضر ، ومحوماً من مجده على مسرة سنع وقرة ناظر ،
والأمر كذا وكذا .

وإما بالدناء للخصرة .

كما كتب أبو زيد الفازازى :

أَبِي اللَّهِ حَضْرَةَ السَّيِّدِ نَاضِرَةَ أَدْوِاجِ السَّعْدِ ، عَاطِرَةَ أَفْوَاحِ المَحْمَدِ ، سَاكِبَةَ أَنْوَاعِ
 الجَدِّ ، صَائِبَةَ سِهَامِ الجَدِّ ، وَلَا زَالَتْ مَعْشِيَةَ الجَنَابِ ، بِوَفْدِ المَحْمَدِ ، مَوْشِيَةَ الإِهَابِ ،
 بِسُودَدِ الحَفْصِ ، النَّظْلُ إِذَا رَحِبَ ، أَزْدَحِمَ عَلَيْهِ الصَّاحُونَ ، وَالوَرْدُ إِذَا عَدَبَ ،
 أَزْدَلَقَ إِلَيْهِ المُنَاحُونَ ، وَظَلَّ الحَضْرَةَ المَكْرَمَةَ كَثِيفُ الأَقْيَاءِ ، وَوَرَدَهَا مُعْنٍ عَنِ وَسَائِطِ
 الأَرِشِيَّةِ وَالذَّلَاءِ ، فَلَا غَرْوَ أَنْ تُضْرَبَ إِلَيْهَا أَكْبَادُ الإِبِلِ ، وَتَقْصَّ بِالوُفُودِ عَلَيْهَا أَفْوَاهُ
 السُّبُلِ ، وَانَّهُ تَعَالَى يُعِينُ الحَضْرَةَ المَكْرَمَةَ عَلَى الأَيَادِي تُسَوِّغُهَا ، وَالأَمَالَ تَبْلَغُهَا ،
 بِمَنَّةٍ . وَإِنَّ الأَمْرَ كَذَا وَكَذَا .

وإما بالدعاء للعلل .

كما كتب أبو المطرف بن عميرة في صدر شفاعة .

أَبِي اللَّهِ الحَمَلُ الأَعْلَى حَرَمًا يَحْتَمَاهُ الأَنَامُ ، وَعَلَمًا تَتَضَاعَلُ لَهُ الأَعْلَامُ ، وَلَا زَالَتْ
 آرَؤُهُ النَّاسِجَةُ ، تَسْتَمِدُّهَا العُقُولُ والأَفْهَامُ ، وَمَسَاعِيهِ الصَّالِحَةُ ، يَشْكُرُهَا اللهُ
 وَالإِسْلَامَ . إِنَّ تَجْدَادَ سَامِي الكَوَاكِبِ بَمَنَوَاهُ ، وَسَارِي القُرَّ السَّوَابِكِ فِي جَدْوَاهُ ،
 لِدَاجِ إِلَى أَسْتِلَامِ كَفِّهِ عَلَيْهِ ، وَإِلِاسْتِهَامِ عَلَى وَصْفِهِ الَّذِي لَهُ حَقِيقَةُ الأَوَّلِيَّةِ ، وَكَيْفِ
 لَا وَقَدِ أَجَارَ مِنَ الذَّهْرِ المُخِيفِ ، وَصَارَ قِبْلَةَ كُلِّ دَاخِلٍ تَحْتَ التَّكْلِيفِ ، يُعِيدُ مَتَى
 أَخْطَاهَا صَلَاةَ الأَمَلِ ، وَيَرَى الأَجْتِهَادَ فِي طَلِبِهَا مِنْ رَاحَةِ العَمَلِ ، وَإِنَّ الأَمْرَ
 كَذَا وَكَذَا - إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الدُّعَاءِ .

ومنها - أن تفتح المكتبة بلفظ « كتابي » كما كتب أبو المطرف بن عميرة إلى
 بعض العلماء .

كتابي إلى سيدي - حَفِظَهُ اللهُ مُقِيمًا وَسَائِرًا ، وَأَبْقَاهُ لِقُرَرِ البَيَانِ سَاحِرًا ، وَعَنِ وَجْهِ
 الإِحْسَانِ سَافِرًا ، وَلَا زَالَتْ آدَابُهُ تُشْرِقُ وَتُرُوقُ سَاحِرًا ، وَمَحَاسِنُهُ كَالشَّمْسِ إِذَا لَمْ

يَلْقَى نَوْرَهَا سَاتِرًا - من فلانة - وَالْوَدَّ رَوْضَةً مَطْلُولَةً ، وَرِحْمٌ مَوْصُولَةٌ ، خَلَصَ مِنَ الْقَلْبِ إِلَى حَبْتِهِ ، وَآخِضٌ مِنْهُ بِمَا لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ أَحِبَّتِهِ ، وَأَنَارٌ شَوْقًا عَلَى قَدْرِهِ ، وَهَوَى نَوَى فِي صَدْرِهِ ، وَأَسْفًا عَلَى عَهْدٍ أَصْبُو إِلَى ذِكْرِهِ ، فَاتٌ ، وَوَرْدٌ الْفَائِتُ يَعْسُرُ ، وَقَصْرٌ ، وَأَيَّامُ السُّرُورِ تَقْصُرُ ، كَأَنَّمَا كَانَ قِرَاءَةَ سَطْرًا ، أَوْ إِغْفَاءَةَ بَقْرًا ، أَوْ زِيَارَةَ بُحْتَارًا ، أَوْ عِبَارَةَ ذِي إِيجَارٍ . فَمَنْ لَنَا بِذَلِكَ الْأَرْجِ الذِّكْرَى ، وَالْأَذْرِيحِي رِيحًا لَمَّا يَجْتَرِعُ أَوْ يَنْحِكِي ، وَمَقَى نَقُورًا بَيْنَ نَحْتٍ مِنْ صَخْرٍ ، وَزُرَيْرِي بِأَبِي صَخْرٍ ، وَيَتَرَفُّ مِنْ بَحْرِ ، وَيَجْرِي مَعَ أَبِي بَحْرٍ ، وَيَجْعُ إِسْنَادُهُ بَيْنَ الْجَامِعِ وَالْمُسْنَدِ ، وَيُنْشِدُ مِنْ بَدَائِعِ حَقِيقَتِهِ مَا يُؤَثِّرُ بِدِ الْمُسْنَدِ ، شَجَرَةٌ عِلْمٌ تُوْنِي كُلَّ حِينٍ أَكَلَهَا ، وَمُزْنَةٌ فَضْلٌ مَجُودٌ مَا نَحْشَى بِجَلَّهَا ، وَضَالَةٌ أَدِيبٌ يَقُلُّ لَهَا أَنْ يُجْعَلَ الْقَارِئُ جُعْلَهَا ، فَاتٌ عَنَّا ، فَانْعَبْ وَعَنِي ، فَهَلْ مَعِينٌ عَلَى دَوْلِهِ إِنْ نَحْنُ لُسَيْنَا ، أَوْ سَبِيلٌ إِلَى مَا يَفِيدُنَا مِنَ الْكَلَامِ فَتَحْنُ فِي حُرُوفِ تَجِي ، بِغَيْرِ مَعْنَى ، وَإِنْ الْأَمْرُ كَذَا وَكَذَا .

ومنها - أن تفتتح المكتبة بلفظ : كتبت .

كما كتب أبو زيد الفاززى .

كتبتُ - كتب الله للأخ الأبرار الأوفى ، والفاضل الذى أنار مآثره لانتفى ، مجداً هامى الرباب ، سامى الرباب ، وذكرنا متحلاً بالإطالة والإطابة ، وقرن أعماله بالقبول ودعواته بالاستجابة - من مكان كذا ، ولا جديد يُجِنُّ الله تعالى إلا صنعه الجميل ، ولطافة المربص الطويل ، والحمد لله رب العالمين ، حمداً يؤمن آلاءه من التغيير والتبديل ، والأمر على كذا وكذا .

ومنها - أن تفتح المكتبة بكافية عن المكتوب إليه من لقب ونحوه .

وكما كتب أبو المطرف بن عميرة لبعض الرؤساء .

الجناب الرباسي أدام الله اعتلاءه، وحرس مجده وسنائه .

صدرت هذه الخدمة إليه من فلانة، ولا مزيد علي ما يجب لجلاله من التعظيم،

ولفضله من التقديم، ولآلائه من الشكر العميم، وإن الأمر كذا وكذا .

وكما كتب أبو بكر بن عيسى شافعاً في أنصاري .

السيد العباد، والماسجد الجواد، والملجأ المنيع المريع لمن يرتاع أو يرتاد، أدام الله

علاءه، وضاعف عنده آلاءه، بذر الجملة الشريفة، وفرع الدوحة المثيفة، من

آل قيس الجود، وقيل بني قبيلة الباذلين الموجود، أولئك الذين عز المهاجرون

بإخائهم وحنانهم، فلاغرو أن تكلف الألسنة بمدحه، وتمد الأيدي إلى منحه،

ويصدر باسمه تاريخ الأجداد فهو أحق مفتحهم، والأمر كذا وكذا .

وكما كتب أبو المطرف بن عميرة، عن الأمير أبي جميل زيان، إلى الأمير

أبي زكريا بن إسحاق .

الأمير الأجل المهام الأعلى حرس الله مقامه، وأسعد أيامه، وظاهره بالنصرة

مضاهه واعتزاه، راسخ شرف التجار، ثابت أصل الفخار، مستهل آلاء الشحب

الغزار، والعيون إليه سامية، والهيم إلى مالدية مترايمية، والصدور بالأمل فيه تُشرح،

والنفوس الحرة إلى استرقاقه تطمح، ولا غرو والكرم من بعض شيمه، والغنى

من فضل ديمه - أن يسير إليه في البر والبحر كل ذي رغبة، وتراعى نحوه ركائب

الرجاء من كل تربة . ومحاطبتنا هذه إلى مجلسه أيده الله عما نعلمه من كبير قدره،

ونوجبه لعالي أمره، ويُبيح به من طيب خبره، وجميل ذكره، والأمر كذا وكذا .

وكما كتب أبو الحسن بن شلبون :

العِمَادُ المَذْنُوعُ وَالْمَلَأُ الَّذِي بَوْلَانُهُ أَفْخَرُ، جَعَلَ اللهُ قَدْرَهُ عَالِيًا، وَدَهْرَهُ بِحَاسِنِهِ حَالِيًا، وَلَا زَالَ لِنَعْمِ قَابِلًا وَلَا [سِوَاء] قَالِيًا، كَتَبْتُ مِنْ مَكَانِ كَذَا، وَالْوُدَّ حَالِيَةً يَتَأَلَّقُ رَوْتِقُهَا، وَشَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرُفْهَا، وَإِنْسَاءً مَغْرُوسَةً، لَا تَقْبَلُ بَدْرَ الْعَوَادِي، وَمَحْرُوسَةً، لَا يَقَعُ عَلَيْهَا مِنْ يَقَعُ فِي شَجَرِ الْوَادِي، وَالْأَمْرُ كَذَا وَكَذَا.

وكما كتب أبو المطرف بن عميرة إلى بعض الفقهاء شافعا موصيا :

المحلُّ الأعلى - ضاعف الله أنوار هدايته، وأبقى على الجميع أنار عناية - مستودع الكمال، ومشرع الآمال، ومقدم أرباب السؤال، ومصدق الصالح من الأعمال، وإن فلانا من أمره كذا وكذا.

وكما كتب ابن أبي الحِصَال :

الشيخُ الأجلُّ أدام اللهُ عِزَّهُ ونُعمَاهُ، وَوَصَلَ رِفْعَتَهُ وَعِلَاهُ بِتَقْوَاهُ، بِمُحَلِّ قُدْرَتِهِ، وَمَلْتَمِمْ بِرِّكُمْ وَشُكْرِكُمْ، الْعَارِفُ بِحَقِّكُمْ، فَلَانٌ، فَكَتَبَ يَعْظَمُكُمْ كَتَبَ اللهُ لَكُمْ خَيْرًا مَسْتَمِرًّا، وَرِضًا عَلَى مَا رَضَوْنَهُ نَائِبًا مَسْتَقْرًا، مِنْ مَكَانِ كَذَا، عَلَى الرَّسْمِ الْمَلْتَمِمْ مِنْ تَوْفِيرِ عِلَائِكُمْ، وَالشُّكْرُ لَا لَائِكُمْ، وَالرَّبُّ تَعَالَى يُنْهَضُ بِحَقِّكُمْ الْإِزْمَ، وَيَصِلُ حِرَاسَةَ مَجْدِكُمُ الْإِتِّلَادِ الْأَقْدَمِ، بِعِنَّةِ وَفَضْلِهِ، وَإِنَّ الْأَمْرَ كَذَا وَكَذَا.

وأعلم أنه ربما أتى بعد ذكر النعوت بالسلام، ثم بحمد الله تعالى والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله، ثم الرضا عن الخلفاء الماضين والخليفة القائم. وعلى ذلك كانت طريقة كتاب دولة الموحدين أتباع «المهدي بن تومرت» كما كتب أبو محمد بن عبد البر :

الشيخ الأجل ، أدام الله عزَّته ، ووصل كرامته ورفعته . جُلُّ قدره ، وملتزم ربه
 وشكره ، المسرور بما يُجرِّبه إحسانه من طيب ذكره .
 سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد حمد الله العظيم ، والصلاة على سيدنا محمد رسوله الكريم ، وعلى آله -
 والرضا عن الإمام المعصوم مهديه ، وعن خلفائه الأئمة الراشدين - والدعاء لسيدنا
 الخليفة الإمام أمير المؤمنين ، ابن الأئمة الخلفاء ، أمراء المؤمنين ، بالنصر الأعز ،
 والفتح الأتم الأوفى ، فكتب كتب الله لكم مجدا لا يهَى شرفه ، وسعدا لا يهَى
 طرفه ، من فلانة - حبسها الله - ولا ناشئ عن الله تعالى وعميم لطفه إلا الخير
 الأكل ، والصنع الأجل ، والحمد لله رب العالمين كثيرا ، وإن الأمر كذا وكذا .

قلت : وعلى هذه الطريقة كانت كتابة أبي عبد الله بن الخطيب : كاتب ابن
 الأحمر بالأندلس على القرب من زماننا .

ومنها - أن تفتح المكتبة بالخطاب ، إما مع حذف ياء النسب أو مع إثباتها .
 أما مع حذفها ، فكما كتب أبو المطرف بن المشي :

سَيِّدِي وَمُفَخَّرِي ، وَعِصْمَتِي وَوَزْرِي ، وَرُكْنِي وَعِمَادِي ، وَدَخِيرِي
 وَعَنَادِي ، أَبْقَاكَ اللهُ نَاهِجًا سُبُلَ الْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي ، مَوْقِيَّ حَوَادِثِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي .
 كَتَبِي أَعَزَّكَ اللهُ عَنْ عَهْدِ حَسَنِ لَكَ قَدْ أَحْكَمْتَ مَعَاقِدَهُ ، وَوَدَّ مَحْضِي فَيْكَ قَدْ صَفَّتْ
 مَوَارِدُهُ ، وَنَفْسِي تَرْتَجِحُ لَذِكْرِكَ ، وَلِسَانِي لِإِهْ بَيْنَ تَحَاسُنِكَ وَعُلَاكَ ، قَدْ أَنْفَسِحُ فِي نَمْرِ
 فَضَائِلِكَ مَيْدَانَهَا ، وَفَاقِي فِي وَصْفِ قَوَائِمِكَ بَيِّنَاتَهَا ، فَهِيَ تَنْظِمُ عُقُودَ تَجْدِيدِكَ ، عَلَى أَجْيَادِ
 شُكْرِكَ ، وَتَحْوِكُ مِنْ بُرُودِ تَقْرِيطِكَ وَتَسَائِكَ ، خِلْعًا لِمَجْدِكَ وَسَائِكَ ، وَشَيْهًا لِلذِّكْرِ
 الْخَطِيرِ ، وَطِرَارًا لِرَفْعِ التَّوْقِيرِ ، تَكْسِرُ عَصَبَ عَدُوِّكَ ، وَتُعْنِي عَلَى وَشَى الْيَمِينِ ؛

وَتَطَّلِعُ مِنْ رِيَاضِ أَخْلَاقِكَ ، فِي مَنَابِتِ أَعْرَافِكَ ، مَا يُزِيرِي بِسِيمِ الْمِسْكِ تَضْوَعُ
عَرَفَهُ ، وَأَنْتَشَارُهُ ، وَيُرِي عُلَى حُسْنِ النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ طَوَالِحُ أَزْهَارِهِ وَأَنْوَارِهِ ، وَأَخْلَاقُ
بَيْنَ جَمْعِ اللَّهِ الْعَالَمِ فِيهِ ، وَحَرَسِ مَعَاهِدِ الرَّبِّ بِكَرَمِ مَسَاعِيهِ ، أَنْ لَا تُعْزَى خَلَّةٌ نَيْبِلَةٌ إِلَّا
إِلَيْهِ ، وَلَا تُقَصَّرَ مَنَقِبَةٌ جَلِيلَةٌ إِلَّا عَلَيْهِ ، وَلَا تُؤَثِّرُ مَأْثَرَةٌ نَيْسَةٌ إِلَّا عَنْهُ ، وَلَا تُقْتَنَسُ
سِيرَةٌ حَسِيلَةٌ إِلَّا مِنْهُ ، وَاللَّهُ تَهْدِسُ أَسْمَهُ يَحْيَى هَذِهِ الْأَوْصَافَ الْبِدِيعَةَ ، وَالْحِلَالَ
الرَّفِيعَةَ ، مِنْ طَوَارِقِ النَّهْرِ وَتَوَازِلِ الْعَيْرِ ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهَا يَدَهُ ، وَيَصْرِفُ عَنْهَا مَعْرَةَ
كُلِّ خَطْبٍ وَشَدَّةٍ ، بِحَوْلِهِ وَطَوْلِهِ ، وَيَكُونُ الْأَمْرُ كَذَا ، وَكَذَا .

وَأَمَّا مَعَ إِثْبَاتِ يَاءِ النَّسَبِ ^(١) ، فَكَأَنَّ كَتَبَ أَبُو الْمُطَرِّفِ بْنِ الدَّبَّاعِ إِلَى بَعْضِ الْأَدْبَاءِ
عِنْدَ وِرْوَدِهِ إِلَى بِلَادِهِ :

يَا مَوْلَايَ ، وَسَيِّدِي ، الْعَظِيمَ شَأْنُهُ وَأَمْرُهُ ، الْعَالِيَ صِيتُهُ وَذِكْرُهُ ، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ
فِي عِزٍّ لَا تَقْصِمُ عُرَاهُ ، وَحِرْزٍ لَا يَسْتَبَاحُ حِمَاهُ ، لَمْ أَزَلْ - أَيْ يَا اللَّهُ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ -
تَسْمُؤِي إِلَى الْكِتَابَةِ هِمَّةً ، وَتَرَامِي بِي إِلَى الْبَلَاغَةِ عَزْمَةً ، حَتَّى تَذَلَّتْ لِي صِعَابُهَا
فَامْتَطَيْتُ ، وَتَسَهَّلَتْ لِي حُرُوفُهَا فَارْتَقَيْتُ . وَلَمَّا رُفِعَتْ لِي عَنْ غَرَائِمِهَا الْأَسْتَارُ ،
وَعَلِمْتُ مِنْ غَوَامِضِهَا الْأَسْرَارُ ، وَفُزْتُ بِالْمَعْلَى مِنْ سِهَامِهَا ، وَالْمَوْفُورِ مِنْ أَقْسَامِهَا ،
جَعَلْتَ بَأَى أُمَّتِهَا أُنْتُمْ وَأَهْتَدِي ، وَإِلَى أَى رُؤْسَائِهَا أَنْتَسِبُ وَأَعْتَرِي ، نَاطِرًا فِي ذَلِكَ
إِلَى شَائِعِ الْأَخْبَارِ ، وَمُتَدَاوِلِ الْأَثَارِ ، فَوَجَدْتُ الْأَلْسِنَةَ إِذَا تَاوَلَتْ صِفَةَ سِوَاهُ ، تَحَلَّتْ
بَعْضَ حِلَالِهِ ، أَوْ أَرْقَنَتْهُ إِلَى رُثِيَّةٍ مِنَ الْعُلِيَاءِ ، تَمَثَّلَتْ بِهِ فِي الرَّفْعَةِ وَالسَّنَاءِ ، ثُمَّ تُفْرَدُ
أَعْرَهُ اللَّهُ دُونَهَا بِالْفَهْمِ الْمَيِّنِ ، وَالْعِلْمِ الْمَشْهُورِ ، وَالْحِلْمِ الْمُتَعَارَفِ ، وَالْفَضْلِ الْمُتَوَاصِفِ ،
وَالرُّثِيَّةِ السَّامِيَةِ ، وَالْحِلَالَةِ الْمُتَنَاهِيَةِ . فَكُلَّمَا رَأَيْتُ مَحَاسِنَ مَجْدِهِ تُجَلِّي ، وَسُورَ فَضْلِهِ

(١) لم تثبت فيه ياء النسب كما هو ظاهر فاقبل .

تُثَلَّى، هَمَمْتُ أَنْ أُطِيرَ إِلَى حَضْرَتِهِ بِجَنَاحِ الْإِرْتِيَاحِ، وَأَرْكَبُ إِلَى أَفْقِهِ نَوْرَهُ اللَّهُ أَعْنَاقَ
الرِّيحِ، وَالْأَيَّامُ تَقْطَعُنِي بِمَصَائِبِهَا، وَتَقْدِمُنِي بِأَحْدَانِهَا وَبِحَوَائِئِهَا، حَتَّى قَضَى اللَّهُ أَنْ
يَرِدَ هَذَا الْأَفْقَ فَأَفْرَحَ الْأَمَلَ بِغَيْرِ نَصَبٍ، وَأَنَا أَلِ الْبُغْيَةَ بِغَيْرِ طَلَبٍ :

وَلَيْسَ الَّذِي يَلْتَمِعُ الْوَيْلَ رَائِدًا * كَمَنْ جَاءَهُ فِي دَارِهِ رَائِدُ الْوَيْلِ

ومنها - أَنْ تُفْتَحَ الْمَكْتَبَةُ بِالنَّجِيَّةِ وَالسَّلَامِ .

كما كتب أبو المطرف بن عميرة :

نَحْصُ الْأَبْنَ حُبَّةً وَمِقَّةً، وَالْعِبَادَ أَعْتَادًا بِجَانِبِهِ وَثِقَةً، حَفِظَ اللَّهُ تَجَانِبَهُ؛ وَجَعَلَ
لِدَائِعِي السِّيَادَةَ تَلِيَّتَهُ وَاجَابَتَهُ، نَحِيَّةَ الْإِجْلَالِ وَالتَّكْرِمِ، وَالْمَوَدَّةَ انْطَالِصَةَ الْمُتَحَكِّمِ،
وَرَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَبِرَكَاتِهِ، مِنْ مَكَانِ كَذَا، وَالْوُدَّ كَلْفَ، وَالْعَهْدُ بِالْمَصُونِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ
مَكْتَنَفٍ، وَتِلْكَ الذَّاتِ السَّيِّئَةَ ذَخِيرَةَ جَلِيلَةٍ، وَأَمِلْ لِأَشْخِطِي مِنْهُ تَحِيْلَهُ، وَهَبَةً يَكْذِبُ
مَعَهَا أَنْ يُقَالَ الْأَيَّامُ بِجَيْلِهِ . وَكَمَا نَفَّحْنَا أَنْ يَنْبَأَ الْكَرَمَ صَمَّ صَدَاءَهُ، وَمَرَّعَ الْفَضْلِ
عَاصِبٌ بِرِدَاءِهِ، وَغَائِبٌ عَنِ الرَّشْدِ أَدَاءَهُ، وَنَقُولُ : مَا كُلُّ مَنْ أَقْعَدْتَهُ الْعَيْلَةَ تُعْمِيْلَهُ،
وَمَنْ يَفْطِنُ عَمِيرَ عَمْرٍ وَبِحَيْلِهِ، فَكَمَا بِكِفَاتِهَا، وَهَلْ سَوَى قَيْسٍ لِرِحَى الْعُجُوزِ عَدِمَتْ
جَدَاتِهَا، حَتَّى تَمَثَّلَ هَذَا الْمَجَاهِدُ مِنْ طَرَفِهِ، الْمُسْتَقْبِلُ آثَارَ سَلْفِيهِ، حَفِظَ اللَّهُ الْأَلْفَاظَ
وَالْأَلْسِنَةَ، وَحَمَلَةَ الْأَقْلَامِ وَالْأَسِنَّةَ .

وكما كتب أبو زيد الفارازي .

السَّلَامُ الْكَرِيمُ الْعَمِيمُ، عَلَى الشَّيْخِ الَّذِي أَثْبَتَ عَلَى وُدِّهِ فَلَا أُنْحَوْلُ، وَأُطْنِبُ
فِي حَمْدِهِ فَلَا أُسْتَعِيرُ وَلَا أُنَاوِلُ، وَأَتَمَلَّلُ بِذِكْرِهِ عِنْدَ عَدَمِ مَرَاتِهِ وَلَا أَمْرِيماً أَعْتَلُّ؛
فَلَنْ - أَدَامَ اللَّهُ رِفْعَتَهُ، وَحَرَسَ مِنَ الْأَسْوَاءِ مُهْجَتَهُ . كَتَبَ أَخُوكُمْ، الْبَرُّ بِكُمْ، الشَّيْقُ

(١) كذا في الأصل ولم ننف عليه في غيره بعد البحث .

إليكم، الشاكر لمحاسنكم، المسرور بما سمعته من صلاح أحوالكم، فلان، ولا جديد
بمن الله تعالى إلا الخير والحمد لله كثيرا . والأمر كذا وكذا .

ومنها - أن تفتتح المكتبة بالكتابة عن المكتوب عنه .

كما كتب ابن أبي الحِصَال إلى بعض الكُتَّاب يسأله حاجة :

معظم الشيخ الأجلّ أبي فلان، ومجمله المكبر له فلان، أعلى الله قدركم، وأوزع
أولياءكم شكركم، أياديكم أدام الله كرامتكم أو كُف من الغنام، ونعمكم أزم للأعناق
من أطواق الختام، وإنّ وليكم ومعظّمكم يحتاج إلى كذا وكذا .

ومنها - أن تفتتح المكتبة بلفظ من فلان .

كما كتب [بعضهم] من فلان، إلى الشيخ الحافظ الأكرم أبي فلان : أدام الله
كرامته بقوّاه، فالكتاب إليكم كتب الله لكم أحوالاً صالحه، وخيرات عليكم غادية
رائحه، من موضع كذا، والبركات متوافره، والخيرات متظاهره، والحمد لله تعالى،
وإنّ الأمر كذا وكذا .

ومنها - أن تفتتح المكتبة بلفظ إلى فلان .

كما كتب بعضهم إلى والده .

إلى مولاي المعظم وأبي، المتكفل بتعليمي وحسن أدبي، أبصاه الله ناظراً إلى
بعين رضاه، وأعانني على الجري في ربه على حكم الشرع القويم ومقتضاه، من أبتك
المعظم لك، بل عبدك، المتطلع إلى ما يصل من الأبناء الكريمة من عندك، المواصل
المسمى في شركك وحميدك، فلان : بأبي كتبتك كتب الله لكم لساناً من العيش
وحفظاً، وجمع بعد الاقتراق بعضاً منا وبعضاً، ويسرني بطوله ومثته أن يصفح
عني وأنت يرضى، من موضع كذا، ولا جديد إلا نعم من الله عز وجل تراوح

وَتُعَادِي، وَيَجْرِي الخَوَاتِمُ مِنْهَا عَلَى حُكْمِ الْمَبَادِي، وَشَوْقٌ إِلَيْكُمْ يَعْزُرُ أَحْنَاءَ ضُلُوعِي
وَتُوَادِي، وَيَحْسِمُ عَنِّي قَطِيعِي دَمِي الْمَتُونِ وَسَهَادِي، وَاللَّهُ جَلٌّ وَعَزٌّ يَأْتِرُ أَنْقِضَابَ
عُرْبَةِ النَّوَى، وَيُرِيحُ النَّفُوسَ مِنْ مُخْرِقِ اللُّوْعَةِ وَلَا عِجَّ الْجَوَى، وَالْأَمْرُ كَذَا وَكَذَا.

المَهْيَعُ الثَّانِي

(فِي الْأَجْوِبَةِ)

(وهي على ما تقدم في أجوبة المشاركة من أنها على ضربين)

الضرب الأول

(أن يفتح الجواب بما يفتح به الابتداء، ثم يقع التعرض

إلى وُصُولِ الكِتَابِ، وَذَكَرَ الجَوَابَ عَنْهُ)

كما كتب أبو عمرو الباجي :

وَعَدُّكَ الْكَرِيمُ - أَدَامَ اللَّهُ عَزْرَكَ - دِينَ، وَقَضَاؤُهُ شَرَفٌ وَزَيْنٌ، وَمِثْلُكَ مِنْ تَحَلُّ
بِحَاسِنِ الشَّيْمِ، وَزَاوَمَ فِي السِّيَادَةِ بِالْمُنْكَبِ الْعَمَمِ، وَحَفِظَ الْعَهْدَ مِلْمًا أُضِيعَ، وَأَشْتَرَى
الْمَجْدَ بِمَا بِيَعُ، وَالتَّرَمَ لِلْوَفَاءِ شَرْطًا لَا يُفْسَخُ، وَرَأَاهُ شَرْعًا لَا يُفْسَخُ، وَوَصَلَ كِتَابَكَ الْعَزِيزُ
فِي مَعْنَى كَذَا وَكَذَا.

الضرب الثاني

(أن يفتح الجواب بمرور الكتاب وُصُولِهِ أَيْ بَدَأَهُ)

كما كتب ابن أبي الخصال :

وَرَدَّ كِتَابِكَ فِي أَمْرِ فُلَانٍ يَقْرِضُ الْجَمَلَ عَلَيْهِ فِي التَّهَوُّدِ لِوَجْهَتِهِ، وَالنَّقْدُ إِلَى رُتْبَتِهِ،
وَلَيْسَ عِنْدِي إِلَّا عَوْنٌ وَإِنْجَادٌ، وَطَاعَةٌ وَأَنْقِيَادٌ، غَيْرَ أَنَّ فِي الْأَمْرِ كَذَا وَكَذَا.

الجملة الثانية

(في خواتم المكاتبات على اصطلاحهم ، وهي على أساليب)

منها - أن يُختم الكتاب بالسلام المجرد عن الدعاء .

كما كتب أبو عمرو الباجي في خاتمة كتاب :

وأقرأ عليك سيدي ، وأسئني عندى ، أجرل السلام وأخفله ، وأتمه وأكمله .

ومنها - أن يُختم بالدعاء .

كما كتب أبو المطرف بن الدبائع في خاتمة كتاب :

والله لأينحلي مولاي من عيد يسترقه ، ومنعم ينعم عليه [بما] يستحقه ، ويجيل يوليه ، وُضِعَ يُسَدِّدُهُ ، بمنه ويجيل صنمه .

ومنها - أن يُختم بذكر التودد والمحبة .

كما كتب أبو جعفر الكاتب في آخر كتاب :

وإن لم يكن لي من الحق ما لا أتبسّط به عليه ، فني من الود ما أمّت به إليه ،
فحسى به سلما إلى فضلك ، وذريعة إلى مجدك ، إن شاء الله تعالى والسلام .

ومنها - أن يُختم باستراحة النظر في أمر المكتوب عنه .

كما كتب أبو المطرف بن المنثي في خاتمة كتاب :

ولك الطول العام ، والفضل الزاهر ، في اعتبار أمرى ، وتحقيق خبرى ، والسلام ،
إلى غير ذلك من الخواتم التي تستدعيها المكاتبة وتستوجبها المقاصد ، وفيما ذكر
من الصدور والخواتم ابتداءً وجواباً مقنع لمن تأمل ، والله المستعان في الأمر كله .

المقصد الثالث

(في الإخوانيات المستعملة بالديار المصرية، وفيه ثلاثة مصطلحات)

المصطلح الأول

(ما كان الأمر عليه في الدولة الطولونية وماقاربه مما جرى

عليه أبو عبد كان وغيره، وفيه ثلاثة مهاميع)

المهيمع الأول

(في الصدور، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(الابتدآت، ولهم فيه أساليب)

الأسلوب الأول

(أن تفتح المكتبة بالدعاء، وعليه غالب كتابهم، وهي على أنماط)

منها - الدعاء بطول البقاء وما في معناه .

كما كتب أبو عبد كان في صدر مكتبة : أطال الله بقاءك ، ففي إطالته حياة
الأنام وأنس الأيام والليل ، وأدام عزك ، ففي إدامته دوام الشرف ونمو المعالي ، وأتم
نعمته عليك فإنها نعمة حلت محل الاستحقاق ، ونزلت منزلة الاستيجاب ، ووقفت
على من لا تكرة الآلاء مكانه ، ولا تنكر الفواضل محله .

وكما كتب : عمر الله بك الأزمنة والدهور ، وأنس ببقائك الأيام والشهور ،
وأتم بدوام عزك السعداء بحفظهم منك .

ومنها — الدعاء بدوام النعمة .

كما كتب : أسبغ الله عليك نعمة الزاهنة بنعمة المستظفر، وصانها لذيك بلبزاع الشكر عليها ، فلم أر والله الحمد نعمة قصدت مستقرها ، وتوخت وليها ، وتمنت كئوها ، إلا نعمتك أكسبت أولياءها عزاً ونصرة ، وملأت أعداءها ذلّة وغصاصة ، وتمكنت بحل الصيانة والرعاية ، وخيمت بمسقر الشكر والحمد .

ومنها — أطراح الدعاء بدوام النعمة لتقيدها بموجباتها منها .

كما كتب : قد كفى الله عز وجل مؤونة الدعاء ، ليعميك بالنماء : لأنها توخت لذيك محلها ، خلقت فئائك سازه ، مطمئنة قازه ، تستورئ مهادهما قبلك ، وتستهي مواردها عندك ، ولم تزل تائقة إليك ، متطلعة نحوك بما استجمع لها فيك : من لطيف السياسة وحسن الاحتمال لأعباء المعارم ، فهناكها الله متصلة البقاء بطول مدة بقائك ، ومتحلية بحسن فئائك ، فلا زلت لعوارف النعم مستديعا ، وللشكر بالزيادة فيها ممتريا ، وبدوام الحمد لردفها مستمريا .

ومنها — الدعاء بجعلت فذاك .

كما كتب : جعلني الله فذاك ، فإن في ذلك شرفاً في العاجل ، وذخراً لعقبى في الآجل ، وخير ثواب لخلقى من بعدى . دعاء أخلصته إليه ، وصدقته الطوية .

ومنها — استكراه الدعاء بالتضدية .

كما كتب : إن قلت في كئى إليك : جعلني الله فذاك ، فأكون قد بعثتك حظ إحسانك إلى ، وحق مفترضك على : لأنها نفس لا توازن ساعة من يومك ، ولا توازي طرفة من دهرك ، وإنما يفدى مثلك بالأنفيس التي هي أنفوس من الدنيا وأعرض من أقطار الأرض .

ومنها — تَفْدِيَةُ النِّعْمَةِ إعظاما لها :

كما كتب : جعلني الله فِدَاءَ نِعْمَتِكَ الَّتِي عَلَّمْتَ ذُرُوءَ سَنَامِهَا ، وَفَاضَتْ دِرَّةُ سَمَائِهَا ، فَعَمَّرَتْ أَفْطَارَ الْآمِلِينَ ، وَنَضَّرَتْ جَنَابَ نَاحِيَةِ الْمُعْتَمِدِينَ .

ومنها — الدِّعَاءُ بِصَلَاحِ الدُّنْيَا وَغِيْظَةِ الْآخِرَةِ :

كما كتب : أَسْعَدَكَ اللهُ بِعَوَاقِبِ قَضَائِهِ وَقَدْرِهِ ، وَوَهَبَ لَكَ الصَّلَاحَ فِي دِينِكَ وَالسَّلَامَةَ فِي دُنْيَاكَ .

ومنها — الدِّعَاءُ بِكَيْبَتِ الْعَدُوِّ :

كما كتب : مَنَّ اللهُ بِكَ مِنْ نَاصِيَةِ عَدُوِّكَ بِالْعَوَّلَةِ عَلَيْهِ ، وَمِنْ زِيَامِ وِلَايِكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَبَلَغَكَ مِنْ كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ مَا يَتِمُّ عَلَى تَأْمِينِكَ ، وَيُوفَى عَلَى تَمْنِكَ .

ومنها — الدِّعَاءُ الْمَشْتَرَكُ بَيْنَ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ وَالْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ :

كما كتب : أَدَامَ اللهُ أُنْسِيَّ حَيَاتِكَ ، وَحَرَسَنِي مِنَ الْغَيْبِ فِي نِعْمَتِكَ ، وَأَكْرَمَنِي بِصِيَانَةِ أَيَّامِكَ وَوِلَايَتِكَ ، وَأَعَزَّنِي بِذُلِّ عَدُوِّكَ وَقَمَعِ حَاسِدِيكَ .

ومنها — الدِّعَاءُ بِطِبِّ الْحَيَاةِ :

كما كتب : عِشْ أَطْيَبَ الْأَعْمَارِ ، مُوقِّاً مِنْ سُوءِ الْأَقْدَارِ ، مَبْلُغاً نِهَآيَةَ الْآمَالِ ، مَغْبُوطاً فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ ، لَا يَنْقُضِي عَنْكَ حَقٌّ عَارِفٌ حَتَّى تُجَدِّدَ لَكَ أُخْرَى أَجَلَ مِنْهَا ، وَلَا يَمُرُّ بِكَ يَوْمٌ مِنَ الْأَيَّامِ إِلَّا كَانَ مُؤَمِّناً عَلَى أَمِّهِ مَقْصِراً عَنْ فَضْلِهِ عَدِيهِ .

ومنها - الدعاء باقتضاء العدل والإنصاف :

كما كتب : جعلك الله ممن ينظر بعين العدل ، وينطق بلسان القسط ، ويرزق بقسطاس الحق ، ويكيل بميزان الإنصاف .
ومنها - الدعاء بلزاج الشكر .

كما كتب : وصل الله لك كل نعمة يُنعمها عليك من الشكر بما يكون لحقها قاضيا ، ولزيد اليها داعيا ، ومن الغير مؤمنا ، والسلامة موجبا .
ومنها - الدعاء للحاجِّ بالبلاغ .

كما كتب : أوطاك الله في مسيرك أوثر المطايا ، وخولك فيما نويته أسبغ العطايا ، وأوردك الهداية إلى كريم المشاهدة وزكى المواقف وأولاهها بالزلفة المقبولة ، والقربة المأمولة .
ومنها - الدعاء للمسافر .

كما كتب : جعلك الله في حفظه وكنتفه ، وأحاطك بحيطته ، وجعل سفرك أيمن سقر عليك ، ورجع لك بدرك الحاجة ، وبلوغ الأمل ، ومُجح الطلبة ، ونيل السؤل .
ومنها - الدعاء بالعافية من المرض .

كما كتب : مسح الله ما بك ، وعاد بالبر عليك ، وعجل الشفاء لك ، ومحص بلواك .
ومنها - الدعاء للوفاة .

كما كتب : أجرى الله بالخير يدك ، وصمما (؟) بالعر طرفك ، وأوطأ كل مكرمة قدّمك ، وأطال إلى كل غاية همّك ، وبلغك أقصى محنتك .

ومنها — الدعاء في الأُضحية بقبول النُك .

كما كتب : جعلك الله بقبول النسيكة والقربان ، فائزاً بالأجر والرضوان ، مُخلصاً لله بالإيمان ، في السر والإعلان ، مؤدياً لما أقرض عليك ، شاكراً لإحسانه إليك .
ومنها — الدعاء بالهناء في الأعياد .

كما كتب : عرّفك الله في هذا العيد المبارك من السلامة وعمومها ، والعارفة ومُموها ، والعارفة وسُبوغها ، والحياطة وكِملها ، والحياة وبِمالها ؛ أفضل ما عرّفك في ماضي أعيادك ، وساليف أعوامك .
ومنها — الدعاء بدفع النوائب .

كما كتب : كان الله جارك من بغانع الدهر ونوبه ، ووليّ إنعام النعمة فيما آتاك من فضله ، وتطول عليك من حُسن الحياطة لما تولّك والذّب عما أؤدك .

الأسلوب الثاني

(أن تفتح المكتابة بلفظ : كتابي أو كتبت)

فأما كتابي ، فكما كتبت ابن عبد كان : كتابي إليك ، وأنا أستعيب الأيام فيك ، وأصانعُ الزمان في تفرّيك ، وربيع الحوار الذي كما تسكن تحت ظلاله ، وتنقياً برؤوق جماله ، بأجل مُحفّه ، وأيسر ألفه ، وأعذب مُشاهدة ، وأصدق مُشاهدة ، ولعل أن يرتاح فيشعب صدفاً ، ويُؤلف بجمعاً .

وأما كتبت ، فكما كتبت ابن عبد كان أيضاً ، كتبت وأنا من حين الصباة إليك ، وإرزام الشوق تحوُّك ، وأليم الشوق إليك ، ولايح الأوعة بك ، على ما أسأل الله أن يرحم ضعفي ويتصدق على رؤيتك ، ويهب لي النظر إلى وجهك وجمال عُمرتك ، التي هي حلّيف الخذل ، ونزّهة الأمل .

الأسلوب الثالث

(أن تُفَتِّحَ المَكاتِبَ بِالِطَّلَابِ بآنا)

كما كتب : أنا من بجملة صنائكك ، وحفظة ودائعك ، وشكرة إحسانك ، متى تصرفت في البلاد ، فأنا المعروف بمعروفك ، والعائش بمدواك ، وأنت منزع همتي وقرة عيني ، ومدار أملي ، ومحل رجائي .

الضرب الثاني

(الأجوبة)

وآبتداؤها إما كما في الصدور الآتيات كما تقدم ثم يقع التعرض لوصول الكتاب ، وإما بأن تصدر بوضوله وهو الأكثر .

كما كتب ابن عبد كان : وصل كتابك فدفع تباريح الشوق ، وقمع كآبة البين ، وأطفأ لهيب الحرقه ، وبرّد حر الصباية .

وكما كتب : وصل كتابك مشتملا من أنواع البر ، على ما يقصُر في جنب أيسره أعظم الشكر .

وكما كتب : وصل كتابك المصدّر بجواهر لفظك ، وبدائع معانيك ، ومحاسن نطقك ، مستودعا ما لا يقدر على حده وشكره إلا بالاعتراف بالعجز عنه ، وما أشبه ذلك .

المهيم الثاني

(في خواتم الكتب)

وكان اختتام المكتبات عند أهل هذا المصطلح على ما تقدم في مكاتبات أهل المشرق من أسماحة الرأي : إما بلفظ فإن رأيت :

كما كتب ابن عبد كان : فإن رأيت أن تأتي فيه مؤتفا ، ما لم تزل تأتيه سلفا ، فعلت . وإما بلفظ فرأيتك .

كما كتب : فرأيتك فيه بما أنت أهله ، فإن الرأي [الذي] أنت أهله ، فوق ما يلتمسه المشرّف في هيمته ، والمتبسّط في أميئته .

وكما كتب : فرأيتك في ذلك بما تقضى به الحق وتصل به الذمام ، وتحفظ به الحرمة وتصدق به الأمل ، وتقتعد به الصنعة ، وتستوجب به الشكر .

المهيم الثالث

(في عُنوانات الكتب)

ومصطلحهم فيه على نحو ما تقدم في مكاتبات أهل المشرق : من كتابة إلى فلان من فلان ؛ أو من فلان إلى فلان .

فأما ما يكتب إلى فلان من فلان . فكما كتب ابن عبد كان : للسيد الذي استعبد الأحرار بفضله .

وكما كتب : لمن قرّبه بمن وسعادة ، ونأيه نكد ومحنة .

وأما ما يكتب من فلان . فكما كتب : من صريح الشوق إليه ، وأسير الرقة عليه .

وكما كتب : ممن لا يتخى الخير إلا له ، إذ كان لا يناله إلا به .

المصطلح الثاني

(من مصطلحات الديار المصرية ما كانت عليه الحال في الدولة الأيوبية

مما جرى عليه القاضي الفاضل ومن بعده . وهو على قسمين)

القسم الأول — الابتداء : وليس لمصطلحهم ضابط في الابتداء ولا في الترتيب في الرقعة والصفحة ، بل افتتاحاتهم في ذلك متباينة .

فن ذلك الافتتاح بالدعاء ، وهو أكثر ما يقع في مكاتباتهم ، والغالب في ذلك الدعاء للجلوس ، كما كتب القاضي الفاضل إلى العماد الأصفهاني : أدام الله أيام المجلس التي لحسنات المدلّ مديله ، ولعثرات القيل مقيله ، ولعاطف العزميئله ، ولعقاطف القوزميئله ، ولقداح الجدوى مجيئله ، ولا زالت الآراب بمكارمه باجمه ، والآراء بمراسمه ناجمه ، ومتأخر المقاهر بمولاته راجمه ، وأيدي الآمال لأيديه بمصافاته مصافحه ، وأزواح أوليائه بروح آلائه في مواطاة أعطيائه عابقة فأنحه ، وأدعية الداعين لإيأمن أيامه ، المدعين لعهود إنعامه ، طيبة صالحه .

ومن ذلك افتتاح العماد الأصفهاني في اعتذار تأخر المكاتبات : إن تأخرت مكاتباتي ، فإن العذر معلوم ، والأجر محتموم ، والقلم مضدود ، واللقم مسدود ، والبلد محصور .

إلى غير ذلك من أساليبهم المشهورة التي لا يسع أستيعابها ، ولا حاجة إلى الإمعان في ذكرها .^(١)

(١) لم يذكر القسم الثاني وهو قسم الكلام على الخواتم ولم يترك له يابا نتم يفهم ذلك مما تقدم في الكلام على الخواتم الصومية فنبه .

المصطلح الثالث

(من مصطلحات الديار المصرية في الإخوانيات، ماجرى عليه الاصطلاح في النولة التركية، مما رتبته القاضي محيى الدين بن عبد الظاهر، والشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، والمفتى الشهابي بن فضل الله، ومن جرى مجراهم: من فضلاء الكُتاب إلى زماننا، مما هو دائر بين أعيان المملكة وأكابر أهل الدولة: من ثواب السلطنة وسائر الأمراء والوزراء، ومن في معانهم: من أعيان الكُتاب ومن نَجح نَجحهم من أرباب الوظائف) وفيه مبهغيات:

المهبع الأول

(في رتب المكاتبات المصطلح عليها)

وقد اختلفت مقاصدهم في ترتيبها اختلافًا متقاربًا في الزيادة والنقص والتقديم والتأخير، مع مراعاة أصول المراتب. وها أنا أذكر ما استقرت عليه الحال من ذلك، وأنبه على ماخالفه من ترتيبهم المتقدم الذكر: لتحصّل الإحاطة به، ويُعلم ماجرى عليه أهل كل عصر منهم، مما لعلّ مختارًا يختاره، أو ينسج على منواله، منها على وهم من وهم في شيء من ذلك.

وأعلم أنهم قد بنوا هذا النوع من الإخوانيات على قاعدتين، تتعين معرفتهما قبل الخوض في رتب المكاتبات:

القاعدة الأولى — فيما يتعلق بورق هذه المكاتبات.

قد جرت العادة أن تكون جميع هذه المكاتبات: من الأعلى إلى الأدنى، ومن الأدنى إلى الأعلى، ومن النظر إلى النظر، في ورق قطع العادة دون ماقوقه من مقادير

قَطَعَ الورق المتقدمة الذكر ، غير أن أعيان أهل الديار المصرية يكتبون في الورق المصرى ، وأعيان أهل الشام يكتبون في الورق الشامي : لكثرة وجوده عندهم ، والمعنى في ذلك أن كُتِبَ السلطان الصادرة عنه إلى جميع أهل المملكة من الثواب وغيرهم في هذا القطع ، فلا جائز أن تعلقوا مكتبة أحد منهم على مكتبة السلطان في ذلك .

ثم قد أصطلحوا على أن يكون في أعلى المكتبة عن كل أحد من أعيان الدولة قبل البسملة وصل واحد بياضا ، إذ كان أقل ما يجعل بياضا في كتب السلطان وصلين فاقصروا على وصل واحد ، كي لا يساويه غيره في ذلك . وأصطلحوا أيضا على أن لا تقص المكتبات المذكورة عن ثلاثة أوصال : الوصل الأبيض في أعلى المكتبة على ما تقدم ، ووصل مكتوبان : إذ لو قصص عن ذلك ، لخرج الكتاب في القصر عن الحد فيزدري ، أما لو دعت الضرورة إلى الزيادة على الثلاثة لزيادة الكلام فلا مانع منه . وأصطلحوا على أن يترك للكتاب حاشية بيضاء تكون بقدر رُجِّح الدرّج على ما تقدم ذكره في غير هذا الموضع .

القاعدة الثانية — فيما يتعلق بحطّ هذه المكتبات ، وكيفية أوضاعها .

قد أصطلحوا على أن جميع هذه المكتبات تكتب بقلم الرقاع على ما تقدم ذكره في الكلام على قطع الورق [من] أن لقطع العادة قلم الرقاع . وأصطلحوا أيضا على أن تكون كتابة البسملة في أول الوصل الثاني من المكتبة ، وأن يكون تحت الجلالة من البسملة لقب المكتوب عنه المضاف إلى ملكه أو أميره ، فإن كان المكتوب عنه من أتباع السلطان كوثاب السلطنة وغيرهم من الأمراء والوزراء ومن في معانهم من رؤساء الكُتّاب السلطانية ، كتب الملّكي الفلاني — بلقب ملكه السلطان ، مثل الملّكي الظاهري ونحو ذلك كما في هذه الصورة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَلِكِ الظَّاهِرِيِّ

وإن كان المكتوبُ عنه من أتباع الأُمراء كاستنذار أمير ونحوه، آنتسب في كتابته إلى لقب أميره الخاص مما يُضَاف في التلقب إلى الدين؛ فإن كان أميره لقبه سيف الدين مثلا، كُتِبَ بَدَلُ الْمَلِكِ الْفَلَانِيِّ: السيفي؛ وإن كان لقب أميره ناصر الدين كتب الناصري؛ وإن كان لقبه علاء الدين كتب العَلَانِيُّ؛ ونحو ذلك. وإذا كتب تحت الجلالة من البسمة الملكى الفلاني ونحو ذلك، جعل ما قبله في السطر بياضا وما بعده بياضا، ويكون ذلك قطعة من سطر مفردة بذاتها. وأصطلحوا على أنه كلما دقَّ القلم وتقاربت الأسطر، كان أعلى في رتبة المكتوب إليه، وكلما غلظَّ القلم وتباعدت الأسطر كان أنزل في رتبة المكتوب إليه. وأصطلحوا على أن في الرتبة العلية من المكاتبات يكون السطر الأول من المكاتبة نلوا الملكى الفلاني وما في معناه ملاصقا له، وفيما دون ذلك من المكاتبات يُترك بياض يسير، ولا يكتب فيه شيء؛ وكان المكتوب عنه يقول للمكتوب إليه هذا عمل العلامة، ولكنني قد تركت الكتابة فيه وكتبت بحاشية الكتاب نادبا معك ورفعة لقدرك؛ وفيما دون ذلك يُترك بياض أوسع من ذلك ويكتب فيه المكتوب عنه علامته على ما ساقى بيانه في مواضعه إن شاء الله تعالى. وأصطلحوا على أنه بعد انتهاء الكلام في المكاتبة يكتب "إن شاء الله تعالى" في خطه؛ ثم يكتب التاريخ في سطرين: اليوم والشهر في سطر، والسنة في سطر؛ ثم يكتب الحمد لله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في سطر؛ ثم الحسبة في سطر على ما تقدم بيانه في الكلام على القوائم والخواتم في المقالة الثالثة.

وَيُعَلَّمُ أَنَّ هَذِهِ الْمَكْتَابَاتُ عَلَى قِسْمَيْنِ :

القسم الأول - الابتدائيات ، وهو على أربع درجاتٍ سبق توجيه ترتيبها في الكلام على أصول المكاتبات ، في أول هذه المقالة

الدرجة الأولى - [المكاتبة] بتقريب الأرض ، وهي أعلاها رتبةً بالنسبة إلى المكتوب إليه .

وَأَعْلَمُ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ كُتَّابِ الزَّمَانِ يَظُنُّونَ أَنَّ الْمَكْتَابَةَ بِقَبْلِ الْأَرْضِ مِنْ مَخْتَرَاتِ كُتَّابِ الدَّوْلَةِ التُّرْكِيَّةِ ، بَلْ بَعْضُهُمْ يَظُنُّ أَنَّهَا مِنْ مَخْتَرَاتِ الْمُقَرَّرِ الشَّهَابِيِّ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ ؛ بَلِ الْمَكْتَابَةُ بِذَلِكَ كَانَتْ مَوْجُودَةً فِي أَوَّلِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِغَدَادٍ ؛ ثُمَّ سَرَتْ إِلَى الدِّيَارِ لِلْمِصْرِيَّةِ فِي أَوَّلِ الدَّوْلَةِ الْأَيُّوبِيَّةِ ، فَاسْتَعْمِلَتْ بِعِضِّ الْأَسْتِعْمَالِ ، وَالْمَكْتَابَةُ بِذَلِكَ مَوْجُودَةٌ فِي كَلَامِ الْقَاضِي الْفَاضِلِ فِي بَعْضِ الْمَكْتَابَاتِ الْمَلُوكِيَّةِ ؛ وَمِنْ ذَلِكَ مَا كَتَبَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ إِلَى السُّلْطَانِ «صَلَّاحِ الدِّينِ يُونُسَ بْنِ أَيُّوبَ» فِي صَدْرِ كِتَابِ تَهْنِئَةِ بَمُولُودِ :

الْمَلُوكُ يُقْبَلُ الْأَرْضَ بِالْمَقَامِ الْعَالِي النَّاصِرِيِّ ، نَفَرَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ بِمَقَامِهِ ، وَأَهْلَكَ أَعْدَاءَ الْحَقِّ بِإِنْتِقَامِهِ ، وَلَا أَعْدَمَ الْأُمَّةَ الْمَحْمُودِيَّةَ عَقْدَ الْبِرِّ وَالزَّكَاةِ ، بِكَفَالَتِهَا وَمَصْنَعِهَا . ثُمَّ تَوَسَّعَ فِيهِ الْكُتَّابُ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى كَاتَبَ بِهِ الْآخَادُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ،

وَقَدْ رَتَّبُوا الْمَكْتَابَةَ بِتَقْيِيلِ الْأَرْضِ فِي الْمَصْطَلَحِ الْمُسْتَقَرِّ عَلَيْهِ الْحَالُ عَلَى خَمْسِ مَرَاتِبٍ :

المرتبة الأولى - الإتيان بالإنياء بعد قبيل الأرض من غير تعرضٍ لذكر دعاء ولا إنشاء ، مع مراعاة الاختصار وعدم السجع وتقارب السطور ، مثل أن يكتب بعد البسملة ولقب المكتوب عنه الذي تحت البسملة :

يُقْبَلُ الْأَرْضَ وَيُنْهَى كَيْتَ وَكَيْتَ ، وَسَوَّالُ الْمَمْلُوكِ مِنَ الصَّدَقَاتِ الْعَمِيمَةِ بُرُوزِ
 الْأَوَامِرِ الْعَالِيَةِ بِكَيْتَ وَكَيْتَ ، أَوْ الْمَمْلُوكُ يَعْرِضُ عَلَى الْآرَاءِ الْعَالِيَةِ كَيْتَ وَكَيْتَ ،
 وَنَحْوَ ذَلِكَ ، وَيَحْمِلُ الْكِتَابَ بِقَوْلِهِ : أَنَهَى ذَلِكَ ، أَوْ طَاعَ بِذَلِكَ ، وَالْآرَاءُ الْعَالِيَةَ مِنْ يَدِ
 الْعُلُوِّ ، وَيَعْبَرُ عَنِ الْمَكْتُوبِ عِنْدَ فِي خِلَالِ الْمَكْتَابَةِ بِالْمَمْلُوكِ . وَيَخْتَلِفُ الْحَالُ فِي خِطَابِ
 الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ : فَإِنْ كَانَ مِنْ أَرْبَابِ السُّيُوفِ وَهُوَ نَائِبُ سُلْطَنِيَّةِ خُوطِبَ بِمَوْلَانَا
 مَلِكِ الْأَمْرَاءِ عَزَّ نَصْرُهُ أَوْ أَعَزَّ اللَّهُ أَنْصَارَهُ ، وَإِنْ كَانَ أَمِيرًا غَيْرَ نَائِبِ سُلْطَنِيَّةِ ،
 خُوطِبَ بِمَوْلَانَا الْمُخْدُومِ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا يَقْتَضِيهِ الْحَالُ ، وَإِنْ كَانَ وَزِيرًا رَبِّ سَيْفِ
 خُوطِبَ بِمَوْلَانَا الْوَزِيرِ ، وَإِنْ كَانَ وَزِيرًا رَبِّ قَلِيمٍ ، خُوطِبَ بِمَوْلَانَا الصَّاحِبِ ،
 وَرَبِّمَا قَبِيلِ مَوْلَانَا الْوَزِيرِ ، وَإِنْ كَانَ قَاضِيًا خُوطِبَ بِمَوْلَانَا قَاضِيِ الْقَضَاةِ ، وَإِنْ كَانَ
 تَعَالِمًا كَبِيرًا ، خُوطِبَ بِمَوْلَانَا شَيْخِ الْإِسْلَامِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ مَشَائِخِ الصُّوفِيَّةِ ، خُوطِبَ
 بِمَوْلَانَا شَيْخِ الشُّيُوخِ ، وَعَلَى ذَلِكَ بِحَسَبِ الْمَرَاتِبِ وَالْوِطَائِفِ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ رَأْيُ
 الْكَاتِبِ بِمَا يُنَاسِبُ الْحَالَ .

وَالْمَعْنَى فِي هَذِهِ الْمَكْتَابَةِ : الْفُلَانِيُّ مَطَالَعَةُ الْمَمْلُوكِ فُلَانٍ ، وَيَعْبَرُ عَنِ ذَلِكَ : بِالْفُلَانِيِّ
 بِمَطَالَعَةٍ . وَقَدْ يَعْبَرُ عَنِ ذَلِكَ عَنِ نَفْسِ الْمَكْتَابَةِ ، وَصُورَتِهِ : أَنْ يَكْتُبَ فِي رَأْسِ ظَاهِرِ
 الْمَكْتَابَةِ مِنَ الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ « الْفُلَانِيُّ » بِاللَّقَبِ الْخَاصِ بِالْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ، كَالسَّيْفِيِّ ،
 وَالنَّاصِرِيِّ ، وَالشُّمَيْسِيِّ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ مَمْتَدًا إِلَى نَحْوِ رُبْعِ عَرْضِ
 الدَّرَجِ ، وَتَحْتَهُ فُلَانٌ بِمَا يَقْتَضِي تَعْرِيفَهُ مِنْ وَطِيفَةٍ أَوْ شُهْرَةٍ . فَإِنْ كَانَ نَائِبَ سُلْطَنِيَّةِ
 كَتَبَ تَحْتَ الْفُلَانِيِّ : مَوْلَانَا مَلِكِ الْأَمْرَاءِ بِالْمَكَانِ الْفُلَانِيِّ . وَإِنْ كَانَ وَزِيرًا كَتَبَ :
 مَوْلَانَا الْوَزِيرِ بِالْمَكَانِ الْفُلَانِيِّ . وَإِنْ كَانَ قَاضِيًا قَضَاةً ، كَتَبَ : مَوْلَانَا قَاضِيِ الْقَضَاةِ

(١) لعله وقد يعبر بذلك عن نفس الخ تأمل .

المرتبة الثانية - أن يأتي بعد « يَقْبَلُ الْأَرْضَ » بذكر المداء دُونَ التَّنَاءِ مع تَأْرُبِ الْأَسْطَرِ أيضاً وأجتناب السَّجْعِ . وقد أصطلحوا في هذه المكتابة على أن يكتبوا تحت البسملة مع لَقَبِ الْمَكْتُوبِ عنه الذي هو الْمَلِكِيُّ الْفَلَانِيُّ ونحوه لَقَبَ الْمَكْتُوبِ إليه : كَالسَّيْفِيِّ ونحوه ، على سُمْتِ الْمَلِكِيِّ الْفَلَانِيِّ مِنَ الْجِهَةِ الْيَمْنِيِّ مَعَ بَيَاضٍ بَيْنَهُمَا ، بِمَحِثٍ يَقَعُ بَعْضُ اللَّقَبِ فِي حَاشِيَةِ الْكِتَابِ ، وَبَعْضُهُ تَحْتَ أَوَّلِ الْبِسْمَلَةِ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الملكى الظاهرى

السيفى

ثم يأتي بصورة المكتابة بعد ذلك . ويختلف الحال في هذه المكتابة باختلاف حال المكتوب إليه ، فإن كان نائب سلطنة ، كتب « يَقْبَلُ الْأَرْضَ وَيُنْبِئُ بِهَا » بعد رفع الأذعية الصالحة ، أو بعد آتته إلى الله تعالى بالأذعية الصالحة ، تقبلها الله تعالى من المملوك ومن كل دافع مخليص ، ببقاء مولانا ملك الأمراء ، أو بدوام أيام مولانا ملك الأمراء ، وحلود سعادته ، ومزيد تأييده ، وعلو درجاته في الدنيا والآخرة ، بمحمد وآله : أن الأمر كيت وكيت ، والمملوك يسأل الصدقات العقيمة ، أو الصدقات الكريمة ، أعز الله تعالى أنصارها بروز الأوامر المطاعة بكيت وكيت . ثم يقول : والمملوك مملوك مولانا ملك الأمراء وعبد بابه ونسب إحسانه ، ويسأل تشریفه بمراسيمه ويخدمه ، أو والمملوك يستعرض المراسيم الكريمة ، والخدم العالية ، ليبادر إلى امتثالها ، والفوز بقضائها ، أو والمملوك مملوك الأبواب العالية ونسبها وعلامها ، ويسأل دوام النظر الكريم عليه في أحواله كلها ، ونحو ذلك مما يقتضيه الحال ، وقد جهز المملوك

بهذه المكتبة فلاناً أو مملوكه فلاناً . فإن كان قد حملَه كلامَ مشافهةٍ ، قال : وحمله من المشافهة ما يسأل الصدقة عليه بسماعه والإصغاء إليه ونحو ذلك . ثم يقول : طالع بذلك والرأى العالى أعلاه الله تعالى أعلى . وإن كان المكتوب إليه أميراً غير نائب سلطنة ، كتب « بدوام أيام مولانا المخدوم » بدل مولانا ملك الأمراء . وإن كان قاضياً ، كتب « بقاء مولانا قاضى القضاة ، أو بدوام أيام مولانا قاضى القضاة » . وإن كان من مشايخ الصوفية ، كتب « بقاء مولانا شيخ الشيوخ » ونحو ذلك ، وبقاى المكتبة على ما تقدم بحسب ما يقتضيه الحال . والعنوان فى هذه المكتبة « الأبوابُ الفلانية » مطالعة المملوك فلان » ويعبر عن ذلك بالأبواب بمطالعة ، ويختلف الحال فى ذلك باختلاف حال المكتوب إليه : فإن كان المكتوب إليه نائب سلطنة ، كتب : الأبوابُ الكريمةُ ، العلية ، المولويةُ ، الأميرية ، الكبيرة ، المالكية ، المخدومية ، الكافلية ، بلقبه الخاص كالسيفية ونحوها ، أعلاها الله تعالى فلان الفلانى ، باسمه وشهرته . وإن كان المكتوب إليه أميراً غير نائب سلطنة أسقط منه الكالنية . وإن كان وزيراً رب سيف ، كتب بعد الأميرية : الوزيرية . وإن كان وزيراً رب قلم ، أسقط الأميرية ، وكتب قبل الفلانية الصاحبية . وإن كان من رؤساء الكُتاب ممن فى معنى الوزراء : ككاتب السر ، وناظر الخاص ، وناظر الجيش ، ونحوهم ، أبدل لفظ الأميرية والوزيرية بالقاصوية . وإن كان قاضى حُكم ، أتى مع القاصوية قبل الفلانية بالخاكية . وإن كان من مشايخ الصوفية أبدل القاصوية بالشيخية ونحو ذلك .

وصورته أن يكتب الألقاب من أول عرض الدرج سطرًا إلى آخر المالكية ، ويحلّ بياضاً فى آخر السطر بقدر رُبع الدرج ، ثم يكتب المخدومية الفلانية فى أول

السطر الثاني مُلصَقًا للأول ، ثم يُحَلَّى بياضًا يسيرًا ، ثم يكتب : أعلاها الله تعالى ، ثم يُحَلَّى بياضًا يسيرًا ، ثم يكتب « فلان الفلاني » تحت آخر السطر الأول ؛ ثم يكتب في آخر الدَّرَج من الجهة اليسرى بعد خلْوٍ بياض « مطالعة المملوك فلان » ثلاثة أسطر على ما تقدم في العنونة بالفلاني بمطالعة كما في هذه الصورة :

الأبواب الكريمة ، العالمة ، الملووية ، الأميرية ، الكبيرة ، المالكية ، مطالعة
المخدومية ، السيفية أعلاها الله تعالى . أمر دَوَادار الظاهري المملوك
فلان

والعلامة « الفلوك فلان » بقلم ضئيل مُسامت يقبل كما في المكتبة قبلها .

قال في « التنقيف » : وبهذه المكتبة يُكْتَب عن أكابر أمراء الديار المصرية إلى نائب الشام وحلب فيما أُظُن .

قال : وكذلك كان يُكْتَب المقر العلاءي بن فضل الله كاتب السر الشريف إلى المشار إليه ، يعني نائب حلب ، إلا أنه كان يكتب له العلامة أسفل الكتاب دُونَ أعلاه .

قلت : وعلى هذا يكون للعلامة في هذه المكتبة رُتبتان ، إن عظمه ، كتب له العلامة على سُمْت يقبل ، وإلا ففي أسفل الكتاب ، ومن ثم ذكرت قول صاحب « التنقيف » هنا وإن كان محله رُتَب المتكاتبين على ما سبق ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى .

المرتبة الثالثة — أن لا يُكْتَب في أول المكتبة عن يمين أسفل البسملة الفلاني ويأتي بذكر الدعاء والتناء مسجوعًا ؛ مثل أن يكتب بعد البسملة ولقب المكتوب عنه الذي هو المَلِك الفلاني : يقبل الأرض ، وينهى بعد رَفَع دَعائِهِ ، وإخلاصه في محبته وولائه ، وأَعترافه بإحسان مولانا وبجزيل آلائه ؛ أن الأمر كُتِب وكُتِب ؛

والمملوك يسأل إحسانَ مولانا، أو صدقاتِ مولانا، أو إحسان المخدم، أو صدقاته في كَيْتٍ وكَيْتٍ ؛ ثم يقول : والمملوكُ فهو مملوك مولانا ومُجِبُّهُ ، والداعي لإحسانه ، ويسأل تشریفه بمراسيمه وخدمته ؛ وقد جهز المملوك بهذه العبودية فلانا، أو مملوكه فلانا، وحمله من الدعاء والولاء ما يُنْبِئُه من لسانه، ويُعْرِبُ عنه بَيَانُهُ ؛ أو وقد حمله المملوك ما يقومُ عنه به في إنهائه، من رَصْفِ الأُدْعِيَةِ ، ووصف الأثنية ؛ والمملوكُ يسأل الإصغاءَ إليه ، والتشريفَ بالمراسيمِ العاليةِ والخدمِ الكريمةِ ؛ ليَقُوْرَ بِإِقْبَالِهَا ، ويأدِرَ إلى أمثالها . طالعُ بذلك ، أو أنهى ذلك ؛ أو والمملوكُ يستعرضُ المراسيمِ العاليةِ ، والخدمِ الكريمةِ المتواليه ؛ ليتشرفَ بقضائها ، ويتشوفَ إلى إِمضائها .

صدر آخر : ويُنبئ بعد رَفْعِ الأُدْعِيَةِ ، وبثِّ الحامدِ والأثنيةِ ، والموالاةِ التي يجعلُ منها عاليَ الأُلُوْبِيَةِ ، أن الأمرُ كَيْتٌ .

آخر : ويُنبئ بعد رَفْعِ دعائه الذي لا يفتقرُ لسانُهُ عن رَفْعِهِ ، ولا يحنقُ إن شاء الله إبَّانَ نَفْعِهِ ، وأبتهاله الذي يرفعُ السُّحْبَ ، وشوقه الذي يهْدِي التُّجِبَ ؛ أن الأمرُ كَيْتٌ وكَيْتٌ .

آخر : ويُنبئ بعد دُعَائِهِ المقبولِ ، وشوقه الذي لا يحولُ عنه ولا يزولُ ؛ وسلامه الذي يعجزُ عن شرحه القلمُ ويضعُفُ عن حمله الرسولُ .

آخر : ويُنبئ بعد دُعَائِهِ بِرَفْعِهِ بِالْعُدُوِّ والآصالِ ، وولاءٍ لا يتغيرُ مادامتِ الأيَّامُ والأليالِ ، وشيءٍ أطيبَ من عَرَفِ الرُّوضِ إذا مرَّ عليه نَسِيمُ الشَّالِ ، أن الأمرُ كَيْتٌ وكَيْتٌ .

آخر : ويُنبئ بعد رَفْعِ الدعاءِ ، ونَصْبِ لَوَاءِ الوَلَاءِ ، وجرِّ ذُبُولِ الفَخْرِ بالانتماءِ إلى عبودية مولانا والإعترافِ ، أن الأمرُ كَيْتٌ وكَيْتٌ .

آخِر : ويُنهى بعد دعائه المرفوع ، وثناؤه الذى هو كالمسك يَضُوع ، وشكره الذى يُسَمع منه ويُسَمع أُطِيبُ مَسْمُوع ، أَنَّ الأَمْرَ كَيْتَ وَكَيْتَ .

والعنوان لهذه المكتبة «الأبواب الفلانية» بغير مطالعة ، ويختلف الحال فيه ؛ فإن كان المكتوب إليه من أرباب السيوف وهو نائب سلطنة ، كتب «الأبواب الكريمة ، العالمة ، المولوية ، الأميرية ، الكبيرة ، السيدية ، المالكية ، المخدومية ، الكافلية ، الفلانية ، أعلاها الله تعالى» ثم يقال : نائب السلطنة الشريفة المحروسة ؛ أو كافل المملكة الفلانية المحروسة ؛ وباقى عنوانات أرباب الوظائف : من أرباب السيوف والأفلام على ما تقدم فى العنونة بالأبواب بمطالعة .

وصورة وضعه أن يكتب «الأبواب الكريمة إلى آخر الكافلية» مثلا سطرًا واحدًا من أول عرض الدرّج إلى آخره ؛ ثم يكتب «الفلانية أعلاها الله تعالى» فى أول السطر الثانى ملاصقًا له ؛ ثم يترك بياضًا قدر رأس إبهام ؛ ثم يكتب فى آخر السطر الثانى «كافل الممالك الشريفة الفلانية المحروسة» كما فى هذه الصورة :

الأبواب الكريمة ، العالمة ، المولوية ، الأميرية ، الكبيرة ، السيدية ، المالكية ، المخدومية ، الكافلية ، السيفية ؛ أعلاها الله تعالى كافل الممالك الشريفة بالتمام المحروس

والعلامة فى ذيل الكتاب مقابل تحت البسمة بقلم الرفاع «المملوك فلان» وكانهم لما آنحطت رتبة المكتوب إليه عن أن يكتب العلامة إليه على سمت «يقبل» ليكون فى معنى القصة كما تقدم ، أخذ المكتوب عنه فى التنازل إلى آخر المكتبة تواضعًا للمكتوب إليه وتأدبًا معه .

قال فى «التتقيف» وبذلك كان يكتب عن الأمير يلْبغا العمري : يعنى الخاصكى وهو أتايك المسافر المنصورة بالديار المصرية إلى نائبي الشام وحلب .

قال : وكذلك كتبَ بعده إلى المذكورين : الأمير منكلي بقاء ، والأمير الجاهلي ،
ووثاب السلطنة بالديار المصرية .

المرتبة الرابعة - أن يأتي بصدر المكتبة على ماتقدم في المكتبة قبلها من
الابتداء بيقبل الأرض وينتهي بعد رفع دعائه وما في معناه على ماتقدم من غير فرق :
ولا يختلف الحال في الصدر ولا في متن الكتاب ، والعنوان « الباب الكريم » ولا يكون
إلا بغير مطالمة . فإن كان المكتوب إليه من أرباب السيوف ، كتب « الباب
الكريم ، العالى ، المولوى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالى ، العادلى ، المؤيدى ،
المالكي ، المخدومى ، الفلانى ، أعلاه الله تعالى ، فلان الفلانى - باسم المكتوب إليه .
وإن كان من أرباب الأقاليم أو غيرهم فعلى ماتقدم في « الأبواب بمطالمة » من إبدال
الأميرى بالقضائى ، أو الشيخى ، وزيادة قاضى الحكم الحاكى قبل الفلانى .

وصورة وضعه : الباب الكريم - بالألقاب المتقدمة إلى آخر المالكي سطرا
واحدا من أول عَرْض الدَّرَج إلى آخره ، ثم يكتب المخدومى الفلانى أعلاه الله تعالى
في أول السطر الثانى ، ويترك بيضاء ، ثم يكتب فلان الفلانى باسم المكتوب إليه
أو شهرته كما في هذه الصورة :

باب الكريم العالى ، المولوى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالى ، العادلى ، المؤيدى ، المالكي .
المخدومى ، الشيخى ، أعلاه الله تعالى .
بهادر أمير اخور الأشرقى .

تنبه - كل ما كان العنوان فيه الباب الكريم ، كان العنوان فيه للسافر « الخيم »
بدل الباب ، وبقى الألقاب على حالها كما تنبه عليه في « التنقيح » وغيره ، والعلامة
في آخر المكتبة مقابل حسي الله ، إذ لمّا كانت العلامة في أسفل الكتاب مقابل

تحت الحسبة كانت العلامةُ فيما فوق ذلك أنزلَ في رتبة المکتوب إليه وأعلى في رتبة المکتوب عنه .

المرتبة الخامسة — يُقبل الأرض بالمقر الشريف . والرسم فيه أن يترك بعد البسملة وما تحتها من الملكى الفلانى قدر سطر أو سطرين بياضاً ، ثم يكتب يقبل الأرض بالمقر الشريف ، ويختلف الحال فيه : فإن كان المکتوب إليه من أرباب السيف ، كتب « يقبل الأرض بالمقر الشريف ، العالى ، المولوى ، الأميرى ، الكبرى ، العالى ، العادلى ، المؤيدى ، الذخرى ، الظهيرى ، المسندى ، الرعىمى ، المالكى ، الخدومى ، الفلانى ، أعز الله تعالى أنصاره ، وأعلى مناره ، وضاعف مباره ، ويتهى بعد وصف محبه ، وبث أنيته ، كيت وبيت ، والمسئول من إحسانه كيت وكيت » وربما كتب : « والمملوك يسأل كيت وكيت » كما فى المكاتبات السابقة ، أو « والمملوك يسأل تشريفه بمراسمه وخدمه ، والله تعالى يديم عليه سوايخ نعمة » .

دعاء آخر لهذه المكاتبه : أعز الله تعالى أنصاره ، وأدام أنتصاره ، وجعل على غايات النجوم أنتصاره ، ويتهى .

آخر : لازالت الرقاب لمهابته خاضعه ، والركاب به فوق النجوم واضعه ، وأجنت السيف بمضاربه من ماء الأعداء راضعه ، ويتهى .

آخر : لازالت أعلامه مشرفه ، وأعلامه مصرفه ، وأيامه بطيب ثنائه بين الخافقين معرفة .

آخر : لازالت الدنيا ببقائه مجمله ، والعليا لأرتقائه مؤمله ، والتعم على اختلافها جواهر مكملة ، ويتهى .

قلت وربما أتى بصورة الإنهاء مسجوعة أيضا؛ مثل أن يكتب : ويُنهي بعد
 تمثله بولائه، وقيامه بحقوق آلائه . أو يُنهي بعد دعاء يقوم بوظائفه، وولائه يتردى
 بمطارفه . أو يُنهي بعد رفع أديعته، وقطع العمر في مولاته وعمبوديته، ونحو ذلك .
 وعلى ذلك جرى في "عرف التعريف" إلا أن الغالب في كتابة أهل الزمان
 إجماله . والعنوان إن قصد تعظيمه : الباب العالى - بالقباب الباب الكريم
 في المكتبة قبلها، إلا أنه يُحذف منها الكريم . وإن لم يقصد تعظيمه فالمقر الشريف
 بالألقاب التي في صدر الكتاب . وصورة وضعه في الباب العالى على ما تقدم
 في الباب الكريم : أن يأتي به في سطرين كاملين من أول عرض الدرج إلى آخره،
 كما في هذه الصورة :

المقر الشريف ، العالى ، المولى ، الأمير ، الكبير ، العالى ، العادل ، المؤيدى ، الأئمرى ، الظهيرى ،
 المسندى ، الزيسى ، المالكي ، الخدوس ، السيفى ، أعز الله تعالى أنصاره أمير حاجب بالتمام المحروس
 والعلامة في هذه المكتبة «الملوك فلان» بقلم الرقاع ، بأسافل الكتاب ، مقابل
 إن شاء الله تعالى .

وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الْخَمْسَ هِيَ الدَّائِرَةُ فِي الْمَكْتَابَاتِ بَيْنَ كُتَّابِ زَمَانِنَا بِمَمْلَكَةِ
 الدِّيارِ الْمِصْرِيَّةِ وَمَا جَرَى عَلَيْهَا تَمَجُّجُهَا ، وَالْمَعْنَى فِي تَرْتِيبِهَا عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ أَنَّهُ فِي الْمَرْتَبَةِ
 الْأُولَى مِنْهَا حُنْفِ الدُّعَاءِ وَالتَّنَاءُ الْمُقْتَضِيانِ لِلدَّالَّةِ مِنَ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ عَلَى الْمَكْتُوبِ
 إِلَيْهِ ، وَأَقْتَصِرَ عَلَى الْبَسِيرِ مِنَ الْكَلَامِ دُونَ الْكَثِيرِ الَّذِي فِيهِ سَامَةٌ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ
 وَإِسْجَارُهُ ، عِنْدَ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ ؛ وَعُنُونَتِ الْفُلَانِي كَالسِّيْفِي وَنَحْوِهِ ، مِنْ حَيْثُ
 إِنَّهُ لَقَبٌ مُؤَدَّى إِلَى رِفْعَةٍ ؛ وَأَتَى فِيهِ بِمَطَالَعَةِ الْمُلُوكِ فَلَانَ ، إِشَارَةً إِلَى التَّنْصِيحِ بِالرُّقِّ
 وَالْعُبُودِيَّةِ مِنَ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ لِمَكْتُوبِ إِلَيْهِ مَعَ إِقَامَتِهِ فِي مَقَامِ الرِّفْعَةِ بِذِكْرِ لَقَبِهِ
 الْمُؤَدَّى إِلَى رِفْعَةٍ قَدَرِهِ - وَفِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ أَتَى فِيهَا بِالْفُلَانِي دَاخِلَ الْمَكْتَابَةِ دُونَ

العنوان فكانت أنزل مما قبلها : من حيث إن العُنوانَ ظاهرٌ وباطنُ المكتبةِ خفيٌّ^١ والظاهر المؤدَّى إلى الرقعة أعلى من الخفي من ذلك ، وأتى بالدعاء فكانت أنزل رتبةً من التي قبلها لما تقدم من أن الدعاء فيه معنى الدالَّة ، وأجنب فيه السجع من حيث إن في الإتيان به تفاسيحاً على المكتوب إليه ، وعُنوانُ الأبواب إشارة إلى شرف محلِّ المكتوبِ إليه من حيث الإشعارُ بأن له أبواباً يُوقَف عليها ، وجعلت دونَ المرتبة الثانية من حيث إنَّ العنونة في المرتبة الأولى باللقب المؤدَّى إلى الرقعة مع دلالة على الذات . وفي الثانية عُنوانُ الأبواب الموصَّلة إلى محلِّ الشخص ؛ ولا يخفى أن ما دلَّ على نفس الشخص أعلى مما هو موصَّل إلى محله ؛ وأتى فيها بمطالعة المملوك فلان إشارة إلى التصريح للمكتوبِ إليه بالرقِّ والعبودية كما تقدم في المرتبة الأولى . وفي المرتبة الثالثة حذف منها الفلاني المؤدَّى إلى الرقعة من داخل المكتبة فكانت أنزل من التي قبلها فأتى فيها بذلك ؛ وأتى بالدعاء مسجوعاً فكانت أنزل مما قبله لما في السجع من التفاسيح على المكتوب إليه ، وأسقط من عنوانه مطالعة المملوك فلان فكانت أنزل من حيث إنه لم يقع فيه تصريحُ رِقِّ وعبودية كما في المرتبة الأولى والثانية . وفي المرتبة الرابعة بقي الصَّدْرُ على حاله وعُنوانُ فيها بالباب بلفظ الأفراد ، فكانت أنزل مما قبلها ، من حيث إنَّ الأفرادَ دونَ الجمع بدليل أنه بعضٌ من أبعاضه . وفي المرتبة الخامسة قيل يقبَلُ الأرض بالمقرِّ ؛ يعني مقرَّ المكتوبِ إليه ، فكانت أنزل مما قبلها من حيث إشعارُ ذلك بانقرب من محله بخلاف يقبَلُ مطلق الأرض فإنه لا يخصر في ذلك ، ثم إنَّ عُنوانَ الباب العالي مجرداً عن الكرم ، كانت أنزل مما عُنوانُ فيه بالكريم لما جرى عليه الاصطلاح من رفعة رتبة الكرم العالي

(١) لعله دون المرتبة الأولى ، ومراده أن العنونة بالأبواب أقل من العنونة بالألقاب العلة التي ذكرها .

(٢) مراده : يقبل الأرض بغير أن تنقيد بالمقر .

على العالى المجرد عن الكريم ، على ما تقدم في الكلام على الألقاب في المقالة الثالثة ، وإن عُنُوْتُ بالمَقَرِّ الشريف فهي على انحطاطِ الرتبة عما قبلها من حيث إشعاره بقرب المحل من المكتوب إليه . على أن في عُنُوْنَةَ هذه المكتبة بالمَقَرِّ الشريف نظراً ، فإن أعلى مراتب الأبتداء في المكتبة بالدعاء هي الدعاء للمَقَرِّ الشريف ، وهو بعد تقبيل الباسطِ والباسطةِ واليدِ على ما سيأتي ذكره في الدرجة الثالثة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

فربما التبس عنوان هذه بعنوان تلك قبل فضاءها ، والوقوف على صدرها هل هو مَفْتَحٌ يَقْبَلُ الأَرْضَ بالمَقَرِّ أو بالدعاء للمَقَرِّ ، إلا أن كُتِّبَ الزمان قد رَفَضُوا المكتبة بالدعاء للمَقَرِّ الشريف وأقتصرُوا على الدعاء للمَقَرِّ الكريم ، إذ كان هو أعلى ما يكتب به عن السلطان لأكابر أمراء المملكة على ما تقدم ذكره في الكلام على مكاتبات السلطان إلى أهل المملكة في المقالة الرابعة .

قلت : وفي الدساتير المؤلفة في الإخوانيات في الدولة التركية في الزمن السابق ما يخالف بعض هذا الترتيب ، بفعل في "عُرْفُ التعريف" أعلى المراتب يقبل الأرض ويُنبئ كَيْتَ وكَيْتَ ، والعنوان «الفلاني بمطالعة» على ما تقدم ذكره في الترتيب السابق . ودونه : الصدر بعينه ، والعنوان «الأبواب بمطالعة» . ودونه : كذلك والعنوان «الأبواب» بغير مطالعة . ودونه : « يقبل الأرض بالمَقَرِّ الشريف ، والعنوان إما الباب العالى أو المَقَرِّ الشريف » .

وفي دستور يعزى لبعض بني الأثير أن أعلى المراتب يقبل الأرض ويُنبئ كَيْتَ وكَيْتَ على ما تقدم . ودونه : « يقبل الأرض ويدعو مثل يقبل الأرض ويُنبئ بعد رفع دعائه الذي لا يفتر لسانه عن رفعه ، ولا يخفى إن شاء الله إبان

نَفْعَهُ « . ودونه : « يَقْبَلُ الْأَرْضَ وَيَدْعُو لَهَا ، مثل : يَقْبَلُ الْأَرْضَ حَمَاهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ الزَّمَانِ ، وَآكْتَفَىهَا بِالْأَمَانِ ، مِنْ صُرُوفِ الْحَدَثَانِ ، وَلَا زَالَتْ مَحْطَّ وَفُؤُدِ الْجَدَا ، وَكَعْبَةَ قُصَادِ النَّدَا ، وَيُنْهِى كَيْتَ وَكَيْتَ » . ودونه « يَقْبَلُ الْأَرْضَ وَيَصِفُهَا ، مثل أن يكتب : يَقْبَلُ الْأَرْضَ الَّتِي هِيَ مَلْجَأُ الْعُفَاةِ ، وَمَلْتَمَّ الشَّفَاةِ ، وَعَمَلُ الْكَرَمِ الَّذِي لَا يَجِبُ مِنْ اقْتِفَاةِ ، وَمَقْصِدُ الرَّاجِي الَّذِي إِذَا عَوَّلَ عَلَيْهِ كَفَّاهُ ، وَيُنْهِى كَيْتَ وَكَيْتَ » . ودونه « يَقْبَلُ الْأَرْضَ وَيَدْعُو لَهَا ، مثل أن يكتب : يَقْبَلُ الْأَرْضَ لِأَزَالَتْ مَحْرُوسَةَ الرَّحَابِ ، هَامِيَةَ السَّحَابِ ، فَسَيْحَةَ الْجَنَابِ ، لَنْ أَنَابَ ، وَيُنْهِى كَيْتَ وَكَيْتَ » .

وجرى في "التنقيف" على الترتيب المتقدم في المرتبة الأولى والثانية والثالثة والرابعة على ما تقدم في المراتب الخمس السابقة، وجعل المرتبة الخامسة يقبل الأرض مع وصفها على ما تقدم في الدستور المنسوب لبعض بني الأثير مع العنونة بالياب العالي، وجعل يقبل الأرض بالمقتر الشريف مرتبة سادسة مع العنونة بالباب العالي أو المقتر الشريف .

• في غير هذه الدساتير ما يخالف بعض ذلك في الترتيب والتقديم والتأخير؛ وفي بعض الدساتير بعد تقبيل الأرض تقبيل العتبات، مثل أن يكتب : يُقْبَلُ الْعَتَابِ الْكَرِيمَةِ ، لِأَبْرَحَتِ مَطْلَعِ السُّعُودِ ، وَمَنْعِ الْجُودِ ، وَمَهْيَبَةِ الْقَامِ الْمُحْمُودِ . أو : يُقْبَلُ الْعَتَابِ الْكَرِيمَةِ ، لِأَزَالَتِ الْأَفْلَاكُ تَمَتَّتْ أَنَّهَا بِهَا تُخْفَ ، وَأَنَّهَا لِنَجْوَمِهَا إِلَيْهَا بِجَوْضِ الْوَالِدِينَ (؟) تَرْفُ . أو : يُقْبَلُ الْعَتَابِ الْكَرِيمَةِ ، لِأَزَالَتِ الْأَمَالِ بِهَا مُطِيفُهُ ، وَالسُّعُودِ لَهَا حَلِيفُهُ ، وَسَعَادَتِهَا لِأَسْتِخْدَامِ كُلِّ ذِي الْمَأْمِ مُضِيفُهُ .

(١) هذه المرتبة تقدمت قبل بأسطر إلا أن يكون الخطاطها من حيث صيغة الدعاء تأمل .

ولا يخفى أن بعض هذه الاختيارات غير مُحكَّم الأساس، ولا موضوع على أصل يقتضى صحة الترتيب فيه، بل الكثير من ذلك راجع إلى التشبُّه، كلما تقدّم منقلم في دولة من الدول أحب أن يؤثر مخالفة غيره، ويجعل له شيئاً يُجَدِّدُه لِيُنسَبَ إليه ولا يُبالي وافق في ذلك غرضاً صحيحاً أم لا، وقُلَّ مَنْ يصيب الغرض في ذلك . على أن تقدّم بعض هذه المراتب على بعض في العلوِّ والهُبُوط إنما هو من جهة استحسانه، لو تكلف المتكلف تأخيراً ما تقدّم فيها أو تقدّم ما أخّر، لا يمكنه ذلك .

الدرجة الثانية

(المكتبة بتقيل اليد، وقد رتبوا ذلك على ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — يُقَبَّلُ الباسط الشريف ، وهي الأعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه . والرسم فيها أن يترك الكاتب تحت المَلِكِيّ الفلاني بعد البسملة قدرَ سطرين بياضاً كما في المسألة قبلها ، ويختلف الحال في ذلك : فإن كان المكتوب إليه من أرباب السيف، كتب : يقبل الباسط الشريف، العالى، المولوى، الأميرى، الكبيرى، العالمى، العادى، المؤيدى، السيدى، المالكى، الخدمى، المحسنى، الفلانى، لا زالت ساحته مقبله، وسمّاحته مؤمله، ويُنبى بعد وصف خدّمه، وشُوبت قيامه فيها على قَدَمه، أن الأمر كيت وكيت، والمسئول من إحسانه كيت وكيت، والله تعالى يجرّسه بمنه وكرمه .

دعاء آخر : يليق بهذه المكتبة، يقال بعد تكملة الألقاب : لا زالت رِعمه باسطه، وأيامه لُفقود الأيام واسطه، ويُنبى كيت وكيت .

أخسر : لازال جناحُ كرمه مبسوطاً ، وجنابُ حرمه من المخاوفِ محوطاً ،
ويُنهى كيت وكيت .

أخسر : لازال يُصرفُ الأئنة والأسنه ، ويقلّدُ أعناقَ أعدائه كُلهِ أَجَلِ
وأعناقَ أودائه كُلهِ مِنه ، ويُنهى .

أخسر : لازالت حائلُ السيوفِ تتسابقُ إلى بَنَانِه ، وأعقابُ الرماحِ تأوى
إلى أنامله ؛ لِيُكْتَمَها من قلوبِ أعداءِ الله يومَ طهّانِه ، ومُتَوْنِ الخيلِ متحصّنةً بعزائمِه
فيقوى جنانها بجنانِه .

أخسر : لازالت رحنُ حُرويه على أعدائه تُدارُ ، وأسنه رِماحه تُنادي الأعداءَ
اليدارَ اليدارَ ، وجنوده تقابلُ سَفرةَ الوجوه إذا قاتل الأعداءُ في قرى محصنةٍ أو
من وراءِ جدار .

أخسر : لازالت أعلامُ النصرِ معقودةٌ بأعلامه ، وجوارى اليمِّ السعيدِ معدودةٌ
من خُدّامه ، وسُطورُ البأسِ والكرمِ مُتبعةٌ إما بأفلامِ الخطِّ من رِماحه وإما برِماحِ
الخطِّ من أعلامه .

أخسر : لازالت الأئنة والأسنه طوعَ يمينه وشماله ، والآمالُ والأحوالُ
تحت ظلالِ كرمه وكرمِ ظلاله ، والسيوفُ والأفلامُ : هذه جاريةٌ بعوائدِ بأسه ،
وهذه جاريةٌ بعوائدِ نواله .

أخسر : ولازالت وجوهُ النصرِ تراءى في مرعاةِ صفّاحه ، وتمارُ النصرِ تُجتنى
من أغصانِ رِماحه ، ولا يروحُ السيفُ والقلمُ يَبَارِيانِ في ضرِّ الأعداءِ بيأسه ونفعِ
الأولياءِ بسماحه — وإن كان المكتوبُ إليه وزيراً ربّ سيفٍ ، كتب بعد الأميرِ
«الوزيرِ» — وإن كان وزيراً ربّ قلمٍ ، كتب قبل الغلاني أيضاً الصاحبِ —

وإن كان من أعيان الكُتَّاب: ككاتب السَّرِّ وناظر الخاصِّ وناظر الجيش وناظر
الدَّولة وکُتَّاب الدُّست ونحوهم ، كتب بدل الأميری القَضَائِي ؛ ثم يكتب للجمع
بعد الوزير أو القضاة ؛ العالمی ، العادلی ، المهدي ، المشيدي ، المالکی ،
المخدومي ، المحسني ، الفلاني ؛ أسبغ الله تعالى ظلاله ومدّها ، وشيّد به مباني الملك
وشدّها ، ووهب الأيام منه هبة لا تستطيع الليالي ردّها ؛ وينهى كيت وكيت .

دعاء آخر يليق بهذه المكتبة ، يقال بعد تكلمة الألقاب ، ولا زالت أقلامه
تُرْوَع الأَسَدَ في آجامها ، وتزيد على الغيوث في أنسجامها ، وتعلم الرِّمَاحَ الإقدامَ
إذا نكّصت لإنجمها ، وينهى .

آخر : ولا زالت الدُّولُ مشيّدَةً بتصرفه ، مجدّدةً لتصرفه ، مؤيّدَةً بين صرير
القلم وصريره .

آخر : ولا زالت أقلامه تَهزُّأً بالغيوث الهامية ، وأنعامه تُفوقُ على البحار
الطامية ، وموارِدُ إحسانه تأوي إليها الوفودُ الظامية .

آخر : وأدام القصدَ لبابه ، ونزولَ الآمالِ برحابه ، وصعودها إلى سمائه .

آخر : لا زال فيسيحاً للقاصد جنابه ، مجرّياً للتأجج بابه ، صريحاً في ابتغاء خير
الدينا والآخرة طلبه — وإن كان من القضاة الحُكَّام ، كتب : يُقبَلُ الباسطُ
الشريف ، العالی ، المولوي ، القضاة ، العالمی ، الإمامی ، العلّامی ، السبيدي ،
المالکی ، المخدومي ، المحسني ، الحاكي ، الفلاني ؛ أعزَّ الله تعالى أحكامه ،
وجمل به الدهرَ وحُكَّامه ، وثبت به الأمرَ وزاد أحكامه ، وينهى كيت وكيت .
دعاء آخر يناسبه : يقال بعد تكلمة الألقاب : أعزَّ الله تعالى أحكامه وأنقذها ،
وتدارك به الأمة وأنقذها ، وأسعف به الملة الإسلامية وأسعدّها ، وينهى .

آخر: نَصَّرَ اللهُ الدِّينَ بِنُورِهِ ، وَسَقَى الْغَآمَ بِأَقْيَ سُوْرِهِ ، وَحَمَى حَيْمَى الشَّرْعِ الشَّرِيفِ بِمَا ضَرَبَ عَلَيْهِ مِنْ سُوْرِهِ .

آخر: وَجَمَلَ الدَّهْرَ بِمَنَاقِبِهِ ، وَزَيَّنَ سَمَاءَ الْعِلْمِ بِكَوَاكِبِهِ ، وَلَا زَالَ الزَّمَانُ يَقُولُ لِمُنْصِبِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ بِشَخْصِهِ وَرَأْيِهِ : « عِزٌّ يَدُومٌ وَإِقْبَالٌ لِصَاحِبِهِ » .

آخر: وَأَمْضَى بِيَدِهِ سُيُوفَ الشَّرْعِ الَّتِي هِيَ أَقْلَامُهُ ، وَأَعْلَى طُرُوسِ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ فَإِنَّهَا أَعْلَامُهُ ، وَلَا زَالَتْ يَدُ الْقَصْدِ مُشِيرَةً إِلَيْهِ ، وَلَا يَنْعَقِدُ إِلَّا عَلَى ثَنَائِهِ خَنْصِرٌ وَلَا يَنْجَلِي إِلَّا بِهُدَاهِ إِبْهَامٌ .

آخر: وَسَدَّدَ سِهَامَ الْحَقِّ بِأَقْصِيَّتِهِ ، وَشَبَّدَ أَرْكَانَ الشَّرْعِ بِأَثْبَتِيَّتِهِ ، وَأَيْدِ الْإِسْلَامِ بِأَقْلَامِ سَيِّدَاتِهِ الْفَاعِمَةِ لِلنُّصْرَةِ مَقَامَ الْوَيْتَةِ — وَإِنْ كَانَ الْمَكْتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ مَشَائِخِ الصُّوفِيَّةِ ، كَتَبَ : يُقْبَلُ الْبَاسِطُ الشَّرِيفُ ، الْعَالِيُّ ، الْمَوْلَوِيُّ ، الشَّيْخِيُّ ، الْإِمَامِيُّ ، الْعَالِمِيُّ ، الْعَامِلِيُّ ، الْخَاشِعِيُّ ، النَّاسِكِيُّ ، السَّيِّدِيُّ ، الْمَسَالِكِيُّ ، الْمَخْدُومِيُّ ، الْمُحْسِنِيُّ ، الْفَلَاحِيُّ ، لَا زَالَ يِقَاتِلُ بِسِلَاحِهِ ، وَيُقَابِلُ فِسَادَ الدَّهْرِ بِصَلَاحِهِ ، وَيَجْلُو دُجَى الظُّلْمَاءِ بِصَبَاحِهِ ، وَيُنْهَى .

آخر: وَنَفَعَ بِيَرَّكَاتِهِ فِي الرُّوحَاتِ وَالْعَدَوَاتِ ، وَجَمَلَ بِبِقَائِهِ الْمَحَافِلَ وَالْمَلَوَاتِ ، وَبَسَّطَ فِي صَالِحِ الدُّوَلِ [يَدَهُ] : إِمَامًا فِي مِبَاشَرَتِهِ بِصَالِحِ التَّدْبِيرِ وَإِمَامًا فِي أَنْقِطَاعِهِ بِصَالِحِ الدَّعْوَاتِ .

والعنوان في هذه المكتبة «الباسط الشريف» بالألقاب التي في صدر المكتبة على السواء، والدعاء له بأول سجعة من دعاء الصدر أو نحوها، بحسب حال المكتوب إليه ، مثل أن يكتب لمن هو من أرباب السيوف ، أعزَّ اللهُ تعالى نصره؛ أو عزَّ

نَصْرُهُ . ولن هو من رؤساء الكُتَّاب : أَسْبَغَ اللهُ ظِلَّالَهُ . ولن هو قاضى حُكْمٍ :
أَعَزَّ اللهُ أَحْكَامَهُ . ولن هو من مشايخ الصوفية : أَعَادَ اللهُ مِنْ بَرَكَاتِهِ .

وصورة وضعه في الورق أن تكتب الألقاب والدعاء والتعريف في سطرين
كاملين من أول عرض الورق إلى آخره ، إلا أنه يُفصل بين الألقاب والدعاء
ببياض لطيف ، وبين الدعاء والتعريف ببياض لطيف كما في هذه الصورة .

الباسط الشرف ، العال ، المولوى ، الأميرى ، الكبرى ، العالى ، العادى ، المؤيدى ، السيدى ،
المالكى ، المخدومى المحسنى ، الفلانى . أعز الله أنصاره . أمير حاجب بحلب المحرسة .

وقد ذكر في "عرف التعريف" : أنه إن قصد تعظيمه ، عنونه بالمقر الشرف
بالألقاب المتقدمة على السواء ، ولا تخفى صورة وضعه بعد ما تقدم ، والعلامة
«المملوك فلان» بقلم الرقاع مقابل إن شاء الله كالمكتبة بالمقر الشرف المتقدمة .

المرتبة الثانية — [يقبل الباسطة الشريفة] ^(١) والرسم فيها أن يترك تحت الملكى
الفلانى قدر سطرين بياضاً كما في المكتبة قبلها ، ثم يكتب يقبل الباسطة الشريفة
بالتأنيث ، ويمرر الحال في ذلك كما في الباسط — فإن كان المكتوب إليه من أرباب
السيف ، كتب : يقبل الباسطة الشريفة ، العالية ، المولوية ، الأميرية ، الكبرى ،
العالية ، العادية ، المؤيدية الذخرية ، المالكية ، الحسينية ، الفلانية ، لازالت سحائبها
مستقلة ، ومواهبها للبحار مستقلة ، وينهى كيت وكيت ، والمستمد من محبته كيت
وكيت . وربما قيل والمسئول ، والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه .

دعاء آخر يليق بذلك : لازالت سيوفها تملأ الرحاب ، وسيوفها تُسرع
السُّلَّ إلى الرقاب .

(١) زدنا هذه العبارة أخذاً مما ساقى على الأثر ولعلها سقطت من قلم الناصح تأمل .

آخسر : لا زالت خَاصِرُ الحَمْدِ على فَضْلِ بَنَانِهَا مَعْقُودَةٌ ، وَمَأْتِرُ البَأْسِ وَالكَرَمِ لها ومنها شَاهِدَةٌ وَمَشْهُودَةٌ ، وَبَوَّازُ السُّيُوفِ مُسَيَّرَةٌ القَصْدِ إلى مُنَاصِرَةِ أَقْلَامِهَا المنصُودَةِ .

آخسر : ضاعف اللهُ تَعَالَى مَوَادَّ نِعْمِهَا ، وَجَوَادَّ كَرَمِهَا ، وَأَنْصَالَ الآمَالِ بِسَاقِطِ دِيَمِهَا .

آخسر : لا زالتِ الآمَالُ لائذَةٌ بِكَرَمِهَا ، عَائِدَةٌ بِحَرَمِهَا ، مُسْتَنْجِدَةٌ على جَدْبِ الأيَّامِ بِسَقِي دِيَمِهَا .

آخسر : لا زالتِ لُزُومُ الكَرَمِ مُقِيمَةٌ ، وَلِصَنَائِعُ المَعْرُوفِ مُدِيمَةٌ ، وَلِأَبْدِي الإِحْسَانِ مُتَابِعَةٌ إِذَا قَصَّرَتْ عَنِ البُرُوقِ دِيَمَهُ — وَإِنْ كَانَ المَكْتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ رَعُوسِ الكُتَّابِ كَيْسَبُ بَدَلِ الأَمِيرِيِّ التَّقْضَائِيِّ ، وَالبَاقِي على ما تَقَدَّمَ ، ثُمَّ يُدْعَى لَهُ بِمَا يَنَاسِبُهُ .
دَعَاءٌ يَنَاسِبُ ذَلِكَ : لا زالتِ السُّيُوفُ خَاضِعَةٌ لِأَقْلَامِهَا ، وَالنُّجُومُ خَاشِعَةٌ لِكَلَامِهَا ، وَالجِبَالُ مُتَوَاضِعَةٌ لِإِعْلَاءِ أَعْلَامِهَا .

آخسر : لا زالتِ مَوَالِئُهَا فَرِيضَةٌ ، وَأَجْنِحَةُ أَعْدَائِهَا مَهِيضَةٌ ، وَمُقَلُّ الأَيْسَةِ إِذَا خَاصَمَتْهَا أَيْسَةُ أَقْلَامِهَا غَضِيضَةٌ .

آخسر : أَسْبَغَ اللهُ ظِلَّهَا ، وَهَنَّا بِهَا أُمَّةٌ قَرِيبٌ مَبْعَثُ زَمَانِهَا وَأَظْلَمَ ، وَهَدَى الآمَالَ وَقَدَّ حَيْرَها الحَرَمَانَ وَأَصْلَمَها .

آخسر : لا زالَ قَلَمُها مِفْتَاحُ الرِّزْقِ لِطَالِبِهِ ، وَالجِاهُ لِكَاسِيهِ ، وَالنَّصْرُ لِمُسْتَنبِئِ كُتُبِها عَنِ كُتَّابِهِ .

آخسر : لا زالَ رِفْدُها المَطْلُوبُ ، وَسَعْدُها المَكْتُوبُ ، وَقَدَمُها المُخَاطَبُ فِي مِصَالِحِ الدُّوَلِ وَالمُخَطُوبُ .

آخر : بَسَطَ اللهُ ظِلَّهَا وَلَا قَلَصَهَا ، وزادها من فضله ولا تقصها ، ولا جرع
كيد حاسدها الظامية إلا غصصها .

آخر : ولا زال عمياً إنعامها ، قديماً وحديثاً ديمها وإكرامها ، قاضية بسعدتها
النجوم التي هي خدامها .

آخر : لا زالت بسيطاً ظلها ، مديداً فضلها ، سريعاً إلى داعي الندى والردى
قامها في الميئات ونصلها - وإن كان من قضاة الحكم زاد مع القاصوي قبل الفلاني
الحاكمي ودعا بما يناسب .

دعاء : أعز الله شأنها ، وأذل من شأنها ، وأغص بأدع أعدائها الضريجة شأنها .⁽¹⁾
دعاء آخر يليق بذلك : ولا زالت الآمال إليها وافده ، والمصلات عائده ،
ومعاني الفضل عن أخبار معني زائده .

آخر : لا زالت خناصر الحمد معقودة على فضل بناتها ، وقصل بيئاتها ، وعوائد
الفضل والكرم شاهدة بالحسين من فضلها وأمتنانها - وإن كان من مشايخ
الصوفية أهدل القضاية بالشيخية وأسقط العادلية والحاكمية ودعاه نحو قوله :
ومع الإسلام ببقية الصالحه ، وبيض صحائف أعماله التي لأيدي الملائكة الكرام
مُصافحه .

آخر : لا أخلني الله من بركات خلواته ، وأعاد من نواحي دعواته ، وسواي
درجاته وتوجهاته ، ونحو ذلك .

والعنوان الألقاب التي في صدر المكتبة ، والدعاء بالسجعة الأولى من الدعاء
باطنه أو نحوها .

(1) انشأن مجرى الدعاء الى العين . قاموس .

وصورة وضعه أنت تكتب الألقاب والمدعاء والتعريف في سطرين كما تقدم في الباسط كما في هذه الصورة .

الباسطة ، الشريفة ، العالية ، المولوية ، الأميرية ، الكبيرة ، العالمية ، العادلة ، الذنرية ، السنية ، الكامية ، المحسنة أعز الله تعالى أنصارها أمير حاجب بحمارة المحرومة .
والعلامة « المملوك فلان » بقلم الرقاع في أول الوصل الثالث على القرب من اللصاق .

المرتبة الثالثة — يقبل اليد الشريفة بألقاب الباسطة المتقدمة ، ثم اليد الكريمة ، ثم اليد العالية مع حذف الكريمة رتبة بعد رتبة ، والألقاب بحالها ويدعى له ، ثم يقال والمتمدد من محبته كيت وكيت ، والله تعالى يؤيده . والحال في اختلاف بعض ألقابها بالنسبة إلى أرباب السيوف وغيرهم على ما تقدم في الباسطة .

وهذه أدعية لأرباب السيوف في هذه المكتابة

دعاء من ذلك : يقال بعد استكمال الألقاب : لا زالت مقبلة البنان ، مؤملة الإحسان ، مفضلة على أنواء السحب بكل لسان ، وينهى .

آخر : لا زالت تزد بالسيف صدور الكتائب ، وترد الظمأة منها موارد السحاب ، وتحدث عن البحر وكم في البحر من العجائب .

آخر : لا زالت برهها مأمونه ، وبديها ممنونه ، وأيامها تصبح الأعداء بأسننها الرزق المستونه .

آخر : لا أخل الله من ودها ، ولا قطع وظائف تحننها ، ولا قضى مغيبها إلا جعل لها ذكرى بعدها .

آخر : لازالت مصالحتها تظفر بالمتى ، وتحصل على الفنى ، وتطلق لسانه
بعاطر التنا .

آخر : لازالت لتقليد المنز سابقه في الجود العدل ، مقسمة في مكارم
التكريم : باطنها للندى وظاهرها للقليل .

وهذه أدعية تناسب أرباب الأقلام

يقال بعد استيفاء الألقاب : لازالت مستهبة بالندا ، مستهبة بكبت العدا ،
مطلة على النجوم على بعد ما بينهما من المدى .

آخر : لا يرحت مفانحها مقصله ، ومحبتها في الخواطر ممثله ، والكواكب
تود لو فارقت فلكتها وأصبحت لديها مسيله .

آخر : لازالت لصحائف الإحسان مسطره ، ولقلوب الأعداء مغطره ،
ولصنائع المعروف إذا أمكت الأنواء مغطره .

آخر : أعلى الله تعالى شأنها ، وضاعف إحسانها .

والعنوان . اليد الشريفة ، أو اليد الكريمة ، أو اليد العالية ، بالألقاب التي في صدر
الكتاب من غير زيادة ولا نقص ، والدعاء بأول جمعة من المدعوه في صدر الكتاب
أو نحوها ، والتعريف بعد ذلك .

وصورة وضعه في الكتابة أن يكتب سطران على ما تقدم في الباسط والباسطة كما
في هذه الصورة :

اليد الشريفة ، العالية ، الملووية ، الأميرية ، الكبيرة ، العالية ، العادلة ، الذرية ،
المالكية ، المحسنة ، الفلانية . أعلى الله تعالى شأنها نائب مطية المحروسة

والعلامة «المملوك فلان» بقلم التوقيعات، في آخر الوصل الثاني من الكتاب، على القرب من موضع لصاقه^(١).

وأعلم أنه ربما وُصِفَ التقبيل في هذه المراتب بعد الدعاء بالأوصاف الدالة على زيادة التأدب ورفعة قدر المكتوب إليه، وعلى ذلك جرى في «عُرف التعريف». وقد يستعمله بعض كتّاب الزمان، وذلك مثل أن يقول في تقبيل الباسط بعد استعمال الدعاء: تقبيلًا يحوم على مناهله، ويخلق نسر السماء على منازله؛ أو يقول: تقبيل محبٍ أخلص ولاءه، ومحص الصدق وفاءه - أو تقبيلًا يؤاليه، وينظم لآليه - أو تقبيلًا يواصل به الخدم، ويؤدّ لو سعى لأدائه على الرأس إن لم تُسعف القدم - أو تقبيلًا لا يروى الكرم إلا عنه، ولا تُستفاد المكارم إلا منه - أو تقبيل وارِد على ذلك الزلال، رائد في ذلك الروض المتدّ الظلال - أو تقبيل مسارع إليها، مزاحم عليها.

وربما أتى في الإنهاء بما يلائم المقام، مثل أن يقول: وينهى بعد وصف خدّمه، وتمنّيه لو وقف في صفّ خدّمه؛ وما أشبه ذلك.

قلت: وفي بعض الدساتير بعد تقبيل اليد العالية، يُقبّل يد الجناّب الكريم، العالی، الأميری، الكبیری، العالی، المؤیدی، النصیری، الزعیمی، الفلانی؛ وبعد ذلك: يخدم الجناّب الكريم بنحو هذه الألقاب؛ وفي «التثقيف» يقبّل يد الجناّب العالی، ويخدم الجناّب العالی، بدون الكريم؛ ثم يقال بعد ذلك ويؤدى لعلامة كيت وكيت؛ والقصد من محبته كيت وكيت؛ فيحيط علماً بذلك. وبعض الكتّاب يستعمل ذلك إلى الآن؛ وهو ذُهل، إذ سيأتي في أول الدرجة الثالثة أن أعلى المراتب المفتحة بالدعاء للدعاء للمقرّ الشريف على المصطلح الأول، وللمقرّ الكريم على ما استقرّ عليه الحال الآن؛ وإذا كان كذلك فكيف يتأتى أن تكون مرتبة من مراتب الجناّب الكريم أو الجناّب العالی قبل المقرّ الشريف أو المقرّ الكريم.

(١) الأظهر من موضع لصاقه.

الدرجة الثالثة

(المكاتبة بالدعاء)

وقد رتبوا المكاتبة بالدعاء على [ثلاث] مراتب ^(١):

المرتبة الأولى - الدعاء للقتل، والرسم فيه أن يُترك بعد «الملكى الفلانى» قدر عرض ثلاثة أصابع بياضاً، ثم يؤتى بصدر المكاتبة على سمت البسملة .
 ويختلف الحال في ذلك : فإن كان المكتوب إليه من أرباب السيوف ، كتب أعز الله تعالى أنصار المقتدر الكريم ، العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالىمى ، العادلى ، العونى ، النصيرى ، الفلانى ؛ ثم يدعى له بما يناسب ، نحو : ولا زالت جيوشه جائله ، وجنوده بين الأعداء وبين مطالبها حائله ، وأولياؤه على صهوات خيلها لديه قائله ، أصدرناها إلى المقتدر الكريم ، تهدي إليه من السلام أطيبه ، ومن الشاء أطيبه ، وتهدى لعله الكريم أن الأمر كيت وكيت ، والقصد من اهتمامه كيت وكيت ، فيحيط علمه بذلك ، والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه .

وهذه أدعية تناسب ذلك :

دعاء يليق بذلك : يقال بعد تكلمة الأتقاب : وأيد عزائمهم ونصرها ، وأعلى أعلامهم ونشرها ، ودقق في مقاتل الأعداء حيث تزور الأيسنة نظرها ، وينهى .
 آخر : ولا يرحح الآمال بكرمه تعترف ، وبوارق صوارمه لأبصار الأعداء تختطف .

(١) بياض في الأمل .

آخر : وأعلى قدره ، وأفدأ أمره ، أصدرناها .

وإن كان من رؤساء الكُتَّاب ، كتب : بسطَ اللهُ ظلَّ المقرِّ ، أو أسبغَ اللهُ ظلالَ المقرِّ الكريم ، العالی ، القضاة ، الكيرى ، العالمى ، العادى ، المؤيدى ، السيدى ، السنيدى ، المالكى ، المخدومى ، المحسنى ، الفلانى ، وبقى المكتابة كما فى أرباب السيوف .

وهذه أدعيةٌ تناسب ذلك :

دعاءٌ يليق به : ولا زالتِ الأمورُ إليه مقوضة ، ومضاربُ العزِّ إلا عنه مقوضة ، وصحائفُ الحسناتِ بتسويده على أثناءِ الدهرِ مبيضة ، أصدرناها .

آخر : وصرفَ لسانَ قلمه ، وشرفَ مكانَ قدمه ، وعرفَ من كان يُناويه أنه أصبحَ لا يُعدُّ من خدمه .

قلت : وقد ذكر فى " عرف التعريف " أن القضاة والحكام لا تدخل لهم فى المكتابة بالمقرِّ ، وعلى ذلك جرى فى مشايخ الصوفية . على أنه قد كُتِبَ بذلك . وقد رأيتُ المكتابة بذلك فى بعض الدساتير ، وحينئذ فيُكتب : أعزَّ اللهُ تعالى أحكامَ المقرِّ العالی ، القضاة ، الكيرى ، العالمى ، العلامى ، الإمامى ، المالكى ، المحسنى ، الحاكمى ، الفلانى ، ويُدعى له بما يناسب . مثل : وجدده إقبالا ، وبلغه من الدارين آمالا ، وأحسنَ إليه مَبْدَأَ وَمَأْآءَ ونحو ذلك . والباقي على نحو ما تقدَّم .

وهذه أدعيةٌ تناسب ذلك :

لا يرحمُ الشريعةَ محوطةً بأفلامه ، مضبوطةً بأحكامه ، منوطةً بما يُسَيِّدُ مَبَانِيهَا ومَبَانِيهَا من أحكامه ، مؤرَّخةً أيامَ سُعودها بإيامه .

آخر : حرس الله بأحكامه سرح المدنى ، ولا برحت فتاويه بها يقتدى ،
ويظهر على المناوين والمبتدئين من تجريدها مهنتا مهنتا .

آخر : لا برحت أنوار فتاويه لابعه ، وسيوف أعلامها بها قاطعه ، وحدودها
إلى [موارد] أحكام الشريعة المحمدية شارعه .

والعنوان لهذه المكتبة المقر الكريم بنظر ما فى الصدر ، والدعاء بأول سبعة
فى الصدر من الدعاء .

وصورة وضعه فى الورق أن يكتب فى سطرين الألقاب والدعاء والتعريف
كما فى هذه الصورة :

المقر الكريم ، العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، العونى ،

النصيرى ، الفلانى ؛ أعز الله تعالى أنصاره . فلان الفلانى

والعلامة « المملوك فلان » بقلم الثلث مقابل السطر الثانى من المكتبة .

المرتبة الثانية : الدعاء للجناب ، وهو على ثلاث طبقات :

الطبقة الأولى - أعز الله تعالى نصرة الجناب الكريم . والرسم فيه أن يترك

تحت « الملكى الناصرى » عرض ثلاثة أصابع بيضا كما فى المسئلة قبلها .

ثم إن كان المكتوب إليه من أرباب السيوف ، كتب : أعز الله تعالى نصرة

الجناب الكريم ، العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، العونى ،

الذخرى ، العضىدى ، الفلانى ؛ ويدعى له ، نحو : وأعلى قدره ، وأفقد أمره ،

صدرت هذه المكتبة إلى الجناب الكريم ، تُهدى إليه سلاما رائقا ، وشاء عاقبا ،

وتوضح لعامة الكريم كيت وكيت ، والقصد من اهتمامه كيت وكيت ؛ فيحيط علمه

بذلك ، والله تعالى يحرسه بمنه وكرمه .

وهذه أدعية تناسب ذلك .

دعاء منه : ولا زالت عزائمهُ تُعيرُ السُّيوفَ المُضَاءَ ، وتُعلمُ السَّهامَ التَّقْوَدَ في القَضَاءِ .

آخر : ولا زال جنابُهُ مرَّعًا ، وسحابُهُ مرَّعًا ، ورُعبُهُ لا يدعُ من قلوب الأعداءِ مَوْضِعًا .

آخر : ولا زالت عزائمُهُ تُباري السُّيوفَ ، وتُسقُّ الصُّفوفَ ، وتُجاري إلى مَقابِلِ الأعداءِ الحُفوفَ ، صدرت .

وإن كان من الكُتَّابِ ، كتب : أدام الله تعالى جلالَ الجَنابِ الكريمِ ، العالی ، القَضَائِي ، الكَبِيرِي ، الصُّدْرِي ، الرُّبِيسِي ، العَوْنِي ، الفِئَاتِي ، المَلَّادِي ، الفَلَانِي ؛ ويُدعى له بما يناسبه ، والباقي من نِسْبَةِ أربابِ السُّيوفِ .

دعاء يناسبه : وحرسَ سماءَهُ التي تفتي عن المصائبِ ، وتغاهُ التي هي للنعمِ مَفَاتِيحُ .

آخر : وبلغهُ أشرفُ الرُّتبِ ، ومَلَأَ به قلوبَ الأعداءِ غايَةَ الرُّهبِ ، وشَكَرَ ندىَ قلبِهِ الذي لم يدعُ للغَمَامِ إلا قُضْلَ ما وهبَ ، صدرت .

وإن كان قاضيًا ، كَتَبَ : أعزَّ اللهُ تعالى أحكامَ الجَنابِ الكريمِ العالی ، القَضَائِي ، الإِمَامِي ، العَالِي ، العَلَمِي ، الأُوْحَدِي ، الفَلَانِي . ويدعوه ، نحو : ونورِ بعلمِهِ البصائرَ ، وسرِّ بحِكْمِهِ السَّرَائِرَ ، وجعلَ قِيضَ يَمِّهِ مما لا تُودَعُ دُرُّهُ إلا في الضمائرِ . والباقي من نِسْبَةِ ما تقدم .

وإن كان من مشايخِ الصُّوفِيَّةِ ، كَتَبَ : أعاد اللهُ تعالى من بَرَكاتِ الجَنابِ الكريمِ ، العَالِي ، الشَّيْخِي ، الإِمَامِي ، العَالِمِي ، العَامِلِي ، الوَرَعِي ، الزَاهِدِي ، الفَلَانِي .

وَيُدْعَى لَهُ ، نَحْوُ : وَلَا زَالَ يُقَاتِلُ بِسِلَاحِهِ ، وَيُقَابِلُ قَسَادُ الدَّهْرِ بِصَلَاحِهِ ، وَيُنْجَلِي دُجَى الظَّامِاءِ بِصَبَاحِهِ ؛ صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةُ إِلَى الْجَنَابِ الْكَرِيمِ تُهْدَى إِلَيْهِ سَلَامًا يزدان بَعْرُضٍ بِخِدْمَتِهِ ، وَيَزْدَادُ نُضْرَةً بِنَظَرَتِهِ .

وَالعنوان لِكُلِّ مِنْهُم بِالْقَابِ الصدر، والدعاء بأول سَجْعَةٍ من دعائه أو نحو ذلك .

وَصورة وَضَعَهُ أَنْ يَكْتُبَ فِي سَطْرَيْنِ أَلْقَابَهُ ودَعَاؤَهُ وتَعْرِيفَهُ كما فِي هَذِهِ الصُّورة :

الجناب الكريم ، العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ،

النصيرى ، الفلانى ، اعز الله تعالى نصرته فلان الفلانى

والعلامة « الملوك فلان » بقلم الثلث مقابل السطر الثانى كما فى المكاتبه

التى قبلها .

الطبقة الثانية - من المرتبة الثانية : ضاعفَ اللهُ تعالى نعمةَ الجنابِ العالى .

والرسمُ فيه أن يترك تحتَ المَلِكِ الفلانى قدرَ أربعةِ أصابعٍ بياضًا . ثم يختلفُ الحال

فى ذلك .

فإن كان المكتوبُ إليه من أربابِ السُّيوفِ ، كُتِبَ : ضاعفَ اللهُ تعالى

نعمةَ الجنابِ العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، العونى ،

النصيرى ، الذئبرى ، الفلانى ؛ ثم يدعى له ، نحو : ونَصَرَهُ فى جِلادِهِ ، وأيدَهُ

فى مَواقِفِ جِهَادِهِ ؛ صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةُ إِلَى الْجَنَابِ العالى تُهْدَى إِلَيْهِ سَلَامًا

سُوقًا ، وَشَاءَ يَرُوقُ ، وَتَوَضَّعَ لِعَلْمِهِ كَيْتَ وَكَيْتَ ؛ فَالجنابِ العالى ، يَتَقَدَّمُ بِكَيْتَ

وكَيْتَ ؛ فَيُحِيطُ عِلْمُهُ بِذَلِكَ ، وَاللهُ تعالى يُؤَيِّدُهُ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

دعاء آخر يناسب هذه المكاتبه : يقال بعد استيفاء الألقاب ، ولازال

عَزمُهُ مؤيدًا ، وَعِزُّهُ مؤيدًا ، وَأَجْتِهَادُهُ وَجِهَادُهُ : هَذَا يَسْرُ الأُولياءِ . وَهَذَا يَسُوءُ العِدَاءِ ؛

صدرت هذه المكتبة إلى الجنب العالی تحضه بالسّلام، والثناء الوافر الأقسام، وتوضّح لعلّه كيت وكيت .

أخسر : ولا زالت آراؤه كواكب يهتدى بلوامعها ، وتقرأ سورة البصر في جوامعها ، وتسير كالسحب فترمي الأعداء بصواعقها وتأتي الأولياء بهوامعها .
وإن كان من الكتاب ، كتب : ضاعف الله تعالى نعمة الجنب العالی ، القضاة ، الكبرى ، الصّدرى ، الرّئيسى ، القوامى ، النظامى ، الفلافى ، ثم يدعى له نحو : ولا زال يرجو لكلّ جليل ، ويؤمل لكلّ جميل ، ويؤهل لكلّ منتهى تقصّر دونه أصابع النيل ، صدرت هذه المكتبة ، والباقي على ما تقدّم في أرباب السيوف .

وإن كان من القضاة ، كتب : ضاعف الله تعالى نعمة الجنب العالی ، القضاة ، العالمى ، الفاضلى ، الأوحدى ، الصّدرى ، الرّئيسى ، الفلافى ، ويدعى له نحو : ودفع عنه الأباطيل ، وأرشد يهدها من الأضاليل .

وإن كان من مشايخ الصّوفية ، كتب : أعاد الله تعالى من بركة الجنب العالی ، الشّيخى ، الإمامى ، العالمى ، الكاملى ، الورعى ، الزاهدى ، ويدعى له ، نحو : ولا زال تكتشف به اللأواء ، وتطّب به الأدواء . صدرت هذه المكتبة إلى الجنب العالی تهدى إليه سلاماً ، وتفض عن مثل المسك ختاماً ، وتوضّح لعلّه .

دعاء آخر : نفع الله بدعواته التي لا حاجب لها عن الإجابة ، ولا عارض يمنعها عن الإجابة ، وأمتع ببركاته التي هي أمن للناس ومناجاة . صدرت .

والعنوان الألقاب التي في صدر المكتبة . والدعاء : ضاعف الله تعالى نعمته ، ثم التعريف .

وصورة وضعه في الورق أن يكتب في سطرين ألقابه ودعاؤه وتعريفه كما في هذه الصورة :

الجناب العالى، الأميرى، الكبيرى، العالى، العادلى، المؤيدى، العونى،
النصيرى، الذئيرى، الفلانى . ضاعف الله تعالى نعمته فلان الفلانى
والعلامة «الملوك فلان» بقلم الثلث الثقيل مقابل السطر الأول من المكتبة .

الطبقة الثالثة — أدام الله تعالى نعمة الجناب العالى ومافى معنى ذلك . والرسم
فيه أن يُترك تحت المَلَكى الفلانى بحيث يبقى من الوصل الذى فيه البسطة
مايسعُ سطرين فقط . ثم يختلف الحال فيه .

فإن كان المكتوب إليه من أرباب السيوف ، كتب : أدام الله تعالى نعمة
الجناب العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالى ، المجاهدى ، المؤيدى ، العونى ،
النصيرى ، الذئيرى ، الفلانى . ويُدعى له ، نحو : وأيد عزمه وأظهره ، وكتب
عدوه وقهره ، صدرت هذه المكتبة إلى الجناب العالى تُهدى إليه سلاما طيبا ، وثناء
مُطنبا ، وتوضح لعلمه كيت وكيت ، فالجناب العالى يتقدم بكيت وكيت ، فيحيط
علمه بذلك ، والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه .

دعاء آخر يناسبه : وموه بجهاده كُلِّ سِنَان ، ونبه بجلاده جَفَنَ كُلِّ سِيفٍ
وسنَان . صدرت هذه المكتبة تحية بسلام يطيب ، وثناء يهترُ غصنه الرطيب ،
وتوضح لعلمه .

وإن كان من الكُتَّاب ، كُتِبَ : أدام الله تعالى نعمة الجناب العالى ، القضاى .
والألقاب من نسبة ما تقدم فى ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى . والدعاء ،
نحو : ولا زال قلمه لأبواب الأرزاق فاتحا ، ونجم رفته [لأنواء الفضل مانحا]^(١)
صدرت .

(١) يعنى فى الاصل لقبه هذه السجدة فاتحنا ما ليتم الكلام .

وإن كان من القضاة ، كتب : أدام الله تعالى نعمة الجنب العالى ، والألقاب من نسبة ما تقدم في ضاعف الله تعالى نعمة الجنب العالى . والدعاء ، نحو : ولا أخلى الله أفق الفضل من كوكبه ، ولا مجال الحدال من مركبه . صدرت .

وإن كان من مشايخ الصوفية ، كتب : أدام الله تعالى نعمة الجنب العالى الشيخى . وبقية الألقاب من نسبة ما تقدم مع ضاعف الله تعالى نعمة الجنب . والدعاء ، نحو : نفع الله بركات خلواته التى كم أنجلت عن الرقاد ، وإن فى مرءاتها نور الهدى للعباد ، وأنارت إنارة الشمس لإنارة الزناد .

والعنوان بتظير الألقاب التى فى صدر المكاتبه ؛ والدعاء أدام الله تعالى نعمته . وصورة وضعه فى الورق أن يكتب فى سطرين الألقاب والدعاء والتعريف كما فى هذه الصورة :

الجنب العالى ، الأميرى ، الكبرى ، العالمى ، المجاهدى ، المؤيدى ، العونى ،
التصيرى ، الذئرى ، الفلانى ، أدام الله نعمته فلان الفلانى
والعلامة «الملوك فلان» تحت البسملة بقلم مختص الطومار .

المرتبة الثالثة — الدعاء للجلس ، ويختص بالجلس العالى ، والياض فيه تحت الملكى الفلانى بحيث يبق من الوصول قدر سطرين كما تقدم فى الجنب العالى . ويختلف الحال فيه .

فإن كان من أرباب السيوف ، كتب : أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى ، الأميرى ، الكبرى ، العالمى ، المجاهدى ، المؤيدى ، الذئرى ، العونى ، الفلانى ؛ ويدعى له ، نحو : وأيد عزمه ، ووفر من الخيرات قسمه ؛ صدرت هذه المكاتبه إلى المجلس العالى تهدى إليه سلاما ، وتوفر له من الخير أقساما ، وتوضح لعلمه المبارك

كَيْتَ وَكَيْتَ ، فالجلسُ يتقدّمُ بكَيْتَ وكَيْتَ ، فيحيطُ بذلكَ عليهما . واللهُ تعالى
يؤيِّدهُ بمَنِّهِ وكرمه .

وهذه أدعية تليقُ بهذه المكتابة .

دعاء من ذلك : ولا زالَ مَشكورَ الأَهْتِامِ ، موصوفَ المحامِسِ وَصَفَ البَدْرِ
الثَّامِ ، معروفاً بجَميلِ الأَثَرِ مِثْلَ ما تُعرَفُ مواجِعُ العَمَامِ . صدرتْ هذه المكتابةُ
إلى المجلسِ العالى تُهدى إليه سلاماً ، وتُسَدَّدُ لِرأيه الصَّائِبِ سِهَاماً ، وتوضَّحُ
لِعِلْمِهِ الكَرِيمِ .

آخِرُ : ولا زالَ سَيِّفاً يُدْفَعُ بِجَدِّهِ ، وَيَجْوِي مَاءَ النَصْرِ مِنْ فِرْنِدِهِ ، ويتنوعُ به
الظَّفَرُ فَيَقْتُلُ بِتَجْرِيدِهِ وَيُخَافُ وَهُوَ فِي غَمْدِهِ .

وإن كان من الكُتَّابِ ، كتب : أدام اللهُ تعالى نعمةَ المجلسِ العالى ، القَضائى ،
الأَجَلِّ ، الكَبيرى ، الرئِيسى ، المَسجِدى ، الأوْحِدى ، الأَميرى ، الفِلافى ،
ويُدعى له ، نحو : وسَدَّدَ رأيه وَوَفَّقَهُ ، وَصَدَّقَ فِيهِ الظَّنَّ وَحَقَّقَهُ ، وجمع له شَمَلُ
السَّعادَةِ ثم لاقرِّفه . صدرتْ هذه المكتابةُ إلى المجلسِ العالى تُشْكُرُ مَساعِيهِ ، وَأَهْتِامَهُ
الذى باتَ طَرَفُ النَجْمِ وَهُوَ بِرُايِهِ ، وتوضَّحُ لِعِلْمِهِ الكَرِيمِ .

آخِرُ : ولا تَزِعُ عَنْهُ تَوْبَ سَعادِهِ ، ولا تُغَيِّرُ مِنْهُ جَميلَ عادِهِ ، ولا تُعرِفُ سِوَى
بابِهِ الذى لو كان له الحَقُّ فى جَبْهَةِ الأَسَدِ لاسْتعادَهُ . صدرتْ هذه المكتابةُ إلى
المجلسِ العالى تُهدى إليه السلامُ ، والثناءُ الذى تَنطِقُ بِهِ ألسِنَةُ الأَقلامِ ، وتوضَّحُ
لِعِلْمِهِ .

وإن كان من القضاة ، كتب : أدام اللهُ تعالى نعمةَ المجلسِ العالى ، القَضائى ،
الكَبيرى ، العالى ، العاملى ، الفاضلى ، الأوْحِدى ، الفِلافى ، ويُدعى له ،

نحو : ولا يرحح طلبته مفيدة المطالب ، مورية الهدى في الغيايب ، قائمة أقلام
هدايتها في ليالي الخيرة مقام الكواكب .

آخر : ولا يرحح الدنيا ممطورة بعامه ، مجورة بدخولها تحت ذمائه .

وإن كان من مشايخ الصوفية؛ كتب : أدام الله تعالى بركة المجلس العالي ،
الشيخي ، الإمامي ، العالمي ، العاملي ، العائدي ، الورعي ، الزاهدي ، الأوحدي ،
الفلاني ، ويدعى له نحو : ولا زال نوره يسعي بين يديه ، ويدعى باسمه إليه .

آخر : أعاد الله من بركاته على الراعي والرعيه ، وجعل خلواته خلوات كل
نفس راضية مرضية ؛ والباقي على ما تقدم .

والعنوان الألقاب التي في الصدر ؛ والدعاء : أدام الله تعالى نعمته . ثم التعريف .
وصورة وضعه في الورق أن تكتب ألقابه والدعاء والتعريف كما في هذه الصورة :

المجلس العالي ، الأميري ، الكبير ، العالمي ، المجاهدي ، المؤيدي ،

الذخري ، العوفي ، الفلاني ؛ أدام الله تعالى نعمته فلان الفلاني

والعلامة « المملوك فلان » بقلم مختصر الطومار تحت الملكي الفلاني ، على ما تقدم
في المكاتبه قبلها .

وَأعلم أن ترتيب هذه الدرجة على هذه المراتب : من الدعاء بأعز الله تعالى أنصار
المقتز الكريم ؛ ثم أعز الله تعالى نصرة الجناب الكريم ؛ ثم ضاعف الله تعالى نعمة
الجناب العالي ؛ ثم أدام الله تعالى نعمة الجناب العالي ، ثم أدام الله تعالى نعمة
المجلس العالي - هو المستقر عليه الحال بين كتأب الزمان بالديار المصرية . وجعل
في "عُرف التعريف" أعلى المراتب في الدعاء : أعز الله تعالى أنصار المقتز الكريم ؛

(١) الطلبة من مدانيها السفرة البعيدة ولعلها المرادة إن لم تكن مصحفة عن طلعه .

ثم أعز الله تعالى نُصْرَةَ المَقْرِّ الكَرِيمِ ؛ ثم أعزَّ اللهُ تعالى نُصْرَةَ المَقْرِّ الكَرِيمِ ؛ ثم أدام اللهُ تعالى نُصْرَةَ الجَنَابِ الشَّرِيفِ ؛ ثم أدام اللهُ تعالى نُصْرَةَ الجَنَابِ الكَرِيمِ ؛ ثم ضاعف اللهُ تعالى نِعْمَةَ الجَنَابِ العَالِي ، وحرَّس اللهُ تعالى نِعْمَةَ الجَنَابِ العَالِي ، مع آخْتِصَارِ الألقَابِ وحَدْفِ بعضها ؛ ثم أدام اللهُ تعالى نِعْمَةَ المَجْلِسِ العَالِي . وعلى كثيرٍ من ذلك كان الحال جارياً إلى آخر الدولة الأشرافية «شعبان بن حسين» ثم أخذ الناس في التغير إلى أن صار الأمر على ما هو عليه الآن .

قلت : وكانوا في الزَّمنِ السَّالِفِ في الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون» وما والاها لا يأتون مع المَقْرِّ الشَّرِيفِ ، والمَقْرِّ الكَرِيمِ ، والمَقْرِّ العَالِي ، والجَنَابِ الشَّرِيفِ ، بأصْدَرِهَا ولا بصَدْرِهَا هذه المَكَاتِبُ كما هو الآن ؛ بل بعد الدعاء يقولون مع «أعزَّ اللهُ تعالى أنصارَ المَقْرِّ الشَّرِيفِ» : المملوكُ يَقْبَلُ البَاسِطَةَ . ثم يأتي بالإنتهاء بعد ذلك مثل أن يقول : المملوكُ يَقْبَلُ البَاسِطَةَ الكَرِيمَةَ التي هي مَعْدِنُ السَّهَابِ ، ومَوْطِنُ مَا يُوهِنُ العِدَا من صدور الصَّفَاحِ ، وينهى . أو يقول : يُقْبَلُ البَاسِطَةَ الكَرِيمَةَ ، ويرتج منها في كلِّ ديمه ؛ وينهى . أو والمملوكُ يَقْبَلُ اليَدَ الشَّرِيفَةَ ، ويلجأ إلى ظِلِّهَا الوَرِيفَةَ ، وينهى . ومع «الجَنَابِ الشَّرِيفِ» لفظُ «المملوكُ يَحْدُمُ» . ثم يقول : وَيُسَدِّي مثل أن يكتب : المملوكُ يَحْدُمُ بِأَثِيَّتِهِ ، وَيُفْضُ عَقُودَ الشُّكْرِ عَلَى أُنْدِيَّتِهِ ، وَيُسَدِّي لعلمه الكَرِيمِ . أو المملوكُ يَحْدُمُ بِأَثِيَّتِهِ التي تَرِيدُ الطَّيِّبَ طَيِّبًا ، وتَسْرِي سُرَى السُّحْبِ فلا تَدْعُ في الأَرْضِ جَرِيبًا ، ويسدى لعلمه الكَرِيمِ . وربما أعاض ذلك بقوله : صدرت هذه الخدمَةُ ، مثل أن يقول : صدرت هذه الخدمَةُ وسلامُهَا يتَصَوِّعُ ، وثأوُهَا السَّافِرُ لا يَتَّبِعُ .

الدرجة الرابعة

(الابتداء بصيغ مُتَرَعَّة من صدور مكاتبات الأوعية)

اعلم أن صدور المكاتبات المفتحة بالأوعية يقال فيها بعد الدعاء المعطوف : أصدرناها أو صدرت هذه المكتبة ؛ ثم يقال : وتبدي لعلمه أو وتوضح لعلمه . ومن أجل ذلك جعلت هذه الدرجة دون درجة الأفتاح بالدعاء ؛ لأن هذه فرع من فروع تلك ، وحينئذ فيكون الصدر مُشْتَمِلًا بعد الدعاء على ثلاثة أشياء .

أحدها — [أفتاح] صدور المكتبة بقوله : أصدرناها أو صدرت .

والثاني — الإشارة إلى المكتبة بقوله : هذه المكتبة .

والثالث — الإعلام بما صدرت بسببه المكتبة ، فأنظم من ذلك ثلاث مراتب .

المرتبة الأولى — الأفتاح بصدور المكتبة ، وفيها طبقتان .

الطبقة الأولى — صدرت والعالى ؛ وهى أن تُفْتَحَ المكتبة ، بأن يقال : صدرت

هذه المكتبة إلى المجلس العالى . ويختلف الحال فيها .

فإن كان المكتوب إليه من أرباب السيوف ، كتب : صدرت هذه المكتبة

إلى المجلس العالى ، الأميرى ، الكبرى ، المجاهدى ، المؤيدى ، الذخرى ، الأوحدي ،

الفلايى ، ويدعى له نحو : أدام الله تعالى نعمته ، ووفّر من الخير قسّمته ، تتضمن

إعلامه كيت وكيت . فالمجلس العالى يتقدّم بكيت وكيت ؛ فيعلم ذلك ويعتمده

وإنه الموفق .

وإن كان من الكُتّاب ، كتب : صدرت هذه المكتبة إلى المجلس العالى ،

القضائى ، الكبرى ، الرئيسى ، الكاملى ، الماجدى ، الأبيرى ، الأوحدي ،

الفلايى ، ويدعى له ، نحو : حرس الله مجده ، وأنبج قصده ؛ والباقي على ما تقدم .

وإن كان من الفُضاة ، كُتِبَ : صدرت هذه المكتبةُ إلى المجلس العالى ،
القضائى ، الأجلّى ، الإمامى ، الصُدْرِى ، الفَقِيهَى ، الكَامِلَى ، الفَاضِلَى ، الفَلَانَى ؛
ويدعى له ، نحو : أيد الله أحكامه ، ووفّر من الخير أقسامه ، والباقي على ما تقدم .
وإن كان من مشايخ الصوفيّة ، كتب : صدرت هذه المكتبةُ إلى المجلس العالى ،
الشَيْخَى ، الإمامى ، العالمى ، العاملى ، الزَاهِدَى ، العَابِدَى ، الوَرَعَى ، الأَوْحَدَى ؛
ويدعى له نحو : أعاد الله من بركته ، ونفع المسلمين بصالح أدعيته ، والباقي
على ما تقدم .

والعنوان بالألقاب التى فى الصُدْرِ وأوّل تجمة من الدعاء فيه . وتكون الألقابُ
والدعاء والتعريف فى سطرين كما فى هذه الصورة :

المجلس العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، المجاهدى ، المؤيدى ، الذخرى ،

الأوحدى ، الفلانى ، أدام الله رفعة فلان الفلانى

والعلامة « المملوك فلان » تحت « المَلِكِ الفلانى » بقلم مختصر الطومار الثقيل ،
وربما جعل بعضهم العلامة « أخوه » .

الطبقة الثانية — صدرت والسامى . وهى أن تُفَتَّحَ المكتبةُ بأن يقال :
صدرت هذه المكتبةُ إلى المجلس السامى ، واليباض فيها تحت المَلِكِ الفلانى كما
فى المكتبة التى قبلها : بحيث لا يبقى من الوصل إلا ما يسعُ سطرين فقط
على ما تقدم .

ثم إن كان المكتوبُ إليه من أرباب السُيوف ، كتب : صدرت هذه المكتبة
إلى المجلس السامى ، الأميرى ، الكبيرى ، المجاهدى ، العَضْدَى ، الذخرى ،
الأَوْحَدَى ، الفلانى ؛ ويدعى له نحو : أدام الله سعده ، وأمنح قصده . ثم يقال :

تُصَوَّنُ بِإِعْلَامِهِ كَيْتَ وَكَيْتَ . فَالْمَجْلِسُ السَّامِيُّ يَتَقَدَّمُ بِكَيْتَ وَكَيْتَ ؛ فَيَعْلَمُ ذَلِكَ وَيَعْتَمِدُهُ وَيَبَادِرُ إِلَيْهِ ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ .

وَإِنْ كَانَ مِنَ الْكُتُبِ ، كُتِبَ : صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةُ إِلَى الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ الْقَضَائِيِّ ، الْأَجَلِّيِّ ، الْكَبِيرِيِّ ، الزُّبَيْدِيِّ ، الْمَاجِدِيِّ ، الْأَثِيرِيِّ ، الْأَوْحَدِيِّ ، الْفَلَانِيِّ ؛ وَيَدْعَى لَهُ ، نَحْوُ : ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى إِقْبَالَهُ ، أَوْ أَدَامَ اللَّهُ سَعَادَتَهُ ، وَبَلَّغَهُ إِرَادَتَهُ ؛ وَالْبَاقِي عَلَى مَا تَقَدَّمَ .

وَإِنْ كَانَ مِنَ الْقَضَاةِ ، كُتِبَ : صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةُ إِلَى الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ الْقَضَائِيِّ ، الصَّدْرِيِّ ، الْفَقِيهِيِّ ، الْإِمَامِيِّ ، الْعَالِمِيِّ ، الْفَاضِلِيِّ ، الْكَامِلِيِّ ، الْأَوْحَدِيِّ ، فَلَانَ الدِّينِ . وَالْبَاقِي مِنْ نِسْبَةِ مَا تَقَدَّمَ .

وَإِنْ كَانَ مِنْ مَشَائِخِ الصُّوفِيَّةِ ، كُتِبَ : صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةُ إِلَى الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ ، الشَّيْخِيِّ ، الْعَالِمِيِّ ، الْعَامِلِيِّ ، الْوَرَعِيِّ ، الزَّاهِدِيِّ ، الْأَوْحَدِيِّ ، الْفَلَانِيِّ ؛ وَيَدْعَى لَهُ ، نَحْوُ : لَا أَخْلَاهُ اللَّهُ مِنْ أَنْسِهِ ، وَلَا أْبَعَدَهُ مِنْ حَضْرَةِ قُدْسِهِ . وَالْبَاقِي عَلَى نَحْوِ مَا تَقَدَّمَ .

وَالْعُنْوَانُ الْأَلْفَابُ الَّتِي فِي صَدْرِ الْمَكَاتِبَةِ بِالسَّجْعَةِ الْأُولَى مِمَّا فِيهِ مِنَ الدِّعَاءِ وَالتَّعْرِيفِ .

وَصُورَةٌ وَضَعَهُ فِي الْوَرَقِ أَنْ يَكْتُبَ فِي سَطْرَيْنِ كَمَا فِي هَذِهِ الصُّورَةِ :

الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ ، الْأَمِيرِيُّ ، الْكَبِيرِيُّ ، الْمَجَاهِدِيُّ ، الْعَضْدِيُّ ، الذُّنْحَرِيُّ ،
الْأَوْحَدِيُّ ، الْفَلَانِيُّ . أَدَامَ اللَّهُ سَعَادَةَ فَلَانِ الْفَلَانِيِّ

وَالْعَلَامَةُ «أَخُوهُ فَلَانٌ» تَحْتَ الْمَلِكِيِّ الْفَلَانِيِّ ، بِقَلَمِ مَخْتَصِرِ الطُّومَارِ التَّقْوِيلِ .

المرتبة الثانية — الافتتاح بالإشارة إلى المكتبة ، وهى أن يُكْتَبَ : هذه المكتبة إلى المجلس السامى بنيرياء فى ألقابه ، ويعبر عنه بالسامى بنيرياء ، والبياض فيها تحت الملكى الفلانى متسع أيضا : بحيث لا يبقى من الوصل إلا ما تبسع سطرين فقط . ثم إن كاتب المکتوب إليه من أرباب السيوف ، كُتِبَ : هذه المكتبة إلى المجلس السامى ، الأمير ، الأجل ، الكبير ، المجاهد ، المؤيد ، الأوحِد ، الذَّخِر ، فلان الدين ، ويُدعى له نحو : أدام الله إقباله ، وبلغه آماله ، أو أجمع الله قصده ، وأعدب وِرْدَه ، تُعلمه كَيْت وكَيْت : فالمجلس يتقدم بكَيْت وكَيْت : فيعلم ذلك ويعتمده ويأدر إليه ، والله الموفق .

وإن كان من الكُتَاب ، كُتِبَ : هذه المكتبة إلى المجلس السامى ، القاضى ، الأجل ، الكبير ، الصُّدْر ، الرئيس ، الأوحِد ، ويدعى له ، نحو : أدام الله سعادتَه ، وبلغه من الخير إرادته ، تُعلمه كَيْت وكَيْت . والباقي على ما تقدم .

وإن كان من القُضَاة ، كُتِبَ : هذه المكتبة إلى المجلس السامى ، القاضى ، الأجل ، الكبير ، العالم ، الفاضل ، الكامل ، الأوحِد ، فلان الدين . والباقي من نسبة ما تقدم .

وإن كان من مشايخ الصوفية ، كتب : هذه المكتبة إلى المجلس السامى الشيخ ، الصالح ، الورع ، الزاهد ، فلان الدين ، نفع الله تعالى بركته ، ولا أخلُ مجالس الذكر من محاسن سَمِيه وسَمِيه . والباقي من نسبة ما تقدم .

والعنوان الألقاب التى فى صدر الكتاب ، وأقولُ سَجْمَة من الدعاء الذى فيه وتعرفه ، ويكون فى سطرين كما فى هذه الصورة :

المجلس السامى ، الأمير ، الأجل ، الكبير ، المجاهد ، المؤيد ، الأوحِد ،
الذَّخِر ، فلان الدين ، أدام الله إقباله ، فلان الفلانى

المرتبة الثالثة — الأفتاح بالإعلام بالقصد ، وهو أن يكتب : يعلم فلان ، وقد تقدم في الكلام على مقدمة المكاتبات من هذه المقالة أن الصواب فيما يعلم بإثبات لام الأمر في أوله ، فحذف كتاب الزمان منها اللام اللازم لإثباتها وأجروها مجرى الخبر. والرسم فيه أن يترك تحت المَلِكِ الفلاني بياض : بحيث لا يبقى من الوصل إلا ما يسع سطرين كما في المكاتبة قبلها وما قبل ذلك .

ثم إن كان المكتوب له من أرباب السيوف ، كُتِبَ : يعلم الأمير ، الأجل ، الكبير ، المؤيد ، الذئب ، المرتضى ، المختار ، فلان الدين ، ويدعى له ، نحو : أدام الله عزه ، ووفر من الخير كثره ، كَيْتَ وكَيْتَ ، فمجلس الأمير يتقدم بكَيْتَ وكَيْتَ ، فيعلم ذلك ويعتمده ويبادر إليه ، والله الموفق بمنه وكرمه .

وإن كان من الكُتَّاب ، كُتِبَ : يعلم مجلس القاضى ، الأجل ، الكبير ، العالم ، الفاضل ، الكامل ، الأوحد ، فلان الدين ، كَيْتَ وكَيْتَ ، والباقي من نسبة ما تقدم .

وإن كان من القضاة ، كتب : يعلم مجلس القاضى ، الأجل ، الكبير ، العالم ، الفاضل ، الكامل ، الأوحد ، فلان الدين ، كَيْتَ وكَيْتَ ، والباقي من نسبة ما تقدم .

وإن كان من مشايخ الصوفية ، كتب : يعلم مجلس الشيخ ، الصالح ، الورع ، الزاهد ، الأوحد ، الكامل ، فلان الدين ، كَيْتَ وكَيْتَ ، والباقي من نسبة ما تقدم .

والعنوان لهذه المكاتبة الألقاب التي في الصدر والدعاء بأول شجعة مما فيه من

الدعاء والتعريف .

وصورة وضعه في الورق أن يكتب ذلك في سطرين كما في هذه الصورة :

المجلس الأمير، الأجل ، الكبير ، المؤيد ، الذخر ، المرتضى ، المختار ،
فلان الدين . أدام الله عزّه . فلان الفلاني
والعلامة تحت البسملة الأسمُ بقلم مختصر الطومار الثقيل .

قلت : ومما يجب التنبيه عليه أن الألقاب المذكورة في صدور المكاتبات
وعنواناتها ليست موقوفة عندها ، بل لكل واحد فيها اختيارٌ من تقديم وتأخير ،
وتبديل لقبٍ بلقبٍ ، وزيادة ونقص ؛ إلا أن الزيادة والنقص يكونان على المقاربة ،
مثل زيادة لقبٍ ولقبين وثلاثة ، ونقصها . على أنهم في الزمن السابق كانوا يتعاطون
في الإخوانيات الألقاب المركبة في الصدور والعنوانات فيما يبدأ فيه بالدعاء وما بعد
ذلك إلى آخر المراتب كما هو في السلطانيات .

فإن كان من أرباب السيوف قيل مع الدعاء للقتل الشريف لأرباب السيوف
بعد استيفاء الألقاب المفردة : عز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء في العالمين ،
زعيم الجيوش ، مقدم العساكر ، عون الأمة ، غياث الملّة ، ممهّد الدول ، مشيد
الممالك ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين . ومع الدعاء للقتل الكريم :
عز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء في العالمين ، نصرّة الغزاة والمجاهدين ، زعيم
جيوش الموحدين ، عماد الدولة ، عون الأئمة ، دُخر الملّة ، ظهير الملوك والسلاطين ،
سيف أمير المؤمنين ، وعلى ذلك إلى آخر كل مرتبة بحسبها .

وإن كان من رؤساء الكتّاب ، قيل : جلال الإسلام والمسلمين ، سيد الكبراء
في العالمين ، رئيس الأصحاب ، قوام الأمة ، نظام الملّة ، مدبر الدولة ، دُخر الممالك ،
ظهير الملوك والسلاطين ، وكذلك إلى آخر المراتب كل مرتبة بحسبها . وكذلك القول

في الفُضَاة ومشايخ الصُوفِيَّة كُلِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ بِمِثَابِهِ مِنَ الْأَقْبَابِ لَوْظِيْفَتِهِ وَرُتْبَتِهِ .
ثم أقتصرُوا بعد ذلك على استعمال اللَّقَبِ الْمُضَافِ إِلَى الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، مِنْ تَطْهِيرِ
الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ وَمِنْ ذَلِكَ ؛ فَحُذِفَ كُتَّابُ الزَّمَانِ هَذِهِ الْأَقْبَابِ الْمُرَكَّبَةِ جَمَلَةً
أَخْتِصَارًا ، وَهُوَ مُسْتَحْسَنٌ : لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ مَيْلِ النَّفْسِ إِلَى الْأَخْتِصَارِ ، وَلِتُخَالَفَ
الْمَكَاتِبَاتِ الصَّادِرَةَ عَنِ السَّلْطَانِ ، فَتَكُونُ مَخْتَصَّةً بِالْأَقْبَابِ الْمُرَكَّبَةِ دُونَ غَيْرِهَا .

القسم الثاني

(من المكاتبات الإخوانيات الدائرة بين أعيان المملكة وأكابر

أهل الدولة ، الأجوبة ؛ وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يُفْتَحُ مِنْ ذَلِكَ بِمَا تُفْتَحُ بِهِ الْإِبْتِدَاءَاتُ الْمُتَقَدِّمَةُ الذِّكْرُ)

وَالرَّسْمُ فِيهَا أَنْ يَكْتَبَ صَدْرُ الْكِتَابِ كَمَا يُكْتَبُ أَنْ لَوْ كَانَ آبْتِدَاءً ؛ ثُمَّ يَذْكَرُ وَرُودُ
الْكِتَابِ الْمَجَاوِبِ عَنْهُ ، وَيُؤْتَى بِالْجَوَابِ عَمَّا تَضَمَّنَهُ ؛ وَهُوَ عَلَى أَرْبَعِ صَرَائِبَ :

الْمُرْتَبَةُ الْأُولَى — وَهِيَ أَعْلَاهَا فِي تَعْظِيمِ الْكِتَابِ الْوَارِدِ ، أَنْ يَبْعَثَ عَنِ الْمِثَالِ .
وَذَلِكَ مَعَ الْإِبْتِدَاءِ بِلَفْظِ قَبْلَ الْأَرْضِ وَيُنْهَى كَيْتَ وَكَيْتَ . وَصَوْرَتُهُ أَنْ يَقُولَ بَعْدَ
كَلِمَةِ الصَّدْرِ : وَرُودُ الْمِثَالِ الْكَرِيمِ الْعَالِيِ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمَمْلُوكِ عَلَى بَدِ فُلَانٍ ،
وَيَذْكَرُ مَا يَلِيْقُ بِهِ مِنَ الْمَجْلِسِ الْعَالِيِ أَوْ الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ أَوْ غَيْرِهِمَا ؛ ثُمَّ يَقُولُ : فَقَبْلَ
الْمَمْلُوكِ لَوْرُودِهِ الْأَرْضِ ، وَأَدْنَى مِنْ وَاجِبِهِ الْفَرْضُ ؛ وَتَضَاعَفَ دَعَاؤُ الْمَمْلُوكِ لِتَأْهِيلِهِ
لِعِلْمَانِيَةِ الْأَبْوَابِ الْكَرِيمَةِ ، وَابْتِهَاجِ بُوْرُودِهِ ، وَحَمْدِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ : مِنْ
عَاقِبَةِ مَوْلَانَا مَلِكِ الْأُمَرَاءِ أَعَزَّ اللَّهُ أَنْصَارَهُ — إِنْ كَانَ الْمِثَالُ قَدْ وَرَدَ مِنْ نَائِبِ سُلْطَنَيْفِ
أَوْ مِنْ عَاقِبَةِ مَوْلَانَا قَاضِيِ الْقَضَاةِ — إِنْ كَانَ قَاضِيًا — أَوْ مِنْ عَاقِبَةِ الْمُخْدُومِ وَصَحَّةِ مِرْزَاغِهِ

(١) أى الذى منه وينهى ورود المثال الخ وهكذا فى الآتى .

المحروس . وقَابَلَ المملوكَ المراسِمَ الكريمةَ بالامتثال ؛ ففهِمَ مَارِسِمَ له به من كَيْتَ
 وَكَيْتَ ؛ والمملوكُ لم يكن عنده غَفْلَةٌ ولا إِهْمَالٌ فَيَا رُسِمَ له به . وإن كَانَ ثم فَصُولٌ
 كثيرةٌ ، قال : فأما مَارِسِمَ له به من كَيْتَ وَكَيْتَ فقد آمَنَتْه المملوكُ ؛ وَيُجَابُ عنه .
 ثم يقول : وأما مَارِسِمَ له به من كَيْتَ وَكَيْتَ ، فالأمر فيه كَيْتَ وَكَيْتَ ، حتى بَاتَى
 على آخرِ الفُصُولِ ؛ فإذا أَتَيْتَ إلى آخرها ، قال : وسؤالُهُ من الصَّدَقَاتِ العَمِيمةِ ،
 إمدادُهُ بمَراسِمِهِ الكريمةِ وَخِدْمِهِ ، لِيُفَوِّزَ بقضائِهَا ، وَيُيَادِرَ إلى أمتانِهَا ؛ والمملوكُ
 مملوكه وعبْدُ بابه الشريف .

المرتبة الثانية — أن يعبر عن الكتاب الوارد بالمثل العالى بدون الكرم ، وذلك
 مع الابتداء بلفظ يُقْبَلُ الأرضَ وَيُنْبِئِي بعد آتِهَا إلى الله تعالى ، والابتداء بِقَبْلِ
 الأرضَ بعد رَفْعِ دُعَائِهِ ؛ وَيُقْبَلُ الأرضَ بالمَقْرَ الشريفِ ؛ وَيُقْبَلُ الباسطَ الشريفِ .
 فأما مع يُقْبَلُ الأرضَ بعد آتِهَا ، فالأمرُ على ما تقدم في جوابِ المَكاتِبِ قبلها ،
 إلا أنه يقتصر على المثالِ العالى دُونَ الكَرِيمِ كما تقدمت الإشارةُ إليه . وأما مع يُقْبَلُ
 الأرضَ بعد رَفْعِ دُعَائِهِ ، فإنه يقول بعد تَكْلِمَةِ الصَّدْرِ : ورودَ المثالِ العالى أعلاه اللهُ
 تعالى على يد فلان ، فقبله حينَ قَابَلَهُ ، ووقفَ على ما تضمنته من كَيْتَ وَكَيْتَ ،
 وفَرِحَ بما دَلَّ عليه من عافيةِ المَخْدُومِ ، وحَمْدِ اللهِ تعالى وشكره على ذلك ، وفهِمَ
 ما أشار إليه من كَيْتَ وَكَيْتَ ؛ وَيُجَابُ عنه ، ثم يقول : والمملوكُ يسألُ إِحْسَانًا
 المَخْدُومَ بتشريفِ المملوكِ بِعَمَلَاتِهِ ومَراسِمِهِ لِيُفَوِّزَ بقضائِهَا ، فإن المملوكَ وَقَفَ المالكُ ؛
 طالعٌ بذلك ، والله تعالى يُؤَيِّدُهُ بِنِعْمَتِهِ وَكِرَمِهِ ، أو نحو ذلك . وأما مع يُقْبَلُ الأرضَ
 بالمَقْرَ الشريفِ ، وَيُقْبَلُ الباسطَ الشريفِ ؛ فإنه يُقالُ وَرُودَ المثالِ العالى أيضًا ،
 وربما قيل وَرُودَ مثاليهِ العالى . وقد يقالُ المَشْرِفُ الكَرِيمُ العالى على ما تقتضيه رتبةُ
 المَكْتُوبِ إليه ، ويرتضيه المَكْتُوبُ عنه ؛ والباقي على نحو ما تقدم .

المرتبة الثالثة — أن يعبر عن الكتاب الوارد بالمشرفة ، على التأنيث ؛ وذلك مع يقبل الباسطة ويقبل اليد . ويختلف الحال في ذلك بحسب المراتب . فيقال : يقبل الباسطة ويُنهي ورود المشرفة الكريمة ، ومع اليد الشريفة ، والكريمة ، والعالية ؛ وفي معنى ذلك يُخدم إذا كتب بها ؛ وكذلك أعز الله تعالى أنصار المقرِّ الكريم ، وإن كان المكتوبُ عنه يكتفى عن نفسه بنون الجمع المقتضية للتعظيم . ثم يقول : في كلِّ منها قبلها المملوك حين قائلها ، ووقف على ما تضمنته من محبته ومودته ، وقهم ما شرحه من أمر كيت وكيت ، ويجاوب عنه ؛ ثم يقول : والمستمد من محبته تشریف المملوك بمراسمه ومشرافته وخدمه : ليقوز بقضائها ، ويأدر إلى آمتانها ؛ فإن المملوك ما عنده غفلةً فيما يقتضيه رأيه العالی ، والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه .

المرتبة الرابعة — أن يعبر عن الكتاب الوارد بالمكاتبه . وذلك مع الإبتداء بالدعاء بلفظ : ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالی ؛ وأدام الله تعالى نعمة المجلس العالی ؛ وصدرت هذه المكاتبه إلى المجلس العالی ، أو المجلس السامی ؛ أو هذه المكاتبه إلى المجلس السامی ؛ أو يعلم مجلس . فيقال : وتوسّع لعلمه ، أو وصحّح لعلمه ، أو تتضمن إعلامه ، أو تعلّمه ، أو يعلم على حسب المراتب المتقدمة ، وورود مكاتبته ، فوقفنا عليها ، وأحطنا علماً بما تضمنته من كيت وكيت ، ويجاوب عنه ؛ ثم يقول : فيتقدّم الجناب أو المجلس أو مجلس الأمير ونحو ذلك مما يقتضيه الحال ، بإعلامنا بأخباره وضروراته وحوائجه .

وأعلم أن لكاتب السراوية لتواب السلطنة وغيرهم ممن ترد عليه مكاتباتهم بطلب الملاحظة عند عرض مكاتباتهم على الحضرة السلطانية ؛ وتحسين السقارة في ذلك ؛ ويقع الخطاب في جواب كل منهم على حسب رتبته .

ففى جوابِ نائبِ السلطانِ بالشامِ المحروسِ يُكتبُ ما صورته : ويُنهى بعد رَفْعِ
أُدْعِيَتِهِ الصالِحَةِ تَقْبَلُهَا اللهُ تَعَالَى مِنَ المَمْلُوكِ وَمِنْ كُلِّ دَائِعٍ مُخْلِصٌ ، بِدَوَامِ أَيَّامِ مَوْلَانَا
مَلِكِ الأَمْرَاءِ ، أَعَزَّ اللهُ تَعَالَى أَنْصَارَهُ ، وَخُلُودِ سَعَادَتِهِ عَلَيْهِ ، أَنَّ المَثَالَ الكَرِيمَ وَرَدَّ
عَلَى المَمْلُوكِ عَلَى يَدِ فُلَانٍ ، فَتَهَضُّ لهُ المَمْلُوكُ ، وَأَجْمَلُ فِي تَلْقِيهِ السُّلُوكُ ، وَقَضَى عَنْ
صَدَقَاتِ عَمِيمِهِ ، وَتَفَضُّلَاتِ جَسِيمِهِ ، وَقَرِحَ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنْ سَلَامَةِ مَوْلَانَا مَلِكِ
الأَمْرَاءِ - أَعَزَّ اللهُ أَنْصَارَهُ وَعَاقِبَتِهِ ، وَصَحَّةِ مِرْزَاةِ المحروسِ ، وَتَضَاعَفَ سُرُورُ المَمْلُوكِ
بِذَلِكَ ، وَتَزَايَدَ آتِبَاهُ بِهِ ، وَسَأَلَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُدِيمَ حَيَاةَ مَوْلَانَا مَلِكِ الأَمْرَاءِ ،
أَعَزَّ اللهُ أَنْصَارَهُ ، وَيُنْقِيَهُ ، وَأَتَمَّهُ إِلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ الإِشَارَةُ الكَرِيمَةُ فِي مَعْنَى تَجْهِيزِ
المَشَارِ إِلَيْهِ إِلَى خِدْمَةِ الأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ بِمَا عَلَى يَدِهِ مِنَ المَكْتَابَةِ الكَرِيمَةِ ، وَمَا رَسَمَ بِهِ
مِنَ القِيَامِ فِي خِدْمَتِهَا وَعَرَضَهَا بَيْنَ يَدَيْ المَوَاقِفِ الشَّرِيفَةِ شَرَفَهَا اللهُ تَعَالَى وَعَظَّمَهَا ،
وَقَابَلَ المَمْلُوكُ الإِشَارَةَ الكَرِيمَةَ بِالأَمْتَالِ بِالسَّمْعِ وَالمَطَاعَةِ ، وَبَادَرَ إِلَى مَا رَسَمَ بِهِ ،
وَقَدْ عَرَضَ المَمْلُوكُ المَكْتَابَةَ الكَرِيمَةَ عَلَى المَسَامِعِ الشَّرِيفَةِ ، وَكُتِبَ الجَوَابُ الشَّرِيفُ
عَنْ ذَلِكَ بِمَا سَتَحِيطُ بِهِ العُلُومُ الكَرِيمَةُ ، وَعَادَ بِذَلِكَ إِلَى خِدْمَةِ مَوْلَانَا مَلِكِ الأَمْرَاءِ
أَعَزَّ اللهُ أَنْصَارَهُ . وَالمَمْلُوكُ مُمْلُوكُ مَوْلَانَا مَلِكِ الأَمْرَاءِ عَزَّ نَصْرُهُ ، وَجُبَّه القَدِيمُ ،
والمُعْتَرَفُ بِإِحْسَانِهِ وَصَدَقَاتِهِ ، وَيَسْأَلُ تَشْرِيفَهُ بِالمَهْمَاتِ وَالمَخْدَمِ ، أَنَّهُمُ ذَلِكَ ، إِنْ شَاءَ
اللهُ تَعَالَى .

وفى جوابِ بَقِيَّةِ التَّوَابِ بِالمَمَالِكِ الشَّامِيَةِ : كَتُوبُ السُّلْطَنَةِ بِحَمَاةِ وَطَرَأَيْسُ وَصَفَدِ
وَالكَرْكِ ، وَمَقْدَمِ العَسْكَرِ بِغَزَّةَ ، يَكْتُبُ : وَيُنهى بعد رَفْعِ دُعَائِهِ ، وَإِخْلَاصِهِ فِي مَحَبَّتِهِ
وَوَلَائِهِ ، وَأَعْتَرَفِهِ بِإِحْسَانِ مَوْلَانَا وَآلَائِهِ ، أَنَّ المَثَالَ العَالِيَّ - أَعْلَاهُ اللهُ تَعَالَى -
وَرَدَّ عَلَى المَمْلُوكِ عَلَى يَدِ فُلَانٍ ، قَبْلَهُ المَمْلُوكُ ، وَأَحْسَنُ فِي تَلْقِيهِ السُّلُوكُ ، وَقَرِحَ بِمَا دَلَّ
عَلَيْهِ مِنْ عَاقِبَةِ مَوْلَانَا وَسَلَامَتِهِ ، وَصَحَّةِ مِرْزَاةِ المحروسِ ، وَحَمْدِ اللهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ ،

وَأَتَتْهُ إِلَى مَا أَشَارَ إِلَيْهِ : مِنْ تَجْهِيزِ الْمَطَالَعَةِ الْكَرِيمَةِ إِلَى الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ ، شَرَفَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَعَظَّمَهَا ، وَفَهَّمَهُ الْمَلُوكُ ذَلِكَ ، وَأَمْتَلَّ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَوَقَّفَ فِي خِدْمَتِهَا عِنْدَ الْعَرَضِ عَلَى الْمَسَامِعِ الشَّرِيفَةِ ، وَأَحَاطَتْ الْعُلُومُ الشَّرِيفَةُ بِمَضْمُونِهَا ، وَكُتِبَ الْجَوَابُ الشَّرِيفُ عَنْ ذَلِكَ بِمَا سَيُحِيطُ بِهِ عُلْمُ مَوْلَانَا ، وَقَدْ عَادَ فُلَانٌ بِالْجَوَابِ الشَّرِيفِ وَبِهَذِهِ الْخِدْمَةِ ، وَحَمَلَهُ الْمَلُوكُ مِنَ السَّلَامِ وَالشُّوقِ وَالِدَعَاءِ وَالْوَلَاءِ وَتَقْبِيلِ الْأَرْضِ مَا يُبْدِيهِ لِمَسَامِعِ مَوْلَانَا . وَالْمَلُوكُ يُسْأَلُ إِحْسَانَهُ الْإِصْفَاءَ إِلَى ذَلِكَ ، وَالتَّشْرِيفَ بِمِرَاسِمِهِ وَخِدْمَتِهِ : لِيبَادِرَ إِلَى قَبُولِهَا . وَاللَّهُ تَعَالَى يُؤَيِّدُهُ وَيَحْرُسُهُ بِعَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

وعلى قياس ذلك في غير هذه من المكاتبات بحسب ما تقتضيه رتبة كل واحد من أصحابها .

الضرب الثاني

(من الأجوبة ما يفتتح بورود المكاتبة مصدرا بلفظ : وردت أو وصلت أو وقفت على المكاتبة ، وما أشبه ذلك)

مثل أن يكتب : ورد المثال الكريم الفلاني ، وذكر سلامته أحلي من ذكر الأوائل ، وقد تطرأ منه طرازا أشرف من طراز الغلائل ، وما سكن القلب إلى شيء كسكونه إليه ، ولا رأى واردا أكرم منه عليه ، فقابل نعمة قدومه بدوام شكرها ، وطوى صحائف الآمال إلا من نشرها ، وإذا كان وجه الأيام مقطبا استغنى بيشير وجهه الميمون عن بيشيرها ، فإن حسن في رأيه الإجراء على عوائد إحسانه [من التشريف بميراسيمه وخدمته] والمواصله بها ، [نالت] النفس من ورودها نهاية أربها .

(١) بياض في الأصل قليل ، وما أتيناها مأخوذ من المقام .

قلت : أما الأجوبة المطلقة : وهى الدائرة بين الأصدقاء والأصحاب من أفاضل الكُتَّاب ، وعيون أهل الأدب ، ممن له ملكة فى الإنشاء ، وقوة فى النظم والنثر ، فإنها لا تتوقف على ابتداء مخصوص ، آتداء ولا جواباً ، بل قد تكون مبتدأة بما تقدم من الابتداءات ، وقد تكون بغير ذلك من الأفتتاحات التى يختارها صاحب الرسالة ، بل أكثرها مفتتح بالشعر المناسب للحال المكتوب فيها ، بل ربما أقصر فيها على الشعر خاصة دون النثر .

المهيمع الثانى

(فى بيان رتب المكتوب عنهم والمكتوب إليهم : من أعيان الدولة بمملكة الديار المصرية ، وما يستحقه كل منهم من رتب المكاتبات السابقة على ما آلت مستقر عليه فى زماننا)

اعلم أن المكتوب عنهم من أعيان الدولة على طبقات ، لكل منهم مكاتبات يصدر يختص به ، إلى من فوق رتبته أو مساو له فى الرتبة أو دونه فيها ، مرتبة على ترتيب المكاتبات الصادرة عن الأبواب السلطانية إلى أهل الدولة :

الطبقة الأولى — من المكتوب عنهم من يكتب إليه عن السلطان « أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم » ككافى السلطنة : وهو نائب السلطان بالحضرة ، وأتابك العساكر ، ونائب السلطنة بالشام . والمكتوب إليهم عن هذه الطبقة على مراتب : المرتبة الأولى — من يكتب له عن هذه الطبقة « الفلانى بمطالمة » ، ومن يكتب إليه بذلك عن نائب الشام فيما رأيت — أتابك العساكر بالأبواب الشريفة ، وكان ما كتب له « المخدومى الأتابكى فلان الفلانى » باللقب المضاف إلى لقب السلطان ، « أتابك العساكر المنصورة » .

المرتبة الثانية — من يُكْتَبُ إليه « الأيواب بمطالعة » ومن يُكْتَبُ إليه بذلك عن النائب الكافل بالحضرة، والأتابك نائب السلطنة بالشام. فقد قال في «التتقيف»: إن هذه المكتابة يُكْتَبُ عن أكابر أمراء الديار المصرية إلى نائب الشام وحلب فيما أُظُنُّ، ومن يكتب إليه بذلك عن نائب الشام — الدوادار، وأميرأخور، ومقدمو الألواف بالديار المصرية، وأكابر الأمراء مقدمي الألواف بالشام، وكافل الملكة الشريفة الحلبية .

المرتبة الثالثة — من يُكْتَبُ له عن هذه الطبقة « الأيواب بغير مطالعة » وبذلك يُكْتَبُ عن كافل السلطنة بالحضرة إلى نائب السلطنة بحلب . وقد ذكر في «التتقيف» أنه كان يُكْتَبُ بذلك عن الأمير بلبغا العمري (يعني الحاصبي) وهو أتابك الديار المصرية، إلى نائب الشام أيضا . ثم قال: وكذلك كُتِبَ بعده إلى نائب الشام وحلب، الأمير منكلي بعا، والأمير الحاي، وتُؤَاب السلطنة بالديار المصرية؛ وبذلك يُكْتَبُ عن نائب الشام إلى كلٍّ من قضاة القضاة الأربعة بالديار المصرية، وكذلك الوزير وكاتب السربها .

المرتبة الرابعة — من يُكْتَبُ له عن هذه الطبقة «الباب الكريم والباب العالي» أما الباب الكريم، فإنه يُكْتَبُ بذلك عن النائب الكافل والأتابك^(١)

وبذلك يُكْتَبُ عن نائب الشام إلى الأمراء الطبلخاناه بالديار المصرية، وإستادار الأملاك الشريفة، وناظر الجيوش المنتصرة بالأيواب السلطانية، وناظر الخواص، وناظر الدولة، وحاجب الحجاب بالشام، وقاضي القضاة الشافعي بالشام، وكاتب

(١) بياض في الأصل بقدر سطر والسافط هو المكتوب إليهم . ولعله إلى نائب الشام ونائب طرابلس إلى آخر ما يأتي بعد . وحرر .

الشَّرْبَه، ونائب السلطنة بطرأبُلُس، ونائب السلطنة بحمَّاء، ونائب السلطنة بصَفَد،
ونائب السلطنة بالكرك .

أما من يكتب له عن نائب الشام الباب العالي بَدُون الكرم ، فقدَّم العسكر
المنصور بَغْزَة ، والقُضاة الثلاثة بالشام، ما خلا الشافعيَّ المقدم ذكره ، والوزير
بالشام .

المرتبة الخامسة — مَنْ يَكْتَبُ إليه عن هذه الطبقة « يَقْبَل الأَرْضَ بالمقرِّ
الشريف » وبذلك يَكْتَبُ عن النائب الكافل والأتابك ، إلى نائب طرأبُلُس ،
ونائب حمَّاء، ونائب صَفَد، ونائب الإسكندرية ، وأمراء الألوْف بالديار المصرية ،
وبه يُكْتَبُ عن نائب الشام .

المرتبة السادسة — مَنْ يَكْتَبُ إليه عن هذه الطبقة « الباسِطُ الشريف » وبذلك
يكتب عن النائب الكافل والأتابك، إلى مقدم العسكر بَغْزَة ، ومقدم العسكر بَسِيْسَ ،
ونائب السلطنة بالكرك، وحاجب الحُجَّاب بالشام، وحاجب الحُجَّاب بحلب .

المرتبة السابعة — من يَكْتَبُ له عن هذه الطبقة « الباسِطَةُ الشَّريفة » ومن
يكتب له بذلك عن نائب الشام قاضي القضاة الشافعي بحلب .

المرتبة الثامنة — مَنْ يَكْتَبُ له عن هذه الطبقة « اليَدُ الشريفة » أو « اليَدُ الكريمة »
أو « اليَدُ العالِيَة » . وبذلك يَكْتَبُ عن النائب الكافل والأتابك ، إلى نائبي الوجه القبلي
والوجه البحري بالديار المصرية ؛ ونائب القُدْس ، ونائب حِمَص ، ونائب الرُّجبة ،
ونائب البيرة ، ونائب قلعة المسلمين ، ونائب ملطية ، ونائب دبركي ، ونائب الألبُستين ،
ونائب طرُسوس ، ونائب أذنة ، ونائب بهسني ؛ وأمراء الألوْف بالشام وحلب .
وبذلك يُكْتَبُ [أيضا] عن نائب الشام إلى أمراء العشرات بالديار المصرية ، وقضاة

العسكريها ، وحاجب الحُجَّاب بحَلَب ، والقُضَاة الثلاثة : الحنفي ، والمالكي ، والحنبلي ، بها .

المرتبة التاسعة — مَنْ يَكْتُبُ لَهُ عَنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ « أَعَزَّ اللهُ تَعَالَى أَنْصَارَ الْمُقَرَّرِ الْكَرِيمِ ». وبذلك يكتب عن نائب الشام إلى كاشف الصَّفَقَةِ الْقَبِيلِيَّةِ ، وإلى الأُمراءِ مُقَدِّمِي الْأُلُوفِ بِالشَّامِ ، وناظر الجيش به ، وأمير آلِ فَضْلِ ، ونائب حِجْصِ ، وكتب السمر بحَلَبِ ، ونائب المملكة بها ، ونائب دَوْرَكِي ، ونائب دَرَنْدَةَ .

المرتبة العاشرة — مَنْ يَكْتُبُ لَهُ عَنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ « أَعَزَّ اللهُ تَعَالَى نُصْرَةَ الْمُقَرَّرِ الْكَرِيمِ ». وبذلك يكتب عن نائب الشام إلى نائب قَلْعَةِ دِمَشْقَ ، والحاجب الثاني بها ، ووكيل بيت المال بها ، ومقدمي الأُلُوفِ بحَلَبِ ، ونائب الجيش بها ، ونائب الرَّحْبِيَّةِ ، ونائب الأَبْلُسْتَيْنِ ، ونائب مَلْطِيَّةِ ، ونائب قَلْعَةِ الْمُسْلِمِينَ ، ونائب بَهْسَنِي ، ونائب البيرة ، ونائب جَعْبَرِ ، ونائب الرُّهَاءِ ، ونائب حُسْبَانَ .

المرتبة الحادية عشرة — مَنْ يَكْتُبُ لَهُ عَنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ « أَعَزَّ اللهُ تَعَالَى نُصْرَةَ الْجَنَابِ الْكَرِيمِ ». وبذلك يكتب عن نائب الشام إلى أمراء الطَّبْلَخَانَاهِ بِالشَّامِ ، ونائب القُدْسِ ، ونائب بَعْلَبَكْ ، ومتولَّى صَيْدَا ، وأمراء الطَّبْلَخَانَاهِ بحَلَبِ ، ووكيل بيت المال بها ، والمحْتَسِبِ بها ، وناظر خاصَّ البريد بها ، وأمير حاجب بصَفَدِ .

المرتبة الثانية عشرة — مَنْ يَكْتُبُ إِلَيْهِ عَنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ : « ضَاعَفَ اللهُ تَعَالَى نِعْمَةَ الْجَنَابِ الْعَالِيِ ». وبذلك يكتب عن نائب الشام ، إلى والي قَطِيَا ، ورُبَّمَا زَيْدٍ فِيهِ الْكَرِيمِ .

المرتبة الثالثة عشرة — مَنْ يَكْتُبُ إِلَيْهِ عَنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ : « أَدَامَ اللهُ تَعَالَى نِعْمَةَ الْجَنَابِ الْعَالِيِ ». وبذلك يكتب عن نائب الشام إلى أمراء العَشْرَاتِ بِمِصْرَ ، وأمراء

العشريات بالشام، والمحسب بها، والحاجب الكبير بغزة، ومقدم عرب بنى عتبة،
وأكابر عرب آل فضل، وأمير عرب آل علي، وأمير آل موسى، ونائب مصياف،
ومتولى يروت .

المرتبة الرابعة عشرة — من يكتب إليه عن هذه الطبقة : «المجلس العالى
مع الدعاء» ، وبذلك يكتب عن نائب الشام إلى العشرات بدمشق، ووالى المدينة،
ووالى البرية، والحاجب الثانى بغزة، وأمير آل مرآ، ومقدم عرب بجم، ومقدم
بنى مهدي، وأمراء العشريات بحلب .

المرتبة الخامسة عشرة — من يكتب إليه عن هذه الطبقة : «صدرت والعالى» .
وبذلك يكتب عن النائب الكافل والأتابك، إلى كاشف الوجه البحرى من الديار
المصرية، وكاشف الفيوم والبهنساوية، ووالى أسوان، وكشاف الجذور من أمراء
الطلحاناه بالوجهين : القبلى والبحرى بالديار المصرية، ونائب قلعة حلب، ونائب
آباس، ونائب جعفر، ونائب درندة، وحاجب الحجاب بطرابلس، وحاجب الحجاب
بحمأة، وحاجب الحجاب بصفد، وبذلك يكتب [أيضا] عن نائب الشام إلى أجناد
الحلقة بمصر، والحاجب الكبير بمجص، وأمراء العشرات بحلب .

المرتبة السادسة عشرة — من يكتب إليه عن هذه الطبقة : «صدرت والساحى» .
وبذلك يكتب عن النائب الكافل والأتابك، إلى والى قوص، ووالى منقلاوط،
ووالى الأشمونين، ووالى البهنسى، ووالى منوف، ووالى الغربية، ووالى الشرقية،
ووالى قطيا، ونائب مصياف، ونائب بعلبك، ونائب قلعة صفد، ونائب عيتاب،
والحاجب الكبير بغزة، وبذلك يكتب [أيضا] عن نائب الشام إلى مقدم الحلقة بالشام،
وأعيان الجند بها، ومقدم بنى مهدي، ومتولى الصلت وتجلون، ومتولى صرخد،

والحاجب الصغير بخص ، ووالى تدمر ، ومقدم إقليم انخروب بصيدا ، ومقدم إقليم النجاج ، ووالى القاعين ، ووالى بلنياس .

المرتبة السابعة عشرة — مَنْ يَكْتُبُ إِلَيْهِ عَنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ « هَذِهِ الْمَكْتَابَةُ »
 وبذلك يَكْتُبُ عن النائب الكافل والأنايك ، إلى والى الحيزية ، ووالى إطفيح ،
 ووالى قلوب ، ووالى أشموم الرمان بالديار المصرية . وبذلك يَكْتُبُ أيضا إلى
 نائب الكحناء ، ونائب كركر ، ونائب حجر شغلان ، ونائب سرفندكار ، ونائب القصير ،
 ونائب بقراس ، ونائب الراوتدان ، ونائب الشغر وبكاس ، ونائب الرها ، ونائب
 الدر بساك ، ونائب شيرز بالملكة الحلبية ، وإلى نائب اللاذقية ، ونائب صهيون ،
 ونائب حصن الأكراد ، ونائب حمص ، ونائب المرقب ، ونائب بلاطس ، ونائب
 الكهف ، ونائب القدموس ، ونائب الخواي ، ونائب العليقة ، ونائب الميمنة :
 من أعمال طرابلس ، ونائب شقيف يرون من معاملة صغد . وبذلك يَكْتُبُ [أيضا]
 عن نائب الشام إلى صغار الأجناد بمصر ، وإلى كاشف الرملة ، ومتولى حسابات ،
 وحامى الخربة .

المرتبة الثامنة عشرة — مَنْ يَكْتُبُ إِلَيْهِ عَنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ « يَعْلَمُ » . وبذلك يَكْتُبُ
 عن نائب الشام إلى صغار الأجناد بالشام .

وأعلم أن وراء ما تقدم من المكاتبات عن نائب الشام مكاتبات أخرى إلى مَنْ هو
 خارج عن المملكة ، وهم على مراتب .

المرتبة الأولى — مَنْ يَكْتُبُ لَهُ عَنْهُ : « يَقْبَلُ الْأَرْضَ » — صاحب بغداد :
 كما كان يَكْتُبُ للقان أحمد بن أويس ، كان يَكْتُبُ إليه في ورق قطع نصف الحموى
 بقلم الثلث الصغير : يقبل الأرض لدى الحضرة الشريفة ، العالمة ، المولوية ،

السلطانية، العالمة، العادبة، المؤيدة، المالكية، الفانية، ولا زالت عزيماتها مؤيده، وآراؤها مسدده، ويُنهى إلى العلم الكريم - صاحب السراى : ودشت القَبْجاق مثله بأبسط القباب .

المرتبة الثانية - مَنْ يكتب إليه : « أعزَّ الله تعالى أنصارَ المقرِّ الشريف »
 أبُ السلطان أحمد بن أويس المذكور . وورقه نظيرُ ورق والده ، وقلمه نظير قلمه - صاحب هَرَاة : مثله .

المرتبة الثالثة - مَنْ يكتب إليه : « أعزَّ الله أنصارَ المقرِّ الكريم » - صاحب مَارِدِينَ : أعزَّ الله تعالى أنصارَ المقرِّ الكريم العالى، المولى، الكبيرى، العادل، السلطانى، الملكى، الفلانى، ورقه مقداره، وأجزل مَبَّارُه . المملوك يحدِّد الخدمة العالیه، ويصفُ أشواقه المتواليه، ويُنهى لعلمه الكريم - صاحب بُرْصَا : من بلاد الروم، وهو ابن عُثْمَانَ . والرسم فيه على ما كان يكتب لآبى يَزِيد بن مراد بك بن عثمان : أعزَّ الله تعالى أنصارَ المقرِّ الكريم ، العالى، المولى، الكبيرى، العالى، العادل، العونى، العيانى، المهدي، المشيدى، الزعيمى، الغازى، الجاهدى، المناغرى، المرابطى، العايدى، الناسكى، الزاهدى، المقدمى، الأتابكى، المحسنى، الظهيرى، الملكى، الفلانى، معزَّ الإسلام والمسلمين، سيد الأُمراء فى العالمين، ناصرُ الغزاة والمجاهدين، زعيمُ جيوش الموحدين، مُبيدُ المشركين، قاصمُ أعداء الدين، مقتلُ الخُصُون من الكافرين، عونُ الأُمة، عمادُ الملة، دُخرُ الدولة، ظهيرُ الملوك والسلاطين، حاكمُ البلاد الرُومِيَّة، صاحبُ بُرْصَا وقَيْسَرِيَّة، سيفُ أمير المؤمنين، قَهْرُ [الله] أعداء الدين الحنيفى، بعزائمهِ وسَطَوَاتِهِ، وجعله مؤيدا فى حركاتِهِ وسَكَّانَهُ، وأيده فى جِهَادِهِ وأجتهاده بالنصر الذى لا يفارقُ أُلُوبَةَ أعلامه وراياته،

ولا زالت رعاياه محبوبه، وعساكره منصوره، هؤلاء بيوده [وهباته]، وهؤلاء بوجوده
 وحياته . الملوك يقبل اليد التي لازال القصد بها يزيد ، وبحر البر من أناملها مديد،
 ونوالها يناله الوافتون حيث أموه من قريب وبعيد، ويصف صفاء محبة يتضاعف
 تماؤها كل يوم جديد ، وترادف تحيات أشواقها بالمؤالة والتحميد ، ويتوأم
 بهادي رسالتها يصدق المودة الدائمة على التأييد ، ويؤدي إلى العلم الكريم .

قلت : كذا رأيت في دستور بخط القاضي ناصر الدين بن أبي الطيب : كاتب
 سر الشام كان . وفيه اضطراب وتخليط من نعت في القابه [بقوله] «الملكى الفلانى» ،
 وقوله سيد الأمراء في العالمين ، حيث وصفه أولاً بأوصاف الملوك ، ثم وصفه
 بأوصاف الأمراء ، إلى غير ذلك من الخبط الذى لا يخفى على متأمل .

المرتبة الرابعة — « أعز الله أنصار المقر العالى » — وزير صاحب بغداد ،
 وورقه في قطع الحموى بقلم الثلث الخفيف — قاضى بغداد : مثله سواء — صاحب
 لارندا : من بلاد الروم بمملكة بنى قرمان . ويقال فى القابه : الأصيلى . توين
 التوامين ، مجهز المقاب ، دُخر القانات — صاحب سيواس : من البلاد الرومية
 أيضا — صاحب آياس لوق : من البلاد الرومية — صاحب جُولمرك : من بلاد
 الأكراد .

المرتبة الخامسة — « الجناب الكريم » — صاحب حصن كيفا : من بلاد
 الجزيرة ، ويقال فيه : الملكى الفلانى — مقدم التركان البيضاء .

المرتبة السادسة — « الجناب العالى » — صاحب أرزنجان — صاحب جزيرة
 ابن حمر من بلاد الجزيرة — صاحب أنطاليا من بلاد الروم — ابن الشيخ
 عبد القادر الكيلانى شيخ الجبال .

المرتبة السابعة — « المجلس العالى » — صاحب مياقارقين : من بلاد
الجزيرة — صاحب أكل : من الجزيرة أيضا — صاحب أرقين — صاحب
قلعة الجوز — صاحب جرموك — صاحب أماسيا : من بلاد الروم — نائب
مأردين — خادم صاحب مأردين — صاحب بطنان — صاحب سنجار : من
بلاد الجزيرة — صاحب حاسك (؟) — صاحب أربك — صاحب الموصل —
صاحب سنوب — صاحب بوشاظ — صاحب الدرند — صاحب عين دارا —
صاحب الحمة — صاحب خلط — صاحب طلان — صاحب ناخ — صاحب
جشراك — نائب كرزك — صاحب القنطرة — نائب نحرث رث — صاحب
البارعية — صاحب حران — صاحب العمادية — صاحب حاني — نائب مازكرد —
نائب صالحية مأردين — أمير التركان الشهرية — صاحب أشنو .

الطبقة الثانية — ممن يكتب عنهم من أعيان الدولة بالديار المصرية، من
يُكتب إليه عن السلطان : « أعز الله تعالى نُصرة الجتاب الكريم » وهو نائب
السلطنة بحلب .

والكتابة عنه على مراتب :

المرتبة الأولى — « الفلاحي بمطالعة » وهو النائب الكافل بالحضرة السلطانية ،
وأتابك العساكر المنتصرة .

المرتبة الثانية — « الأبواب بمطالعة » وهو نائب السلطنة بالشام، والامير الدوادار
بالأبواب السلطانية، وأستاذ الدار بها، وأكابر الأمراء المقدمين انخاصية .

المرتبة الثالثة — « الأبواب بغير مطالعة » . وبذلك يكتب إلى نائب الشام .

المرتبة الرابعة — «البابُ الكريم». وبذلك يكتب إلى نائب السلطنة بطرأبُلُس ،
ونائب السلطنة بحمّة ، ونائب السلطنة بصفدّ ، وكذلك يكتب به إلى الطبقة الثانية
من الأمراء المقدمين بالحضرة من دون الخاصكية ، وفي معنى ذلك الوزير ، وكاتبُ
السّر ، وناظر الخاص ، وناظر الجيش ، ومن في معانهم .

المرتبة الخامسة — «يقبل الأَرْضَ بالمقرّ الشريف». وبذلك يكتب إلى حاجب
الحجاب بالشام .

المرتبة السادسة — «يقبل الباسطة». وبذلك يكتب إلى الحاجب الثاني بالشام ،
وحاجب الحجاب بحلب ، وحاجب الحجاب بحمّة ، وحاجب الحجاب بطرأبُلُس ،
وقاضي القضاة الشافعي بحلب ، وكاتب السّر بها .

المرتبة السابعة — «يقبل اليد الشريفة». وبذلك يكتب إلى نائب البيرة ، ونائب
ملطية ، ونائب قلعة المسلمين ، ونائب جعبر ، ونائب الرها ، ونائب الأبلستين ،
ونائب حمص ، وأمراء الطبلغاناه بدمشق .

المرتبة الثامنة — «أعز الله تعالى أنصار المقرّ الكريم». وبذلك يكتب إلى نائب
طرُسوس ، ونائب الرحبة ، والحاجب الثاني بطرأبُلُس ، ومقدمي الألوף بها ،
والقضاة الثلاثة : المالكي ، والحنفي ، والحنبلي بحلب . إلا أنه يقال : «أعز الله
تعالى أحكام المقر» .

المرتبة التاسعة — «أعز الله تعالى أنصار المقرّ الكريم العالی». وبذلك يكتب
إلى نائب بهسنی ، ونائب الرحبة ، وأكابر الطبلغاناه بالشام ، ومن تولى الإمرة من
عرب آل فضل ثم عمّال ، وقضاة العساكر المنصورة بحلب ، وناظر الملكة بها ،
وأمرآل على .

المرتبة العاشرة — « أعز الله تعالى نصرَةَ الحجاب الكريم » . وبذلك يُكتب إلى أعيان أمراء الطبلخاناة بحَبَّ ، والحاجبِ الثالث والراجِ بها ، وأكابر أولاد أمراء عرب آلِ قُضَلِ .

المرتبة الحادية عشرة — « صَاعَفَ اللهُ تعالى نِعْمَةَ الحجابِ العالى » ، وما فى معناه مما يُكتب به إلى أرباب الأقالِم وغيرهم . وبذلك يكتب إلى نائب شيراز ، وأمراء الطبلخاناة بحَلَب ، غير الأعيان ، وناظر الأملاك الشريفة بحَلَب ، وناظر خاص البريد وموقعى الدُستِ بها .

المرتبة الثانية عشرة — « صَدَرَتْ والعالى » . وبذلك يُكتب إلى نائب عيَناب ، ونائب الزاوندان ، ونائب الكُخْتَا ، ونائب كَرَكَر ، ونائب بَغْرَاس ، ونائب الدَرَبَسَاك ، ونائب الشُغَرِ وبَكَّاس ، ونائب القُصَيْر ، وأمراء العَشِيرَاتِ بحَلَب ، وأعيان العَشَرَاتِ بها .

المرتبة الثالثة عشرة — « صَدَرَتْ والسامى » . وبذلك يُكتب إلى مُقَدِّمى الحَلَقَةِ بحَلَب ، ومقَدِّمى البريديَّةِ بها ، وأعيانهم .

المرتبة الرابعة عشرة — « السامى » بغير ياء . وبذلك يُكتب إلى والى سَرَمِين ، ووالى البَاب ، ووالى عَزَازَ ، ووالى أَنْطَاكِيَّة ، ووالى حَارِم ، ووالى كَفَر طَاب ، ووالى الجَبُول ، ووالى مَسِيح ، ووالى تَلِ بَاشِر ، وأجنادِ الحَلَقَةِ بحَلَب ، وصغار البريديَّةِ بها ، وعدادِ التركمانِ وعدادِ الأكراد .

وأعلم أن وراء ما تقدم من المكاتبات الصادرة عن نائب حَلَب [مكاتبات أخرى] إلى من هو خارج عن المملكة ، كما تقدم فى المكاتبات الصادرة عن نائب الشام ، وهى على مراتب :

المرتبة الأولى — المكتوبة بـ «يُقْبَلُ الأَرْضَ» — القان صاحب بغداد : كما كان يكتب إلى القان أويس ، وأبنيه أحمد : يُقْبَلُ الأَرْضَ بالمقام الشريف العالى ، المولوى ، السلطانى ، الأعظمى الأوحدى ، الملاذى ، العطوفى ، المحسنى ، القانى ، الملكى الفلانى ، الجلالى ، أعلى الله تعالى شأنه ، وأعرض سلطانه ، وأمكن من رقاب الأعداء مكانه ، ولا زال لؤاؤه يتأزر بالنصر ويرتدى ، وفناؤه يروح إليه العزى ويتدى ، وعزمه يتقف صرف الزمان فلا يعتاد أن يعتدى ، ولا يرح محوداً فى موقف النصر موقفه ، ماضياً فى هامات أعدائه مرهفه . وينهى بعد أدعية رفعها إلى مواطن الإجابة ﴿ فَتَقْبَلْهَا رَبِّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ وموالاة شفعتها بالإخلاص ، فعجز عن وصفها ذوو البلاغة والسن ، وأتتية جمعها قلذت بها الأسماع لذادة الأعيُن الساهرة بالوَسْن ؛ أن الأمر كُتِبَ وكُتِبَ .

المرتبة الثانية — من يكتب له «أعرض الله تعالى أنصار المقر الشريف» — صاحب مآردين . والرسم أن يكتب إليه : أعرض الله تعالى أنصار المقر الشريف ، العالى ، المولوى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، السلطانى ، الملكى ، الفلانى ؛ ويدعى له ، نحو : لأزلت أيامه مسعوده ، وأبوابه مقصوده ، وألوية النصر بنواصي خيله معقوده ؛ الملوك يقبل اليد الشريفه ، ويقوم من الخدمة بأكل وظيفه ؛ وينهى لعلمه الكريم بعد السلام الركنى ، والثناء المسكى ؛ كيت وكيت ، فيحيط بذلك علمه الكريم ، ويحف بالمشرفات على عادة فضله العميم .

المرتبة الثالثة — «أعرض الله تعالى أنصار المقر الكريم» . وبذلك يكتب إلى ابن قومان نائب السلطنة بالبلاد القرمانية — حاكم جولوك — صاحب برضا وهو ابن عثمان — صاحب آياس لوق .

المرتبة الرابعة — « المقرّ العالى » وبذلك يكتب إلى صاحب حصن كَيْفَا،
والوزير بالممالك القانية وقاضيا .

المرتبة الخامسة — « أعز الله تعالى نُصْرَةَ الجَنابِ الكَرِيمِ » . وبذلك يكتب
إلى صاحب أَنْطَلِيَا من بلاد الروم .

المرتبة السادسة — « ضاعف الله تعالى نعمة الجَنابِ العالى » . وبذلك يُكتب
إلى نائب كَرْبَزَاك ، وحاكم جَمَشَكَرَاك ، وحاكم سِيوَأَس ، وحاكم أَمَاسِيَا ، وحاكم
سَنُوب ، والحاكم بِخِرْتِ بَرْت .

المرتبة السابعة — « أدام الله تعالى نعمة الجَنابِ العالى » . وبذلك يكتب إلى نائب
صاحب مَآرِدِيْن ، ونائب الصَّالِحِيَّة ، وبعض خدام صاحب مَآرِدِيْن .

المرتبة الثامنة — « صَدَّرْتِ والعالى » . وبذلك يكتب إلى حاكم حَرَّان ، ونائب
ماز كَرْد ، وحاكم قَلْعَةِ الجَوْزِ .

الطبقة الثالثة — ممن يكتب عنه من أعيان الدولة بمملكة الديار المصرية —
من يكتب إليه عن السلطان : « ضاعف الله تعالى نعمة الجَنابِ العالى » كوزير المملكة
بالديار المصرية ، وناظر الخَاص ، على ما استقر عليه الحال آنحرا ، وأرباب الوظائف
من الأمراء المقدمين بها : كأمير سلاح ، وأمير تجليس ، وأمير أخور ، والدوّادار ،
وإستادار ، وحاكِمُ الجَنَابِ ، ونائب الإسكندرية ، وكذلك تواب السلطنة
بَطْرَابُلُس ، وحمّاة ، وصقّد ، من الممالك الشامية .

والمكتوب إليهم عن هذه الطبقة على [تسع] مراتب :

المرتبة الأولى — « الفلاني بمطالمة » وهم : النَّائب الكَافِل ، وأتابِكُ العساكر ،

ونائب الشام .

المرتبة الثانية - « الأبواب بمطالعة » . وبذلك يكتب إلى نائب حلب .

المرتبة الثالثة - « الأبواب بغير مطالعة » وبذلك يكتب إلى نائب طرابلس ،
ونائب حماة ، ونائب صقند ، ونائب الكرك ، وأمير سلاح وغيره من سائر من في هذه
الطبقة .

المرتبة الرابعة - « الباب الكريم » . وبذلك يكتب إلى نائبي الوجهين القبلي
والبحري بالديار المصرية ، ومقدمي العسكر بغزة وسيس ، والأمراء المقدمين
التوجهين من الأبواب السلطانية لكشف الجسور والمساحة وقبض الغلال .

المرتبة الخامسة - « يقبل الأرض بالمقر الشريف » إن قصد تعظيمه ، أو البأسط
الشريف إن لم يقصد ، وبذلك يكتب إلى (١)

المرتبة السادسة - « يقبل اليد العالمة » . وبذلك يكتب إلى أمراء الطليخاناه
التوجهين من الأبواب السلطانية لكشف الجسور والمساحة والقبض . وربما
أخطت رتبة أحد هؤلاء فكتب إليه : أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم ، وأنصرة
الجناب الكريم ، أو ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالی .

المرتبة السابعة - « ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالی » . وبذلك يكتب إلى
كاشف الوجه البحري وكاشف القیوم والمهنساوية .

المرتبة الثامنة - « أدام الله تعالى نعمة المجلس العالی » . وبذلك يكتب إلى الولاية
الطليخاناه بالوجهين القبلي والبحري بالديار المصرية : كقوص والمحلة ، وغيرهما .
وربما كتب « صدرت والعالی » لأحدهم .

(١) بياض بالأصل بقدر كلمة .

المرتبة التاسعة — « صَدْرَتْ وَالسَّامِي » . وبذلك يكتب إلى ولاة العشرات بالوجهين القبلي والبحري بالديار المصرية .

الطبقة الرابعة — ممن يكتب عنه من أعيان الدولة بمملكة الديار المصرية ، من يكتب إليه عن السلطان « أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى » . ككتاب السرر وناظر الخيش ، وكذلك الخجّاب الطليحانا بالديار المصرية . وعلى ذلك كان ناظر الخصاص في الزمن المتقدم . فلما جُمِعَ للصاحب شمس الدين المقسى بين الوزارة ونظر الخصاص ، كان يُكْتَب عنه بما يُكْتَب به عن الوزراء كما تقدم . فلما انفصل الخصاص عن الوزارة رُوِيَ في الخصاص ذلك القَدْر ، فُكِّب عن ناظر الخصاص كما كتب عن الوزير ، والأمر على ذلك إلى الآن .

والمكاتبات الصادرة عن هذه الطبقة على مراتب :

المرتبة الأولى — « الفلاني بمطالعة » . وبذلك يُكْتَب إلى النائب الكافل ، والأتابك ، ونائب الشام ، وألقوا بهذه الرتبة نائب حلب ، فكتبوا إليه الفلاني .

المرتبة الثانية — « الأبواب بمطالعة » . وبذلك يكتب عن هذه الطبقة إلى نواب السلطنة بطرابلس ، وحمّاة ، وصدق ، وثغر الإسكندرية .

المرتبة الثالثة — « الأبواب بغير مطالعة » وبذلك يكتب إلى نائبي الوجهين القبلي والبحري بالديار المصرية ، ومقدمي العسكر بغزة وسيس ، وربما يُكْتَب إلى أحدهم « الباب الكريم » .

المرتبة الرابعة — « الباسط الشريف » . وبذلك يكتب إلى نائب الكرك .

المرتبة الخامسة — « يُقْبَل الباسطة » . وبذلك يكتب إلى نائب القدس الشريف ، ونائب الرحبة ، وكاشف الوجه البحري ، وكاشف القيوم بالديار المصرية .

المرتبة السادسة — « يقبل اليد العالية » . وبذلك يكتب إلى الولاة الطبلخانا ،
بالوجهين القبلي والبحري ، بالديار المصرية .

المرتبة السابعة — « يخدم الجناح العالى » . وبذلك يكتب إلى الولاة العشرات
بالوجهين القبلي والبحري أيضا .

قلتُ : وعلى هذه الطبقات الأربع يُقاس مَنْ دونهم ممن يكتب إليه عن
السلطان ، صدرت والعالى ، ككاتبَيْ القُدس والرُّحبة ؛ وَمَنْ يُكْتَب له : صدرت
والساحى ، كالكاشف بالوجه البحري ، وكاشف القُيُوم ؛ ومن يكتب له : هذه
المكاتبه ، كالولاة الطبلخانا بالوجهين القبلي والبحري ؛ ومن يكتب له : « يَعْلَمُ »
كالولاة العشرات بالوجهين أيضا . على أن الغالب في مثل هؤلاء أن تكونَ الكتابةُ
عنهم لأعيان الدولة « الفلاني بمطالمة » وفيمن هو مثلهم أو دونهم يقاس على
ما تقدم .

وأعلم أن هذه المراتب المضمَّنة للطبقات ليست على سبيل اللزوم في الوقوف
عند حدِّها ، بحيث لا يجوز تجاوزها بزيادة ولا التناحُر عنها بنقص ، بل هي على
سبيل التقريب ؛ والأمر في زيادة رتبة المکتوب إليه زيادة لا تُخْرِجُه عن حدِّه
في المقدار موكولٌ إلى اختيار الكاتب ، يزيد في ذلك وينقص ، بحسب ما يقتضيه
الحال : من رفعة قدر المکتوب إليه ، لمزيد رفعة عن نوعه ، أو محاباته لأستعمالته
إلى القصد المطلوب منه ، أو الغَضُّ منه بحطِيطه رُتبته أو نحو ذلك .

الفصل السابع

من الباب الثانى من المقالة الرابعة

(فى مقاصد المكاتبات ، وهى الأمور التى تكتب المكاتبات بسببها)

وهى الجزء الأعظم من صناعة الترسُّل ، وعليها مدارُ صنعة الكتابة ، إذ الولايات من مقاصد المكاتبات ، وهى أهمُّ ما تَصَلِّحُ به الكاتبُ ، وألزمُ مأمورٍ فيه ؛ وهى قسمان :

القسم الأول

(مقاصد المكاتبات السلطانية ، وهى على نوعين)

النوع الأول

(ما يُكْتَبُ عن الخلفاء والملوك ، وهو على ثلاثة أضرب)

الضرب الأول

(ما يكتب عن الخلفاء والملوك ومن صَاحَهُمْ)

مما هو مستعمل الآن مما كان عليه الحال فى الزمن القديم مما يُقَلُّ ويكثرُ ، ويتكررُ تداوُلُهُ فى الكتابة وسائر المكاتبات فى الحوادث المألوفة التى يكثر تداوُلها ، وتكرر الكتابة فيها بتكرار وقائعها ، وما رَسَمُ الكتابة به باقٍ إلى زماننا ، وإن تفسير مصطلح الإبتداء والخطاب وغيرهما من رسوم المكاتبات . وهو على أصناف :

الصنف الأول

(الكتب بانتقال الخلافة إلى الخليفة)

قال فى "مواد البيان" : جرت العادة أن تُنْقَدَ الكتبُ إلى ولاة الأعمال فى مثل هذه الحالة ، مُتَّصِفَةً ماجرى عليه الأمر بالحضرة : من اتقياد الأولياء والرعايا

إلى الطاعة، ودخولهم في البيعة بصدورٍ مُنْشِرحة، وحِصْنٍ مِنَ الْأَعْمَالِ من رجال السلطان ورعيته على الدخول فيما دخل فيه أمثالهم، وإعطاء الرعايا على ذلك صَفَقَةً أَيْمَانِهِمْ .

وقد كان الرسم فيها أن تُصَدَّر بحمد الله تعالى على عَوَارِفِهِ التي لم تَرَلْ تَكْتَسِفُ الخُطْبُ، وَتَرَأْبُ الشَّعْبِ، وتُدْفَعُ المُهَيَّم، وترفع المَلِيح، وتجبر الوَهْن، وتُسَبِّغُ الْأَمْنُ، والصلوة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وذاكِرُ خصائصه ومناقبه، وتشريف الله تعالى له بإقرار الإمامة في أقاربه، وتخصيصها بنبي عمه الذين هم أحقُّ الناس به، وما أمر به الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم من طَلَبِ مودتهم من الأمة بقوله جَلَّ من قائل : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ . وما أشار إليه صلى الله عليه وسلم من بقاء الخلافة فيهم بقوله لعمه العباس : «أَلَا أُبَشِّرُكَ بِأَعْمٍ، بِإِخْتِمَتِ النَّبُوَّةِ وَبَوْلَدِكَ نَحْمَ الْخِلَافَةِ» وما يجري مجرى ذلك . ثم يتلو ذلك بالإفصاح عن شرف الخلافة وفضلها، والإبانة عن رفيع مكانها ومحلتها، وأنها ظلُّ الله الممدود، وحَبْلُهُ المشدود، ومِسَاكُ الدِّينِ ونظامه، ومِلَاكُ الْحَقِّ وقوامه . وَأَمْتِنَانِ اللهُ تعالى على العباد بأن جعل فيهم أئمة يُقْسِطُونَ الْعَدْلَ عَلَيْهِمْ ، وَيُقِيمُونَ الْحُدُودَ فِيهِمْ ، وَيُقِيمُونَ أَدْيَانَهُمْ ، وَيَهْتَدُونَ بِإِيمَانِهِمْ ، وَيَرْهَقُونَ بِصَائِرِهِمْ ، وَيَهْتَدُونَ حَاثِرَهُمْ ، وَيَكْفُونَ ظُلُومَهُمْ ، وَيُنْصِفُونَ مَظْلُومَهُمْ ، وَيَجْمَعُونَ كَلِمَتَهُمْ ، وَيَحْمُونَ ذِمَارَهُمْ ، وَيَحُوطُونَ دِيَارَهُمْ ، وما يجري مجرى ذلك . ثم يذكر ما أوجبه الله تعالى على أهل الإسلام للإمام من الطاعة وحسن التباة أيام حياته ، والأقباد لأمره في طاعة من ينصُّ عليه في القيام مقامه بعد وفاته : لِيَتَّصِلَ حَبْلُ الْإِمَامَةِ بَيْنَهُمْ ، وَيَتَمَدَّ ظِلُّ الْخِلَافَةِ عَلَيْهِمْ . فإن كان قد تَلَقَّى الْخِلَافَةَ بعهد عن خليفة قد مات : من أب أو غيره، أتى بمقدمة في ذكر الموت، وأن الله تعالى سوى فيه بين برئته، وجعل في تطرقه

إلى رسوله أسوةً خليفته؛ وتَفَرَّدَ بالبقاء، وأمتنع عن الفناء. ثم يقال: وإن الله تعالى لما اختار عبده ووليه فلان الثقلَةَ إلى دار كرامته، والحُلُولَ بِفِنَاءِ طَاعَتِهِ، وأَعَانَهُ عَلَى سِيَاةِ بَرِيَّتِهِ، وَأَنَهَضَهُ بِمَا سَمَّاهُ، وَأَيَّدَهُ فِيمَا كَفَّلَهُ؛ مِنَ الذَّبِّ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْمَرَامَةِ عَنِ الدِّينِ، وَالْعَمَلِ بِكُتَابِهِ وَسُنَّتِهِ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَأَمْتَشَعَارِ خَيْفَتِهِ وَمُرَاقِبَتِهِ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ؛ وَمَا يَلِيْقُ بِهَذَا - اسْتَخْلَصَ عَبْدَهُ وَوَلِيَّهُ فَلَانًا الْإِمَامَ الْفَلَانِيَّ خَلِيفَتَهُ، وَأَهْمَى سِمَاءَ الرَّحْمَةِ بِإِمَامَتِهِ؛ وَأَحْلَى عَزِيزَ النَّصْرِ بِوَلَايَتِهِ، وَأَلْفَى فِي نَفْسِ رَأْيِهِ النَّصَّ عَلَيْهِ، وَالتَّفْوِيضَ إِلَيْهِ؛ لِمَا عَلِمَ سُبْحَانَهُ فِي ذَلِكَ مِنْ شُمُولِ الْمَصَالِحَةِ لِلْعِبَادِ، وَعُمُومِ الْأُمَّةِ لِلْبِلَادِ؛ فَأَمْضَى - قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ - مَا أَلْهِمَهُ، وَقَلَّهُ قَبْلَ خُرُوجِهِ مِنْ دَارِ الدُّنْيَا وَتَمَمَهُ؛ عَالِمًا بِفَضْلِ آخْتِيَارِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَمَلْ بِهِ الْهَوَى فِي إِشَارَتِهِ؛ فَقام أمير المؤمنين الإمامُ الفلانيُّ مقامه، وَحَفِظَ نِظَامَهُ؛ وَسَدَّ ثَمَمَتَهُ، وَعَفَى رِزِيَّتَهُ؛ وَأَقْرَأَهُ تَعَالَى الْإِمَامَةَ بِهِ فِي نِصَابِهَا وَمَقَرَّهَا، وَزَادَ بِاسْتِخْلَافِهِ فِي صِيْبِ الْخِلَافَةِ وَقَدَّرَهَا .

وأمير المؤمنين يسأل الله تعالى أن يخص وليه السعيد بقرية بأفضل صلواته، وأشرف تحمياته؛ ويحسن جزاءه في سعيه في صلاح العباد، وسداد البلاد؛ وأن يُلهم أمير المؤمنين الصبر على تجرع الرزية فيه [ويجزيه] أفضل ماجزئ به صابرا مُحْتَسِبًا، وَأَنْ يَجْرُسَ كَسْرَهُ فِي فَقْدِهِ، وَيُوقِّعَهُ لِجَمِيلِ الْعِزَاءِ مِنْ بَعْدِهِ؛ وَيُسْتَدِّدَهُ فِي مِصَادِرِهِ وَمَوَارِدِهِ، وَيَهْدِيَهُ لِمَا يُرْضِيهِ فِي جَمِيعِ مَقَاصِدِهِ؛ وَيُعِينَهُ عَلَى تَأْلِيفِ الْأَهْوَاءِ، وَجَمْعِ الْأَرَآءِ؛ وَنَظْمِ الشُّمْلِ، وَكَفِّ الْقَتْلِ، وَإِرْخَاءِ الظِّلِّ .

وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك وقد اجتمع من بحضرته، من ذوى جهته وأمراء دولته؛ وَكَانَتْ جُنْدُهُ وَجَمَاعَةُ حَوَازَتِهِ عَلَى بَيْعَتِهِ، وَإِعْطَانِهِ صَفْقَةَ آيْمَانِهِمْ عَلَى طَاعَتِهِ

ومشايته ؛ عن صدور مُخلصَةٍ تَقِيَّةٍ ، وسَرَائِرِ صَافِيَةٍ سَلِيْمَةٍ ؛ وَعَقَائِدِ مُشْتَمَلَةٍ عَلَى الْوَفَاءِ بِمَا عَقَدُوا عَلَيْهِ ، وَأَتْقَادُوا مَخْتَارِينَ إِلَيْهِ ؛ وَشَيْلَمَتِهِمْ بِذَلِكَ الرَّحْمَةِ ، وَصَفَّتْ عَلَيْهِمُ النِّعْمَةَ ؛ فَاسْبَرَحُوا الرِّزِيَّةَ ، حَتَّى قَرِحُوا بِالْمَطِيَّةِ ، وَلَا وَجَعُوا لِلْمَصِيْبَةِ ، حَتَّى تَسْمُوا لِلرَّغِيْبَةِ ؛ وَلَا أَظْلَمُوا لِفَقْدِ الْمَاضِي ، حَتَّى أَضَاءَ الْوَجُودُ بِالْآتِي .

فنه الحمد على هذه النعمة التي جبرت الوهن ، وحقت في فضله المن ؛ حمدا يستندز أخلاف فضله ، ويستدعى سابغ طوله ؛ وصلّى الله على عهد وآله . وأمير المؤمنين يراك من أهل محالته ، والمتحققين بطاعته ؛ وهو يأمرك أن تأخذ البيعة له على نفسك ، وعلى جميع أوليائه المقيمين قبلك ، وكافة رعاياه الذين هم في عملك ؛ وتُسعيرهم بما عنده للمسارعين لطاعته ، المبادرين إلى آتباعه ؛ من تيسير الإنصاف والعدل ، وإفاضة الإحسان والفضل ؛ وما لمن نكب عن الطريقة المثلى ، وحاد عن الأولى ، من الكفّ الرادع ، والأدب الوازع ؛ ويتوسّع في هذا المعنى توسعاً يشرح صدور أهل السلامه ، المستمرّين على نهج الاستقامه ؛ ويردع أهل الفساد ، ويفض من نواظر ذوى العناد . ويحلى الكتاب بآيات من القرآن الكريم تحسن أستعارتها في باب العزاء ، ويليق ذكرها في باب الإشادة بالخلافة والخلفاء . فان كان الكتاب مما يقرأ بالحضرة . قال في موضع «وكتاب أمير المؤمنين إليك» : «وأتم معاشر أقارب أمير المؤمنين : من إخوته وبني عمه وخوآص الدولة وأمرائها وأجنادها وكُتّابها وقضائها وكافة رعيّتها ، ومن أشتمل عليه ظل مملكتها - أحق من حافظ على عوارف أمير المؤمنين وأعتد بطائفته ؛ وقام بشكر نعمته ، وسارع إلى آتباعه وأعتصم بحبل دعوته ؛ فأجمعوا على متابعتها ، وإعطائه صفة إيمانكم على مبايعته ؛ ليجمع الله على التاليف كلمتكم ، ويحيى بالتأثر بيضتكم» ويبيح ذلك من وعد أهل الطاعة

بما يضاعف جُودهم ، ومن وعيد أهل المعصية بما يُصَفَّرُ خُدودهم ، على نسق ما سبق في الترتيب .

وهذه نسخة كتاب في المعنى ، كُتِبَ به عن الأمر بأحكام الله تعالى عند استقراره في الخلافة بعد أبيه المُستَعْلَى بالله ، والدَّوْلَةُ مشتملة على وزيره من إنشاء ابن الصيرفي ، وهي :

الحمد لله المتوحد بالبقاء ، القاضى على عباده بالفناء ، الذى تمجد بالأزلية والقدم ، وفرد بالوجود وتزه عن العدم ، وجعل الموت حتماً مقضياً على جميع الأمم .

يمجده أمير المؤمنين على ما خصه به من الإمامة التى قصه سرها لها ، ووزنه غفرها وبها لها ، حمد شاكر على جليل عطية ، صابر على جليل الرزية ، مسلم إليه فى الحكم والفضية ، ويسأله أن يصلى على جدّه مجد الذى ثبت حجته ، ووضعت حجته ، وعلت كلمته ، وأنانفت على درج الأنبياء درجته ، صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين على بن أبى طالب الذى جعل [الله] الإمامة كلمة فى عقبه بإقيه ، وحبه جنة يوم الفرج الأكبر وإقيه ، وعلى الأئمة من ذريتهما الظاهرين ، صلاة دائمة إلى يوم الدين .

وإن الإمام المستعلى بالله أمير المؤمنين قدس الله روحه وصلى عليه ، كان من أوليائه الذين أصطفاهم لخلافته فى الأرض ، وجعل إليهم أزيمة البسط والقبض ، وقام بما حمّله من أوق الإمامة ^(١) ، ولم يزل عاملاً بمرضاة الله إلى أن نقله إلى دار المقامه ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، رضا بقضائه ، وصبرا على بلائه ، وإلى الله يرغّب أمير المؤمنين فى إلهامه حُسن الصبر على هذا المُصَاب ، وإجزال حظه عليه من الأجر والثواب ، وإمداده فى خلافته بمواد الإرشاد والصواب ، بكرمه .

وكتاب أمير المؤمنين يوم كذا من الشهر الفلاني من سنة كذا؛ بعد أن جلس للحاضرين بحضرتيه من الأمراء: عُجُومَتِهِ وأوليائِهِ وَحَدَمِ دولته، وسائر أجناده وعبِيدِ مملكته، وعامة شيعته، وأصنافِ رعيته؛ وأنوارِ الخلافةِ عليه مُشْرِقِهِ، وأغصانِ الإمامةِ مُثْمَرُهُ مُورِقُهُ؛ والسيد الأجلُّ الأفضَلُ الذي أمَّه اللهُ في نُصْرَةِ الدولة العلويةِ بالتأييدِ والإظهارِ، وأبان به برهانَ الإمامةِ الآمريةِ فوضَّحتْ أنوارُها للبصائرِ والأبصارِ، وشَهَّرَ له من المناقبِ ما سارَ مَسِيرَ الشمسِ في جميعِ الأقطارِ؛ يتولَّى الأمرَ بحضرتيه تَوَلَّى الكافلِ الرَّعِيمِ، ويباشِرُ النظرَ في بَيِّنَتِهِ مُباشرةَ القَسِيمِ الحَمِيمِ؛ والناسِ داخلونَ في البيعةِ بانسراحِ صدورِهم، وإظهارِ آبتهاجِ وسرورِهم؛ يُعْطُونَ صَفْقَةَ أيمانهم، ويعلمونَ ما لهم من الحظِّ في طاعةِ إمامِ زمانهم؛ قد تحقَّقوا سُموْلَ السُّعدِ وُعُجُومَ الرِّشادِ، وتيقَّنوا الخَيْرَةَ لهم في العاجلةِ والمَعَادِ؛ وأمير المؤمنين يُعزِّبُك ومن قبلك من أولياءِ دولته، وسائر رعيته؛ عن المصيبةِ في الإمامِ المستعلي بالله - صلى اللهُ عليه - التي قطعت من النفوسِ أمَلَهَا، وأسكنت الألبابَ جَرَعًا ووَطْأً، ويُهَيِّبُك وإياهم بِمُتَجَدِّدِ دولته التي تَهَلَّلَ لها وجهُ الزمانِ، وأستَهلت بها سحابُ الفضلِ والإحسانِ . وأمير المؤمنين يحمَدُ اللهُ الذي أقرَّ الحقَّ في مَنْصِبِهِ، وأفردَه بما كان واللهُ الإمامُ المستعلي باللهُ أُفْرِدَ به .

فأعلم ما أعلمك أمير المؤمنين من هذا الخُطْبِ الجسيمِ، والنَّبَأِ العظيمِ؛ وأشكر اللهُ على ما جتده لك ولكافة المسلمين، من النعمةِ بامامةِ أمير المؤمنين؛ التي أوقفت بساعةِ الزمانِ وحياتِهِ، وشَفَّتْ من داءِ كَلَمِهِ وَنِكَايَتِهِ؛ وتقدَّم إلى الدعاءِ (؟) قَبْلَكَ بأخذِ البيعةِ على نفسك وعلى كافة مَنْ في ولايتك، وأستحمد إلى أمير المؤمنين أنت وهم بالإخلاصِ في طاعته، والأجتهادِ في مَنَاصِحَتِهِ، والتَّمَسُّكِ بِعَصَمِ مشايعته؛ لتنالوا

في العاجلة حظًا جسيماً ، وتُحْرَزُوا في الآجلة أجراً كريماً : ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

وطالع الكائن منك بعد قراءة كتاب أمير المؤمنين عليّ الحاضرين قبلك ، وإذاعته في الواردين عليك والمستوطنين عمّلك ؛ ليحمدوا الله على ما أنالهم بخلافة أمير المؤمنين من جميل الصنع العائد على العباد ، وصلاح البلاد - وكتب في اليوم المذكور .



وهذه نسخة كتاب عن الأمر بأحكام الله المقدم ذكره ، كُتِبَ به إلى ولاية الأطراف بعد قراءة عهده ، مهنتاً بخلافته ، وتجديد ولايته ؛ من إنشاء ابن الصيرفي - أيضاً ، وهي .

أما بعد ، فالحمد لله مولى المناجح من نعمه ، ومجزّل العطايا من مواهبه وقسمه ، ومعوّد الصنع الجميل من لطفه وكرمه ، الذي له الحكم الظاهر عدله ، ولديه الطول الفائض فضله ، وعنده مقامح الغيب وإليه يرجع الأمر كله .

يحمده أمير المؤمنين عليّ ما أفرد به من سنيّ المواهب ، ونظّمه له من عقود المناقب ؛ ونقله إليه من تراث آبائه الكرام الذين جلا ضياؤهم ظلام الغيابه ؛ وترينت بهم الأرض تزين السماء الدنيا بزينة الكواكب ؛ ويسأله أن يصلى على جده محمد الذي نشر الله به الرحمة ، وكشف الغمّة ، وأقذ الأمة ؛ صلى الله عليه وعلى أخيه وأبن عمّه عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين ، والمذكور في زُبير الأولين ، وعلى الصّفوة من ذريتهما الهداة الراشدين ، صلاة باقية إلى يوم الدين .

وإن النعم تتفاضل أقدارها بحسب مواقعها ، وتتفاوت أخطارها بقدر مواضعها ؛ ومن أطفها مكاناً ، وأشرفها محلاً وشاناً ، وأولاها بأن تُسَدَّقَ به الأقلام ، وأحقها بأن يناقل ذكرها الخاص والعام ؛ ما خصّ الله به أمير المؤمنين من المنّ الظاهرة ،

وتولاه من المنج المتظاهره ؛ وأصاره إليه من الخِلافة في أرضه ، وأسَخَلَفَه عليه من القيام بسُنَنِ دِينِهِ وَفَرَضَهُ ، وأسْتَرَعَاهُ إِيَّاهُ من حِياطَةِ بلادِهِ ، وأَوْجَبَهُ من طاعته على كَافَّةِ خلقِهِ وعِبَادِهِ ، وذَنَرَهُ لدولته من كَفِيلِهِ وخِليلِهِ ، ومَقِيمِ أدِلَّةِ حَقِّهِ ومَوْضِعِ سَبِيلِهِ ؛ السَّيِّدِ الأَجَلِّ الأَفْضَلِ الَّذِي آرْتَضَاهُ اللهُ لِلدُّبِّ عن الإسلام ، وأسْتَضَاهُ لِنُصْرَةِ إمامِهِ بِعَدِ إمامِهِ ، وشَهِرِ مَنابِقِهِ في كُلِّ مَوْقِفٍ ومَقامٍ ، وَخَصَّصَهُ بِفَضائلٍ لَمْ تَرَّ بِمَجْمَعَةٍ مَلَئِكَ من ملوكِ الإسلام ؛ لِأَجْرَمِ أَنَّ أميرَ المُؤْمِنِينَ قَدِ أَحَلَّهُ مِنْهُ عَلى الرُّوْحِ من الجَسَدِ ، والوالِدِ من الوَلَدِ ، وفَوْضَ الأُمُورِ إِليه تَفْويضَ مَعُولٍ عَلى يَمَنِ قَبيلَتِهِ مَعْتَمِدٍ ، مَبالِغٍ في حَسَنِ الأَخْتِيارِ للأُمَّةِ مُجْتَهِدٍ ؛ واللهُ تَعَالَى يَمْتَعُ أميرَ المُؤْمِنِينَ بِبِقائِهِ الكائِلِ بِبلوغِ الأَمَلِ ، وَيَجازِيهِ عن تَسْيِيدِ مَمْلَكَتِهِ أَحْسَنَ ما جَزَى بِهِ مُخْلِصاً جَمَعَ في الإِيمانِ بَينَ القَوْلِ وَالعَمَلِ ؛ بِكَرَمِهِ .

ولما وَقَفَ أميرُ المُؤْمِنِينَ بِما طالَعَهُ بِهِ السَّيِّدُ الأَجَلُّ الأَفْضَلُ عِندَ مَثولِهِ بِمَحْضَرَتِهِ ، وإِنهائِهِ أُمُورَ دولتِهِ وأحوالِ مَمْلَكَتِهِ ؛ عَلى أَمْرِكَ الَّذِي أَسْتَحْمَدُهُ في الخِدمَةِ ، وأسْتَحَقَّقْتَ بِهِ إِفاضَةَ الإِحْسانِ وإِسْباغَ النِّعمَةِ ؛ وَأَنَّ لَكَ في الدُولَتَيْنِ : المُسْتَصْرِبَةَ والمُسْتَعْلِيَةَ من الخِدمِ المُشْكُورَةِ ، والمَساعِي المَبْرُورَةِ ؛ ما يَدُلُّ عَلى مُناسِحتِكَ وإِخلاصِكَ ، وَيَبْعُثُ عَلى أَصْطِناعِكَ وأسْتِخْلاصِكَ - أَمَرَ بِكَتِّبِ هَذا السَّجَلُ لَكَ مُؤَكِّدًا لأَواخِيكَ ، ومُغْرِبًا عَن رَأْيِهِ الجَمِيلِ فيكَ ؛ ومُجَدِّدًا من وِلايَتِكَ ، ومُجْرِبًا لَكَ فِيها عَلى مُسْتَعْرِ رِسمِكَ ومُسْتَقَرِّ عادتِكَ . فِقابِلِ نِعمَةِ أميرِ المُؤْمِنِينَ من الإِخْلاصِ في طاعته بِما يَرْتَبِطُها ، وَوَفِّها من حَقِّ الأَجْتِهادِ ما يُقَرِّها عِندَكَ وَيُدَيِّطُها ؛ وَأَجْعَلْ تَفْويِ اللهُ تَعَالَى عِمادَكَ ، وَأَطِوْ عَلَيْها طَويِّتِكَ وَأَعْتادَكَ ؛ وَمَكِّنْ في نَفوسِ الأَولِياءِ بِجَمِيلِ رَأْيِ أميرِ المُؤْمِنِينَ فِيهِمْ ؛ وإِحْادَهُ لِمُوافِقِهِم في الخِدمَةِ ومَساعِيهِمْ ؛ وَحَقِّقْ عِندَ كَافَّةِ المُسْتَقَرِّينَ لَدَيْكَ ، والوارِدِينَ عَلَيْكَ ؛ ما يَكْتَفُونَ بِهِ من الأَمْرِ الشَّامِلِ ،

ويعمرون به من حُسنِ النظر المتواصل ، وأبجر على العادة المألوفة في إفاضة العدل والإنصاف ، وتكسب سبيلَ الجور والإنحطاف ، ومهد السبيلَ قبلك ، وأحيم من أسباب الفساد ولايتك وعملك ، وأخصص متولى الحكم والدعوة الهادية - ثبتها الله تعالى - بالإعزاز والرتابه ، ووقر حظهم من الملاحظة والعيابه ، وخذ المستختم في الخطبة العلوية بإقامتها في أوقاتها ، على أفضل قوانينها وواجباتها ، معلناً فيها بذكر أمير المؤمنين الذي يتوج فروع المنابر ، ويشنف أسماع البوادي والحواضر ، وتوفر على ما تهمر الأموال وأئتمرها ، وغزرها ورخاها ، وقضى بوقورها وحصولها ، ودعا إلى درورها ومواصلة حمولها ، وأنظر في أمر الرجال المستختمين معك نظراً يؤدى إلى مصلحتهم . فأعلم هذا من أمير المؤمنين ، وأغبط بما أصاره الله إليه آغبط أمثالك من المخلصين ، وأعتقد طاعته أعتقد من يجاريك من أهل اليقين ، وأعمل بوصاياه ومراشده تحط في الدنيا والدين ، وطالع بالكائن منك بعد قراءة هذا السجل على كافة الناس أجمعين ، وكتب في كذا وكذا .

وأعلم أن العادة جارية بينهم أنه إذا كتب كتاب عن الخليفة بانتقال الخلافة إليه ، يكتب ملطف عن الوزير ، يلف كتاب الخليفة صمته ، ويوجه به إلى حيث المقصد :



وهذه نسخة ملطف في هذا المعنى ، كُتب به عن وزير في الدولة الفاطمية ، يلف كتاب الخليفة طيه ، وهو :

ينظوى هذا الأمر الوارد على الأمير ، على كتاب مولانا وسيدنا الإمام الفلاقي لدين الله ، أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى آلبائه الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين ، أو أبنائه المنتظرين ، إن كان لا ولد له - بما أصاره إليه من شرف

الإمامه، وبوّأه إياه من مقام العظمة والكرامة؛ إثر انتقال الإمامِ فلانِ أمير المؤمنين - قدس الله روحه - إلى جوارِ ربه . فاعتمد العملَ بضمونه في أخذ البيعة على نفسك ومن يليك، وتلاوته على رءوس الأَشهاد، وإذاعة مكنونه في الحاضِر والبَاد، على الرسم المعتاد؛ فأعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى .

قلت : وهذا المعنى في الكتابة بانتقال الخلافة إلى الخليفةِ جارٍ في زماننا بانتقال السلطنة إلى السلطان؛ ويعبر عن ذلك بجلوسه على تخت الملك، والأمر على ما تقدم في الخلافة من التعزية بالماضي، والتهنئة بالمستقر، ونحو ذلك مما يجري مجراه .



وهذه نسخةُ مَكاتبةٍ بالبشارة بجلوس الملك الصالح صالح ابن الملك الناصر محمد ابن قلاوون على التخت، في شهر رجب الفرد سنة اثنتين وخمسين وسبعائة، بعد خلع أخيه الملك الناصر [حسن] . وصورتها بعد الصدر والألقاب :

وأوردَ عليه من البشائر أسنى البشر، وأسمعه من التهانى ما أنشئ حديثه بين البرايا وانتشر، وحفظَ عليه وعلى الأمة ما أراد لهم من الخيرِ وولّى عليهم خيارهم وجعل ملكهم صالح البشر .

صدرت هذه المكاتبة إلى فلان^(١) وبصرها مقدماً بالظفر، وذكرها قد ملأ الأقطار بجمع عليه كل قلب كان قد نقر؛ تُهدى إليه سلاماً عن وجه الشكر سفر، وثناءً يحصل منه على النصيب الأوفر؛ وتوضح له أنه الجنابات العالية الأمراء الأكابر، أمراء الدولة الشريفة، ضاعف الله نعمتهم؛ كانوا قد عظموا أخاناً للناصر، وحكّوه، ومشوا إلى خدمته على أحسن سنن؛ وما أبقوا في خدمته بمكنا من التعظيم، والإجلال والتحكيم، وأمثال الأمر في كل جليلٍ وحقيق؛ فلم يزع لهم

(١) كما بالأصل على هذه الصورة .

ذلك، ولا آتفت إلى ما لهم عليه من حقوق الخدمة؛ وآتفت مع الصبيان، وأراد
القَبْضَ على الأمراء، وإمسالك الجنابات العالية الأمراء الأكبر والإيفاع بهم .
فلما تحققوا منه ذلك، اجتمعت الأمراء، وآتفت الكلمة على خلعهم من الملك
الشريف وإقامتنا . ففعل المشار إليه؛ وكان جلوسنا على تخت الملك الشريف وكرسى
السلطنة المعظمة في يوم الاثنين المبارك، بحضور الإمام المعتضد بالله أمير المؤمنين
أبي الفتح أبي بكر، ابن الإمام المرحوم أمير المؤمنين أبي الربيع سليمان المستكفي بالله،
ومبايعته لنا، وحضور المجالس العالية قضاة القضاة بالأبواب الشريفة، أعز الله
تعالى أحكامهم؛ وحلف لنا أمراء الدولة الشريفة على جاري العادة في ذلك؛
وضربت عند ذلك البشائر، وشهد هذا الهناء كل بادٍ وحاضر، وتسنفت الأسماع
وقرت العيون واستقرت الخواطر، وأتهجت بذلك الأمم، وتباشرت بهذا السعد الذي
كُتِبَ لنا من القَدَم؛ وأصبح كل من أنصار دولتنا الشريفة مبتهلا بالدعاء مبتهجا .

فليأخذ المقر حظه من هذه التهنيد، وليدع خبرها لتكون المسار معيدة ومبديه؛
ويتحقق ماله عندنا من المكانه، والمحل الذي زان بالإقبال الشريف زمانه؛ ويتقدم
أمره الكريم تهنئة المجالس العالية والسامية ومجالس الأمراء بالملكة الفلانية، ويتقدم
أيضا بضرب البشائر وبالزينة على العادة .

وقد تجهز إلى الجناب العالي نسخة بين شريفة يحلف عليها، ويكتب خطه،
ويجهزها إلينا حجة المجلس السامي، الأمير، الأجل، الكبير، العُضد، الذُخري،
النصيري، الأوحدي، عضد الملوك والسلاطين، يلبغا الحموي الصالحى، أدام الله
علوه، المتوجه بهذا المثال الشريف . وقد جهزنا نسخة بين شريفة ليحلف عليها
لنا الأمراء بطرابلس ويكتبوا خطوطهم، ويجهزها إلينا على العادة حجة المشار إليه .

وقد جهزنا للجناب العالى صحة المشار إليه تشریفاً شريفاً كاملاً؛ فيتقدم الجناب العالى بتسلمه منه وثبته ، ويتحقق ماله عندنا من المكانة والمترلة ، ويُعيد الأمير سيف الدين بلبغا المشار إليه إلى الباب الشريف ، فيحيط علمه بذلك .

الصنف الثانى

(من الكتب السلطانية الكُتُبُ فى الدعاء إلى الدين ، وهو من أهم المهمات)

قال فى "مواد البيان" : أشرف ما يُنشئه الكاتب الدعاء إلى دين الإسلام الذى أظهره الله تعالى على كلِّ دين ، وأعزّه على كُره المشركين ، وأسْتَجْرَأُ مُحَالِفِهِ إليه ، وأجْتَذَبُ الخارجين عن دائرته إلى الدخول فيه ؛ عملاً بما كان عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده ، لأنه قَوْمُ الملك ونظامُ السلطان اللذان لا يَصْحَاحُ إلا به .

قال : والكاتب يحتاج فى إنشاء هذه الكُتُبِ إلى علم التوحيد وبراهينه ، وشرع الرسول صلى الله عليه وسلم خاصه وعممه ، ومعجزاته ، وآيات نبوته : ليتوسّع فى الإبانة من ظهور حجته ، ووضوح حجته .

ثم قال : والرسم فيها أن تُفْتَحَ بحمد الله الذى اختار دين الإسلام فأعلاه وأظهره ، وقَدَّسه وطَهَّرَه ؛ وجعله سبيلاً إلى رِضاه وكرامته ، وطريقاً إلى الرِّزْقِ فى جَنَّتِهِ ؛ وشفيعاً لا يُقْبَلُ عملٌ عامِلٌ إلا به ، وآبَاءٌ لا يَصِلُ وأصلُ لإمته ؛ فلا تُفَرِّقُ السيئات إلا لمن آتَصَمَ بِحَبْلِهِ ، ولا تُتَقَبَّلُ الحسنات إلا من أهله . وشكركم تعالى على الهداية إليه ، والتوقيف عليه ؛ وذِيَادَتِهِ عن مجاهل الضلالة بما أوضحه من برهانه ، وتوره من نبيّانه . وتمجيدِهِ من تعظيم آياته ، وباهر معجزاته ؛ وحكيم صنعتِهِ ، وبديع فطرِهِ . وتزبيهِ عما لا يليق بسُلْطانه ، ولا تجوز إضاقته إلى عظيم شأنِهِ . وتَسْبِيحِهِ

عما يصفه بالمُلاحِدون، ويَحْتَلِّقُه الملاحِدون، والصلاة على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، والإفصاح عن دلائل نبوته، وبراهين رسالته، وما خصه الله تعالى به من إعلاء ذكره وإمداده بالمعجزات الباهرة، والآيات الظاهرة.

ثم يُدْبِعُ ذلك بالدعاء إلى الدين والحصص عليه، وإيضاح ما في التمسك به من الرشد في دَارِي المبدأ والمعاد، والتبشير بما وعد الله به المستجيبين له، والداخلين فيه من تَمْجِيسِ السيئات، ومُضَاعَفَةِ الحسَنَات، وعِزِّ الدنيا وقُوَّةِ الآخرة، والإنذار بما أوعَد الله به النَّاكِرِينَ عن سبيله، العَادِلِينَ عن دَلِيلِهِ، من الإذلال في هذه الدار، والتَّخْلِيدِ بعد العَرَضِ عليه في النار، وتَصْرِيفِ المُخَالَفِينَ بين الرِّغْبَةِ والرَّهْبَةِ، في العاجل والمُغْبَةِ.

قال: وينبغي أن يتأني الكاتب فيما يُورِدُه من هذه الأضرار، ليَقَعَ في المواقع اللَّائِقَةَ به، ويَجْلُو المَحْجَجَ في أحسن المعارض، ويُفْصِحَ عنها بأقرب الألفاظ من النفوس. فإنه إذا وَفَّقَ لذلك، نابَ كِتَابُهُ مَنَابَ الجُيُوشِ والأجناد، وأَقْرَبَ السُّيُوفِ في الأضداد. ثم قال: ومن صدقت في هذا الفنَّ رَغْبَتُهُ، أيد الله تعالى غيرته، وعَضَّدَ بَدِيهَتَهُ ورَوِيَّتَهُ.

قلت: وهذا الصنف من المكتوبات السلطانية قد بطل في زماننا، فلم يُعْهَدَ أَنْ مَلِكًا من الملوك كَتَبَ إلى بلاد الكُفْرِ بالدَّعَايَةِ إلى الدين. إذ مثل ذلك إنما يصدر مع القَلْبَةِ والقُوَّةِ والقَهْرِ. كما كان الخلفاء في الزمن المتقدم، والكُفْرُ مقهور معهم، مذلول لديهم. أما الآن فلولا ما أخبر به صلى الله عليه وسلم بقوله: «وَنُصِرْتُ بالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ» وفي رواية «وَنُصِرْتُ أُمَّتِي» لَأَجْتَاَحَ أهل الكُفْرِ الإسلامَ، ولكن الله وعد دينه أن لا يُخْدَلَ.

الصنف الثالث

(من الكتب السلطانية المكتُوب بالحث على الجهاد)

قال في " مواد البيان " : كما أن الدين يتنظم بالدعاء إليه والترغيب فيه ، كذلك يتنظم بصيانة حوزته ، وما دخل في مملكته ، وكف أعدائه عن تنقيص أطرافه ، والتغلب على بلاده . ولهذا فرض الله تعالى الجهاد وأوجبه ، وأكد الأمر فيه وشده ، والسلطان يحتاج عند الحوادث التي تحدث من تطرق المخالفين إلى بعض الثغور ، أو سن الغارة على أهل الإسلام ، أن يدعو إلى الجهاد ومقارعة الأعداء ، وصون حريم الملة ، وحفظ نظام الدولة .

ثم ذكر أن الرسم فيها أن تفتح بحمد الله تعالى على جميل صنيعه : على إعرزاز الكلمة ، وإسباغ النعمة باظهار هذه الملة ، وما وعد الله به من نصر أوليائه ، وخذلان أعدائه ، وإدالة الموحدين ، وإدالة المنحدين ، والصلوة على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، وذكركم طرف من مواقفه في الجهاد ، ومقارعة لشيع الإلحاد ، وتأييد الله تعالى أنصاره على أهل العناد . ثم يذكر الحادثة بنصها ، وبشرح القصة على فصها ، ويندب من جاوره وداناه من أهل الملة أجمعين ، ويخاطبهم بما يرهف عزائمهم في نصرة الدين وكافة المسلمين ، وأتباع سبيل السلف الصالحين ، الذين خصهم الله تعالى بصديق الضمائر ، ونفاذ البصائر ، وصحة الدين ، ووثاقة اليقين ، فلم يكونوا ليروموا مرأما إلا سهل لهم ما توعدوا ، ويسر عليهم ما تعسر ، وسماهم إلى ما هو أقصى منه مرعى وأبعد مدى ؛ رغبة فيما رغبهم فيه من نصرتهم ، وتعرضا لما عرضهم له من جزيل مثوبته ، وأن يحضهم على التمسك بعزائم الدين ، والعمل على بصائر المخلصين ، وأقراض ما فرض الله عليهم من جهاد أعدائه ، وتجهيز ما وعدهم به

من الإظهار بهم والإظهار عليهم؛ وأن يجاهدوا مُسْتَصِرِينَ، ويؤدوا الحقَّ مُحْتَسِبِينَ،
ويقدموا رسلاً لانا كصين ولا شاكين ولا مُرْتَابِينَ؛ مُتَّبِعِينَ الحقَّ حيثُ يم وقصد،
ومضارين دونه من صد عنه وعند؛ ويأبغ في تنحية أهل البسالة والتجده، والبأس
والشد؛ ويسعهم على نصر حقتهم وطاعة خالقهم؛ والفوز بدرك الثواب والرضوان؛
وتسور البصائر في الإيمان؛ وفضيلة الأنف من الضيم، والبعد من الذم؛ إلى غير
هذا مما يعيد الأرواح والمهج، والإقدام على مصارع التلق، فإن الملوك المعاصرين -
لعلمهم بأن الناس إنما يجودون بذلك للفوائد التي توجبها - كانوا يبدلون لمن يدعونه
إلى المكلفه، ويعرضونه لاذابحه؛ الرغائب التي تهون عليهم لقاء نفوسهم في المهالك
تارة، ويذكرهم الأحقاد والضغائن ويخوفونهم من الوقوع في المذلة أخرى .

ثم قال : وينبغي للكاتب أن يقدم في هذه الكتب مقدمات، يرتبها على ترتيب
يبرز الأريحيات، ويشهد العزائم؛ ليجمع بين خدمة سلطانه والفوز بنصيب
من الأجر .

قلت : وهذا الصنف من المكاتبات السلطانيات مستمر الحكم إلى زماننا . فما
زال الملوك يكتبون إلى ما يليهم بالحث على الجهاد، والقيام بأوامره، والخص على
ملافاة العدو، والأخذ بنصرة الدين . وقد تقدم في الكلام على مقدمات المكاتبات
في أول هذه المقالة : أن الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ذكر في "حسن التوسل"
أنه إذا كتبت عن الملك في أوقات حركات العدو إلى أهل الثغور، يعلمهم بالحركة للقاء
عدوهم - أنه يبسط القول في وصف العزائم، وقوة الهمم، وشددة الحمية للدين،
وكثرة العساكر والجيوش، وسرعة الحركة، وطى المراحل، ومعالجة العدو، وتحميل
أسباب النصر، والوثوق بعوائد الله في الظفر، وتقوية القلوب منهم، وبسط آمالهم،
وحثهم على التيقظ، وحضهم على حفظ ما بأيديهم من ذلك وما أشبهه . وأنه يبرز

ذلك في أيّين كلام وأجابه ، وأمكته وأقربيه من القوّة والبسالة ، وأبعد من اللين والرقة ، ويبالغ في وصف الإنابة إلى الله تعالى وأستزالي نصيره وتأيبه ، والرجوع إليه في تثبيت الأقدام ، والأعتصام به في الصبر ، والأستعانة به على العدو ، والرغبة إليه في خذلانهم ، ورزلة أقدامهم ، وجعل الدائرة عليهم ، دون التصريح بسؤال بطلان حركتهم ، ورجاء تأخيرهم ، وانتظار العرضيات في تحلّفهم ، لما في ذلك من إيهام الضعف عن لقائهم ، وأستشعار الوهن والخوف منهم ، وأن زيادة البسط ونقصها في ذلك بحسب المكتوب إليه .

وهذه نسخة مكالمة من ذلك عن السلطان إلى بعض نواب الثغور ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، أوردناها في "حسن التوسل" وهي :

أصدرناها ومنايدى النصر قد أعلن بياخيل الله أركبي ، وياملائكة الرحمن أخصبي ، وياوفود الظفر والتأييد أقربي ، والعزائم قد ركضت على سوابق الركض إلى العدا ، والهمم قد نهضت إلى صدو الإسلام فلو كان في مطلع الشمس لأستقربت ما بينها وبينه من المدى ، والسيوف قد أفتت من العمود فكادت تنفر من قريبا ، والأسته قد طمعت إلى موارد القلوب فتشوقت إلى الأرتواء من قلبها ، والكافة قد زارت كاليوث إذا دنت فرائسها ، والحياد قد مريحت لما عودتها من الأنتعال بجاهم الأبطال فوارسها ، والحيوش قد كاثرت التجوم أمدادها ، وسارها للهجوم على أعداء الله من الملائكة الكرام أمدادها ، والنفوس قد أضرمت الحمية للدين نار غصبا ، وعداها حر الإشفاق على ثغور المسلمين عن برد الثغور وطيب شنبها ، والنصر قد أشرقت في الوجود دلالة ، والتأييد قد ظهرت على الوجوه مجالده ، وحسن اليقين بالله في إعزاز دينه قد أنبأت بحسن المال أوائله ، والألسن بأستزلال

تَصْرِفَ اللَّهِ لِهَجْمِهِ ، وَالْأَدْرَجَاءُ بِأَرْوَاحِ الْقُبُولِ أَرْجَهُ ، وَالْقُلُوبُ بِعَوَائِدِ لُطْفِ اللَّهِ بِهَذِهِ
الْأُمَّةِ مَبْتَهَجَةٌ ، وَالْحَمَاءُ وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ اسْتَظْهَرَ بِإِمْكَانِ قُوَّتِهِ وَقُوَّةِ إِمْكَانِهِ ، وَالْأَبْطَالُ
وَلَيْسَ فِيهِمْ مَنْ يُسْأَلُ عَنْ عَدَدِ عُدُوِّهِ بَلْ عَنْ مَكَانِهِ ، وَالنِّيَّاتُ عَلَى طَلَبِ عِدْوِ اللَّهِ
حَيْثُ كَانَ مُجْتَمِعَةً ، وَالْحَوَاطِرُ مَطْمَئِنَّةٌ بِكُونِهَا مَعَ اللَّهِ بِصِدْقِهَا وَ« مَنْ كَانَ مَعَ اللَّهِ
كَانَ اللَّهُ مَعَهُ » ، وَمَا بَيْنَ الْإِلَاطِيِّ الْمَرَّاحِلِ ، وَالنَّزْوِلِ عَلَى أَطْرَافِ التَّنُغُورِ نَزْوِلِ الْغَيْثِ
عَلَى الْبَلَدِ الْمَسَاحِلِ ، وَالْإِحَاطَةُ بِعَدُوِّ اللَّهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَإِنْزَالُ نَفْسِهِمْ عَلَى [حُكْمِ]^(١)
الْأَمْرَيْنِ [الْآخَرَيْنِ] : مِنْ عَذَابٍ وَأَصِيبٍ وَهُمْ نَاصِبٌ ، وَإِحَالَةُ وجودِهِمْ إِلَى الْعَدَمِ ،
وإِحَالَةُ السُّيُوفِ الَّتِي إِنْ أَنْكَرَتْهَا أَعْنَاقُهُمْ فَمَا بِالْعَهْدِ مِنْ قَدَمٍ ، وَأَصْطِلَا مَهُمْ عَلَى مَا بِيَدَيْ
الْعِصَابَةِ الْمُؤَيَّدَةِ بِنُصْرَةِ اللَّهِ فِي حَرْبِهَا ، وَابْتِلَاؤُهُمْ مِنْ حَمَلَاتِهَا بِرِيحِ عَادٍ الَّتِي تَدْمِرُ كُلَّ
شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ، فَيَكُنْ مُتَرَقِّبًا طُلُوعَ طَلَائِعِهَا عَلَيْهِ ، مُتَبَقِّيًا مِنْ كَرَمِ اللَّهِ اسْتِنْصَالَ
عَدُوِّهِ الَّذِي إِنْ فَرَّ أَدْرَكَتَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَإِنْ ثَبَتَ أَخَذَتْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَلِيَجْتَهِدَ
فِي حِفْظِ مَا قَبْلَهُ مِنَ الْأَطْرَافِ وَصَحْبِهَا ، وَجَمْعِ سَوَائِمِ الرِّعَايَا مِنَ الْأَمَاكِنِ الْخَوْفَةِ وَلَمَّهَا ،
وَإِصْلَاحِ مَا يُخْتَلَجُ إِلَى إِصْلَاحِهِ مِنْ مَسَائِلِكِ الْأَرْبَاضِ الْمُنْتَطَرِفَةِ وَرَمَّهَا ، فَإِنَّ الْإِحْتِيَاطَ
عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ آكِدِ الْمَصَالِحِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَأَهْمِهَا ، فَكَأَنَّهُ بِالْعَدُوِّ وَقَدْ زَالَ طَمَعُهُ ،
وَزَادَ ظُلْمُهُ ، وَدَمَّ عَقْبِي مَسِيرِهِ ، وَتَحَقَّقَ سُوءُ مَقْبَلِهِ وَمَصِيرِهِ ، وَتَبَرَّأَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ
الَّذِي دَلَّاهُ بِغُرُورِهِ ، وَأَصْبَحَ لِحْمَهُ مُوزَعًا بَيْنَ ذِيَابِ الْعَلَا وَضِبَاعِهَا وَبَيْنَ عِقْبَانِ الْجَوْرِ
وَأُسُورِهِ ، ثِقَّةً مِنْ وَعْدِ اللَّهِ وَتَمَسُّكًا مِنْهُ بِالْيَقِينِ ، وَتَحَقُّقًا أَنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ مَنْ يَنْصُرُهُ
وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِيينِ .

وهذه نسخة مرسومة كريم في المعنى ، بل هو أصرح في ذلك مما قبله ، كُتِبَ بِهِ
عند ظهور الفرج اللومارية والشوال بالبحر : من إنشاء الشيخ بدر الدين حبيب

الْحَلِيِّ ، وهو وإن لم يكن عن السلطان فإنه في معناه ، لقيام النائب بالملكية قيام
السلطان الذي أَسْتَنَاه ، وهو :

المرسوم بالأمر العالی أعلاه الله تعالى ، لازالت هراسمه النافذة تُبَلِّغُ أَهْلَ الْعِصَابَةِ
الْمُحَمَّدِيَّةَ غَايَةَ الْأَمَالِ ، وَأَوَامِرُهُ الْمَطَاعَةُ تَقْضِي بِكسر اللُّوسَارِيَّةِ وَشَيْنِ الشَّوَالِ ، أَنْ
تَتَقَدَّمَ الْعَسَاكِرُ الْمَنْصُورَةُ بِالْمَلِكَةِ الطَّرَابُلسِيَّةِ أَيْدِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ أَيْمِهِمُ الْقَاهِرَةِ ، وَأَدَّلَّ
بِسُيُوفِهِمُ الطَّائِفَةَ الْكَافِرَةَ ، بَارْتِدَاءً مَلَابِسِ الْجِهَادِ ، وَالتَّحَلِّيَّ بِمِرَاةِ الصَّبْرِ عَلَى اجْتِلَاءِ
الْجِلَادِ ، وَأَنْ يَجِيبُوا دَاعِيَ الدِّينِ ، وَيَكْفُوا أَيْدِيَ الْمُعْتَدِينَ ، وَيُقَوِّقُوا سِهَامَهُمْ ، وَيَجْعَلُوا
التَّقْوَى أَمَامَهُمْ ، وَيُسْرِعُوا رِمَاحَهُمْ ، وَيَحْمِلُوا سِلَاحَهُمْ ، وَيَوْمِضُوا بِرُوقِ السُّيُوفِ ،
وَيُرْسِلُوا نِيَالَ الخُتُوفِ ، وَيَهْدِمُوا بُيُوتَ الْكُفَّارِ ، وَيُطِيلُوا أَهْلَةَ الْقَيْسِ بَعْدَ الْأَوْتَارِ ،
وَيَهْضِمُوا جَانِبَ أَهْلِ الْعِنَادِ ، وَيَقَابِلُوا الْبَحْرَ بِمَلءِ بَحْرِ مِنَ الْجِيَادِ ، وَيَنْظُرُوا أَمْوَاجَهُ
بِأَمْوَاجِ النَّصَالِ ، وَيَقَاتِلُوا الْفِرْقَةَ الْفَرَّجِيَّةَ أَشَدَّ الْقِتَالِ ، وَلَا يَهْمِلُوهُمْ بِالنَّهَارِ وَلَا بِاللَّيْلِ ،
وَيُعِدُّوهُمْ مَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَلِيلِ ، وَيُنَوِّرُوا بِمَصَابِيحِ الرِّبَاطِ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ظُلَامَ الدُّجَنَةِ ، وَأَنْ يُصَارُوا وَيَصِيرُوا ، فَإِذَا اسْتَدْفِرُوا فَلْيَتَفَرَّوْا ،
وَيَبْلَغُوا فِي الْغُدُوِّ وَالرُّوْحِ لِيُبَلِّغُوا الرِّعْيَةَ مِنَ الْأَمْنِ أَمَانِيهَا . فقد قال صلى الله
عليه وسلم : «لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» . ويعتندوا على
الغريب المحيَّب ، ويجهتدوا في كَسْرِ أَصْلَابِ أَهْلِ الصَّلِيبِ ، وَيَنْفُسُوا فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ
وَيَدْعُوا الدُّنْيَا ، وَيَقَاتِلُوا لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَيَشْهَدُوا الْمَوَاقِفَ ، وَيَتَدَلُّوا
التَّالِدَ وَالطَّارِفَ ، وَيَبْرُزُ الْفَارْسُ وَالرَّاجِلُ ، وَيُظْهِرُ الرَّامِحُ وَالتَّائِلُ ، فَإِنَّ الْجِهَادَ ،
سَطْوَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى ذَوِي الْقَسَادِ ، وَنَقْمَتَهُ الْقَائِمَةَ عَلَى أَهْلِ الشَّرِكِ وَالْعِنَادِ ،
وهو مِنَ الْمَرُوضِ الْوَاجِبِ ، الَّتِي لَمْ تَزَلْ سِهَامَ أَحْبَابِهِ صَائِبَةً ، فَوَاطِبُوا عَلَى فَعْلِهِ ،

ولاتذهبوا عن مذهبهِ وَسُئِلَ ؛ وَأَطْلَبُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ بَرًّا وَبِحَرًّا ، وَقَسَمُوا بَيْنَهُمُ الْفِتَكَاتِ
قَتْلًا وَأَسْرًا ؛ وَفَاجِئْتُهُمْ بِمَكْرِهِ الْحَرْبِ ، وَأَنَجُوهُمْ بِرِسَالِ الطُّغَيْنِ وَالضَّرْبِ ؛ وَخَدُّوا
مِنَ الْكُفَّارِ بِالْيَمِينِ ، وَجِدُّوا فِي تَحْصِيلِ الرِّيحِ النَّمِينِ ؛ وَلَا زِمُوا النُّزُولَ بِسَاحِلِ الْبَحْرِ
لِمَنَازِلَةِ الطُّغَاةِ وَالْمُشْرِكِينَ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا
فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ وَسَابَقُوا الْأَعْتَةَ ، وَهَزُّوا أَعْطَافَ الْأَسْتِ ؛
وَسَمَّرُوا عَنِ سَاقِ الْعِزَامِ ، وَلَا تَأْخُذْكُمْ فِي اللَّهِ تَوَمَّةٌ لِأَمِّ ؛ وَأَتَّخِذُوا الْحِيَامَ مَسَاكِنَ ،
وَأَجْعَلُوا طُهُورَ الْخَيْلِ لَكُمْ مَوَاطِنَ ؛ وَأَنْصِبُوا الْأَلْوِيَةَ وَالْأَعْلَامَ ، وَأَطْفِئُوا بَحْرَةَ
النَّارِ بِمِغْوِطِ الْفَائِظَةِ لِلْإِسْلَامِ ؛ وَلَا تَحْشَوْا مِنْ جَمْعِهِمُ الْإِنْبِلَ إِلَى التَّقْرِيقِ ، وَحَشِدِهِمُ
الَّذِي هُوَ عَمَّا قَلِيلٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى غَرِيقَ ؛ وَلَا تَعْبَثُوا بِسُفُنِهِمُ الْبَحْرِيَّةِ ، فَإِنْ
سَفَنَكُمْ الْخَيْلُ الْمَخْلُوقَةَ مِنَ الرِّيحِ ؛ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَجَادِيْفِهِمُ الْخَشْيِيَّةِ ، فَإِنَّ
مَجَادِيْفَكُمْ السِّيُوفَ وَالرِّمَاحَ ؛ فَاقْلَمُوا قُلُوعَهُمْ ، وَشَقَّتُوا جُمُوعَهُمْ ؛ وَأَذْهِبُوا الْخَيْفَ
وَالْحَيْفَ ، وَخَاطَبُوهُمْ بِالسِّنَةِ السَّيْفِ ؛ وَأَوْقِدُوا فِي قُلُوبِهِمُ بِالْحَصِيصِ وَالْأَحْمَرِ
نَارًا ، وَأَدْعُوا اللَّهَ أَنْ لَا يَذَرَ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا ؛ وَنَكَّسُوا صُلَيْبَهُمُ
الْمَنْصُوبَ ، وَبَادَرُوا إِلَى حَرْبِ حَزْبِهِمُ الْمَغْلُوبِ ؛ وَأَرْفَعُوا بِالْيَقِينِ شَكَّ هَذِهِ الْمِخْنَةِ ،
وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً ، وَأَهْجَرُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ طَيْبَ الْمَنَامِ ، وَأَتَقَلُّوا الْأَقْدَامَ
إِلَى الْأَقْدَامِ ؛ وَأَكْشَفُوا عَنْكُمْ أَسْتَارَ الْمَلَالِ وَالْمَلَامِ ، وَأَهْتَمُّوا بِمَا يُعْبَى كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ
وَالسَّلَامِ ؛ فَلْيَرَفَعْتُمْ اللَّهَ إِلَى مَنَازِلِ الْعِزِّ وَالْتِمِيزِ ، ﴿ وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ
لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

الصَّنْفُ الرَّابِعُ

(من الكتب السلطانية الكُتُبُ فِي الْحَثِّ عَلَى لزوم الطاعة وَدَمَّ الخِلاَفِ)

قال في "مواد البيان" : طاعة السلطان والاعتقادُ إليه ، والرجوعُ إلى رأيه والاعتقادُ عليه ، أبدى الأسباب ، في استمرارِ الأتساقِ والاستِتابِ ؛ وهي فرضٌ أوجبه الله تعالى . فقال : (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) ولا تصح مملكةٌ ولا تنوم دَوْلَةٌ إلا بأمرين : أحدهما عدلُ السلطان ، والآخر طاعة الرعية له ؛ فحتى أرتفع أحدهما ، فسَدَ السَّائِسُ والمَسُوسُ . ولم تزل ملوك الأزمنة يقدمون إلى الرعايا لزوم الطاعة ، والاعتصامَ بحجَلِ الشريعة والنهي عن مفارقة الجماعة .

قال : والرسم فيها أن تفتح بالحمد لله على النعم في تأليف قلوب أهل الدين ، وجمع كلمة الموحدين ؛ ورعاية أهوائهم إلى الاتفاق ، وصيانة عصاهم عن الانشقاق ؛ والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم ، والتنبية على فضائل الطاعة ، فإنها العروة الوثقى ، والمعقل الذي لا يُرْفَى ؛ والحِصْنُ الحصين ، والكَنَفُ الأمين ؛ والحِجَى الأمتع ، والمَرْقَبُ الأرفع ؛ وأن مَنْ حافظ عليها فاز وسلم ، ورجح وغنم ؛ ومن فارقها خسر وخاب ، ونكَبَ عن سبيل الصواب ؛ وإيضاح مافي سبيل الطاعة من أتفاق الكلهم ، وانتظام شمل الأمة ؛ وشمول الخيرات ، وعموم البركات ؛ وعمارة البلاد ، وصلاح العباد ؛ وما في المشافقة من الفساد العام ، العائد بانتثار النظام ، وأثبات الخيل ، وتفريق الشمل ، واجتثاث الأصل ؛ وطعوس الديار ، وصيال الأشرار ، وأتصاع الأخيار ؛ وتوالي الفتن التي لا تُصِيبُ الظالم خاصة دون العادل ، ولا المشافق دون الموافق ؛ وحلول النوائب العزيلة للنعم ؛ وإتباع ذلك بما يجب من إعدار وإنذار ، وترهيب وترغيب ، وتذكير وتبصير ، ووعظ وتحويل ؛ وبثت العائساء

الحُصَفَاءُ، عَلَى رَذِيعِ الْجُهَلَاءِ السَّخَفَاءِ ؛ وَتَنْبِيهِ أَهْلِ السَّلَامَةِ وَالصَّلَاحِ ، عَلَى كَفِّ ذَوَى الْعَيْثِ وَالطَّلَاحِ ؛ إِلَى نَحْوِ هَذَا مِمَّا يَجَارِيهِ . وَأَنْ يَبَالِغَ فِيمَا يُورِدُهُ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي ، فَإِنَّ هَذِهِ الْكُتُبَ إِذَا كَانَتْ بَلِيغَةً مُسْتَوْفَاةً جَيِّدَةً الْعِبَارَةَ ، أَخَذَتْ بِجَمَاعِ الْقُلُوبِ ، وَأَغْنَتْ عَنِ السَّكَايِبِ فِي إِدْرَاكِ الْمَطْلُوبِ .



وهذه [مكتبات] في معنى ذلك أوردها أبو الحسين بن سعد في ترجمته ، وهي :
أما بعد ، فإن الله أقرض الطاعة وأوجبها ، وأمر بها ورغب فيها ، وجعلها عصمة من كل فتنه ، وضياء من كل شبهة ، وسلامة من كل هلكة ، وسببا للظفر بنجر الدنيا والآخرة ؛ من أراد الله به خيرا وفقه لها ، وألزمه المحافظة عليها والاعتصام بحبلها ؛ فتمجّل عزها وشرّفها ، وسعّتها وأمنّتها ؛ وأستحق السعادة في الدار الآخرة بها ، والمثوبة عليها .

آخر : وقد علمت ما جعل الله في الطاعة ولزومها ، والمحافظة عليها : من العز والمنة والأيد والقوة والفوز بنجر الدنيا والآخرة [وما] في خلافها من صنوف المخاوف ، وأنواع المتألف .

آخر : وقد كانت الطاعة أنانت بك على كلّ ظليل ، وأفضت بك إلى لين مهاد عند إقضاض المضاجع ، وصفاء المشارب عند تكدر المناهل ، وأتصال أمانة عند حدوث المخاوف ؛ حتى فعلت كذا وكذا .

آخر : فلم يترق من طاعته مارق ، ولا فارقها مارق ؛ إلا صرّح الله خذّه ، وأتسّر جدّه ؛ وخضد شوكته ، وأكذب ظنه وأمينته ، وجعله لسيف الله غمّضا ، ولأوليائه غنّمة .

آخر : والطاعة هي العروة الوثقى ، والطريقة المثلى ، والغنيمة لاهلها في الأخرى والأولى .

« عبد الحميد » : - فان الفتنة تنشرف لاهلها باتق منظر ، وأزبن ملبس ، تجر لهم أذيالها ، وتعدهم تناب لذاتها ، حتى ترمى بهم في حومات أمواجها ، مسلمة لهم : تبعهم الكذب وضمنهم الخدع ، فاذا لزمهم عضاضها ، ونقر بهم شماسها : تحلت عنهم خاذلة لهم ، وتبرأت منهم معرضة ، قد سلبوا أجل لباس دينهم ، وأستزلوا عن أحصن معاقل دنياهم : من الغناء البيى منظره ، الجليل أثره ، حتى تطرحهم في فضايح أعمالهم ، والإيجاف في التعب ، وسوء المقلب ، فمن آثر دينه على دنياه تمسك بطاعة ولاته ، وتحرز بالدخول في الجماعة ، تاركاً لأنقل الأمرين ، وأوئل الحالين .

« ابن عبد كان » ، في ذم الخلاف : - وإن فلانا كان عبدا من عبيدنا ، أعوره إنعامنا ، وتوه به إكرامنا ، وشرفه وآلؤنا ، وحسن عنده بآلؤنا ، وأبتينا له الأموال ، وأسبنا له الأعمال ، وأوطأنا عقبه الرجال ، فلم تقع النعم منه عند شاكر ، ولا الصنعة عند محتمل ، فلما رفع الله بمكاننا خبيسته ، وبلغه من شرف الذكر ونباهة القدر ، وأنباط يده ما كانت همته تعجز عنه ، وآماله تقصر دونه ، أضراه ذلك وأبطره ، وأطغاه وأكفره ، فأختال زاهياً ، وأستكبر عالياً ، وعذر باغيا ، وشاق عاصياً ، وأوضع في الفتنة لنا حرباً ، ولأعدائنا حرباً ، ولمن أنحرف عنا يداً ، ولمن مال إلينا ضداً ، من غير سبب أوجبه ، ولا أمر دعاه إليه ، فكان كما قال الله عز وجل في كتابه : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴾ ، وقاله : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ﴾ ، فلما ورد الخبر بما هيا الله لنا من الرجوع إلى القسط على الحال السائرة لأولائنا ، العائظة لأعدائنا ، سقط في يده ، وفكر في غليظ جريمه

وخيانته ، فأذاه الخوف الذى أستشعره ، والإشفاق الذى حَامَرَه ؛ إلى أن رَكِبَ عَظِيماً من الأمور ، وكاشف بالعَصِيْبَةِ والغُرُورِ ؛ مَكَاتِفاً أَعْدَاءَهُ ^(١) ، ومواليا ذوى العداوة والشَّارَهَ ؛ ورجو بحول الله وقُوَّتِهِ ، وإِرَادَتِهِ ومشيئته ، وما لم يَزَلِ اللهُ - تَقَدَّسَ اسْمُهُ - يُجَرِّيه عندنا من جميل عاداته فَيَمُنُّ سَفَهَ الحَقِّ ، وزَاغَ عن القَصْدِ ؛ أن يُبْسِلَ هذا الخائن بَجَائِثِ أَعْمَالِهِ ، وَيُسَلِّمَهُ لِقَبَائِحِ أَعْمَالِهِ ، وَأَنْ يَصْرَعَهُ بِأَسْوَأِ مَصَارِعِ أَمْثَالِهِ ؛ فَإِنَّ أَحَدًا لم يَحْمَدِ النِّعْمَةَ ، إِلَّا اسْتَدْعَى النِّقْمَةَ ؛ ولم يُدْعِ الشُّكْرَ ، وَيَسْتَعْمَلَ الكُفْرَ ؛ إِلَّا كَانَتِ العِتْرَةُ مِنْهُ قَرِيْبَةً ، وَالبَلَايا مَحِيْطَةً ؛ فَوَلَا لِأَيِّدُلِّ رَسْمَهُ وَلَا يُحَوَّلُ .

من كتاب موسى بن عيسى .

أما بعد ، فإنَّ أَمْرًا لو خَلَّصَ مِنْ فَلَائِحِ الخَطِّ وَخَطُوطِ المَلَأِ ، بِفَضِيْلَةِ رَأْيِ وَلطَافَةِ بَصَرِ بالأُمُورِ ، كُنْتَ أَهْجِيْ بِذَلِكَ دُونَ أَهْلِ زَمَانِكَ ، لِذِي بَحْرَتِ لَكَ عَلَيْهِ تَصَارِيْفِ التَّبَعِ ، وَنَعْرَضَتْ لَكَ بِهِ وَجوهُ العِبَرِ ؛ وَلَمَّا اسْتَقْبَلْتَ مِنْ مَوَارِدِ أُمُورِ نَفْسِكَ ، وَتَعَقَّبْتَ مِنْ مَصَادِرِ أُمُورِ غَيْرِكَ ؛ وَلَكِنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا جَعَلَ لَهُ مِنْ قَضَائِهِ سَبِيْبًا ، وَمِنْ مَقَادِيرِهِ عِلَلًا ؛ فَمِنْ مَقَادِيرِ عِلَلِ البَلَاءِ نَضِيْعُ المَعْرِفَةِ ، وَالعِنَاءُ مَا تُفِيْدُهُ التَّجْرِبَةُ ؛ وَمِنْ أَسْبَابِ السَّلَامَةِ الأَنْبِيَاءُ بِالعِبَرِ ، وَالأَسْتِدْلَالُ بِمَا كَانَ عَلَى مَا يَكُونُ . وَأَنْتَ أَمْرٌ بَحْرَتِ لَكَ وَعَلَيْكَ انْحَاءٌ مِنَ النِّعْمِ ، وَأَنْحَاءٌ مِنَ المَحْجَجِ ، عَرَفْتَ بِهَا مَا لَكَ وَعَلَيْكَ ؛ فَانْ تَأْخُذْ بِهَا ، عَرَفْتَ كَيْفَ تَسْلُكُ مَسَالِكَهُ ، وَإِنْ تَدَّعِ الأَخْذَ بِذَلِكَ ، تَدَّعَى عَلَى عِلْمٍ . وَقَدْ رَأَيْتَ الَّذِي آتَقَدَّتْ لَكَ بِهِ النِّعْمَةُ ، وَوَهِيَتْ لَكَ بِهِ العَاقِبَةُ ؛ فَمَا أَلْهَمَكَ اللهُ مِنْ طَاعَةِ وِلَاةِ أُمُورِكَ ، وَالصَّبْرِ لَهَا عَلَى مَوَاهِنِ الحَقِّ الَّتِي رَفَعَ اللهُ بِهَا ذِكْرَكَ ، وَأَحْسَنَ عَلَيْهَا عُنُقَكَ وَذُنُوكَ ؛ فَلَمْ تَمُضْ بِكَ فِي طَاعَتِهِمْ رُتْبَةً ، إِلَّا قَرَّبَكَ اللهُ بِهَا فِي الخَلِيْرِ عَقْبَهُ ، وَلَا تَبْدُلُ مِنْ نَفْسِكَ نُصْحًا ، إِلَّا أَوْجِبَ

(٢) الملاءمات مناه الظن والطمع .

(١) يباض في الأصل رنله الامارة .

لك به مُجْحَبٌ ، ولم تَقْتَأْ تَوَاتُرَ ذَلِكَ : من مناصحتك وحُسنِ طاعتك ، حَتَّى طَلَّتْ بِهَا عَلَى مَنْ طَاوَلَتْ ، وَقَضَلَتْ بِهَا مِنْ فَاضِلِّكَ ، وَجَرِيَتْ مَمْدُودًا عِنَانُكَ إِلَى قُصُوبِ غَايَاتِ أَمَلِكَ ، فَاصْبَحَتْ قَرِيحَ الْمَسَامِينِ ، بَعْدَ خَلِيفَةِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَخَيْرَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ ، بَعْدَ ذَوِي الْقُضَلِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، حَتَّى مَالَكَ مِنْ رِجَالِ الْعَرَبِ نَظِيرَ فِي مَنَزِلَةٍ ، وَلَا نَدِيدَ فِي حَالٍ وَلَا رُتْبَةٍ ، بَلْ هُمْ فِيكَ رِجَالَانِ : إِمَّا رَأَيْبٌ مِنْكَ ، وَإِمَّا رَاغِبٌ فِيكَ .

قلت : وهذا الصنف من المكاتبات السلطانية مستمر الكتابة إلى زماننا . فما زالت الملوك يكتبون إلى من يَخْتَلُونَ مِنْهُ خَلَعَ الطاعة من التوابع ومن في معناهم ، وَيُحْتَوِنُهُمْ عَلَى لُزُومِ الطاعة ، وَيُحَذِرُونَهُمْ الْمَخَالَفَةَ وَالخُرُوجَ عَنِ الْجَمَاعَةِ .



ومن ذلك ما كتب به الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي إلى مملوك سبيس عند كَسْرَةِ التتار ، بَعْدَ قِيَامِهِ مَعَهُمْ فِي الْمَصَافِ ، وَسَاعَدَتِهِ إِيَّاهُمْ ، وَهُوَ :
بَصَّرَهُ اللَّهُ بِرُشِيدِهِ ، وَأَرَاهُ مَوَاقِعَ غِيَّةٍ فِي الْإِصْرَارِ عَلَى مَخَالَفَتِهِ وَنَقْضِ عَهْدِهِ ، وَأَسْأَلُهُ بِسَلَامَةِ نَفْسِهِ عَمَّنْ رَوَعَتْهُ السُّيُوفُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِقَعْدِهِ .

صدرت تُعْرِفُهُ أَنَّهُ قَدْ مُحَقَّقٌ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْعَدُوِّ الَّذِي دَلَّاهُ بِغُرُورِهِ ، وَحَمَلَهُ التَّمَسُّكَ بِخِدَاعِهِ عَلَى مِجَانِبَةِ الصَّوَابِ فِي أُمُورِهِ ، وَأَنَّهُمْ أَسْتَجَدُّوْا بِكُلِّ طَائِفَةٍ ، وَأَقْدَمُوا عَلَى الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِنُفُوسِ طَامِعَةٍ وَقُلُوبِ خَائِفَةٍ ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَقَامُوا مَدَّةً يَسْتُرُونَ الْمَخَادِعَةَ بِالْمَوَادِعَةِ ، وَيُسِرُّونَ الْمُصَارِمَةَ فِي الْمَسَالِمِ ، وَيُظْهِرُونَ فِي الظَّاهِرِ أُمُورًا ، [وَيُدْبِرُونَ فِي الْبَاطِنِ أُمُورًا] ^(١) وَيَعِدُّونَ كُلَّ طَائِفَةٍ مِنْ أَعْدَاءِ الدِّينِ وَيَمْتُونَهُمْ وَمَا يَعْلَمُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ، وَكَمَا بَمَكْرِهِمْ تَالِمِينَ ، وَعَلَى مَعَاجِلَتِهِمْ عَامِلِينَ ، وَحِينَ

(١) الزيادة عن "حسن التوسل" (ص ٩٧) .

ثَبِينَ مَرَادُهُمْ، وَتَكَلَّلَ أَحْتَشَادُهُمْ؛ أَسْتَدْرَجْتَاهُمْ إِلَى مَصَارِعِهِمْ، وَأَسْتَجَرَرْتَاهُمْ لِيَقْرَبُوا فِي الْقَتْلِ مِنْ مَضَاجِعِهِمْ، وَيَبْعَدُوا فِي الْهَرَبِ عَنِ مَوَاضِعِهِمْ؛ وَصَدَمْتَاهُمْ بِقُوَّةِ اللَّهِ صَدْمَةً لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ بِهَا قِتْلٌ، وَحَلَمْنَا عَلَيْهِمْ حَمَلَةً أَلْهَامًا طَوْفَانًا إِلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ: وَهَلْ يَعْصِمُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ جَبَلٌ؟ فَحَصَرْتَاهُمْ فِي ذَلِكَ الْفِضَاءِ الْمَتَّيْعِ، وَضَايَقْتَاهُمْ كَمَا قَدْ رُؤِيَ وَمَرَقْتَاهُمْ كَمَا قَدْ سَمِعَ؛ وَأَنْزَلْتَاهُمْ عَلَى حُكْمِ السَّيْفِ الَّذِي نَهَلَ مِنْ دِمَائِهِمْ حَتَّى رَوَى وَأَكَلَ مِنْ لُحُومِهِمْ حَتَّى شَبِعَ؛ وَتَبِعْتَهُمْ جِيُوشَنَا الْمَنْصُورَةَ تَحْتَظُّفُهُمْ رِمَاحُهَا، وَتَسْلَقُهُمْ صِفَاحُهَا؛ وَيُدَدُهُمْ فِي الْقَلَوَاتِ رُغْبِهَا، وَيَفْرَقُهُمْ فِي الْقِفَارِ طَعْنُهَا الْمُتْدَارِكُ وَضَرْبُهَا؛ وَيَقْتُلُ مَنْ قَاتَ السِّيُوفَ مِنْهُمْ الْعَطَشُ وَالْجُوعُ، وَيُحْيِي لِلْحَيِّ مِنْهُمْ أَنْ مَوْضِعَهُ كَالدُّنْيَا الَّتِي لَيْسَ لِلْحَيِّ إِلَيْهَا رَجُوعٌ؛ وَلَعَلَّه قَدْ رَأَى مِنْ ذَلِكَ فَوْقَ مَا وَصَفَ عِيَانًا، وَتَحَقَّقَ مِنْ كُلِّ مَا جَرَى مَا لَا يَحْتَاجُ أَنْ تَزِيدَهُ بِهِ عِلْمًا وَلَا تُقِيمَ عَلَيْهِ بُرْهَانًا.

وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَمْرَ هَذَا الْعَدُوِّ الْمَخْذُولِ مَا زَالَ مَعْنَى هَذِهِ الْوَيْبَةِ، وَأَنْهُمْ مَا أَقْدَمُوا إِلَّا وَنَصَرْنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ؛ وَمَا سَاقْتَهُمُ الْأَطَاعُ فِي وَقْتٍ مَا إِلَّا إِلَى الْخُتُوفِهِمْ، وَلَا عَادَمْتُهُمْ قَطُّ فِي وَقْعَةٍ إِلَّا أَحَادٌ يُخْبِرُ عَنْ مَصَارِعِ الْوُفُهِمْ؛ وَلَقَدْ أَضَاعَ الْحَزْمُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَسْتَدِمَّ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ [بِطَاعَتِنَا] الَّتِي كَانَ فِي مِهَادِ أَمْنِهَا، وَوَهَادِ يُمْنِهَا؛ وَحِمَايَةِ عَفْوِهَا، وَبَرْدِ رَأْفَتِهَا الَّتِي كَدَّرَهَا بِالْمُخَالَفَةِ بَعْدَ صَفْوِهَا؛ يَصُونُ رَعَايَاهُ بِالْإِطَاعَةِ عَنِ الْقَتْلِ وَالْإِسَارِ، وَيُعِي أَهْلَ مِلَّتِهِ [بِالْحَدَّرِ عَنِ الْحَرَكَاتِ] الَّتِي مَا نَهَضُوا إِلَيْهَا إِلَّا وَجَرُوا ذُبُولَ الْخَسَارِ؛ وَلَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ وَأَصْحَابَهُ لِسِيُوفِنَا الَّتِي كَانَ مِنْ سَطَوَاتِهَا فِي أَمَانٍ، وَوَقَّعَ بِمَا ضَمَّنَ لَهُ الْبِتَّارُ مِنْ نَصْرِهِ وَقَدْ رَأَى مَا آلَ إِلَيْهِ [أَمْرًا] ذَلِكَ الضَّيَانُ؛ وَجَرَّلَ نَفْسَهُ بِمَوْلَاةِ النَّارِ عَنَاءً كَانَ عَنْهُ فِي غَيْبِهَا، وَأَوْقَعَ رُوحَهُ بِمُظَاوَرَةِ الْمُغْلِ فِي حَوْمَةِ السِّيُوفِ الَّتِي تَحْتَظُّفَتْ

(١) بياض بالأصل والتصحيح عن "حسن التوسل" (ص ٩٨) .

أولياءه من هنا ومن هنا، وأقتحم بنفسه مواردَ هلاكٍ سلبت رداءَ الأيمن عن منكبيه، وأغترَّ هو وقومه بما زينَ لهم الشيطانُ من غروره ﴿فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ وما هو والوقوفُ في هذه المواطنِ التي تتزلزلُ فيها أقدامُ الملوكِ الأكاسره؟ وأتى لضعافِ التقادِ قُدرةً على البشاةِ لوثباتِ الأسودِ الضاريةِ والثبوتِ الكاسره؟ لقد أعترض بين السهمِ والهدفِ ببحره، وتعرض للوقوفِ بين نابِ الأسدِ وطُفْره؛ وهو يعلمُ أننا مع ذلك نرعى له حقوقَ طاعةِ أسلافِهِ التي ماتوا عليها، ونحفظُ له خدمةَ آبائه التي بذلوا نفوسهم ونفائسهم في التوصلِ إليها، وتجريةِ وأهلِ بلاده مجرى أهلِ ذمتنا الذين لا تُؤسبهم من عَفْوِنَا ما استقاموا، ونسلكُ فيهم حُكْمَ مَنْ في أطرافِ البلادِ من رعايانا الذين هم في قبضتنا: تزحوا أو أقاموا؛ ونحن نتحققُ أنه ما بيني وبيننا ملازمةٌ رِبْقَةُ الحَنْفِ خُناقَه، ولا يرجعُ يوردُ نفسه في مواردِ الهلاكِ وهل يرجعُ إلى الموتِ مَنْ ذاقَه؟ فيستدركُ بابَ الإجابةِ قبلَ أن يُغلقَ دونه، ويصونُ نفسه وأهله قبلَ أن تبدلَ السيوفُ الإسلاميةُ مَصُوبَةً؛ ويبادرُ إلى الطاعةِ قبلَ أن يبدلها فلا تُقبلَ، ويتمسكُ بأذيالِ العفوِ قبلَ أن تُرفعَ دونه فلا تُسبَلُ؛ ويعجلُ بحملِ أموالِ القطيعةِ وإلا كانَ أهله وأولاده في جملةِ ما يحملُ منها إلينا، ويسلمُ مقايحَ ما عداَ عليه من فتوحنا وإلا فهو يعلمُ أنها وجميعُ ما تأخرَ من بلاده بين يدينا؛ ويكونُ هو السببُ في تَمزُّقِ شملِهِ، وتفرُّقِ أهله، وقُلُوعِ بِنْتِهِ من أصلِهِ؛ وهذمِ كئاسِهِ؛ وأبتذالِ نفسه ونفائسِهِ؛ وأسترقاقِ حُرْمِهِ؛ وأستخدامِ أولاده قبلَ خَدَمِهِ؛ وأستفلاقِ قِلاصِهِ، وإحراقِ رُبُوعِهِ ورباعِهِ؛ وتعميلِ رؤيةِ ما وُعدَ به قبلَ سماعِهِ. ومنَ لغازانِ أن يُجَابَ إلى مثلِ ذلك، أو يُسَمَّحَ له مع الأيمنِ من سيوفنا ببعضِ ما في يده من الممالكِ؛ لِيُتَفَعَّعَ بما أهتتْ جيوشنا المؤيدةُ في يده من الخليلِ والخولِ، ويعيشَ

في الأيمن ببعض ما نسمح له به ومنّ للمؤرّ بالحوّل ؛ والسيوف الآن مُصْفِيَةٌ لِأُجُوبِهِ لَتَكْفُفِ إِنْ أَبْصَرَ سَبِيلَ الرِّشَادِ ، أَوْ نَتَمَوَّضَ بِرَبُّوسِ حُمَاهِ وَكَلْبِهِ عَنِ الإِعْتِمَادِ إِنْ أَصْرَّ عَلَى العِبَادِ ، وَالخَيْرُ يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

الصنف الخامس

(من الكتب السلطانية الكُتُبُ إِلَى مَنْ نَكَّتَ المَهْدَ مِنَ المَخَافِينَ)

قال في "موادّ البيان" : إذا نقض مُعَاهِدٌ عَهْدَهُ ، أَوْ نَفَّضَ مِنْ شُرُوطِ الهُدْنَةِ يَدَهُ ؛ فالرسم أن يصدّر ما يكتابُ به بالحمد لله تعالى على موهبتِه في إظهار الدين ، وإعزاز المسلمين ؛ وما تَكَفَّلَهُ مِنَ النُّصْرَةِ عَلَى البَاغِينَ ، ووَعَدَهُ بِهِ أَهْلَ العَدْلِ مِنَ الإِدَالَةِ وَالتَّمَكُّنِ ؛ وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ ؛ وَإِبْرَادِ طَرْفٍ مِنْ مَعْجَزَاتِهِ وَفَضَائِلِهِ ، وَأَيَاتِهِ وَمَتَابِقِهِ ؛ الَّتِي تَخُورُ فِي هَذَا النِّظَامِ ، وَتَلِيقُ بِهَذَا التَّمَطُّ مِنَ الكَلَامِ ؛ ثُمَّ يُتَّبَعُ ذَلِكَ بِمُقَدِّمَةٍ تَدُلُّ عَلَى مَتَانَةِ البَصَائِرِ فِي الدِّينِ ، وَوَأَقَةِ العُقَاثِدِ فِي إِذَالَةِ المُخَادِنِ ؛ وَمَضَاءِ العِزَامِ فِي مَجَاهِدَةِ المُتَعَدِّينِ ، وَالأَسْتَظَالَةِ عَلَى المَعَانِدِينَ ؛ مَعَ مَا تَضَمَّنَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ نَصْرِهِ وَإِظْفَارِهِ ، وَوَعَدَهُ بِهِ مِنْ تَأْيِيدِهِ وَإِقْرَارِهِ ؛ وَسَهْلُهُ مِنْ إِهْوَاءِ الأَهْوِيَةِ إِلَيْهِ ، وَجَمْعِ الكَلِمَةِ عَلَيْهِ ؛ بِمَا خُوِّلَهُ مِنْ بَأْسٍ وَشِدَّةٍ ، وَعَدِيدِ وَعُدَّةٍ . وَمَا يَلِيْقُ بِذَلِكَ مِمَّا يُعْرَبُ بِهِ عَنِ عُلُوِّ السُّلْطَانِ ، وَوُقُورِ الإِخْوَانِ ؛ وَأَتْسَاعِ القُوَّةِ وَالأَيْدِ ، وَصِدْقِ العِزْمِ وَالجِدِّ . ثُمَّ يَذْكَرُ الحَالُ الَّتِي آتَعَقَدَتِ الهُدْنَةُ عَلَيْهَا ، وَأَنَّ الإِجَابَةَ إِلَيْهَا لَمْ تَقَعْ قَصُورًا عَنْ غَزْوِهِمْ فِي عُثْرِ دَارِهِمْ ، وَتَشْرِيدِهِمْ بِالغَارَاتِ المَبْتُوتَةِ بَرًّا وَبِحَرًّا عَنْ قَرَارِهِمْ ؛ وَإِنَّمَا قَبُولُ المَسْأَلَتِهِمْ ، وَآمْتِنَالًا لِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى فِي مُسْأَلَتِهِمْ . وَيَأْخُذُ فِي تَعْدِيدِ الوُقُوعِ الَّتِي أَوْقَعَهَا أَهْلُ الإِسْلَامِ بِهِمْ ؛ وَالمَشَاهِدِ الَّتِي نَصَرَ اللهُ تَعَالَى فِيهَا عَلَيْهِمْ ، وَالمَعَاقِلِ المُتَّزِعَةِ مِنْ أَيْدِيهِمْ ؛

وأن تلك المزائم مُضْطَرَمَةٌ مُتَوَقَّدَةٌ ، وتلك السيوف مُشْحَدَةٌ مُهْنَدَةٌ ؛ وأن الله تعالى قد أباح حرم من نقض عهده ، ونقض من الذمام يده ؛ وأن كتاب الله مَوْجِفَةٌ وراء هذا الكتاب ، في جيش يُلْحَقُ نَحَبَتِ بِالْهَضَابِ ؛ ما لم يكن منهم مبادرة إلى الإفلاع والإنايه ، ومكاتبَةٌ في الصَّفْحِ وَالْأَسْتَابَةِ ؛ وأنه قد قَدَّمَ الْأَعْذَارَ ، وبدأ قبل الإقدام بالإنذار ؛ وما يقتضيه الحال من هذا ومثله .

قال : فإن كان الكتاب جواباً عن كتاب وردّ ، أوجب بما ينقضه ، وبُئِيَ الْأَمْرُ فيه على ما يسطر أهية ، ويدعو إلى التزول على أحكام الطاعة . ويختلف الحال في ذلك باختلاف الأمور الحادثة ، والأسباب العارضة ؛ فينبغي للكتاب أن يَحْتَأِطَ فيما يطلق به قلمه من هذه المعاني الخطيرة : لأنها مزاحمة بالدول والملك ، ومُجِجٌ تحصل من كل دولة عند الآخرين ؛ ودرك ما يقع فيها عائدٌ عليه ، ومنسوب إليه .



وهذه نسخة كتاب كُتِبَ به عن الحافظ لدين الله الخليفة الفاطمي بالديار المصرية ، إلى يهرام النصارى الأرمني الذي كان آستوزره ، ثم خرج عليه رضوان بن ونحشى ، أرتاعاما للدين ، لتحكّم نصارى في أهل الملة ، وولي الوزارة مكانه ؛ فقرأ هارباً إلى الشام نافضاً للعهد ، وكتب إلى الحافظ يطلب أهله وجماعته من الأرمن الذين كانوا معه في جملة جنيد الديار المصرية ، مظهرًا للطاعة والرغبة إلى التخلّي عن الدنيا ، والانتقطاع في بعض الديرة للتعبّد مكرًا وخديعة ؛ فكُتِبَ له بذلك جواباً عن كتابه الوارد منه ، ونص ما كتب إليه :

عُرِضَ بِحَضْرَةِ أمير المؤمنين الكتاب الوارد منك أيها الأمير ، المقدم ، المؤيد ، المنصور ؛ عن الخلافة وتتمسها ، تاج الملكة ونظامها ؛ فخرُ الأمراء ، شيخ الدولة

وحمادها ، ذُو المَجْدِبِينَ ، مصطفى أمير المؤمنين . ووقف على جميعه ، وأستولى بحكمه على مضمونه .

فأما ما وَسَّعَتِ القَوْلَ فِيهِ وَبَسَطَتْهُ ، وَتَفَسَّحَتْ فِيهَا أوردته منه وذَكَرْتَهُ ؛
مما غَوَاهُ ومَحْصُولُهُ ما أنت عليه من الطاعة ، والولاء والمشايمة ؛ والأعترافِ بِتَمِّمِ
الدولة عليك ، والإقرار بإحسانها إليك ؛ فَلَعَمْرُ أمير المؤمنين إن هذا الذي يليق بك
ويَحْسُنُ مِنْكَ ، وَيَحْسُنُ أَنْ يَرِدَ عَنْكَ ، ويجب أن يعرف لك ؛ وقد كانت الدولة
أَسْلَفَتْكَ مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ قديما ، وتقلتك في درجة التَّوْبِيهِ حديثا ؛ حتى رفعتك إلى
أعلى المراتب ، وبلغتك ما لم تَسْمُ إِلَيْهِ هِمَّةُ طَالِبٍ ؛ وَأَوْطَأَتِ الرِّجَالَ عَيْبَكَ ، وجعلت
جميع أهل الدولة تَبَعَكَ ؛ مما أغنى أَعْرَافَكَ به عن الإطالة بشرحه ، والإطناب
في ذِكْرِهِ .

وأما ما ذَكَرْتَهُ مما كان أمير المؤمنين أعطاك التَّوْتِيَةَ عَلَيْهِ ، فأجابك منه إلى ما رغبت
فيه ، فاستقر بينه وبينك في معناه ما أطمأنت إليه ؛ فلم يزل أمير المؤمنين على
الوفاء باطنا وظاهرا ، ونية وعلانية ؛ وأعتقاده أن لا يَرْجِعَ عنه ، ولا يُغَيِّرَ ما أحكمه
منه ؛ وإنما حال بينه وبين هذا المراد أن كافة المسلمين في البعد والقرب غَضِبُوا
لِمَلَّتِهِمْ ، وَاَمْتَعَضُوا مما لم تجر به عادة في شريعتهم ؛ وَتَفَرَّتْ نفوسهم مما يعتقدون
أن الصبر عليه قَادِحٌ في دينهم ، ومضاعف لآلامهم ؛ وأنه ذَنْبٌ لا يُنْفَرُ ، وَيُزْرُ
لا يُجَبَّأَرُ ولا يُصْفَحُ [عنه] حتى إن أهل المَشْرِقِ أخذوا في ذلك وأعطوا ، وعزموا
على ما اتفقوا عليه مما صرفه الله وكفى مشوته والأشتغال به .

وأما ما أَلْتَمَسْتَهُ مِنْ تَسْيِيرِ مَنْ بِالْبَابِ مِنْ طَائِفَتِكَ إِلَيْكَ ، فهذا أمر لا يسوغ
ولا يمكن فعله ، ولو جاز أن يُؤَمَّرَ به لمنع المسلمون منه فلم يَفَسَّحُوا فِيهِ . والآن فلن

يَحْلُو حَالُكَ مِنْ أَحَدِ قَسْمَيْنِ : إِمَّا أَنْ تَكُونَ مُتَعَلِّقًا بِأُمُورِ الدُّنْيَا وَغَيْرِ مُنْفَصِلٍ عَنْهَا ،
فَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُحْيِيكَ فِي وِلَايَةِ أَحَدِ ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ : إِمَّا قُوصَ ، أَوْ إِنْجِمْ ، أَوْ أَسْبُوطَ ؛
فَأَيُّهَا أَحْتَرْتُ وَأَلَاكَ إِيَّاهُ ، وَرَدَّ أَمْرَهُ وَالنَّظَرَ فِيهِ إِلَيْكَ ؛ عَلَيَّ أَنْ تَقْتَصِرَ مِنَ الَّذِينَ
مَعَكَ عَلَيَّ نَحْسِينَ أَوْ سِتِينَ فَارِسًا ، وَتُسَيِّرَ الْبَاقِينَ إِلَى الْبَابِ لِيُجْرُوا عَلَيَّ عَادَاتِهِمْ ،
وَرُسُومِهِمْ فِي وَاجِبَاتِهِمْ وَإِقْطَاعَاتِهِمْ ؛ إِذْ كَانُوا عَيْدَ الدَّوْلَةِ وَمُنْقَلِبِينَ فِي فَضْلِهَا ،
وَأَكْثَرَهُمْ مُتَوَلِّدُونَ فِي ظِلِّهَا . وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ عَلَيَّ الْقَضِيَّةَ الَّتِي مَا زِلْتُ تَذْكُرُ رَغْبَتَكَ
فِيهَا وَإِنِّي أَرَاكَ لَهَا : مِنَ التَّخَلِّيِّ عَنِ الدُّنْيَا وَلِزُومِ أَحَدِ الدَّيْرَةِ ، وَالْإِقْطَاعِ إِلَى الْعِبَادَةِ ؛
فَإِنْ كُنْتَ مَقِيمًا عَلَيَّ ذَلِكَ فَتَخَيَّرْ ضَيْعَةً مِنْ أُمَّةِ الضَّيَاعِ سِتَّتَ يَكُونُ فِيهَا دَيْرٌ تَقِيمُ فِيهِ
وَتَقْطَعُ إِلَيْهِ ؛ فَتُعَيِّنِ الضَّيْعَةَ لِيَجْعَلَهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَسْوِيًا لَكَ مُؤَبَّدًا ، وَإِقْطَاعًا
دَائِمًا مُخَلَّدًا ؛ وَتَجْرَى بِجَرَى الْمَلِكِ ، وَيُكْتَبُ لَكَ بِذَلِكَ مَا جَرَتْ الْعَادَةُ بِمِثْلِهِ ، مِمَّا تَطْمَئِنُّ
إِلَيْهِ وَتَسْتَحْكَمُ ثِقَّتَكَ بِهِ . وَإِنْ أَيْتَّ الْقَسْمَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ . وَلَمْ يُرِضْكَ الْأَوَّلُ مِنْهُمَا ،
وَلَا رَغِبْتَ فِي الثَّانِي ، فَتَحَقَّقْ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ بِأَجْمَعِهِمْ ، وَكَأَقْتِهِمْ وَأَنْسَرَهُمْ ؛ وَكُلٌّ مِنْ يَتَوَلَّى
بِالشَّهَادَتَيْنِ : مِنْ قَاصٍ وَدَائِنٍ ، وَقَرِيبٍ وَبَعِيدٍ ، وَكَبِيرٍ وَصَغِيرٍ ، يَنْفِرُونَ إِلَيْكَ ، وَيَتَّقِفُونَ
عَلَيَّ الْقَصْدَ لَكَ ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِي التَّوَجُّهِ تَحْوِكَ ؛ وَهُوَ عَمَلٌ دِينِيٌّ ، لَا يُرِشُهُ أَمْرٌ دُنْيَوِيٌّ ؛
فَتَأْمَلْ مَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْإِجَابَةُ مِنَ الْأَقْسَامِ ، وَطَالِعْ بِمَا عِنْدَكَ فِي ذَلِكَ .

قُلْتُ : وَهَذَا الصَّنْفُ مِنَ الْمَكَاتِبِ السُّلْطَانِيَّةِ لَا وَجُودَ لَهُ فِي زَمَانِنَا لَعَدَمِ وَقُوعِ
الْهُدَنِ الْمُرْتَبِ عَلَيْهَا هَذَا الصَّنْفُ مِنَ الْمَكَاتِبِ ؛ فَإِنْ أَحْتَجِجُ إِلَى ذَلِكَ مَشَاءَ الْكَاتِبِ
عَلَى الْقَاعِدَةِ الْقَدِيمَةِ الْمَتَّقِمَةِ .

الصفحة السادسة

(من الكتب السلطانية ، الكتب إلى من خلع الطاعة)

قال في "مواد اليان" : وهذه الكتب تختلف رسومها بحسب اختلاف أقدار المكاتبين وأحوالهم في الخروج عن الطاعة . قال : وجمع أوضاعها كلها في قانون كلي عسير المرام ، إلا أننا نرسم فيها رسوماً يمكن الزيادة فيها والنقص منها . ثم قال : والعادة أن تنفذ هذه الكتب إلى من تُرجى إجابته ، وتؤمل مراجعته . فإما من وقع الإيأس من استصلاحه ، ودعت الضرورة إلى كفاحه ، فلا حاجة إلى معاتبته ، ولا وجه لمكاتبته .

قال : والرسم فيها أن تفتتح بالتحميد المناسب لمعنى الكتاب ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، بما يدعوا إلى إيناسه ، ويزيل أسباب استيغاثته ، ويعود بنات جاشه ، ويبعثه على مراجعة فكره ، ومعاودة النظر في أمره ، ويدكره ما أسدى من العوارف إليه ، وأفيض من النعم عليه ، وأنه لا ينفر سرها بجهلها وكفرها ، ويوحش ربعها بإهمال حمدتها وشكرها ، ويربطها بحسن الطاعة ، ويستزنها بالتأدب في التباعة ، ولا يحز الوبال إلى نفسه بالخروج عن العصمه ، في عاجل ذم الوضمة وفي أجل ألم النقمه . ويصبره بمقابته ومن يليه من ذوى الجند بما يقتضى رب الإنعام لديهم ، وإقرار الفضل عليهم ، وأن يسلبهم ملابس الظل الظليل ، وأن يعظلمهم من حلى الرأى الجميل ، ويتذرع في أثناء ذلك بشعار التفاق ، ويتسم بيسم الشقاق ، ويتعجل إزعاجه من داره ، وبعده من قراره ، وهدم ماشيده الإخلاص من ذكره ، وتقويض ما رفعت الطاعة من قدره ، ويعود بعد أن كان مجاهداً عن الحوزة مجاهداً بحدتها ، وبعد أن كان مرامياً عن السدة مرماً بيدها ، ويضع

مَا أُسْدِيَ إِلَيْهِ ، وَأُفِيضَ مِنَ الْإِحْسَانِ عَلَيْهِ ، وَمَا ذَهَبَ مِنَ الْيَقِينِ فِي تَدْرِيجِهِ إِلَى مَرَاتِقِ
السِّيَادَةِ ، وَمِنَ الرَّغَائِبِ فِي الْخَافَةِ بِأَهْلِ السَّعَادَةِ ، وَلَا يَفْتَرُّ بِنِزْرٍ لَهُ عَاجِلَ الْآجِلِ ،
وَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِمَجْدِجِ الْبَاطِلِ ، وَيَجْعَلُ أَقْوَالَهُمْ دَبْرَ سَمْعِهِ ، وَيُبْعِدُ اشْتَغَالَهُمْ عَنْ نَظَرِهِ ،
نَاطِرًا فِي عَاقِبَتِهِ ، وَحَارِسًا مُهَجَّجَةً ، وَرَاغِبًا فِي حَقِّ دَمِهِ ، وَصِيَانَةً حُرْمَةً ، وَلِيَرْجِعَ
إِلَى النِّمَاءِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يُحْرِزُهُ ، وَالْكَفِّفِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يُعِزُّهُ ، وَلَا يَجْعَلُ مُسْأَلَهُ بِالْعُنُودِ
مَنَازِعًا ، وَمُواصَلَهُ بِالْحُجُودِ مَقَاطِعًا ، وَوَاهِبَهُ بِالْكَفْرِ سَالِيًا ، وَمَطْلَعَهُ بِالنِّعْمَةِ بِضِيَاعِهِ
حَقِّهَا مَقَرِّبًا ، وَقَدْ بَقِيَ فِي الْحَبْلِ تَمْسِكُ ، وَفِي الْأَمْرِ مُسْتَدْرِكُ ، لِأَنَّ يَهْبَ مِنْ رَقْدَتِهِ ،
وَيَسْتَبْدِلُ مِنْ لِفَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِلِقَاءِ حَضْرَتِهِ . ثُمَّ يَقُولُ : فَإِنْ كَانَ مَا جِئْنَا بِهِ قَدْ هَدَّ
سُرْبَهُ ، وَكَدَّرَ شِرْبَهُ ، وَأَحْسَنَ فِي نَفْسِهِ سُوءَ الظَّنِّ ، وَأَخَافَهُ بَعْدَ الْأَمْنِ ، فَلْيَبْعَثْ
رَسُولَهُ يَسْتَوْثِقُ وَيُعَاقِدُ ، وَيَتَوَكَّدُ وَيُعَاهِدُ ، فَإِذَا عَادَ إِلَيْهِ بِمَا يَمَلَأُ قَوَادِهِ أُمْنًا ،
وَيَكُونُ عَلَيْهِ حِصْنًا ، سَارِعًا إِلَى أَمْتِنَالِ الْمَرَامِ ، وَبِحِرَى فِي الطَّاعَةِ عَلَى سَنَنِهِ الْمُتَقَادِمِ ،
وَلَا يَسْتَمِرَّ عَلَى الْمُدَافَعَةِ وَالْمَطَاوَلَةِ ، وَيَقْتَصِرَ عَلَى الْمُنَاطَلَةِ وَالْمَنَاطِلَةِ .

ثم يقال بعد هذا : وقد قدّم أمير المؤمنين كتابه هذا إليك نائبًا عنه في استصلاحك ،
وقائدًا بقودك إلى طريق نجاحك ، قبل تجريد مواضيه ، وإلحاق مستأنفه في الحرب
بمواضيه ، وخبوله بمجادب الأعداء ، ودوايله مشرعة الأسنة ، ولم يبق إلا قصدك
في عقر دارك التي بوأستكها ، وانتزاع نعمته التي أعطاكها ، لتنوق مرارة الخلفه ،
وترتها بحلاوة الموافقه ، فنحن على نفسك لنفسك حاكما ، ولا نكن لها ظالما ،
ونحو ذلك مما يليق به .

وإن كانت المكتوبة إلى رجل قد سبقت له سابقة بجعل الطاعة ، ثم سأل الإقالة
فأقبل بعد مشاركة الإحاطة به والنكايه فيه ، ثم راجع للعصيان ، فالرسم أن تفتح

بِحمد الله جاعل العاقبة للمتقين ، والعُدوان على الظالمين ؛ والعِزة لِحزبه ؛ والدِّلة لِحزبه ؛
والإظهار لأهل طاعته ، والنَّسار لأهل معصيته ؛ ودائرة السوء على الخالعين طاعة
خلفائه ، القائم بحجته . ثم يقال : أمير المؤمنين على ما يراك تتخوله به من تصديق
آماله ، وتوفيق أفضاله ؛ وتسديد مراميهِ ، وهداية مساعيه ؛ وإجابة دعوته ؛
وتحقيق رغبته ؛ بإدالة مواليه ، وإدالة معاديه ؛ ومعونته على ما ولاءه ، وتمكينه
من ما واه ؛ ويسأله الصلاة على سيدنا محمد نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

ثم يؤتى بمقدمة تدل على جميل عاقبة الطاعة ، وذميمة مغبة المعصية ؛ يبسط القول
عليها ، ويتوسع فيها ، لتكون فراشا لما يتلوها . ثم يقال بعدها : وإنما يحل ذلك
أهل الغرارة الذين لم يلوثوا شكائم التجارب ، ولم يمارسوا ضرائم النوايب ؛
وأنت فقد تدوّقت من كراهة المعصية ومرارتها ، وعدوية الطاعة وحلاوتها ؛
ما يرجو أمير المؤمنين أن يكون قد وعظك وأدبك ، وقومك وهدبك ؛ وكشف لك
عن عاقبتها ، وعرفك بغايتها ؛ فدعتك الطاعة إليها بما أسبغته عليك من لباس
شرفها ومجدها ، وأستخدمته لك من أنصار إقبالها وسعدها ؛ وتهدك المعصية عنها
بمآلوتها من نوائبها وصنائعها ، وجرّبتك من مرمض مراميها ومواقعها ، لأنها أقلت
عددك ، ومزقت مطرفك ومتلدك ؛ حتى تداركك من عطف أمير المؤمنين ما أنتك
بعد الحصد ، ورأيتك بعد الحص ؛ وأتتهى إلى أمير المؤمنين أنك حينت إلى أتباع
الضلالة الذين غرّوك ، وملت إلى أشياع الفتنّة الذين استهوك ؛ فأصغيت إلى أقوالهم
التي ظاهرها نصح وباطنها غش ، وآرائهم التي مواردها صلاح ومصادرها فساد ؛
وملت إلى معاودة الشقاق والارتكاس في العصيان ، ومقابلة الثعنى بالكفران ؛
فقدّم كتابه إليك مدسرا ، ومنحك خطابه مُعدرا مُندرا ؛ ليعرفك حظك ، ويهديك
رُشلك ؛ [ويُدلك] على الأحسن لك في ميدك وعاقبتك ، ويُحدرك من مراجعة

مما فرفته ، وأن تنزل عن المرتلة التي رقاك إليها ، وتجدب رباعك من النعمة التي ارتكك فيها ، وتغفل عن مراع الدعوة التي أوردك عليها ، فانظر لنفسك حسنا ، وكُن إليها محسنا ، وانتفع بمراشد أمير المؤمنين ، ولا تُفسدَن بخلافك عن أمره نصيبك من الدنيا والدين ، فارجع إليه مسترغماً فإنه يقتدي بالله في الرحمة للحسين ، مادام مؤثراً لرب النعمة لديك ، وإقرارها عليك . فاعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى .

قال : وإن كانت المكتوبة إلى رعية قد خرجت عن الطاعة كتبت إليها بما مثاله :

أما بعد ، وفقكم الله لطاعته ، وعصمكم من معصيته ، فإن الشيطان يذلي الإنسان بغروره ، ويقم له الضلال في صورة الهدى بهتاناً وزوراً ، مستخفاً لطائفي الألباب ، ومسترراً للأقدام عن موقف الصواب ، محسناً بكيد لأعتقاد الأباطيل ، مزيناً بغيره أتباع الأضاليل ، صارفاً بمكروه عن سواء السبيل ، مصوراً للحق في صورة المين ، مغطياً على القلوب بسخاف الرين ، والحازم البقظ من تحرز من أشراكه وحباله ، ومحفظ من تحاليله وغوائله ، وآتهم هواجس فكره ، وأستراب بوساوس صدره ، وعرض ما عرض له على عقله ، وكرّر فيه النظر متحرزاً من مكر الشيطان وخنائه ، فإن ألفاه عادلاً عن الهوى ، مانلاً إلى التقوى ، بريئاً من خدع الشيطان ، آمناً من عوادي الأفتان ، أمضاه وانقأ بإسلامه مقبته وعاقبته ، وشمول الأمن في أولاه وأترابه .

وآتمى إلى أمير المؤمنين أن الشيطان المرید استخف أحلام جماعة من جهالك ، وأستولى على أفهام عدة من أرادلکم ، وحسن لهم شق عصا الإسلام ، ومعصية الإمام ، ومفارقة الجماعة ، والألسلآخ من الطاعة ، التي فرضها الله تعالى على الجمهور ، وجعلها نظام الأمور ، فقال جل قائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ واختيار الفرقة التي نهي الله عنها . فقال :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ وَمُجَانِبَةَ الْأَلْفَةِ
 الَّتِي عَدَّهَا فِي جَلَائِلِ نِعَمِهِ ، فَقَالَ مُتَمَتِّتًا بِهَا عَلَى عِبَادِهِ : ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
 إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً قَالَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ وَسَوَّلَ لَهُمُ التَّعَرُّىَ مِنْ آدَابِ
 الدِّينِ ، وَالْمُجَاهَرَةَ بِالْخِلَافِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَنَبَذُوا مَا بِيَدَيْهِمْ مِنْ بَيْعَتِهِ ، وَسُلبُوا
 مِنْ ظِلِّ دَعْوَتِهِ ؛ وَرَكِبُوا مِنْ ذَلِكَ أَوْعَرَ المَرَآكِبِ ، وَسَلَكُوا أَوْحَشَ المَسَارِبِ ؛
 وَسَعَوْا فِي البِلَادِ بِالفَسَادِ ، وَقَامُوا فِي وَجْهِ الحَقِّ بِالعِنَادِ ، وَأَسْتَحَفُّوا بِحَمْلِ الآثَامِ ،
 وَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى الدِّمَاءِ الحَرَامِ ، وَسَنُّوا الغَارَاتِ عَلَى أَهْلِ الإِسْلَامِ .

وقد علمت أن من أقدم على تأخير مثل هذه الآثار، فقد استنزل في هذه الدار سُخْطَ
 الجبار، وتبوأ في الآخرة مقعده من النار؛ وجرى على غير الواجب في إقامة الفروض
 والصلوات، وتأدية العبادات والزكوات، وعقد العقود والمناكحات؛ لأن هذه
 الأحوال إنما ترضى وترفع، وتُحِبُّ وتُسَمِّع؛ إذا تولاها أمير المؤمنين، أو من
 يستخلفه من صلحاء المسلمين؛ فأما إذا استبددتم فيها بأنفسكم، وأقتديتم في تأديتها
 بناكب عن سبيله، مجانب لدليله؛ فقد نسكتكم في الضلالة، وتطابقتم على الجهالة؛
 وكل راضٍ منكم بذلك، غاص لله ورسوله وللإمام .

ولما أطلع أمير المؤمنين على ما ذهبتم إليه بسوء الاختيار، وركبتموه من مراكب
 الاعتقار؛ لم ير أن يلغىكم ويهجركم، ويغفلكم ولا يبصركم؛ فقدم مكانتكم معذراً
 منذراً، ومخوفاً محذراً؛ وبدأكم بوعظه مشفقاً عليكم من زلة القدم، وموقف الندم؛
 وجاذباً لكم عن مضال التوابع، إلى صراشد الهداية؛ وأفتحكم باللفظ الأحسن،
 والقول الألين؛ وهداكم إلى السبيل الأوضح، والمشجر الأريج؛ وأختار أن يهديكم
 الله تعالى إلى طريق الرشاد، ويبدلكم على مقاصد السداد؛ ويعيدكم إلى الأوتى؛

وَيَبْعَتَكُمْ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُنْتَهَى ، وَأَنْ تَعْرِفُوا الْحَقَّ فَتَعْتَصِمُوا فِي أَيْدِيكُمْ مِنْ بَيْعَتِهِ ،
 وَتَقُومُوا بِمَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ طَاعَتِهِ ، وَتَرْجِعُوا إِلَى إِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ ، وَمَا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ
 كَلِمَةُ إِخْوَانِكُمْ فِي الدِّينِ ، وَتَتَّبِعُوا مَذَاهِبَ أَهْلِ السَّلَامَةِ ، وَأَوَّلَى الْأَسْتِقَامَةِ ، فَإِنْ وَقَعَ
 مَا أَلْفَاهُ إِلَيْكُمْ الْمَوْقِعَ الَّذِي قَدَّرَهُ فِيكُمْ ، وَسَأَلْتُمْ الْإِقَالََةَ ، فَالْتَوُّبَةَ تَتَفَعَّلُكُمْ ، وَالْعَفْوَ
 يَسَعُّكُمْ ، وَإِنْ تَمَادَيْتُمْ فِي غَيْبِكُمْ وَبَاطِلِكُمْ ، وَغُرُورِكُمْ وَجَهْلِكُمْ ، فَتَقَدَّمَتْ إِلَيْكُمْ جِيُوشُ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُقَوِّمَةٌ ، وَمِنْ عَصَاةِكُمْ مَشْتَقَةٌ ، وَذَلِكَ مَقَامٌ لَا يُمَيِّزُ فِيهِ الْبَرِيءُ مِنَ السَّقِيمِ ،
 وَلَا الْجَاهِلُ مِنَ الْعَلِيمِ ، أَلَا تَسْمَعُونَ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ ؟ وَأَيُّ فِتْنَةٍ أَشَدُّ مِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ ، وَمَعْصِيَةِ السُّلْطَانِ ، وَسَقِّ
 الْعَصَا ، وَإِرَاقَةَ الدِّمَاءِ ، وَإِثَارَةَ الدِّهْمَا ؟ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَرْجِعُوا ، وَتَأْمَلُوا وَرَاجِعُوا ،
 وَتَبَيَّنُوا وَأَسْتَبَيَّنُوا ، وَقَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْحَجَّجَةَ ، وَبَدَأَ كُمْ بِالْحَجَّجَةِ ، فَأَوْجِدُوهُ
 السَّبِيلَ إِلَى مَا يَتَوَبُّ بِهِ لَكُمْ وَلِكَافَةِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ : مِنْ حَفْنِ الدَّمَاءِ ، وَصِيَانَةِ الْحَرَمِ ،
 وَتَحْصِينِ الْأَمْوَالِ ، وَشُمُولِ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ ، وَأَجِيبُوا عَنْ كِتَابِهِ هَذَا بِمَا يُؤَفِّقُكُمْ اللَّهُ
 تَعَالَى [إِلَيْهِ] : مِنْ إِجَابَةِ دَعَائِهِ وَالْعَمَلِ بِرَأْيِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة ما كتب به عبد الحميد إلى بعض من تخرج عن الطاعة ، وهو :

أما بعد : بلغني كتابك تذكر أنك تحمِلُ المُرْدَ عَلَى الجُرْدِ ، فَسَتَرِدُ عَلَيْكَ جُنُودُ اللَّهِ
 الْمُقْتَرِبُونَ ، وَأَوْلِيَاؤُهُ الْغَالِبُونَ ، وَيَرِدُ عَلَيْكَ مَعَ ذَلِكَ حِزْبُهُ الْمَنْصُورُ مِنَ الْكُهُولِ ، عَلَى
 الْفَحُولِ ، كَأَنَّهَا الْوُحُولُ ، تَخْوِضُ الْوُحُولَ ، طَوَالَ السَّبَالِ ، تَخْتَضِبُ بِالْحَرْيَالِ ، رِجَالُ
 هُمُ الرِّجَالِ ، بَيْنَ رَاحٍ وَنَاشِبٍ ، لَيْسَ مَعَهُمْ إِلَّا كَلْبٌ مَحَارِبٌ ، وَلَا يَنْتَكُونَ عَنِ الْأَصْحَابِ .
 قَدْ ضَرَبُوا بِضَرْبِ الْهَامِ ، وَأَعْتَادُوا الْكَثْرَ وَالْإِقْدَامَ ، لَيْسُوا بِدَوَى هَيْبَةٍ وَلَا إِجْحَامٍ ،
 يَقْضُونَ بِالسُّيُوفِ ، وَيَخَالِطُونَ الرُّحُوفَ ، فِي أَعْتَبِهِمُ الْحُتُوفَ ، يَزَارُونَ زَيْرَ الْأَسْوَدِ ،

وَيَبُونُ وَتُوبَ الْفُهودِ؛ ليس فيهم إلا شاكٍ مُحْتَبِكٌ، في الحربِ مُحْرَبٌ؛ قد شربَ على
 نَاجِدِ الحربِ وأكلَ، ذو شِقْشِقَةٍ وَكَلْكَلٍ؛ كأنما أَشْرِبَ وَجْهَهُ بِقِيعِ الحِنَاءِ؛ قد رَمَى
 الحربَ ورَضَعَهَا، وَغَدَّتْهُ وَالْفَهَاءُ؛ فهي أمُّهُ وهو آبنها، يَسْكُنُ إليها وَيَأْتِسُ بِقُرْبِهَا؛
 فهو بطلبها أَرَبٌ، وعلى أهلها حَرَبٌ؛ لا يروعه ما يروع، ولا يزيغه ما يزيغ العُمر
 الجَبَانُ؛ حين يَسْتَدُّ الوَعْيُ، وتخطر القَنَا؛ وتُقَلِّصُ الشِّفَاءُ، وتُسْفِرُ الكِبَاهُ؛ فعند ذلك
 تُسَلِّمُكَ المُرْدُ، وتُكْتَفُفُ عن الجُرْدِ. فتأهبْ لذلك أهْبَتِكَ، وأخطبْ له خِطْبَتِكَ،
 من المساكينِ والحَوَكَةِ؛ ثم كِيدُونِي جَمِيعًا فلا تُتَطَرُونُ؛ فإسْرِنَا إِكْتَارَكَ الجَمُوعِ،
 وحَشْدُكَ الخِيُولِ؛ فإنك لا تُكْتَفُفُ جَمْعًا، ولا تُسْرَبُ خِيَلًا؛ إلا وَثِقْنَا بأن سَمِيدَنَا
 الله من ملائكتِهِ، ويزيدنا من نصرِهِ؛ بما قد جَرَّتْ به سُنَّتُهُ، وسلفت به عادته؛
 ونحْتِ نَجْرِي من ذلك على نِقَاتِ من الله ونكالِ وَسَطَوَاتِ مُهْلِكَةٍ؛ فرأيتُ ذلك
 في المنازلِ، وعرفتموه في المواطنِ التي يجمعها الحقُّ والباطلُ؛ فأبشِرْنَا بما سَأَلَكَ
 صَحرَاءُ، ومَشَاكَ تُقَادُ كما يُقَادُ الجَمَلُ الخَشُوشُ .



ومن أحسن الكتب المكتوبة في هذا الباب ما كتب به قوام الدين (بحي بن زيادة)
 وزير أمير المؤمنين الناصر لدين الله الخليفة ببغداد إلى (طغرل) مُقَطِّعِ البَصْرَةِ بأمر
 الخليفة له في ذلك، وقد بلغه أنه نَزَحَ عنها، فأصْدَبَ الأَطْرَافَ، مفارقةً لطاعة الخليفة،
 عند ما طُلِبَ من ديوانه شيءٌ من المالِ، فأوجب ذلك أنْتَاءَهُ عن عَزْمِهِ وتوجُّهَهُ
 إلى بَغْدَادَ داخلًا تحت الطاعة، ومُقَابَلَتَهُ بالصَّفْحِ وتلقِيهِ بالقبُولِ . وهذه نسخته :
 أصدرتُ هذه الخدمة إلى الجناب الكريم، الأميري، الامسَهَلاري، الأجلي،
 الكبيرى، السيدى، اليمادى، الركنى، الظهيرى، المحترمى، العزى، الجسالى،
 أمير الجيوش؛ أطل الله بقاءه، وأدام علوه ونعمته؛ وأنا أوقع الأقوال المتواتره،

والأموال المتناصرة، مُسْتَعْرِبًا لها، مُتَعَجِّبًا منها، كَأَنِّي أَسْمَعُهَا فِي الْمَنَامِ، وَتَخَاطَبُنِي بِهَا أَصْفَاتُ أَحْلَامٍ، فَلَوْلَا أَنَّ الْأَيَّامَ صَحَائِفُ الْعَجَائِبِ، وَلَا يَأْتِسُ بِمُتَجَدِّدَاتِهَا إِلَّا مَنْ حَنَّكَهُ التَّجَارِبُ، لَمْ أَصَدِّقْ هَذِهِ الْحَرَكَةَ الْمُبَارَكَةَ الَّتِي وَقَعَتْ مِنْهُ بِسَعَادَتِهِ، فَإِنِّي مَا أَرَاهَا إِلَّا عَثْرَةً مِنْ جَوَادٍ، وَعَوْرَةً عَلَى كَمَالِهِ، وَإِلَّا فَمَنْ أَيْنَ يَدْخُلُ الزَّلْزَلُ عَلَى ذَلِكَ الرَّأْيِ السَّدِيدِ، وَالْعَقْلِ الرَّاجِحِ، وَالْفِكْرِ الصَّابِتِ؟ الَّذِي يَعْلَمُ الْآرَاءَ كَيْفَ تُسِيرُ، وَيُعْرِفُ النُّجُومَ كَيْفَ تَسِيرُ، وَيَهْدِي غَيْرَهُ فِي الْمُسْكَلَاتِ إِلَى صَوَابِ التَّنْذِيرِ. وَالْقَائِلُ لَا كَلَامَ فِيهِ، غَيْرَ أَنَّ الْعَقْلَ يَقْضِي بِأَسْتَدْرَاكِ الْمُمْكِنِ وَتَلَاْفِيهِ، بِالْإِتْمِرَافِ عَنِ الْهُوَيِّ إِلَى الرَّأْيِ الصَّادِقِ، وَالرُّجُوعِ عَنِ تَأْوِيلِ النَّفْسِ إِلَى مَرَاجِعَةِ الْفِكْرِ النَّصَاحِ؛ فَالْعَوْدُ إِلَى الْحَقِّ أَوْلَى مِنَ التَّمَادِي عَلَى الْبَاطِلِ، وَأَحَبُّ أَنْ تَسْمَعَ مَا أَقُولُ بِأَذُنٍ وَاعِيَةٍ وَقَلْبٍ حَاضِرٍ، وَحُوشِي أَنْ تَسْتَدْفِعَهُ الْكُؤُودُ عَنِ تَدْبِيرِ الْحَقَائِقِ، وَعِرْفَانِ النَّصَاحِ؛ فَإِنَّ مِنَ الْقَوْلِ مَا بُرْهَانُهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَاهِدٍ مِنْ غَيْرِهِ .

قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ: مَا الَّذِي أَحْوَجَ إِلَى هَذِهِ الْحَالِ الْقَبِيحَةِ السَّمْعَةِ، وَرُكُوبِ الْخَطَرِ فِي هَذِهِ الْحَرَكَةِ، وَأَحْتِمَالِ هَذِهِ الْمَشَاقِّ، وَالْإِتْرَاجِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَدْعُوَ إِلَيْهِ حَاجَةٌ؟ هَلْ هُوَ إِلَّا شَيْءٌ جَرَّتْ الْعَادَةُ بِمَثَلِهِ، وَبِمَطَالَبَةِ دِيْوَانِهِ بِمَا كَانَ يَنْدَفِعُ الْأَمْرَ بَعْضُهُ؟ كَمَا جَرَّتْ عَادَةُ الدَّوَاوِينِ، وَخِدْمَةُ السَّلَاطِينِ؛ ثُمَّ إِنَّهُ عَمَدٌ - أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ - بِأَوَّلِ خَاطِرِهِ، وَبَادئِ رَأْيِهِ فِي هَذِهِ الْعَجَلَةِ، مِنْ غَيْرِ تَثْبِيتٍ وَلَا رَوِيَّةٍ. لَمْ لَا رَاجِعَ فِكْرَهُ الْكَرِيمَ، وَيَقُولُ لِنَفْسِهِ: إِلَى أَيْنَ أَمْضِي؟ وَلِمَنْ أَخَذُمُ؟ وَعَلَى أَيِّ بَابٍ أَقِفُ؟ وَتَحْتِ أَيِّ لِيْوَاءٍ أَسِيرُ؟ وَبِأَيِّ غُبَارٍ أَكْتَجِلُ؟ وَقَفْضَلُ مَنْ أَطْلُبُ؟ وَعَلَى حُكْمٍ مَنْ أَنْزِلُ؟ بَعْدَ أَنْ رُيِّتُ فِي عَرَصَةِ الْخِلَافَةِ، وَدَارِ النَّبِيَّةِ، وَحِضْنِ الْمَمْلُوكَةِ؛ أَنَشَأَنِي نَعِيمُهَا صَغِيرًا، وَقَدَمَنِي كَبِيرًا، وَكُنْتُ مَأْمُورًا بِفِعْلِنِي أَمِيرًا، وَطَارَ صَبْتِي فِي الدُّنْيَا وَلَمْ أَكُنْ شَيْئًا مَذْكَورًا؛ فَأَنَا خَيْرٌ مِنْ مَلِكٍ أَفْصَدَهُ، وَأَمْثَلُ مِنْ كُلِّ

من أرجوه وأستجده؛ أفأترى من السماء إلى الحضيض، وأهدم ما بنى الإنعام عندي في الزمن الطويل العريض؟ ! هذا هو المكروه الأعظم، الذي تعود منه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حين قال: "اللهم إني أعود بك من الخور بعد الكور" ومن يكون حزين خلافة كيف يرضى أن يكون تابع إماره؟ ولو لم يكن ما هم عليه إلا هذا لكفى. ثم لم لا يلتفت في هذه الحال التي هو عليها، التي حبيته بوفائها، ويسمع خطابها بلسان حالها تم؟ تقول له: يا عماد الدين! أما هذه خيام الإنعام عليك؟ أما هذه الخيل المسومة تحتك؟ أما هذه ملابس الفاحرة مفاضة عليك؟ أما هذه ممالكه حافة بك؟ أليس الأصطناع رفع قدرك إلى المنزلة التي نزل عليك بعض الأخطاط عنها، وهب لك الهمة التي أبت الضيم بها؟ فوشيت أن تكون ممن توارت عليه النعم فلها، وتكاثرت عليه فضعت عن حملها؛ فيألت شعري! ماذا يكون جوابها؟ والله إنني أقول له بسعاده ولا أعقب: ولو أنه قد تحقق - والعياذ بالله - وقوع كل محذور، وحلول كل مكروه؛ لم يكن في هذه الحركة معنورا، فكيف بظن سرجم، وقول مسوف متوهم؛ ورأي قطير غير مختبر. ولقد كان أسسلامه لمالك الرق - صلوات الله عليه وسلامه - أحسن في الدنيا وأحمد في العقب؛ واقعا ذلك من أحواله حيث وقع. والآن فالوقت ضاق في إصدار هذه المكاتبه، عن استقصاء العتاب والمحافقه؛ وإيراد كل ما تلزم به الحجته، لكني أقول على سبيل الجملة:

إنني أخاف على سيد ذلك الرأي إجابة داعي الهوى، فإن البجاج من أوسع مداخل الشيطان على الإنسان، وحوشى كاله من هذا القسم.

والثاني أسئله بسعاده من بادرته، وأسئله حاشه من عجلته؛ وهذا أيضا من أدق مكاييد النفس الامارة بالسوء، فإنها تؤمن من الخوف، وتخوف من المأمون،

وَتَسْحَرُ الْعَقْلَ بِالْحَجَرِ وَالشُّكَّ ، فَلَا تَصِحُّ لَهُ عَزِيمَةٌ ، وَلَا تَصْفُو لَهُ فِكْرُهُ ، وَهَذَا التَّوَعُّعُ إِذَا عَرَّضَ فِي الصَّدْرِ يَجِبُ دَفْعُهُ بِالنَّظَرِ إِلَى الْحَقِّ وَشَجَاعَةِ الْقَلْبِ ، وَالْإِحْلَادِ إِلَى مُنَاطَرَةِ النَّفْسِ ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ بِمَعْصُومٍ ، وَالزَّلُّلُ فِي الرَّأْيِ لَيْسَ مِنْ أَوْصَافِ الْجَمَادِ ، بَلْ مِنْ أَوْصَافِ الْأَزِمَةِ لِلْبَشَرِيَّةِ ، وَلَيْسَ الْكَمَالُ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْوَاحِدِ الصَّمَدِ .

فَإِذَا عَرَّضَ لَهُ بِسَعَادَتِهِ هَذَا الْأَمْتِشْعَارَ ، فَيَدْفَعُهُ عَنْ نَفْسِهِ ، فَلَيْسَ سُلْطَانُ الْوَسْوَاسِ الْخَنَاسِ ، إِلَّا فِي صُدُورِ النَّاسِ ، فَلِهَذَا لَا يَنْبَغِي لِمُذْنِبٍ أَنْ يَقْنَطَ ، وَلَا يُسْمَى أَنْ يَسْتَوْحِشَ ، لَا سِوَى إِذَا اتَّبَعَ الذَّنْبَ بِالْإِسْتِقَالَةِ وَالْإِسْتِغْفَارِ ، وَالْإِعْتِدَارِ وَالْإِقْلَاعِ ، وَعَلَى الْخُصُوصِ إِذَا كَانَتْ الْخِيَانَةُ عِنْدَ مَنْ لَا يَتَعَاظَمُهُ عَفْوُهَا ، وَلَا يَضِيقُ حِمْلَهُ عِنهَا ، فَإِنَّ كُلَّ كَبِيرَةٍ تُوجِبُ الْخِيفَةَ ، تَفْرُقُ فِي بَحْرِ عَفْوِ الْخِلَافَةِ ، فَيَجِبُ أَنْ يُقَرَّرَ بِسَعَادَتِهِ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ ، وَيُخْرَجَ سَوْءَ الظَّنِّ وَالْإِسْتِشْعَارَ مِنْ خِيَالِهِ ، فَإِنْ مَثَلَهُ مِنْ خُلُصَانِ الْمَالِكِ لَا يُسْمَحُ بِهِ ، وَلَا يُسْتَعَبُّ عَلَيْهِ عِنْدَ هَفْوَةٍ بَادِرَةٍ .

وَالثَّلَاثُ الْإِقْبَاضُ وَالْحَيَاءُ . فَانَّهُ رُبَّمَا يَقُولُ فِي نَفْسِهِ : يَا أَيُّ وَجْهِ أَلْقَى مَوْلَايَ ؟ وَيَا عَيْنَ أَبْصَرَ مَوَاطِنَ الدَّارِ الْعَزِيمَةِ ؟ رَبَّابِي وَأَنْشَانِي ! . وَهَذَا أَيْضًا لَا يَصْلُحُ خُطُوبَهُ بِبَالِهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ ، فَإِنَّهُ مِنْ ضَعْفِ النَّحِيْزَةِ ، وَالْمَيْلِ مَعَ خَوَائِدِ الطَّبْعِ ، عَنْ نَصَاحِ الْعَقْلِ وَالشَّرْعِ ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ إِتْبَاعُ زَلَّةِ الْقَدَمِ بِالنَّدَمِ وَالْإِعْتِدَارِ ، لَا التَّهَوُّكُ فِي الْجَبَّاحِ وَالْإِصْرَارِ . فَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْمُلُوكِ لِحَلِيبِصِصٍ مِنْ خَوَاصِهِ ، عَصَاهُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ :

« يَا عَيْنَ تَلْقَانِي وَقَدْ عَصَيْتَ أَمْرِي ؟ » فَقَالَ : « بِالْعَيْنِ الَّتِي أَلْقَى بِهَا رَبِّي فِي الصَّلَوَاتِ الْخَمِيسِ ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ يَرَانِي عَلَى قَوَاصِحِ الْمَعَاصِي » . وَقَدْ أَمْنَى اللَّهُ سَبْحَانَهُ عَلَى مَنْ أَذْنَبَ ثُمَّ تَابَ ، وَشَرَّدَ عَنْ طَاعَتِهِ ثُمَّ أَنْابَ . وَبِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى مَا جَرَى مَا يَقْتَضِي قَرُطَ الْأَمْتِشْعَارِ . هَلْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ خَافَ بِأَدْرَةِ مَوْلَاهُ ، فَتَنَبَّحِي مِنْ مَكَانِهِ إِلَى أَنْ يَعْطِفَ

(١) فِي الْأَصْلِ "بَل" وَلَا مَعْنَى لَهَا .

عليه برحمته؟ وليس هذا ببديع، ولا من الصفح ببعيد. على أنه بسعادته لو أنصف من نفسه كما استشعر. فكأن أخرجت الخزانة الشريفة عليه من الأموال حتى نبت عرقه، وأورق غضنه، وكبر شأنه، وجمع ضمان البصرة عشر معشار ذلك.

والرابع إصفاؤه - والعياذ بالله - إلى قول من لا ينصحه، ويغويه ولا يرشده؛ ويتقرب إليه بتابعة هواه. وهذا ما لا يخفى عن لمة الذائق، ولا يحتاج في الإعراض عنه إلى باعث؛ فقدما قيل: «صديقك من نمالك، وعدوك من أغراك» والله تعالى يوفقه لتحقيقه النظر في هذه الأقسام الأربعة، التي أحذرنا عليه، وأحذرنا منها؛ ويسره لليسر.

وبعد ذلك فأنا أتصفه من نفسي، وأقول الحق: إن نفساً رباًها خليفة الله في أرضه - صلوات الله عليه وسلامه - بإنعامه، وأعلى همتها باختصاصه؛ وشرفها بنسب عبوديته؛ لا تحمل الهوان، ولا تقر على الأبدال؛ فغالب ظني أن نفوره بسعادته إنما هو من ديوان الزمام المعمور. والآن فأنا وهو بسعادته عبدان، ولكني أقفد عنه بالسني والتجريب؛ وطريقي هو بسعادته يعرفها، وإنما لا أدحر عن أحد نصحا. فالصواب أن يقبل قول، ويتحقق صحة مقصدي في نصيحتي ومقصده، فإنني أوجب ذلك له على نفسي، وأراه من واجبات خدام مالك الرق - صلوات الله عليه وسلامه - أيضا.

وقد علم الله تعالى أني قد أوصحت من عذره، وأحسن المتاب عنه بسعادته، ما لو حضره وتولاه بنفسه كما زاد عليه؛ ورأيت الإنعام يستغني عن كل شرط ولا يحتاج إليه، وتقررت قاعدته بسعادته أن لا يكون له مع ديوان الزمام المعمور حديث، ولا مع غيره ممن لا يعرف حقه، ولا يوفيه من الاحترام وأجبه؛ فإن أمر

أَنْ أَتَوَلَّى وَسَاطَتَهُ فَأَنَا أَعْتَمِدُ ذَلِكَ فِي مَرَضِيهِ ، وَتَمَشِيَةِ أَمْرِهِ أَكْثَرِيماً فِي نَفْسِهِ .
 وَإِنْ أَخْتَارَ بِسَعَادَتِهِ أَنْ يَكُونَ غَيْرِي وَسَيْطَهُ وَسَفِيرَهُ ، فَيُعِينُ مَنْ يَخْتَارُهُ : لِيَكُونَ
 حَدِيثُهُ مَعَهُ . وَقَدْ أَسْلَفْتُ مِنْ وَظَائِفِ إِحْسَانِ الْمَنَابِ أَنْتِي تَنْجِزْتُ لَهُ بِسَعَادَتِهِ أَمَاناً
 مُتَوَجِّحاً بِالْقَلَمِ الْأَشْرَفِ الْمُقَدَّسِ ، عَلَى نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ وَمَالِهِ وَأَوْلَادِهِ - وَالْأَمَانِ الْمَذْكُورِ
 طَى كِتَابِي هَذَا - مَقْرُوراً بِحَتَمِ أَمَانِي ثَانٍ ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ هُوَ بِسَعَادَتِهِ جَوَابَ
 ذَلِكَ . إِذْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْجَوَابُ إِلَّا هُوَ بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ ، فَلَا يَسْعُرُ بِهِ أَحَدٌ
 إِلَّا وَهُوَ مُقَابِلُ التَّاجِ الشَّرِيفِ ، مُلْقياً نَفْسَهُ بَيْنَ يَدَيْ مَالِكِهَا الَّذِي هُوَ أَرْحَمُ لَهَا ،
 وَأَلْطَفُ بِهَا ، وَأَشْفَقُ عَلَيْهَا مِنْهَا ؛ تَالِيًا مَا حَكَاهُ الْقُرْآنُ الْحَمِيدُ عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،
 إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْتُومٌ : ﴿ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ فَإِنَّهُ يَرَى -
 بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوْفِيقِهِ - كُلَّ مَا يُحِبُّ ، وَيَأْمَنُ كُلَّ مَا يَجْتَدِرُ . وَأَنَا أَسْتَسْرِعُ وَصُولَهُ
 عَنْ أَسْتِعْرَاضِ مُهْمَاتِهِ ، وَلِرَأْيِهِ كَرَمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قلت : فَإِنْ أَتَفَقَتِ الْمَكَاتِبَةُ فِي مَعْنَى ذَلِكَ فِي زَمَانِنَا ، رَاعِي الْكَاتِبُ فِيهِ صُورَةَ
 الْحَالِ ، وَجَرَى فِي ذَلِكَ عَلَى مَا يَلَائِمُ حَالَهُ ، وَيُنَاسِبُ مَا هُوَ فِيهِ ؛ مَعَ النَّظَرِ فِي كَلَامِ
 مَنْ سَبَقَهُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ؛ وَالنَّسْجِ عَلَى مَنَوَالِ الْحَمِيدِ ، وَالْإِقْتِدَاءِ بِالْمُجْتَمِعِينَ فِي إِرَادِهِ
 وَإِصْدَارِهِ .

الصَّنْفُ السَّابِعُ

(الْكُتُبُ فِي الْفُتُوحَاتِ وَالظَّفَرِ بِأَعْدَاءِ الدَّوْلَةِ وَأَعْدَاءِ الْمِلَّةِ ،

وَأَسْتِرْجَاعِ الْمَعَاوِلِ وَالْحُصُونِ ، وَالْإِسْتِيْلَاءِ عَلَى الْمُدُنِ)

وَأَصْلُهَا مِنْ فَتْحِ الْأَقْفَالِ وَدُخُولِ الْأَبْوَابِ . كَأَنَّ الْمَدِينَةَ أَوْ الْحِصْنَ كَانَ مُقْفَلًا

مُحْتَمِعًا بِالْأَغْلَاقِ عَلَى قَاصِدِهِ حَتَّى يُفْتَحَ لَهُ فَيَدْخُلُ .

قال في "مواد البيات" : وهو من أعظم المكتاتبات خطراً ، وأجلها قدراً ؛ لا شتمال أغراضها على إنجاز وعد الله تعالى الذي وعد به أهل الطاعة في إظهار دينهم على كل دين ، وتوفير حفظهم من التأييد والتأييد ، وما يمز فيها من الأساليب المختلفة التي يشتمل هذا القانون عليها .

قال : والكاتب يحتاج إلى تصريف فكره فيها ، وتهذيب معانيها : لأنها تُتلى من فوق المنابر على أسماع السامعين ، وتُجعل نُصبَ عيون المُتصَفِّحين .

ثم قال : والرسم فيها أن تمتنع بحمد الله العفو الخليم ، العفو الرحيم ، العليم الحكيم ؛ ذى البرهان الأمين والفضل الجسيم ، والقوة المتين والعقاب الأليم ؛ مُبِيد الظالمين ، ومُبِير القاسطين ؛ ومؤيد العادلين ، وجاعل العاقبة للمتقين ؛ المُلِي إماماً لا وإنذاراً ، والمُعاقب تبيها وإذكاراً ؛ الذي لا يُنجي منه مهربٌ ، ولا يبعد عليه مَطْلَبٌ ؛ وكيف يُعتمَم منه وهو أقرب من جبل الوريد ، وله على كُلِّ لافظٍ رقيبٌ وعَتِيدٌ . والصلاة على رسوله الأمين ، الذي حَمَّ به النَّبِيُّ ؛ وفضله على المرسلين ، وأيده بأوليائه الثائنين ؛ الذين قاموا في نُصْرته ، وإعزاز رأيتِه ؛ المقام الذي فازوا فيه بالتحصل ، فاستولوا به على قصبَاتِ الفضل ؛ فسرَّكهم معه في الوصف والثناء ، فقال جَلَّ قَائِلًا : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ .

ثم يؤتى بمقدمة تشتمل على التحدث بنعمة الله في شحذ العزائم لنُصْرته ، وتثبيت الأقدام في لقاء عدوه ومجاهدته ؛ وإجازه وعده في الإعزاز والإظهار ، والظفر والإظفار ؛ والأستبشار بموقع النعمة في الفتح الحليل ، والإشادة بإبقاء هذا الأثر الجميل . ثم يفيض بما جرت العادة به في مقارنة العدو ومداناته ، وبثّ البلائع لتنفيذ السرايا في مبادئ ملاقاته ؛ وما أفضى إليه الأمر في التقابل

والمؤاتبة ، والتواشج في المطاعنة والمضاربه ؛ وذكر مواقف الشجعان في الكفاح
والمجاهدة ، والذنب والمجاهدة ؛ وثبوت الأقدام ، والحدود بالنفوس ، وأشدائد الأيدي ؛
وقوة الشكائم ، وأستصحاب العزائم ؛ وتفخيم أمر العدو : بوصفه بكثرة الرجال
والأجناد ، والقوة والاستعداد : لأن توقع الظفر بمن هذه صفة أعظم خطراً ، وأوقع
في النفوس أثراً .

ثم يذكر مجال بين الفريقين من قراع ومصاع ، ومضاربة ودفاع ؛ ومضالمة
ومناضلة ، ومناهدة ومكافأة ؛ وحماية ومناخفة ، وثبات ومصافقة ؛ ومقاومة ومواقفة ،
ومخادعة ومطامعة ؛ وينعت المواقب والكنايب ، والخيول والأسلحة ؛ والجرحى
والمجذلين ، والأسرى والمقتلين . وأستعمل التشبيهات الفاتحة ، والاستعارات الرائقة ؛
وإرداف المعاني في الإبانة عن لمعان أسنة الذواب ، وبريق صفعات المناصل ؛
وإعمال المقاصل في القيم ، وظهور نجوم السيوف من ليل الحرب في دياحي الظلم ؛
وينعت الدماء المتبعثة من الجراح ، على متون الزماح والصفاح .

ويذكر ما أظهره الله تعالى : من تكامل النصر ودلائل الظفر ، وما أنجحت عنه
الحرب : من قتل من قتل وأسير من أسير ، وهزيمة من هزم ؛ وما فاز به الرجال
من الأسلاب والأموال ، والذواب والرجال ؛ وما جرت عليه الحال من انفلال العدو
عند المقاتلة ، أو أسير العدو إن أسير ، أو اعتصامه بمقيل لا يمحضه ؛ أو امتناعه بحيث
يحتاج إلى منازلته باستزله قسراً ؛ أو حيازة المعقل الذي كان بيده ، وما اعتمد فيه ؛
من حسن السيرة ، وتخفيف الوطأة عن الرعية وحسن أسباب الفتنة ؛ أو رغبتة
في المسألة ، وسؤاله في المهادنة ؛ لخوف أظله ، وطلع آحتله ؛ وما تردد من رسائل ،
وتقرر من شروط وعقود ؛ وإنقاذ الأمر في ذلك كما أوجبه الحزم ، واقتضاه
صواب الرأي .

وإن كان السلم قد وقع، والتنازع قد ارتفع؛ ذكر اتفاق الحزبين^(١)، واتخاذ
الكلمة، وتعمول النعمة .

وإن كان لم يجبه إلى المهادنة، حذرًا من المكر والمخادعة، ذكر ما مر في ذلك
من رأي وتدبير، وتسييد وتقرير .

وإن كان طلب المهادنة ليجد فسحة المهل فيكثر عدده، ويحم عدده، ويتم حياته؛
فأطلع منه على ذلك، فبادره مقللاً لكيد ومكره، مديقاً له وبأل أمره؛ شرح الحال
على نصحها وما أتته إلى آخرها .

قال : وقد بقع من هذه الأمور ما لا يحسب، وسيل جميعه هذا السبيل .

ثم قال : ويختم الكتاب بحمد الله القاصي لأوليائه بالإداله، ولأعدائه بالإذاله؛
الذي يستدرج بيلبه إمهالاً؛ ولا يلقى العادل عن حكمة إمهالاً؛ والصلاة على رسوله
صلى الله عليه وسلم وعلى آله .

وقد تقدم في الكلام على مقدمة المكاتبات في أوائل المقالة الرابعة من الكتاب،
أن هذه الكتب مما يجب بسطها والإطاب فيها؛ وأن ما وقع في كتاب المهلب
أبن أبي صفرة، من كتابه إلى الحجاج في فتح الأزارقة من الخوارج، على عظم الفتح
وبعد صيته، على سبيل الإيجاز والاختصار، حيث قال فيه :

أما بعد، فالحمد لله الذي لا تنقطع مواد نعمة عن خلقه حتى تنقطع منهم مواد
الشكر . وإنا وعدونا نكماً على حال يسرنا منهم أكثر مما يسوئنا؛ ويسوئهم منا أكثر
مما يسرهم؛ ولم يزل الله جل ثناؤه يزيدنا ويتقصمهم، ويعزنا ويذلهم، ويؤيدنا
ويخذلهم، ويخصنا ويحققهم؛ حتى بلغ الكتاب أجله . (قطع دابر القوم الذين

(١) في الاصل "آساع الحزبين" وهو غير مناسب .

ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ فَأَتَمَّا سَلَكَ فِيهِ سَبِيلَ الْإِنجَازِ، لِكَوْنِهِ مِنَ النَّاجِعِ إِلَى الْمُنْتَبِعِ ؛ إِذِ الْحَجَّاجُ كَانَ هُوَ الْقَائِمُ بِأَمْرِ الْعِرَاقِ وَمَا وَالَاهُ الْعَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، عَلَى شِدَّةِ سَطْوَتِهِ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قُوَّةِ الشَّكِيمَةِ وَشِدَّةِ الْبَأْسِ ؛ مَعَ كَوْنِ الْأَدَبِ فِي مَكَاتِبِ الْمَرْعُوسِ الرَّئِيسِ الْإِنْيَانِ بِقَلِيلِ الْفِظِ الْمَدَالِ عَلَى الْمَقْصِدِ؛ حَتَّى لَا يَكُونَ فِيهِ شَغْلٌ لِلرَّئِيسِ بِطُولِ الْكَلَامِ وَبَسْطِ الْقَوْلِ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ بَيَانَهُ فِي مَوْضِعِهِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكِتَابَةَ فِي فَتُوحَاتِ بِلَادِ الْكُفْرِ وَمَعَاظِلِهِمْ وَالْأَسْتِيلاءِ عَلَى بِلَادِ الْبَغَاةِ تَكَادُ أَنْ تَكُونَ فِي الْكِتَابَةِ عَلَى نَسَبٍ وَاحِدٍ ؛ إِلَّا أَنَّ جَمَالَ الْكَاتِبِ فِي فَتُوحَاتِ بِلَادِ الْكُفْرِ أَوْسَعُ، مِنْ حَيْثُ عِزَّةُ الْإِسْلَامِ عَلَى الْكُفْرِ، وَظُهُورُ دِينِهِ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ .
وهذه نسخة كتاب بفتح فتحه الخليفة وعاد منه ، وهي :

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُدْبِلِ الْحَقِّ وَمُنِيرِهِ ، وَمُذِلِّ الْبَاطِلِ وَمُبِيرِهِ ؛ مُؤَيِّدِ الْإِسْلَامِ بِيَاهِرِ الْإِنجَازِ، وَمُنْتَمِ ^(١) وَعِدِهِ فِي الْإِظْهَارِ بَوَشِيكَ الْإِنجَازِ ؛ وَأَتَمِّدُ كُلَّ دِينٍ وَأَعْلَاهُ ، وَرَفُضَ كُلِّ شَرِّعٍ وَأَجْتَنَّبَاهُ ؛ وَجَعَلَهُ نُورَهُ الْأَلَامِ ، وَظَلَّمَهُ الْمَاتِعِ ؛ وَأَبْتَعَتْ بِهِ السَّرَاحَ الْمُنِيرِ، وَالْبَشِيرَ الْبُنْدِيرِ ؛ فَأَوْضَحَ مَنَاقِبِهِ ، وَبَيَّنَّ مَدَارِجَهُ ؛ وَأَنَارَ أَعْلَامَهُ ، وَقَفَّصَلَ أَحْكَامَهُ ؛ وَسَنَّ حَلَالَهَ وَحَرَّمَاهُ ، وَبَيَّنَّ خَاصَّهُ وَعَامَّهُ ؛ وَدَعَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ، وَحَصَّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِعَصَمِ دِينِهِ ؛ وَتَمَرَّرَ فِي نَصْرِهِ مُجَاهِدًا مِنْ نَدَى عَنْ سَبِيلِهِ ، وَعِنْدَهُ عَنْ دَلِيلِهِ ؛ حَتَّى قَصَدَ الْأَنْصَابَ وَالْأَصْنَامَ ، وَأَبْطَلَ الْمَيْسِرَ وَالْأَزْلَامَ ؛ وَكَشَفَ غَيَابَاتِ الْإِظْلَامِ ، وَأَتَمَّعَتْ حَيْلُ اللَّهِ بِقَبَائِلِ الْهَمَامِ ^(٢) .

(١) لعله زائد من ظم الناصح .

(٢) يؤيد ماورد هنا التصحيح الذي أوردهاه بهامش (١) من (ج ٦ ص ٤٤٠) من هذا المطوع فليراجع هناك .

(٣) يؤيد ماورد هنا أيضا التصحيح الذي أوردهاه بهامش (٢) من (ج ٦ ص ٤٤٠) .

يحمده أمير المؤمنين أن [جعله من ولاية أمره ، ووقفه لأتباع سنة رسوله وأتفائه أثره ، وأعانه على تمكين الدين ، وتوهمين المشركين ، وشفاء صدور المؤمنين] ^(١) أنهضه بالمرامة عن المسئلة ، والمجامة عن الحوزة ، وإعزاز أهل الإيمان ، وإذلال حزب الكفران ، ويسأله الصلاة على خيرته المحبب ، وصفوته المنتضى ، عهد أفضل من ذب وكافح ، وجاهد وناغ ، وحى الذمارة ، وغزا الكفار ، صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سيفه القاطع ، وجمته المدافع ، وسهمه الصارد ، وناصيره المعاضد ، فارس الوقائع ، ومفترق الجماع ^(٢) ، مبيد الأقران ، ومبدد الشجعان ، وعلى الطهيرة من عترته أئمة الأزمان ، وخالصة الله من الإنس والجان .

وإن أولى النعم بأن يُقَلَّ في لباسها ، ويُتَوَصَّلَ بالشكر إلى لباسها ^(٣) ، ويُتَهادَى طيبُ خبرها ، ويُتَفاوَضَ بحسن أثرها ، نعمة الله تعالى في التوفيق لمجاهدة أهل الإلحاد والشرك ، وغزو أولي الباطل والإفك ، والهجوم عليهم في عقر دارهم ، واجتثاث أصلهم والحد في دمارهم ، واستزالمهم من معاقبهم ، وتشريدهم عن منازلهم ، وتقميض نواظرهم الشوس [وإلباسهم لباس البوس] لما في ذلك من ظهور التوحيد وعززه ، وتحمود الإلحاد وعززه ، وعلو ملة المسلمين ، وانخفاض دولة المشركين ، ووضوح [محجة] الحق ومحجته ، وضدوع برهانه وآيته .

وكتب أمير المؤمنين هذا إليك وقد أنكفا عن ديار الفلانيين المشركين إلى دسيت خلافته ، ومقر إمامته ، بعد أن غزاهم برا وبحرا ، وشردهم سهلا ووعرا ، وجرحهم

(١) الزيادة عما تقدم (ج ٦ ص ٤٤٠) .

(٢) ورد بدل هذه الكلمة في (ج ٦ ص ٤٤١) "عبوس" وقد وضع بجانبها هناك علامة توقف لعدم ظهور معناها .

(٣) كذا هنا ، والذي في (ج ٦ ص ٤٤١) "لباسها" .

(٤) الزيادة عما تقدم في (ج ٦ ص ٤٤١) .

من عواقب كُفْرهم مُرًا ، وقرَّبَ جماعتهم التي تُطَبِّقُ سهوب الفِضَاءِ [خيلا ورجلا ،
وتضيق بها المهامة حرًا وسهلاً ، ومزَّقَ كتائبهم التي تُلْحِقُ الوهاد بالنجاد ، وتختطفُ
الأبصار ببوارق الأعماد] ^(١) وتجعل رعود سنايكها في السماء ، وسبي الدَرَارِي
والأطفال ، وأسَرَّ البَطَارِيْقَ والأقيال ، وأفتح المعاقِلَ والأعمال ، وحاز الأسلاب
والأموال ، واستولى من الحصون على حصن كذا وحصن كذا ، ومحامها رؤوم الشرك
وعقافها ، وأثبت سنن التوحيد بها وأمضاها ، ونعم أولياء أمير المؤمنين ، ومتطوعة
المسلمين [من الغنائم] ما أقرَّ العيون ، وحقق الظنون ، وأتصلوا وقد زادت بصائرهم
نفاذاً في الدين ، وسرائرهم إخلاصاً في طاعة أمير المؤمنين ؛ بما أولاهم الله من النصر
والإظفار ، والإعزاز والإظهار ؛ ووضح للشركين بما أنزل الله عليهم من الخلدان ،
وأناهم إياه من الهوان ؛ أنهم على مِصْلَةٍ من النى والعمى ، ومنحاة ^(٢) من الرشد والهدى ؛
فصرعوا إلى أمير المؤمنين في السلم والمودعة ، وتخلوا بدلاً بذلوه [تفادياً] ^(٣) من الكفاح
والمقارعة ؛ فأجابهم إلى ذلك متوكلاً على الله تعالى ، وأمثالاً لقوله إذ يقول :
(وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) وعاقده طائغيتهم
على كتاب هُدًى كتبه له ، وأقره في يده ؛ حجةً بضمونه .

أشرك أمير المؤمنين ذلك : لتأخذ من هذه النعمة بنصيب مثلك من المخلصين ،
وتعرف موقع ما تفصل الله تعالى به على الإسلام والمسلمين ؛ فيحسن ظنك ،
وتقر عينك ، وتشكر الله تعالى شكر المستمد من فضله ، المعند بطوله ؛ وتتلو كتاب

(١) الزيادة عما تقدم في (ج ٦ ص ٤٤١) .

(٢) في (ج ٦ ص ٤٤٢) من هذا الطبع "رُبند" .

(٣) الزيادة عما تقدم في (ج ٦ ص ٤٤٢) .

أمير المؤمنين ، على كآفة من قبلك من المسلمين : ليعلموا ما تولاهم الله به من نصيره وتمكينه ، وإذلال عدوهم وتوحيه به ، فأعلم ذلك وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .

ثم الفتوح إما فتح لبعض بلاد الكُفَر ، وإما فتح لِمَا استولى عليه البُغَاة من المسلمين .

فأما فتح بلاد الكُفَر فكان سبيلهم فيه أن يُصدّر الكتاب بحمد الله تعالى على علو دين الإسلام ورفعته ، وإظهاره على كل دين ؛ ثم على به من النبي صلى الله عليه وسلم بالهداية إلى الدين القويم ، والصرار المستقيم ؛ ويذكر ما كان من أمره صلى الله عليه وسلم من جهاد الكُفَر . ثم على إغامة اللُدُنَاء في الأرض حفظاً للرعيه ، وحياطة للبرية ، وصورنا للبيضة ؛ ويخص خليفة زمانه من ذلك بما فيه تفضيله ورفعة شأنه ؛ ثم يؤخذ في تعظيم شأن العدو وتحويل أمره ، وكثرة عديده ، ووقور مدده ؛ ثم في وصف جيوش المسلمين بالقوة والاستعداد ، والأشدناد في الله تعالى ، والقيام في نصرة دينه ؛ ثم تذكر الملحمة وما كان من الوقعة وألتحام القتال ، وما أتمجلت عنه الملحمة من النصرة على عدو الدين وخذلانه ، والإمكان منه ، وقتل من قتل منهم ؛ وأسر من أسر ، وتفريق شمليهم ، وانتظام كلمة الإسلام ، وطاعيتهم بهلاك عدوهم ، وما في معنى ذلك .

وهذه نسخة كتاب كُتِبَ به إلى الديوان العزيز ، أيام الناصر لدين الله ، عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، بفتح القُدس الشريف ، وإتقاده من يد الكُفَر في آخر شعبان سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، من إنشاء القاضي الفاضل ، وهو :

أدام الله أيام الدَّبَّانِ العَزِيزِ النَّبِيِّ النَّاصِرِيِّ ، ولا زال مَطْفَرُ الجُدِّ بِكُلِّ جاحِدٍ ،
 غَنَى التَّوْفِيقَ ^(١) عن رَأْيِ كُلِّ رَائِدٍ ، موقوفَ المَسَاعِي على اقْتِنَاءِ مُطْلَقَاتِ المِحَامِدِ ؛
 مُسْتَقِظَ النَّصْرِ والسَّيْفِ في جَفْنِهِ رَاقِدًا ، وأَرَادَ الجُودَ والسَّحَابُ على الأَرْضِ غيرُ وأَرَادَ ؛
 مُتَعَدِّدَ مَسَاعِي الفَضْلِ وإن كان لا يُبْلَى إلا بِالشُّكْرِ واحدًا ، مَاضِي [حُكْمَ القَوْلِ] بِعَزْمِ ^(٢)
 لا يَمِضِي إلا بِالسَّلِّ غَوِيٍّ ورَيْشِ رَاشِدٍ ، ولا زالت غِيوثُ فضله [إلى الأولياءِ] ^(٣)
 أنوَاءَ إلى المَرَايِعِ وأنوارًا إلى المساجدِ ، وبعوثُ رُعبِهِ إلى الأعداءِ خَيْلًا إلى المَرَايِبِ
 وخيالًا إلى المراقدِ .

كَتَبَ الخَلِيدُ هذه الخِدْمَةَ تَلَوَّ مَاصِدِرَ عَنهُ مِمَّا كان يَجْرِي بِجَرَى التَّبَاشِيرِ لُصْبِجِ
 هذه الخِدْمَةِ ، والعُنُوانِ لِكِتَابِ وَصَفِ هذه النعمَةِ ، فإنها بِجَمْعِ الأَقْلَامِ فيه سَبْحٌ
 طَوِيلٌ ، وأُطْفٌ تَحْمَلُ الشُّكْرَ فِيهِ عِبءٌ ثَقِيلٌ ، وبُشْرَى لِلخَوَاطِرِ في تَمْرِحِهَا مَآرِبٌ ،
 وَيُسْرَى لِلأسْرَارِ في إِظْهَارِهَا مَسَآرِبٌ ، والله في إِعَادَةِ شُكْرِهِ رِضًا ، وللنعمَةِ الرَّاهِنَةِ
 به دَوَامٌ لا يُقَالُ معه : هذا مَضَى ؛ وقد صَارَتْ أُمُورُ الإِسْلامِ إلى أَحْسَنِ مِصَابِرِهَا ،
 وَأَمْتَنَّتْ عِفَائِدُ أَهْلِهِ على أَيْنِ بَصَائِرِهَا ، وَتَقَلَّصَ ظِلُّ رِجَائِ الكَافِرِ المَبْسُوطِ ،
 وَصَدَّقَ اللهُ أَهْلَ دِينِهِ فَلَمَّا وَقَعَ الشَّرْطُ حَصَلَ المَشْرُوطُ ؛ وَكانَ الدِّينُ غَرِيبًا فَهُوَ
 الآنَ في وَطَنِهِ ، وَالقُورُ مَعْرُوضًا فَقَدِ بُدِّلَتِ الأَنْفُسُ في تَمَنِّيهِ ؛ وَأَمْرٌ الحَقِّ وَكانَ
 مُسْتَضْعَفًا ، وَأَهْلٌ رُبْعُهُ وَكانَ قَدِ عَيْفَ حِينَ عَقَابِ وَجاءَ أَمْرُ اللهِ وَأُنُوفُ أَهْلِ الشَّرْكِ
 رَاحِمُهُ ، فَأَدْبَلَتِ السُّيُوفُ إلى الأَجالِ وَهِيَ نَائِمَةٌ ؛ وَصَدَّقَ وَعَدُّ اللهُ في إِظْهَارِ دِينِهِ

(١) كذا هنا وفيها تقدم ، والذي في وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ٢ ص ٥٨٤)

غنيًا بالتوفيق .

(٢) الزيادة عن رسائل القاسمي الفاضل الفنوغرافية المحفوظة بدار الكتب السلطانية ص ٢٢٩

على كُلِّ دِينٍ ، وَأَسْتَطَارَتْ لَهُ أَنْوَارُ أَبَاتَتْ أَنَّ الصَّبَاحَ عِنْدَهَا حَيَاتُنَ الحَيْنِ ، وَأَسْتَرَدَّ
المسلمونَ نُرَانًا كَانَ عِنْدَهُمْ آيَاتًا ، وَظَفِرُوا بِقَضَّةٍ مِمَّا لَمْ يُصَدِّقُوا أَنَّهُمْ يَظْفَرُونَ بِهِ طِينًا
عَلَى النَّبِيِّ طَارِقًا ، وَأَسْتَقَرَّتْ عَلَى الأَعْلَى أقدامُهُمْ ، وَخَفَّتْ عَلَى الأَقْصَى أَعْلَامُهُمْ ؛
وَتَلَاقَتْ عَلَى الصَّخْرَةِ قُلُوبُهُمْ ، وَشَفِيَتْ بِهَا وَإِنْ كَانَتْ صَخْرَةٌ [قُلُوبِهِمْ] ^(١) كَمَا تُسْنَفِي
بِالماءِ عُلْمُهُمْ .

ولما قَدِمَ الدِّينَ عَلَيْهَا عَرَفَ مِنْهَا سُوَيْدَاءَ قَلْبِهِ ، وَهَذَا كُنْفُهَا المَجْرُ الأَسْوَدُ
بَيْتَ عِصْمَتِهَا مِنَ الكَافِرِ يَجْرِي بِهِ ؛ وَكَانَ الخَادِمُ لا يُسْمَعِي سَمِعِهِ إِلا هَذِهِ العُظْمَى ،
ولا يَقَاسِي تِلْكَ البُؤْسَى الأَرَجَاءَ هَذِهِ النُّعْمَى ؛ وَلا يُنَازِحُ مِنَ يَسْتَمِطِلُهُ فِي حَرِيهِ ،
وَلا يُعَاتِبُ بِأَطْرَافِ القَنَاءِ مَنْ يَتَمَادَى فِي عَتْبِهِ ؛ إِلا لَتَكُونَ الكَلِمَةُ مَجْمُوعَةً ، وَالدُّعْوَةُ
إِلَى سَامِعِهَا مَرْفُوعَةً ؛ فَتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا ، وَلِيُقَوِّزَ بِجَوْهَرِ الأَخْرَةِ لا بِالْعَرِضِ
الأَذْنَى مِنَ الدُّنْيَا ؛ وَكَانَتِ الأَلْسِنَةُ رُبَّمَا سَلَقَتْهُ فَانْضَجَ قُلُوبُهَا بِالأَحْتِقَارِ ، وَكَانَتِ
الخَوَاطِرُ رُبَّمَا عَلَّتْ عَلَيْهِ مَرَّاجِلُهَا فَاطْفَأَهَا بِالأَحْتِمَالِ وَالأَصْطِبَارِ ؛ وَمَنْ طَلَبَ خَطِيرًا
خَاطِرًا ، وَمَنْ رَامَ صَفْقَةً رَاجِحَةً تَجَاسَّرَ ، وَمَنْ سَمَّا لِأَنَّ يُجِلِّي عَمْرَةَ غَامِرًا ، وَإِلا فإِنَّ
القُعُودَ يُلِينُ تَحْتِ ثِيَابِ الأَعْدَاءِ المَعَاجِمِ فَمَعَّضُهَا ، وَيُضَعِفُ بِأَيْدِيهَا مَهْزِ القَوَائِمِ
فَمَقَّضُهَا ؛ هَذَا إِلى كَوْنِ القُعُودِ لا يَقْضِي فَرَضَ اللهِ فِي الجِهَادِ ، وَلا يُرْعَى بِهِ حَقُّ اللهِ
فِي العِبَادَةِ ؛ وَلا يُوفَى بِهِ وَاجِبُ التَّقْلِيدِ الَّذِي تَطَوَّقَهُ الخَادِمُ مِنْ أُمَّةٍ قَضَوْا بِالْحَقِّ
وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ ، وَخُلَفَاءُ اللهِ كَانُوا فِي مِثْلِ هَذَا اليَوْمِ تَلَهُ يَسْأَلُونَ ؛ لِأَجْرَمَ أَنَّهُمْ أَوْرَثُوا
سِرَّهُمْ وَسِرِّرَهُمْ خَلْفَهُمْ الأَطْهَرُ ، وَتَجَلَّهْمُ الأَكْبَرُ ؛ وَبَقِيَّتُهُمُ الشَّرِيفَةُ ، وَطَلَعَتَّهُمْ
المُنِيفَةُ ، وَعُتُونُ صَحِيفَةِ قَضَلِهِمْ لا عَدِمَ سَوَادُ العَلَمِ وَيَبَاصُ الصَّحِيفَةِ ؛ فَما غَابُوا

(١) كذا في نسخة أيضا (ج ٦ ص ٤٩٧) وفي وثائق الأعيان (ج ٢ ص ٥٨٥) "عند حسان الجين".

(٢) الزيادة عن وثائق الأعيان (ج ٢ ص ٥٨٥).

لَمَّا حَضَرَ، وَلَا غَضُّوا لَمَّا نَظَرَ، بَلِ وَصَلَهُمُ الْأَجْرُ لِمَا كَانَ بِهِ مَوْصُولًا، وَشَاطِرُوه
 الْعَمَلِ لِمَا كَانَ عَنْهُ مَنقُولًا وَمِنْهُ مَقْبُولًا؛ وَخَلَصَ إِلَيْهِمْ إِلَى الْمَضَاجِعِ مَا أَطْمَأَنَّتْ بِهِ
 جُنُوبُهَا، وَإِلَى الصَّحَائِفِ مَا عَبَقَتْ بِهِ جُيُوبُهَا، وَفَازَ مِنْهَا بِذِكْرِ لَا يَزَالُ اللَّيْلُ بِهِ سَمِيرًا،
 وَالنَّهَارُ بِهِ بَصِيرًا، وَالشَّرْقُ يَهْتَدِي بِأَنْوَارِهِ، بَلِ إِنْ أَبَدَى نُورًا مِنْ ذَاتِهِ هَتَفَ بِهِ الْغَرْبُ
 بِأَنْ وَارِهِ؛ فَإِنَّهُ نُورٌ لَا تُكِنُّهُ أَغْشَاقُ السُّدُفِ، وَذِكْرُ لَا تُوَارِيهِ أَوْرَاقُ الصُّحُفِ .

وكتاب الخلدام هذا، وقد أظفر الله بالعدو الذي تَشَطَّتْ قَنَاتُهُ شَفَقًا، وَطَارَتْ
 فِرْقُهُ فِرْقًا؛ وَقُلْ سَيْفُهُ فَصَارَ عَصَا، وَصُدِعَتْ حَصَاةُهَا وَكَانَ الْأَكْثَرُ عَدَدًا وَحَصَا؛
 وَكَانَتْ حَمَلَاتُهُ وَكَانَتْ قُدْرَةُ اللَّهِ تُصَرِّفُ فِيهِ الْعِيَانَ بِالْعِيَانِ، عُقُوبَةٌ مِنْ اللَّهِ لَيْسَ
 لِصَاحِبِ يَدَيْهَا يَدَانِ؛ وَعَثَرَتْ قَدَمُهُ وَكَانَتْ الْأَرْضُ لَهَا حَلِيفَةً، وَغَضَّتْ عَيْنَهُ
 وَكَانَتْ [عُيُونٌ] السُّيُوفِ دُونَهَا كَسِيفَهُ؛ وَنَامَ جَفْنُ سَيْفِهِ وَكَانَتْ يَقِظَتُهُ تُرِيقُ نَظْفَ
 الْكَرْبِيِّ مِنَ الْجُحْفُونَ، وَجُدِعَتْ أَوْفُ رِمَاحِهِ وَطَلَمَا كَانَتْ شَاخِجَةً بِالْمُنَى أَوْ رَاعِقَةً
 بِالْمُنُونِ؛ وَأَصْحَبَتِ الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةَ الطَّاهِرَةَ وَكَانَتْ الطَّامِثِ، وَالرَّبُّ الْمَعْبُودُ الْوَاحِدَ
 وَكَانَ عِنْدَهُمُ الثَّلَاثُ؛ فَيُوتُ الشَّرْكَ مَهْدُومَهُ [وَيُؤَبُّ الْكُفْرَ مَهْتُومَهُ] ^(٢) وَطَوَائِفَهُ
 الْمُحَامِيَةَ، مُجْتَمِعَةً عَلَى تَسْلِيمِ الْبِلَادِ الْخَامِيَةِ، وَشُجْعَانَهُ الْمُتَوَافِيَةَ، مُدْنِعَةً لِبَدَلِ الْمَطَامِعِ
 الْوَافِيَةَ؛ لَا يَرَوْنَ فِي مَاءِ الْحَدِيدِ لَمْ عُصْرَهُ، وَلَا فِي فِتْنَةِ الْأَفْنِيَةِ لَمْ نُصْرَهُ؛ وَقَدْ ضُرِبَتْ
 عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ، وَبَدَّلَ اللَّهُ مَكَانَ السَّبِيحَةِ الْحَسَنَةَ؛ وَقَتْلَ بَيْتِ عِبَادَتِهِ مِنْ أَيْدِي
 أَصْحَابِ الْمَشَامَةِ إِلَى أَيْدِي أَصْحَابِ الْمَيْمَنَةِ .

(١) الزيادة عن وفيات الأعيان .

(٢) الزيادة من رسائل الفاضل القاضى .

(٣) في وفيات الأعيان "القلاع" .

وقد كانت الخدام لقيهم القادة الأولى فأمدّه الله بمداركه ، وأنجده بملائكته ، فكسرهم كسرة ما بعدها جبر ، وصرعهم صرعة لا يتعش بعدها بمشيئة الله كفرة ، وأسّر منهم من أسرت به السلاسل ، وقتل منهم من فتكت به المناصل ، وأجلت المعركة عن صرعى من الخيل والسلاح [والكفار] ، وعن أنصاف محيل فإنه قتلهم بالسيوف الأفلاقي والرماح الأكسار ، فيلوا بنار من السلاح ونالوه أيضا بنار^(١) فكم أهلة سيوف تقارض الضراب بها حتى صارت كالعراجين ، وكم أنجم أسنة تبادلت الطعان حتى صارت كالمطاعين ، وكم فارسية ركض عليها فارسها الشهم إلى أجل فأختلسه ، وفقرت تلك القوس فأها فإذا فوها قد نهش القرن على بُعد المسافة فأقرسه ، وكان اليوم مشهودا ، وكانت الملائكة شهودا ، وكان الكفر مفقودا والإسلام مؤلّودا ، وجعل الله صلوع الكفار لنار جهنم وقودا ، وأسّر الملك وبسده أوتق وتأنقه ، وأكد وصله بالدين وعلايقه ، وهو صليب الصلوت ، وقائد أهل الجبروت ، وما دهموا قط بأمر إلا وقام بين ذماتهم ينسط لهم بأعه ، ويحرضهم وكان مدّ اليدين في هذه الذمعة ودأعه ، لاجرم أنهم يهاقت على ناره قرأشهم ، ويحتمع في ظل ظلامه خشاشهم ، ويقاتلون تحت ذلك الصليب أصلب قتال وأصدقته ، ويرونه ميثاقا يتنون عليه أشد عقده وأوثقه ، ويعدونه سورا تحفر حوافر الخيل خندقه .

وفي هذا اليوم أسرت سرائهم ، وذهبت ذماتهم [ولم يقبلت منهم معروف إلا القومص ، وكان لعنه الله مليا يوم الظفر بالقتال ، ومليا يوم الخذلان^(٢)] بالأحتيال ، فتعجا ولكن كيف ، وطار خوفا من أن يلحقه منسر الرمح أو جناح السيف ،

(١) الزيادة من رسائل القاضي الفاضل .

(٢) في وفيات الأعيان وفي رسائل القاضي الفاضل القوتوغرافية "قما" .

(٣) الزيادة من رسائل القاضي الفاضل ومن وفيات الأعيان .

ثم أخذَه اللهُ تعالى بعد أيام بيده، وأهلكه لموعده، فكان لعديتهم فذلك، وانتقل من ملك الموت إلى مالك .

وبعد الكسرة من الخادم على البلاد فطواها بما نشر عليها من الراية العباسية السوداء صبغا، البيضاء صنعا، الخافقة هي وقلوب أعدائها، الغالبة هي [وعزائم أولياتها] المستضاء بانوارها إذا فتح عينها البشر، وأشارت بأنامل العذبات إلى وجه النصر، فافتتح بلد كذا وكذا [كلها] أمصار ومدن، وقد تسمى البلاد بلادا وهي مزارع وفدان، وكل هذه ذوات معاقل ومعاقرة، وبحار وبحائر، وجوامع ومناير، وجموع وعساكر، يتجاوزها الخادم بعد أن يحرزها، ويتركها وراءه بعد أن ينتهزها، ويحصده منها كغرا ويرزع إيماناً، ويحط من منارجوامعها صلباناً ويرفع أذاناً، ويبدل المذابح منائر والكائس مساجد، ويؤتى بعد أهل الصلبان أهل القرعان للذب عن دين الله مقاعداً، ويقر عينه ويعيون أهل الإسلام أن تعلق النصر منه ومن عسكره بحار وجرور، وأن ظفر بكل سور ما كان يخاف زلزاله وزباله إلى يوم النسخ في الصور .
ولما لم يبق إلا القدس وقد اجتمع إليها كل شريد منهم وطريد، واعتصم بمنعتها كل قريب منهم وبيد، ووطنوا أنها من الله ما نعمتهم، وأن كنيستها إلى الله شافعتهم؛ فلما نازل الخادم رأى بلداً كبلاد، وجمعاً كيوم التناد، وعزائم قد تاليت وتالفت على الموت فزلت بعرضته، وهان عليها مورد السيف وأن موت بعصته؛ فزاول البلد من جانب فإذا أودية عميقة، ولحج وعمرة غير يقه، وسور قد أعطف عطف السوار، وأبرجة قد نزلت مكان الواسطة من عقد الدار؛ فعدل إلى جهة أخرى

(١) الزيادة من رسائل القاضي الفاضل ومن وفيات الأعيان .

(٢) جواب لنا الأثر مفهوم من المقام . أنظر ما كتبناه عند الكلام على هذه الرسالة فيما تقدم

كان للطامع عليها مُعَرَّجٌ ، ولخيلٍ فيها مُتَوَجِّحٌ ، فزول عليها ، وأحاط بها وقرب منها ،
 وضرب خيمته بحيث يناله السِّلَاحُ بأطرافه ، ويُرَاجِحُهُ السُّورُ بِأَكْثَافِهِ ، وقابلها
 ثم قاتلها ، ونزلها ثم نازلها ، وبرز إليها ثم بارزها ، وحاجرها ثم ناجرها ، فضمها ضمة
 ارتقبت بعدها الفتح ، وصدع أهلها فإذا هم لا يبصرون - على عبودية الخلد - عن عتيق
 الصُّفْحِ ، فراسلوه ببئيلِ قِطِيعَةٍ إلى مُدَّةٍ ، وقصدوا نظرةً من شدَّةٍ وانتظاراً لِنَجْدِهِ ،
 فمرقهم الخلد في لحن القول ، وأجابهم بلسان الطول ، وقدم المنجيات التي تنوئ
 عقوبات الحُصُونِ عِصْمًا وحياتها ، وأوترهم قسيها التي تضرب فلا تُفَارِقُهَا سِهَامُهَا
 ولا يفارق سِهَامُهَا نِصَالُهَا ، فصاحت السُّورُ بِأَكْثَافِهِ إِذَا سَهَمُهَا فِي شَيْءٍ شُرُقَاتِهَا سِوَاكَ ،
 وقدم النَّصْرُ سُرًّا مِنَ الْمَنْجِيئِ يُخَلِّدُ إِخْلَادَهُ إِلَى الْأَرْضِ وَيَعْلُو عُلُوَّهُ إِلَى السَّمَاءِ ،
 فشج مرادع أبراجها ، وأسمع صوت عجيجها [صمَّ أعلاجها] ^(١) ورفع مئار عجاجها ، فأخلى
 السُّورُ مِنَ السَّيَّارِ ، والحرب من النظاره ، فأمكن القاب ، أن يسفر لغرب القاب ،
 وأن يعبد الحجر إلى سيرته [الأولى] ^(١) من التراب ، فتقدم إلى الصخر فضغ سرده
 بأنياب معوله ، وحل عقده بضربه الأخرق الدال على لطفه أعمله ، وأسمع الصخرة
 الشريفة حنينه وأستغاثته إلى أن كادت ترق لمقبله ، وتبرأ بعض الحجارة من
 بعض ، وأخذ الحراب عليها موتفاً فلن تبرح الأرض ، وفتح في السور باباً سد من
 نجاتهم أبواباً ، وأخذ ينقب في حجره فقال عنده الكافر : (بِالْيَتِي كُنْتُ تَرَاباً) فحينئذ
 ينس الكفار من أصحاب الدور ، يكابئس الكفار من أصحاب القبور ، وجاء أمر الله
 وعمرهم بالله العرور .

وفي الحال تخرج طائفة كفرهم ، وزمام أمرهم ، ابن بارزان سائلاً أن يؤخذ
 البلد بالسلام لا بالعنوة ، وبالأمان لا بالسطوة ، وألقى بيده إلى المهلكة ، وعلاه كلُّ

الملكه بعد عز الملكه، وطرح جبينه في التراب وكان جبيناً لا يتعاطاه طارح، وبذل مبدلاً من القطيعة لا يطمح إليه طرف أميل طامح، وقال: ها هنا أسارى مؤمنون يتجاوزون الألوف، وقد تعاقد الفرنج على أنهم إن هُجمت عليهم الدار، وحملت الحرب على ظهورهم الأوزار، بُدئ بهم فُجِّلوا، ونُحى بنساء الفرنج وأطفالهم فقتلوا؛ ثم استقتلوا بعد ذلك فلم يُقتل خصم إلا بعد أن يتنصف، ولم يُسل سيف من يده إلا بعد أن تقطع أو يتنصف، وأشار الأمراء بالأخذ بالمسور، من البلد الماسور؛ فإنه إن أُخذ حرباً فلا بُد أن تتصم الرجال الأتجاد، وتبذل أنفسها في آخر أمر قد ينيل من أوله المراد؛ وكانت الحراخ في العساكر قد تقدم منها ما اعتقل الفتنكات، واعتاق الحركات؛ فقبل منهم المبدول عن يده وهم صاغرون، وأنصرف أهل الحرب عن قُدرة وهم ظاهرون؛ وملك الإسلام خطة كان عهدُه بها ديمته سكان، فخدمها الكُفْر لئلا أن صارت روضة جنان؛ لا بحرَم أن الله أخرجهم منها وأهبطهم؛ وأرضى أهل الحق وأخطهم؛ فإنهم خذمهم الله حموها بالأسل والصفاح [وبنوها بالعمد والصفاح] وأودعوا الكنائس بها وبيوت الديوية والاستبارية منها كل غريبة من الرخام الذي يطرد ماؤه، ولا يطرد لآؤه؛ قد لطف الحديد في تجزيه، وتفتن في توشيعه؛ إلى أن صار الحديد، الذي فيه بأس شديد، كالذهب الذي فيه نعيم عبيد؛ فارتى إلا مقاعد كالرياض لها من بياض الترخيم رقرق، وعمداً كالأشجار لها من التثبيت أوراق. (٤)

(١) في وفيات الأعيان (ج ٢ ص ٥٨٨) ورسائل القاضي الفاضل "بك".

(٢) الزيادة من رسائل القاضي الفاضل ووفيات الأعيان وأنظر ما تقدم من هذا المطبوع

(ج ٦ ص ٥٠٣).

(٣) في الأصل "كالأسمار" وفي رسائل القاضي الفاضل "الرياض" والتصحيح من وفيات الأعيان.

(٤) الزيادة من رسائل القاضي الفاضل ووفيات الأعيان.

وأوعز الخادم برد الأفضى إلى عهده المعبود، وأقام له من الأئمة من يوفيه وورده
المورود، وأقيمت الخطبة يوم الجمعة رابع شهر شعبان فكادت السموات يتفطرن
للسجود لا للوجوم، والكواكب [منها] ينتثرن للطرب للالرجوم؛ ورفعت إلى الله
كلمة التوحيد وكانت طرائقها مسدوده، وظهرت قبور الأنبياء وكانت بالنجاسات
مكدوده؛ وأقيمت الخمس وكان التلثت يقعدها [وجهرت الألسن بالله أكبر وكان
سحر الكفر بعقدها] ^(١) وجهر باسم أمير المؤمنين في وطنه الأشرف من المبر، فرحب به
ترحيب من برين بر، وحقق علمه في حنانيه، فلو طار به سرورا لطار بجناحيه .

وكتاب الخادم وهو مجيد في استفتاح بقية الثغور، واستشراح ماضق بتمادي
الحرب من الصدور؛ فإن قوى العساكر قد استنفدت مواردها [وأيام الشتاء قد
مردت مواردها] والبلاد الماخوذة المشار إليها قد جاست العساكر خلالها، ونهبت
ذخائرها وأكلت غلالها؛ فهي بلاد ترفد ولا تسترقد، وتجم ولا تستنفد؛ وينفق عليها،
ولا ينفق منها؛ وتجهز الأساطيل لبحرها، وتقام المربط لبرها، ويداب في عمارة
أسوارها، ومرمات معاقليها؛ وكل مشقة فهي بالإضافة إلى نعمة الفتح محتملة،
وأطاع الفرنج فيما بعد ذلك مذهبها غير مريحة ولا معتزله؛ فلن يدعوا دعوة رجو
الخادم من الله أنها لا تسمع، ولن تزول أيديهم ^(٢) من أطواق البلاد حتى تقطع .

وهذه البشائر تفاصيل لا تكاد من غير الألسنة تتشخص، ولا يمأسوى
المشاقفة تتلخص؛ فلذلك نقودنا لسانا شارحا، ومبشرا صابا؛ ينشر الخبر على
سياقته، ويعرض جيش المسرة من طليعته إلى ساقته .

(١) الزيادة من رسائل القاضي الفاضل ومن رقيات الأعيان .

(٢) رقيات الأعيان ورسائل القاضي الفاضل "ولن يقكوا" .

قلتُ : وقد وَقَفْتُ على نسخة كتاب كُتِبَ به عن المُكْتَفَى بالله، عند ما بَسَّت محمد بن سليمان الكاتب إلى الديار المصرية، فانترعها من يد بني طولون وأَسْتَوَى عليها الخليفة، في نحو كُرَّاسَةٍ، تاريخها ستة ثمان وستين ومائتين، أولها : أما بعدُ فالحمد لله العليُّ الكبير، العزيز القدير، أَضْرَبْتُ عن ذكرها الطولها .

الصنف الثامن

(المكاتبة بالاعتذار عن السلطان في الهزيمة)

قال في "مواد البيان" : من أخلاق العامة تقيحُ سيرة السلطان إذا زكَّ في بعض آرائه ، والإضرارُ على تديره في جيشٍ يُجهِّزه فيكسر ، ونحو ذلك : مما لا يسلم من مثله ، والإفاضة فيه والتشنيع به . فيحتاج إلى مكاتبتهم بما يتلافى الوهنَ ويقم العُذر، كما يكاتبهم بتفخيم المنح، وتعظيم التُّنوحات ، والتَّحدُّث بمواقع المواهب . وشكر الله تعالى على إسباغ النعم ، والإظفار بأعداء الدين والدولة : يُقَوِّى بذلك مُتَمِّمهم، ويُرهِفُ بَصائرهم ويستخلص طاعتهم، ويغلا صدورهم رهبة . قال : وليست لهذه الكُتُب رسومٌ ينظم كُلُّ ما وقع فيها : لاختلاف ما يلام فيه ويعتذر .

ثم قال : ونحن نرسم في أصوله قولاً وجيزاً : وهو أن يقتضب الكاتب له المعاذير التي تُحَسِّنُ أحوالته ، وتستزلفه ، والمجج التي تُعيد الأثم عاذراً ، والدَّامَ شاكراً ، وتوجبُ التقريظ من حيث يجب التأنيب ، والإحماد من حيث يستحقُّ التذنيب . مثل أن يعتذر عن هزيمة جيش، فيقول : وقد علمت أن الحرب سجال ، والدنيا دول تدال ، وقد تهبُّ ريح النصر للقاسطين على المُقسِطين آمنحاناً من الله وبلوى،

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى - من غير أن يصرح
بباطل، ولا يطلق كذبا محضاً ، ولا يفتلق زوراً يعلم الناس خلافه ، فتضاعف
المحنة، وتكاثف المحنة ؛ فإنه لا شيء أفتح على السلطان ، وأقدح في جلالته الشان ؛
من أن يعترف في كتبه على إفتك قد يعلمه بعض من يقف عليه ؛ بل ينبغي أن يعتمد
في ذلك حسن التخلص والتورية عن الغرض ، واستعمال الألفاظ التي تدل على
أطراف الحال ولا تفضح بحقائقها .

وهذه نسخة كتاب من ذلك .

الحمد لله الذي سأس الأمور بحكمته ، وأبان فيها مواقع قدرته ؛ وسلك فيها
طريق مشيئته ، وصرفها على مآره عدلاً بين العباد في أقسام نعمته وبحبته ، وأحوال
بلوآه وعافيته ؛ وجعل الأيام فيهم نوباً ، والأحوال بينهم عقبا ؛ فخص أوليائه وأهل
طاعته بالنصر في المحاكم ، والصالح عند المخاصم ، والظهور على من شاقهم وعاداهم ،
والقهر لمن ضادهم ونأواهم ؛ إنجازا لما وعد به الصابرين المحسنين ، وإعزازا للدين
وأنصاره من المؤمنين ؛ ولم يخل أعداءه من دولة أداها لهم ، وجولة على الحق زادا
في طغيانهم ؛ ووصل الإملاء لهم فيها بخدلائهم : ليجب الثواب للحسنين ، ويحقق
العذاب على الكافرين . فقال في مُحْكَم كتابه - وقد ظهر المشركون على المسلمين -
(**إِنْ يَسْكُرُوا فِرَاحَ قَوْمٍ مَسَّ قَوْمٌ مِثْلَهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُمَا بَيْنَ النَّاسِ**) .
وقال : (**لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَحْقُقَ الْكَافِرِينَ**) وناب بين الفريقين
في المصائب ، والمواهب ، والمسائر ، والمضار ؛ ليثني الله صدور المؤمنين ، ولِيُمَحِّصَ
مافي قلوبهم ؛ ويوجب لهم إخلاص السرائر في طاعته ، والجهاد في سبيله ، والنصرة

لرسوله ، والمُرَامَاةِ عن دينه ، والمدافعةِ عن حريمه ؛ ضِعْفَ الثَّوَابِ وَحُسْنَ الْمَتَابِ ،
وَيُحِلُّ بِالْمُشْرِكِينَ مَا أَعَدَّ لَهُمْ فِي دَارِ الْجَزَاءِ مِنَ أَلِيمِ الْعَذَابِ .

وَإِذَا كَانَ الْحَالُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ الْمُتَلَاقِيَيْنِ ، وَالْفِتْنَتَيْنِ الْمُتَجَاوِرَتَيْنِ ، وَالْحَزِينَيْنِ
الْمُتَحَارِكَيْنِ ، فِي تَعَاوُرِ الْعَلَبَةِ ، وَتَعَاقُبِ الدَّوَلَةِ ؛ جَارِيَا عَلَى تَقْدِيرِ اللَّهِ وَمُنْتَصِرِفَا عَلَى حُكْمِهِ ،
وَمُسْتَوْسِقَا عَلَى مَا سَقَى فِي عِلْمِهِ ؛ فَلَيْسَ يُغْنِي فِي ذَلِكَ زِيَادَةُ عَدَدٍ ، وَلَا أَنْصَالُ مَدَدٍ ؛
وَلَا قُوَّةُ أَيْدٍ ، وَلَا لُطْفُ كَيْدٍ ؛ وَلَا اخْتِيَارُ وَقْتٍ مَحْمُودٍ لِلْقِتَالِ ، وَلَا الْأَشْتَابُ لِأَهْلِ
الْبَسَالَةِ وَالتَّجْدَةِ مِنَ الرِّجَالِ ؛ وَلَا يَجِبُ أَنْ يَسْتَرِيحَ النَّصْرُ مِنْ أَيْطَأَ عَنْهُ ، وَيَسْتَشِيرَ
الْجَزَعُ مِنْ نَالَ خَصْمُهُ مِنْهُ ؛ بَعْدَ تَحْصِيلِهِ السَّلَامَةَ فِي نَفْسِهِ ، وَقِيَامِ الْعُدْلِهِ بِعِنَايَتِهِ
وِجْدِهِ ؛ وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ لِلْأَمِيرِ مِنَ الْمُنَاقِبِ - الَّتِي وَرِثَهَا عَنْ آبَائِهِ ، وَحَازَهَا فِي صَدْرِهِ ؛
وَالْحَيَازَةَ فِيهَا بَانَ مِنْ فَضْلِ بَأْسِهِ ، وَثَبَاتِ جَأَشِهِ ؛ وَأَصَالَةِ رَأْيِهِ ، وَصِحَّةِ تَدْبِيرِهِ ؛ وَإِفْثَائِهِ
الْحَرْبِ شَرُوطَهَا ، وَالْمُهَيِّجَةَ حُقُوقَهَا : مِنَ الْحَزْمِ وَالتَّوَدُّدِ ، وَالْإِقْدَامِ عِنْدَ الْفُرْصَةِ ؛
وَالِإِصَابَةِ فِي التَّقْدِيرِ وَالتَّعْيِيرِ ، وَالْأَحْتِيَاظِ فِي سَدِّ مَوَاقِعِ الْخَطَلِ وَالْعَوْرَةِ ، وَاعْمَالِ
النُّظَرِ وَالرُّؤْيَةِ ؛ لَوْلَا اعْتِرَاضُ الْقَضَاءِ الَّذِي هُوَ مَالِكُ نَوَاصِي الْعِبَادِ ، وَغَيْرُ مَدْفُوعٍ
بِمَحَالٍ وَلَا جِلَادٍ ، وَلَا قُوَّةٍ وَلَا عُدَّةٍ وَلَا عَتَادٍ - مَا أَوْفَى حُسْنُهُ عَلَى مَزِيَّةِ الظَّفَرِ ،
وَزَادَ عُظْمُهُ فِي السَّنَاءِ وَالخَطَرِ ؛ إِلَى مَا شَمِلَ عَسْكَرَهُ فِي مُنْقَلَبِهِ بِمِرَاعَاتِهِ لَهُمْ ، وَمُدَاقَفَتِهِ
مِنْ وَرَائِهِمْ ؛ حَتَّى تَوَافَى الْجَمْعُ مَوْفُورِينَ ، وَأَبُؤَا سَالِمِينَ غَائِمِينَ ؛ وَبَاتَ الْحَوْلُ وَالْقُوَّةُ
وَعَلَيْهِ صَمَانُ الْإِدَالَةِ عَلَى مَا جَرَى بِهِ وَعَدُّهُ الصَّادِقُ ، وَأَخْبَرَ عَنْهُ كِتَابُهُ النَّاطِقُ ؛ وَهُوَ
حَسْبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَكَافِيهِ ، وَنَاصِرُهُ وَوَالِيهِ ، وَنِعْمَ الْوَكِيلُ وَالظَّهِيرُ ، وَالْمَوْلَى
وَالنَّصِيرُ ؛ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ ، وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ
أَجْمَعِينَ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا .



وفي مثله من إنشاء أحمد بن سعيد .

احكام الله جلّ جلاله جاريةٌ على سُبُلِ جامعةٍ لوجوه الحكمة ، منتظمةٍ لأسباب
 الصلاح والمَعَدَلَة . فمنها ما عَرَفَ الله أوليائه والمندوبين بطاعته ، والمجموعين
 بهدأيته ؛ طريق المراد منه ، وسبب الداعي إليه ؛ والعلة فيما قُضِيَ من ذلك لِحِينِه ،
 والصورة المقتضية له . ومنها ما استأثر بَعْدَه ، وطوى عن الخلق معرفة حاله ؛ فهو
 - وإن أشكل عليهم موضع الحاجة إليه ، وموقع العائدة به ؛ ورؤى بهم اضطراباً
 في ظاهره عند تأملهم إياه بمقادير عقولهم ، ومبالغ أفهامهم - مَبْنِيٌّ على أوثق أساس
 الحكمة ، وأثبت أركان الصواب على الجملة ؛ وكيف لا يكون كذلك ؟ والله خالق
 الأشياء كلها ، وعالم بها قبل تكوينها ؛ في أحوال تكوينه إياها وبعده في مترع غاياتها
 ومقضى عواقبها ؛ فليس تخفى عليه خافية ، ولا تغرب عنه دانية ولا قاصية ؛ ولا يسقط
 عن معرفته فصل ما بين الخاطرين والوهّابين في الخير والشر ، وما بين الجلبين والدرين
 في الوفور والعمور ، فكيف بما يبرزه الظهور ؛ ويخبر فيه عن موضع التدبير ، المحتاج
 فيه إلى احكام الصنعة وإتقان التقدير ؛ ومن ظن أن شيئاً من ذلك يخرج عن نهج
 الصواب ، ويخالف طريق الصلاح ؛ فقد ضلّ من حيث ضلّ ، وغلط من
 حيث غلط ؛ واتّصل سوء ظنه ، وفساد فكره ؛ بالزراية على فعل ربه ، تعالى عن
 قول المبطلين ، ورجم الشياطين .

ثم إن لله جلّ جلاله عادةً في الحبشين المتعارين ، والحزبين المتعاكين : من
 عباده المؤمنين ، وأضدادهم المفسدين الملحدين ؛ في المداولة بينهما ، والمعاقبة
 بين الفيتين منهما ؛ في المعجز والظهور ، والوفاء والقصور ؛ والمعاقاة والامتحان ،

والتصبر والخذلان ، والإعلاء لرأية الحق في حال ، والإيملاء للباطل في أخرى ،
بتضمين الخيرة لأوليائه ، والدائرة على أعدائه ، عاجلا بالتمحيص لهؤلاء ،
وبالحق لأولئك ، بما يصل إليهم من مصيبته ، ويؤوبهم في حاضر الدنيا من رغبته ،
ويحل العادين من المشركين دار الفاسقين ، ويعمل العاقبة للتقين ، ومن سعد
بقسم من التوفيق ، وحظ من فائدة الإرشاد ، فليس في هذه الحالة زيادة
أنصار وعده ، وفضل عتاد وعده ، وبسالة ونجده ، وأيد وقوه ، وسعة وبسطه ،
ولا يعدو أن يسلم لله تعالى قاضيا له وعليه ، ويؤفي بإحدى الحسينين من علوه ،
أو غلبة عدوه ، أو يتوكل عليه ، وهو حسبه متعما ، ومثجنا ومعافيا ومسلما ،
ونعم الوكيل .

قلت : وهذا الصنف من المكاتبات السلطانية مستعمل بين الكُتَّاب ، دائر
في مخططاتهم إلى الآن . وللشيخ شهاب الدين محمود الحلبي في ذلك تفننات
كثيرة ، أورد بعضها في كتابه "حسن التوسل" .

فإن ذلك ما أنشاه فيمن هزم هو وجيشه ، يتضمن إقامة عدوه ، ووصف أجهاده ،
ويحث على معاودة عدوه ، والطلب بآره ، وهو :

هذه المكاتبه إلى فلان : لا زال مأمون الغره ، مأمول الكره ، مجتنباً حلو الظفر
من ألكام تلك المرة المره ، راجيا من عواقب الصبر أن يسفر له مساء تلك المساءة
عن صبح المسره ، واتقا من عوائد نصر الله بإعادته ومن معه في [القوة]^(٢) الاستظهار
كما بدأهم أول مره .

(١) يياض في الأصل ولله "ظلمت انتصاره" تأمل .

(٢) الزيادة من "حسن التوسل" (ص ١١٧) .

أصدرناها وقد اتصل بنا تباً ذلك المقام الذى أوصحت فيه السيوف عُذرها ،
 وأبذت به الكأفة صبرها ، وأظهرت فيه الحساء من الوثبات والنبات ما يجب عليها ،
 وبذلت فيه الأبطال من الجلال جُهدنا ولكن لم يكن الظفر إليها ، وكان عليهم
 الإقدام على عمرات المنون ، والأصطلاء بجرات الحرب الزبون ، ولم يكن عليهم
 إتمام ما قدر أنه لا يكون ، فكأبرت رقاب الأعداء فى ذلك الموقف السيوف ، وكأترت
 أعدائهم الخنوف ، وتدققت بحارهم على جداول من معه ولولا حكم القدر لاتصفت
 تلك الآحاد من تلك الألوف ، فصاق بأزديحام الصفوف على رجاله المجال ، وزاد
 العدد على الجلد فلم يُقد له الإقدام على الأوجال مع قدوم الآجال ، وأملى للكافرين
 بما قدر لهم من الإنظار ، وحصل لهم من الاستظهار ، وعوضوا بما لم يعرفوه من الإقدام
 عما ألفوه من الفرار . (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض)
 وقد ورد أنهم ينصرون كما تنصر ، وإذا كانت الحروب سجالات فلا ينسب إلى من
 كانت عليه [وبالآلا] إذا اجتهد ولم يساعده القدر أنه قصر . مع أنه قد أشتهر بما فعله
 فى مجاله ، من اللدب عن رجاله ، وما أبداه فى قتاله ، من الضرب الذى ما تروى
 فيه خصمه إلا بدره بارتجاله ، وأنت الرماح التى أمتدت إليه أحرس سيفه ألسنة
 أسننها ، والحياذ التى أقدمت عليه جعل طعنة أكفأها مكان أعنتها ، فأثبتت
 فى مستنقع الموت رجله ، ووقف وما فى الموت شك لواقف ليحيم خيله ورجله ،
 حتى تحيز أصحابه إلى فئة مائتهم ، وأقام نفسه دونهم دريئة لمن بدر من سرعان القوم
 أو ظهر من مكبتهم ، وهذا هو الموقف الذى قام له مقام النصر ، إذ فاته النصر
 وفاته النصر ، والمقام الذى أصيب فيه من أصحابه آحاد يدركهم أذن المدد وقُقد

فيه من أعدائه مع ظهورهم أَوْفَى لا يدركهم الحَصْرُ ؛ [وكذا فليكن قَلْبٌ ^(١)] الجيش كالقَلْبِ يَقْوَى بِقُوَّةِ الجَسَدِ ، وإذا حَقَّ اللَقَاءُ فلا يَقِرُّ عن كَأَمِهِ إلا الظُّبَى ولا يَتَجَمَّى [عَيْرِيَنَهُ ^(١)] إلا الأَسَدُ ؛ وما بَقِيَ إلا أن تَعْفُو الكُؤُومَ ، وَتُؤَبِّبَ الحُلُومَ ؛ وَتَسَدِمَلَ الحِرَاحَ ، وَتَبْرَأَ من قُلُوبِ المَضَارِبِ صُدُورُ الصَّعَاحِ ؛ وَتَنْهَضَ لاقْتِضَاءِ دَيْنِ الدِّينِ ، من عُرْمَانِهِ المَعْتَدِينَ ؛ وَتَسَادِرَ إلى آسْتِنْجَازِ وَعْدِ اللَّهِ بأنَّ اللَّهَ يُحْصِصُ المُؤْمِنِينَ ، وَيَحْجُقُ الكَافِرِينَ ؛ وَاللَّيْثُ إِذَا جُرِحَ كَانَ أَشَدَّ لِنَبَاتِهِ ، وَأَمَدَّ لَوَثْبَاتِهِ ؛ وَالمُؤْتَوِّرُ لا يُصْطَلَى بِنَارِهِ ، وَالتَّائِرُ لا يَرْهَبُ الإِقْدَامَ عَلَى المَتُونِ فِي طَلَبِ نَارِهِ ؛ وَالدَّهْرُ دُوْدُولٌ ، وَالرِّمَانُ مُتَلَوِّنٌ إِنْ دَجَّتْ عَلَيْكُمْ مِنْهُ بِالقَهْرِ لَيْلَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَدْ أَشْرَقَتْ لَكُمْ مِنْهُ بِالنَّصْرِ لَيَالٍ أُولَى ، فَالمُؤَلَّى لا يَلْتَفِتُ إلى مَافَاتٍ ، وَيُقْبَلُ بِفِكْرِهِ عَلَى تَدْيِيرِ مَا هُوَ آتٍ ؛ وَبِمُدَّةِ الحَرْبِ عُدَّتُهُ ، وَبِعَجْلِ أَمَدِ الأَسْتِظْهَارِ مُدَّتُهُ ؛ وَلا يُؤَخَّرُ قُرْصَةَ الإِمْكَانِ ، وَلا يَعِيدُ ذِكْرَ مَا مَضَى فَإِنَّهُ دَخَلَ فِي خَبَرِ كَانٍ ؛ وَلا يُظْهِرُ بِمَا جَرَى عَجْزًا ، فَإِنَّ العَاجِزَ مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُصِيبُ وَلا يُصَابُ ، وَلا يَتَّخِذُ غَيْرَ ظَهْرِ حِصَانِهِ حِصْنًا فَلا حِرْزَ أَمْنٍ مِنْ صَهْوَةِ الجَوَادِ وَلا سَلْمَ أَسْلَمٍ مِنَ الرِّكَابِ ؛ وَليَعْلَمَ أَنَّ العَاقِبَةَ لِلتَّيِّبِينَ ، وَبِذَرِغِ جُنَّةَ الصَّبْرِ لِيَكُونَ مِنَ النَّصْرِ عَلَى ثِقَةٍ وَمِنَ الظَّفَرِ عَلَى يَقِينٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ؛ وَمَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ كَانَتْ يَدُهُ الطُّوْلَى ، وَإِذَا لَقِيَ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّهُ فَلْيَصْبِرْ لِحِمْلَتِهِ فَإِنَّ الصَّبْرَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَكْلُوهُ بَعِيْنُهُ ، وَيُمِدُّهُ بِعَوْنِهِ ، وَيَجْعَلُ الظَّفَرَ بَعْدُوهُ مَوْقُوفًا عَلَى مَطَالِبَتِهِ لَهُ بِدِينِهِ .

(١) الزيادة عن "حسن التوسل" (ص ١١٨) .

(٢) "حسن التوسل" ولا يقف ماجرى الخ .



ومن ذلك ما كتبه على لسان المهزوم يتضمن الاعتذار ، ويصف الاحتفال
بأخذ الثار .

هذه المكتبة إلى فلان : أتبع الله ما ساءه من أمرنا مع العدو بما يسره ، وبلغه
عنا من الانتصاف والانتصار ما يظهر من صدور الصقاج والسنة الرماح سره ، وأراه
من عواقب صنمه الجميل بنا ما يتحقق به أن كسوف الشمس لا ينال طلعتها وان
سرار القمر لا يضره . نوضح لعلمه أنه ربما اتصل به خبر تلك الواقعة التي صدقنا فيها
اللقاء ، وصدمننا العدو صدمة من لا يحب البقاء ، وأربناه حرباً لو أعانها التأيد فالتت
جموعه ، وأذقناه ضرباً لو أن حكم النصر فيه إلى النصّل أوجدته مصارعه وأعدمه
رجوعه . وحين شرعت رياح النصر تهب ، وسحابُ الدماء من مقاتلهم تصوب
وتصب ؛ وكرعت الصقاج في موارد سُجورهم ، وكشفت الرماح حباباً صدورهم ؛
وما بقى إلا أن تستجّل سيوفنا الرى من دمائهم ، وتقف صُفوفنا على ربوات أشلائهم ؛
وتقبض بالكف من صفحت الصقاج عن دمه ، وتكف بالقبض يد من أليسته
الجراح حلة عنده ؛ وأظهروا الخرع في عزائمهم ، وحكوا الطمع في عنائهم ؛ فحصل
لجندنا عجب أعجل سيوفنا أن تيم هتم بنائهم ، وطمع منع جيوشنا أن تكف عن
التهب إلى أن تصير من ورائهم ؛ فاعتنم العدو تلك الغفلة التي ساقها المهلكان ، العجب
والطمع ، وأتهز فرصة الإمكان ، التي أعانته عليها [المطمعان] إبداء الهلع ، وتحلية ما جمع ،

(١) كذا في حسن التوسل وفي الأصل "الغفرة" ولعلها مصحفة عن «الغفوة» .

(٢) في حسن التوسل "فرصة" "الكرة" .

(٣) الزيادة عن حسن التوسل (ص ١١٩) .

فانتثر [من جَمِينًا] ^(١) بعض ذلك العِقْدِ المُنْظَمِ ، وانتفض من حزينا رُكْنُ ذلك الصَّفِّ الذي أخذ فيه الرَّحَامُ بالكُظْمِ ، وثبت الخادم في طائفة من دَوَى القُوَّةِ في يَقيَنِهِمْ ، وأر بابِ البصائرِ في دينهم ، فكسرتنا جُفُونُ السُّيُوفِ ، وحطمتنا صُدُورُ الرِّمَاحِ في صدور الصُّفُوفِ ، وأرنا تلك الألوْفَ كيف تُعَدُّ الآحادَ بالألوفِ ، وحلَّنا بين العدوِّ وبين أصحابنا بضربِ بَكْفٍ أظلمهم ، وبرْدِ سِرَاعِهِمْ ، وبِعَمِيٍّ وَيُصَمُّ عن الآثار والأخبار ، أَبْصَارِهِمْ وأتَمَاعِهِمْ ، إلى أن نَفَسْنَا للنهزم عن خِيفَةِ ، وآيَسْنَا طَالِبِهِ عن حَلَاقِهِ ، ورددناه عنه خَائِبًا بعد أن كادَتْ يَدُهُ تَعَلِّقُ بأطواقه ، وأجَمَّ العُدُوَّ مع ما يرى من قَلْبِنَا عن الإقدام علينا ، ورأى منا جدًّا كاد لولا كثرة جمعه يستسلم به إلينا ، وعادوا ولنا في قلوبهم رُعبٌ يَتَذَيَّبُ بهم وهم الغالبون ، [ويُدْرِكُهُمْ وهم العُطَّالُونَ] ^(٢) وَيَسْلُبُهُمْ رِداءَ الأَمْنِ وهم السَّالِبُونَ ، وقد لَمَّ الخادم سَعَتَ رِجَالِهِ ، وضمَّ فِرْقَهُمْ بذخائرِ مالِهِ ، وأمدَّهُمْ بِتَفَقَّاتِ أصالحتِ أحوالِهِمْ ، وأطلقت في طلبِ عَدُوِّ اللَّهِ أقبوالِهِمْ ، وسَلَّحَ جَدَّدَ اسْتِطَاعَتِهِمْ ، وأعانَ شِجَاعَتِهِمْ ، وخَيَّوْلَ تَكَادَ تَسَابِقُهُمْ إلى طَلَبِ عَدُوِّهِمْ ، وتَحَضُّمِمْ على أخذِ حَظِّهِمْ من اللِّقَاءِ كأنَّهَا تَسَاهَمُهُمْ في أَجْرِ رِوَاحِهِمْ وَعُدُوِّهِمْ ، وقد نَضُّوا رِداءَ الإِعْجَابِ عن أكْفَاهِهِمْ ، وأَعْتَصَمُوا بِعَوْنِ اللَّهِ وتأييده لا بِقُوَّةِ جَلْدِهِمْ ولا بِمُجَدَّةِ أسِيافِهِمْ ، وَسَيَّعُجَلُونَ العُدُوَّ - إن شاء الله تعالى - عن أن يَمْلَأَ بِرَاحِهِ ، وَيَتَعَجَّلُونَ إليه بِجِيوشِ تَسْوَةِ طَلَانِئِهَا في مَسَائِهِ وَنُصَبِّحُهُ كَتَائِبِهَا في صَبَاحِهِ ، والله تعالى لا يَكُنَّا إلى جَلْدِنَا ، ولا يَتْرَعُ أَعْنَةَ نَصْرِهِ من يَدِنَا .

(١) الزيادة عن "حسن التوسل" (ص ٩١٩) .

(٢) الأصل "وضربهم" والتصحيح عن حسن التوسل .

الصفحة التاسع

(المكتبة بتوبيخ المهزوم وتقريره والتهم به)

وهذا النوع من المكتبات قليل الوقوع ، ولذلك لم يتعرض إليه في "مواد البيان" .
والذى ينبغي أن تُبنى المكتبة فيه عليه ذِكْرُ هزيمة المهزوم وما استولى عليه من
الغلبة والقهر ، وصورة الحال في الضرّة عليه ، والاستيلاء على بلاده وأمواله وسائر
ذات يده ، وأسر رجاله ، واسترقاق ذراريهم ونسائهم ، وما يجري مجرى ذلك : مما فيه
إيلام مخاطره ، وتقطع قلبه حسرات على ما ناله ، ونحو ذلك مما يدعو المكتوب
إليه إلى الطاعة ، ويوجب الأتقياد .

وهذه نسخة كتاب من هذا النمط : كتب به القاضي محيى الدين بن عبد الظاهر
رحمه الله ، إلى البولس عمده ملك القرنج ، المستولى على طرابلس من الشام ، وأنطاكية
من بلاد العواصم حين غزاه الملك ^(١) في طرابلس ، ثم قصد أنطاكية فأخذها
من عاصم ، وهي : ^(٢)

قد علم القومص الجليل المُستقاة مخاطبته - بأخذ أنطاكية منه - من البولسية إلى
القومصية ؛ ألهمه الله رشده ، وقرّن بالخير قصده ، وجعل النصيحة محفوظة عنده ؛
ما كان من قصدينا طرابلس وغزونا له في عُقر الدار ، وما شاهدته بعد رحيلنا من
إحراق العائر وهذم الأعمار ؛ وكيف كُنست تلك الكائن من على بساط الأرض
ودارت الدوائر على كل دائر ، وكيف جعلت تلك الجزائر من الأجساد على ساحل
البحر كالجزائر ؛ وكيف قطرت الرجال واستخدمت الأولاد ومملكت الحرائر ، وكيف
قطعت الأشجار ولم يترك إلا ما يصلح لأعواد المجانيق - إن شاء الله تعالى - والسائر ؛

(١) كذا بالأصل باعمال القطع وفي "الكامل" لابن الأثير (ج ١٠ ، ص ٢٥٤) "بمده" .

(٢) بياض بالأصل مقدار كلمة . (٣) كذا بالأصل ولعله "سه عنوة" .

وكيف نُهِيتَ لك ولرعيبتك الأموال والحريم والأولاد والحواسي ، وكيف أَسْتَفْنَى
 الفقير وتاهل العازب وأستخدم الحرِمَ ورَكِبَ المائِي ؛ هذا وأنت تَنْظُرُ نَظْرَ المَغْنِيِّ
 عليه من المَوْتِ ، وإذا سَمِعْتَ صَوْتًا قَلْتَ قَرْعًا : عَلَى هذا الصَّوْتِ ؛ وكيف رَحَلْنَا
 عنك رَحِيلَ من يَمُودَ ، وأنْزَرْنَاك وما كان تَأْخِيرُكَ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْلُودٍ ؛ وكيف فَارَقْنَا
 بلادَكَ وما بَقِيَتْ فِيهَا مَاشِيَهُ ، إِلَّا وَهِيَ لَدِينَا مَاشِيَهُ ؛ وَلَا جَارِيَهُ ، إِلَّا وَهِيَ فِي مَلِكُنَا
 جَارِيَهُ ؛ وَلَا سَارِيَهُ ، إِلَّا وَهِيَ بَيْنَ أَيْدِي المَعَاوِلِ سَارِيَهُ ؛ وَلَا زَرْعٌ إِلَّا وَهُوَ مَحْصُودٌ ،
 وَلَا مَوْجُودٌ إِلَّا وَهُوَ مِنْكَ مَفْقُودٌ ؛ وَمَا مَنَعَتْ تِلْكَ المَعَايِرُ الَّتِي هِيَ فِي رُءُوسِ الجِبَالِ
 الشَّاهِقَةِ ، وَلَا تِلْكَ الأَوْدِيَةُ الَّتِي فِي التُّحُومِ مُحْتَرِقَةٌ ولِلْمَقُولِ خَارِقَةٌ ؛ وكيف سَقَمْنَا
 عنك ولم نَسِيْقْنَا إِلَى مَدِينَتِكَ أَنْظَاكِيَةَ خَبْرٍ ، وكيف وَصَلْنَا إِلَيْهَا وَأَنْتَ لَا تُصَدِّقُ
 أَنَا تَبْعُدُ عَنْكَ وَإِنْ بَعُدْنَا فَسَنَعُودُ عَلَى الأَثَرِ ؛ وَهَذَا نَحْنُ نَعْمُكَ بِمَا تَمَّ ، وَنُفْهِمُكَ
 بِالْبَلَاءِ الَّذِي عَمَّ .

كَانَ رَحِيلُنَا عَنْكَ مِنْ طَرَابُلُسَ يَوْمَ الأَرْبَعَاءِ ، وَزُرُونَا أَنْظَاكِيَةَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ؛
 وَفِي حَالِ التَّرُولِ خَرَجْتَ عَسَاكَ كَرُوكَ لِلْمُبَارَاةِ وَتَنَاصَرُوا فَسَا نُصَرُوا ، وَأَسِرَ مِنْ بَيْنِهِمْ
 كَدَّ اسْطِطْلَ فَسَأَلَ فِي مَرَاجِعَةِ أَصْحَابِكَ ، فَدَخَلَ إِلَى المَدِينَةِ ، فَخَرَجَ هُوَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ
 رُهْبَانِكَ : وَإِنْ رَأَيْتَهُمْ فِي الخَيْرِ مُحْتَلِفٌ ، وَقَوْلُهُمْ فِي الشَّرِّ وَاحِدٌ ؛ فَلَمَّا رَأَيْنَاهُمْ قَدِ فَاتَ
 فِيهِمُ القَوْتُ ، وَأَتَتْهُمُ قَدْرُ اللهِ عَلَيْهِمُ المَوْتِ ؛ رَدَدْنَا هُمْ وَقُلْنَا : نَحْنُ السَّاعَةَ لَكُمْ
 مُخَاصِرٌ ، وَهَذَا هُوَ الأَوَّلُ فِي الإِنذَارِ وَالأَآخِرُ ؛ فَرَجَعُوا بِهِ مُتَشَبِّهِينَ بِفِعْلِكَ ، وَهَمَّ مُتَقَدِّرِينَ
 أَنَّكَ تَدْرِكُهُمْ بِحَيْثُكَ وَرَجَلِكَ ؛ فَفِي بَعْضِ سَاعَةِ مَرَّشَانَ المَرشَانَ ، وَدَاخَلَ الرُّهْبُ
 الرُّهْبَانَ ؛ وَلَآنَ لِلْبَلَاءِ القَسْطَلَانَ ، وَجَاءَهُمُ المَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ؛ وَفَتَحْنَاهَا بِالسَّيْفِ

(١) لم يرد في كتب اللغة جمع المغارة على مفار، وإنما جمعه مغارات .

(٢) كذا في الأصل باهمال جميع الحروف .

في الساعة الرابعة من يوم السبت رابع شهر رمضان؛ وقتلنا كل من اخترته لحفظها
 وأحماة عنها، وما كان أحد منهم إلا وعنده شيء من الدنيا لما بقي أحد منا إلا وعنده
 شيء منهم ومنها؛ فلورأيت خيالك وهي صرعى تحت أرجل الخيول، ويأرك
 والنهاية فيها تصول والكسابة فيها تجول؛ وأمواك وهي تؤزن بالقطار، وإمامك
 وكل أربع منها تباع فتشترى من مالك بدينار؛ ولورأيت كتابك وصلبانها قد كسرت
 ونيرت، ومحففها من الأناجيل المزورة قد نيرت، وقبور البطارقة وقد تغيرت؛
 ولورأيت عنوك المسلم وقد داس مكان القدس، والمدبح وقد ذبح فيه الراهب
 والقسيس والثماس؛ والبطارقة وقد ذهبوا بطارقه، وأبناء المملكة وقد دخلوا
 في المملكة؛ ولو شاهدت النيران وهي في قصورك تحترق، والقتلى بنار الدنيا قبل نار
 الآخرة تحترق؛ وقصورك وأحوالها قد حالت، وكنيسة بونصر وكنيسة القسيان
 وقد زالت كل منهما وزالت - لكنت تقول: باليتي كنت ترابا، وباليتي لم أوت
 بهذا الخبر كتابا؛ ولكانت نفسك تذهب من حسرتك، ولكنت تظفر تلك النيران
 بماء عبرتك؛ ولورأيت معانيك وقد أفقرت، ومرأيتك وقد أخذت في السويديه
 بمراكبك، لصارت شوائبك من شوائبك؛ ولتيقنت أن الإله الذي أنطاك أنطاك
 منك أسترجعها، والرّب الذي أعطاك قلعتها منك قلعتها ومن الأرض آفتلها. ولتلم
 أنا قد أخذنا - بحمد الله - منك ما كنت أخذته من حصون الإسلام، وهو دركوش،
 وشقيف تل منس^(١)، وشقيف كغرديين، وجميع ما كان لك في بلاد أنطاكية
 في هذه المدة إقامة(؟) وكونك ما كنت بها، فيكون إما قتيلا وإما أسيرا، وإما جريحاً

(١) في الاصل "نيس" ولم نعر عليه في المعجم والذي في معجم البلدان لياقوت أن تل منس حصن

قرب معرة النعمان بالشام.

وإما كسبياً، وسلامة النفس هي التي يفرح بها الحى إذا شاهد الأموات، ولعل الله إنما أترك لأن تستدرك من الطاعة والخدمة ما فات، ولما لم يسلم أحد بخبرك بما جرى خبرناك، ولما لم يقدر أحد [أن] يبشرك بالبشرى بسلامة نفسك وهلاك ما سواها بأشركناك بهذه المفاوضات وبشركناك، لتتحقق الأمر على ماجرى، وبعد هذه المكتوبة لا ينبغي لك أن تكذب لنا خبراً، كما أن بعيد هذه المخاطبة يجب أن لا تسأل عما جرى.



وهذه نسخة في هذا المعنى، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وهي :
هذه المكتوبة إلى فلان أقاله الله عشرة زلته ، وأقامه من حفرة ذلته ، وتجاوز له عن كبيرة فراره من جمع عدوه على قلبه .

بلغنا أمر الواقعة التي لقي فيها [العدو] ^(١) بجمع قليل غناؤه ، ضعيف بناؤه ، كسيف في رأي العين جمعه ، خفيف في المعنى وقعه وقعه ، أسرع في مفارقة المجال ، من الظل في الانتقال ، وأشبه في مماثلة الوجود بالعدم من طيف الخيال ، ^(٢) يمشون إليه بقلب واجب ، ويهتدون من تحوصه برأي بينه وبين الصواب ألف حاجب ، ويأتون منه بمقتم يرى الواحد من عدوه كآلف ، ويبتسرون منه وراء مقدام يمشي إلى الزحف ولكن إلى خلف ، جناح جيشه مهبض ، وطرف سنانته غطيض ، وساقه عسكره طالعه ، وطلائمه كالتجوم ولكن في حال كونها راجعه ، تأسف السيف يمينه على ضارب ، وناسي الجنائب حوله إذ تعدد لحارب فتعد لحارب ،

(١) الزيادة عن "حسن التوسل" (ص ١١٨) .

(٢) في الأصل "يمضون عنه" والتصحيح من "حسن التوسل" .

(٣) كذا في "حسن التوسل" والذي في الأصل "ويهتدون من تحريه وتهذيبه بينه" الخ ، ولا معنى له .

وأنه حين وقعت العين على العين ، وأيقنَ عدوه لما رأى من عدده وعدده معالجة الحين ؛ أعجلَ نُصُولَ العدا عن وُصولها ، ونزك غنيمة الظفر لعداه بعد أن أشرف على حُصولها ؛ تُأديه ألسنة أسنته : الكرة الكرة فلا يلوى إلى نياتها ، وتُشكرو إليه سيوفه الظمأ وقد رأته موارد الوريد فيردُّها إلى العمود بدياتها ؛ ففتح عدوه مقاتل رجاله ، وأباحهم كرائم مال جنده وماله ؛ وخطى لهم خزان سلاحه التي أعدها لقتالهم فأصبحت معدة لقتاله ؛ ففجأ متجى الحارث بن هشام ، وآب بسلامة أعتب منها - لو عقل - شرب كأس الحمام ، وأنتم بين أوليائه وأعدائه بسمة الفرار ، وكان يقال : النار ولا العار ، فجمع له فراره من الزحف بين النار والعار ؛ وعاد بجمع موفور من الجراح ، موقر من الإثم والآجراح ؛ لا علم بما جرى عند أسيافهم ، ولا شاهد بمشاهدتهم الوغى غير مواقع الضلأ في أكافهم ؛ فبأى جان يطعم في معاودة عدوه من هذا قلبه ، وهؤلاء حزبه ، [وذلك القتال قتاله وتلك الحرب حربته] .

وبعد فإن كانت له حية فسظهر آثارها ، أو أريحية فسئشب نأرها ؛ أو أنفة فسئحمله على غسل هذه الدنيا ، وتبعته على طلب غائبين ؛ إما شهادة مريجة أو حياة هنية ؛ والله تعالى يوقظ عزمه من سنته ، ويعجل له الاتصاف من عدوه قبل إكمال سنته .

الصنف العاشر

(في المكتبات بالتضييق على أهل الجرائم)

قال في "مواد البيان" : لم يزل السلطان يكتب إلى الولاة - عند ما ينتهي [إليه] من إقدام الرعايا على ارتكاب الجرائم ، وأستباحة المحارم ، وأقتراف المآثم ، كالزنا

(١) في "حسن التوسل" «ولا يلفظت» .

(٢) الزيادة عن "حسن التوسل" (ص ١١٩) .

واللواط، وشرب الخمر، وقطع الطرق، والغصب والتظالم، وما يمرى هذا المجرى -
 بالتضييق عليهم، وإقامة حدود الله تعالى فيهم .

قال : والرسم فيها أن تفتح بحمد الله البادي بنعمته قبل آفراض طاعته، المَحْتَنِّ
 بفضله قبل إيجاب شكره؛ خالق الخلائق جوداً وكرماً، وموسعهم منافعاً الذي
 اختار دين الإسلام وطهره من الأرجاس، ونزهه عن الأدناس، واختص به صفوته
 من الناس؛ وأثبت به محمداً سيد المرسلين : ﴿ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ
 عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ . يحمده أمير المؤمنين أن قوض إليه لإيالة خلقه، وأقدره على القيام
 بخدمته؛ ونصبه لإعزاز دينه، والمحافظة على مقروضه ومسئونه؛ وزيادة العباد
 عن محاربه التي نهى عن التعدي إليها، وإقامة الحدود عليهم فيها؛ ويسأله الصلاة
 على محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم يقال : وإن أمير المؤمنين يرى أن من أعظم نعم الله تعالى عليه توفيقه لحفظ
 ما استعطفه من شريعته، ورعاية ما استرعاه من برئته، وتوفير القيام على من قلده
 النظر فيهم، وأعتاد ما يعود بالصلاح في الدين والدنيا عليهم؛ ومساواته بين قريبهم
 وبعيدهم في فقده، ومماثلته بين قاصبيهم ودانيهم في تعهده؛ فلا ينال القريب [فقط]
 نصيباً من رعايته ويعلم جاهلهم، ويهدي حائرهم، ويشهد بصائرهم، ويشقق
 مآذهم، ويصلح فاسدهم؛ ويتحولهم من مواعظه بما يرد الغل، ويشفي العليل؛
 وينسخ الشك باليقين، ويقبس مقاس النور المبين [فن] أصغى إلى إرشاده سيد
 جده، وورى زنده، وأحمد يومه وعده؛ ومن خالف عن أمره ضل مساعاه، وخير
 آخرته ودنياه، ودعا إلى اتباع أمر الله تعالى في تقيمه وإصلاحه، والكف بإقامة
 الحدود عليه من حماحه .

وأتتهى إلى أمير المؤمنين ما أقدم عليه الأحداث وأهل الدعارة قبلكم من احتقَاب الآثام، وأستدماثِ مراكب الحرام، والأستهتارِ بمحظورِ اللذات، والإحتجابِ على ديني، الشّموات، التي تسلُغ من الدين، وتُخرِجُ عن دائرة المسلمين، وقدّع عن تادية العبادات، وإقامة الصلوات، وتنظيم في سلكِ البهائم المرسله، والسواثم المهملة. وتقصيرُ مشايخهم وعلمائهم عن كفّهم، والأخذِ على أئكتهم، وتعريفهم وجوه مرادهم وتقويم أودهم، فأمتمّص من ذلك، وأشفق من نزول القوارع والمثلثات، وحلول البليات والآيات، وأرنجاع ما أودعكم الله تعالى من نعمته، وأتراع ما ألبسكم من رحمته، وبادر بكتابه موقظا لعافلكم، ومبصرا لذاهلكم، وباعثا لكم على مراضيه الأولى، ومعاودة الطريقة المثلى، ومبادرة آجالكم بأعمالكم، والأخذ لأحرامكم من أولاكم، ولسقمكم من صحنكم، ولتوكم من يقظتكم، عالين بأن الدنيا لعب وطهو، وأن الآخرة هي دار القرار، وأنكم فيها كسفيّ شارفوا المنزل. فأجهدوا عباد الله وأحسدوا، وأقلعوا وأرجعوا، وأسمعوا وعوا، فكانكم والله وقد توصحت خدعها، وتصرّم متاعها، وجل متوقعها، والسعيد من وثق بما قدم لنفسه بعد نقاد أيامه، وورود حاميته، والشقي من أفرط وفرط، وندم حيث لا مندم. وأوعز إلى وإلى الحرب فلان بقراءة مانص فيه عليكم، وأخبار سيركم بعد مروره على أسماعكم، فمن رغب في التقوى، وآثر الآخرة على الدنيا، عرف ذلك وتوخاه بتكرّمته وتحوّله، ومن أبا إلا غواية وضللا، وبطالة وتحالا، أقام حدّ الله تعالى عليه غير مراقب فيه. فرحم الله عبدا صان نفسه في هذه الدار عن العار، وحماها في الآخرة من عذاب النار، وأمير المؤمنين يرجو أن يتفككم الله بهديته، ويشفي صدوركم بموعظته، ويرشدكم إلى ما يفضي بكم إلى الكفاية والحماية. فليعلم فلان بن فلان ذلك من أمير المؤمنين ورسمه، وليعمل عليه بجلته، إن شاء الله تعالى.

الصفحة الحادية عشر

(الكُتُبُ فِي النَّهْيِ عَنِ التَّنَازُعِ فِي الدِّينِ)

قال في "مواد البيان" : من أهم ما صرف إليه السلطان تفقده ، ووقف عليه [تعهده] أمر الرعايا في أعماله ، وتفيد الكتب إليهم بالنهي عن التنازع في الدين ، وحسن أسباب المجادلة والمراء ، والتعذير من أتباع البدع والأهواء ، والإخلاد إلى مفضل النحل والآراء : لأنه متى فسح لهم في هذا الباب صاروا شيعاً متباينين ، وفاقاً متحاربين ، وأنشقت عصاهم ، وأقتضت جبلهم ، وخرجوا عن أحكام أهل السلامة إلى أحكام أهل الفتنة ، وعاد ضرر ذلك على الدين والسلطان . ولهذا صرف إليه الساسة الحزمة من الملوك الأهتمام ، ولم يتخلوا بحسن مادته على تغاير الأيام .

ثم قال : والرسم فيها أن تُصدَّر بحمد الله تعالى على نعيه في تاليف كلمة أهل الإسلام ، وما من به عليهم من الاتفاق والائتلاف ، وشكره على موهبته في تزع الغل من صدورهم ، والتأليف بين قلوبهم ، وتصييرهم إخواناً متصافين ، وخلاًفاً متوافقين ، وعونهم بما وقفهم له من إظهارهم على من شق عصاهم ، وإقذارهم بما منحهم من الألفة على مرأمة من آباءهم ، والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم . ثم يشفع هذا بأن أمير المؤمنين بما مكته الله تعالى من مرضيه ، ووقفه له من القيام بقرضه ، والنهوض بحقوق طاعته ، والعمل بكتابه وسنته ، ورغبته في الخير العام ، وتحمول الصلاح لكافة الأنام - لا يزال يحض رعيته على ما يقضى بسداد دنياهم ، وحسن المنقلب في آخرهم ، ويرى أن أضع ذلك عائده ، وأجزله فائده ، ما رفع عنهم أسباب التنافر ، ودعاهم إلى التعاضد والنظافر ، وحال بينهم وبين الخوض في محدث النحل والآراء ، والإصغاء إلى مفضل البدع والأهواء ، التي

تُصَدُّ عن سَنَنِ الْهُدَى، وتُلْفَى في مَهَارِي الرَّدَى، وتدعو إلى شَقِّ الْعَصَا، وتقضي بانتثار النِّظَام، واختلاف الأَنَام، وأنْفِصَام عُرَى الْإِسْلَام. وكَفَّهِم عن المَخَارَاة في الدِّين، والإِضْفَاء إلى سُنَّة الْمُضَالِين، المعطَّلة للسنن، القَادِحَة لِلْفِتْنِ، الداعية إلى أَحْتِقَاتِ الْإِنَام، وإِرَاقَةِ الدِّمَاءِ الْحَرَامِ، ونحو هذا مما يَضَاهِيه.

ثم يقول: وآتَيْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ التَّنْفِائَتِكُمْ عن معاشِكُمْ التي جَعَلَهَا اللهُ لِدُنْيَاكُمْ قِيَامًا، وعبادتِكُمْ التي صَيَّرَهَا لِآخِرَتِكُمْ نِظَامًا، وإِقْبَالَكُمْ عَلَى المَخَارَاةِ وَالْمُنَازَعَةِ، وَالْمُنَاطَرَةِ وَالْمُجَادَلَةِ، إِلَى سُكُوكِ قِيَمِهَا مَنْ يَرْغَبُ فِي الرِّيَاسَةِ وَالتَّقَدُّمِ: لِيَفُوزَ بِخَبِيثِ المَطْعَمِ، الَّذِي يُعْمَى البَصَائِرُ، وَيُقْسَدُ السَّرَائِرُ، وَيَقْدَحُ زَنْدَ الضَّلَالِ، وَيُسَبُّ نَارَ المِحَالِ وَالِاتِّحَالِ، فَاُمْتَحَنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذَلِكَ وَخَافَ عَلَيْكُمْ أَلِيمَ عَاجِلَتِهِ، وَذَمِيمَ آجِلَتِهِ، وَبَادَرَكُمْ بِكَلِمَةٍ هَذَا مُنْبِئًا لِمَا فَالِكُمْ، وَمُرْشِدًا لِجَاهِلِكُمْ، وَبَاعِيًا لَكُمْ عَلَى التَّشَاغُلِ بِمَا أَطْلَبَ أَخْبَارَكُمْ، وَحَسَّنَ آثَارَكُمْ: مِنْ تِلَاوَةِ كِتَابِ اللهِ الَّذِي آتَرَكُمُ بِتِلَاوَتِهِ، وَزِيَارَةِ بَيْتِ عِبَادَتِهِ، وَالتَّادِبِ بِأَدَبِ نَبِيِّهِ وَعِقْرَتِهِ، وَأَوْعَزَ إِلَى النَّائِبِ فِي الحَرْبِ بِتَقْوِيمِ مَنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِ، وَتَقْيِيفِ مَنْ أَصْرَغَ عَلَى غَيْبِهِ، وَأَنْ يَحْسِمَ الدَّاءَ قَبْلَ اسْتِشْرَائِهِ، وَيَسْتَدْرِكَهُ دُورِينَ اسْتَفْجَالِهِ، فَاصْخَرُوا إِلَى زَوَاجِرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوَاعِظِهِ، وَأَقْتَدُوا بِهَدْيِهِ وَسَرَائِدِهِ، لَتَفُوزُوا بِطَاعَتِهِ، وَتَسْعَدُوا بِرِضَاهِ، وَتَسْلَمُوا فِي الحَاضِرِ، مِنْ مَهَابَةِ أُمَّ بَغِيهَا أَوْلَى، إِنْ سَلَكَتُمْ الطَّرِيقَةَ المَثَلِيَّ، وَفِي الغَايِبِ مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِمَنْ خَالَفَ عَنْ أَمْرِهِ مِنَ العِقَابِ فِي الدَّارِ الأُخْرَى، فَاعْلَمُوا هَذَا وَاعْمَلُوا بِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

قال: وقد يَكْتَسِبُ السُّلْطَانُ إِلَى الرِّجْعَةِ بِالنَّهْيِ عَنِ التَّفَاخُرِ بِالسَّادِيَةِ وَالتَّنَازُعِ فِي العَصِيَّةِ. ثم قال: والطريقة في هذا المعنى مشتقة من طريقة هذا الرسم.

الصف الثاني عشر

(المكاتبة بالأوامر والنواهي)

قال في "مواد البيان" : على هذه الكتب مدارُ أشغال السلطان في أعماله ، لأنها النافذة في تصريف الأمور وتنفيذ المراسيم ولايةً ومُحاملةً .

قال : وليس لهذا أمثلة فتوردها ، لِكِنَّه يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ يُؤَكِّدَ الْقَوْلَ بِهَا ، فَإِنَّ الْأَمْرَ فِيهَا وَالنَّهْيَ - وَإِنْ اخْتَلَفَ نَظْمُهُمَا - نَوْعٌ وَاحِدٌ : لِأَنَّ كُلَّ مَأْمُورٍ بِهِ مَنبِيُّ عَنْ ضِدِّهِ ، وَكُلُّ مَنبِيٍّ عَنْهُ مَأْمُورٌ بِضِدِّهِ ؛ فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُؤَكِّدَ الْقَوْلَ فِي امْتِنَالِ مَا أَمَرَ ، وَالْعَمَلِ عَلَيْهِ وَالِإِتْقَانِ لَهُ ، وَالْإِتْمَاءِ عَمَانِهِ عَنْهُ ، وَالْحَذَرِ مِنَ الْإِلْمَامِ بِهِ . وَيَجْزِمُ الْأَمْرَ فِي الْعِبَارَةِ عَنْهُمَا جَزْمًا تَامًا لَا يُحْتَكَنُ مَعَهُ مِنَ الْإِحْلَالِ بَعْضُهُمَا وَالنَّقْصِ فِيهِمَا لِهَوَى ، وَيَأْتِي مِنَ الْمِبَالِغَةِ بِمَا يُضَيِّقُ الْعُدْرَةَ ، وَسَيُوقَعُ تَقْصِيرٌ أَوْ تَنَاقُلٌ عَمَّا حُدِّدَ فِيهِمَا ، فَإِنَّمَا يُبْتَلَى ذَلِكَ بِمَثَلٍ جَامِعَةٍ مَعَ تَفْنِينِ الْمَعَانِي الَّتِي يَأْمُرُ بِهَا وَيَنْهَى عَنْهَا .

ثم قال : والكاتب إذا عرف الترتيب الواقع في هذين العرضين على طريق الإيجال ، أمكنه أن يسطه إذا احتاج إلى التفصيل والبيان بمشيئة الله تعالى .

وأعلم أنه كان للخلفاء والملوك وولاية الأمور في قديم الزمان عنايةً بالكتابة إلى الرعايا بالأوامر والنواهي المتعلقة بالدين : من الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وما يجري مجرى ذلك ؛ وإلى العمال بالوصية بالرعايا ، والاجتهاد فيما لديهم من جباية الخراج ، والاهتمام بأمر الدواوين ، وما أشبه ذلك .

فأما الأوامر والنواهي المتعلقة بالدين ، فقد تقدم في الكلام على مصطلح أهل القرب في أوائل هذه المقالة من إنشاء أبي زيد الغفازي ما أغنى ذكره هناك عن إعادته هنا أو ذكر غيره .

وأما الأوامر والنواهي المتعلقة بأمور السلطنة، فمن ذلك ما كتب به أبو عبد الله
 ابن الحنان، عن الأمير أبي عبد الله بن هود أحد ملوك الطوائف بالأندلس في الرفق
 بالرعية، وهو :

أما بعد حمد الله تعالى معلي منار الحق ورافعه، ومولي متوالي الإعام ومُتتَابِعِهِ ؛
 والصلاة على سيدنا محمد رسوله مُنْفَعِ الخَيْرِ وشَافِعِهِ ، المبعوث ببدائع الحكم
 وجوامعِهِ ؛ وعلى آله وصحبه المُبَادِرِينَ إلى مقاصده العلية ومَنَازِعِهِ ، والذَّابِينَ عن حوزة
 الإسلام بمواضئ الاعترام وقواطعهِ ؛ والرَّضَا عن الخليفة الإمام العباسي أمير المؤمنين
 ذي المجد الذي لا يُنَالُ شُوقُ مطالعِهِ .

فإنا كتبنا إليكم ، كتب الله لكم عِزَّةً قدْحُهَا بالثبوت فائزٌ ، وسعادةً قِسْطُهَا لِلنَّيِّ
 حائزٌ ؛ من فلانة : وكلمة الحق منصورَةٌ اللّوَاءِ ، منشورة الأضواء ، والتوكل على الله
 في الإعادة والإبداء ، والتسليم إليه مناط أمرنا في الانتهاء والابتداء ؛ وحمدُ الله تعالى
 وشُكْرُهُ وُصْلَتُنَا إلى نيل مزيد النعماء والآلاء ، ومكانتكم لدينا مكانة السني المناصب ،
 المُتَمَسِّكِ إلى كرام المُتَمَسِّبَاتِ والمُنَاسِبِ ، المُتَحَلِّي في الغناء والأكتفاء ، والخلوص
 والصفاء ، بأكرم السجيات والمناقب ؛ المعلوم ما لَدَيْهِ من المَنَاصِحَةِ السَّالِكَةِ بأكرم
 السجيات في المناسخ الحسان على المهيج الأوضح والسني الألاحب .

وقد وقفنا على كتابكم معلما بغير فلانة وبما رأيتوه من المصلحة في تحصيلها ،
 والاجتهاد في سبب تأمينها ؛ ونحن تعلم أنكم تريدون الإصلاح ، وتترخون مانتوسون
 فيه النجاح ؛ لكن أهم الأمور عندنا ، وأولى ما يوافق غرضنا وقصدنا ؛ الرفق
 بالرعية ، ومحملها على قوانين الإحسان المرعية ؛ وعلى أثر وصول كتابكم وصلنا كتاب
 [أهل] فلانة المذكورة يشكون ضرر الخدمة المتصرفين فيهم ، ويتظلمون من
 متحيفهم ومتعسفهم ؛ وفي هذا مالا ينبغي عليكم ، ولا ترضون به لو أنهى إليكم ؛

فإنه إذا كان الناظر في خِدْمَةِ مَنْ لَا يُحْسِنُ سِيَاسَةَ الْأُمُورِ ، وَلَا يَعْلَمُ طَرِيقَ الرَّفِيقِ الحَاوِيَةِ لِرَفِيقِ الخِصَاةِ وَالْجُمْهُورِ؛ أعَادَ التَّسْكِينَ تَغْيِيرًا ، وَالتَّسْيِيرَ تَعْسِيرًا ، وَتَعَامَلُونَ مَنَا لَا تَقْدَمُ عَلَيَّ إِشَارَ العَدْلِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ الْمُسْلِمِينَ عَمَلًا ، وَلَا نَبِيٍّ لَهُمْ بِأَطْنَةِ بَغِيرِ التَّخْفِيفِ عَنْهُمْ وَالإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ بَدَلًا ؛ وَأَنْتُمْ أَوَّلُ وَأَوَّلَى مَنْ يُعْتَقَدُ فِيهِ أَنَّهُ يُكْتَلُ هَذَا المَقْصَدُ ، وَيَتَحَرَّى فِي مَصَالِحِ الرِّعَايَا هَذَا السَّنَّ الأَرشِدَ ؛ وَقَدْ حَاطَبْنَا أَهْلَ فَلَانَةَ بِمَا يَذْهَبُ وَجَلَّتْهُمْ ، وَيَسُطُّ أَمَلْتَهُمْ ؛ وَعَرَفْنَاكُمْ بِأَنْتُمْ لَوْ عَلِمْتُمْ مَا هُوَ جَارٍ عَلَيْهِمْ مِنْ [بَعْضِ] الخِدْمَةِ لِأَخْدَتُمْ عَلَيَّ يَدِهِ ، وَجَازَ يَمُوهُ بِسُوءِ مَعْتَمِدِهِ ؛ وَأَشْعَرْنَاكُمْ بِأَنَّ قَدْ أَسْتَوْصَيْنَاكُمْ بِهِمْ خَيْرًا ، وَتَبَهَّنَاكُمْ عَلَيَّ مَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ ضَيًّا وَيَرْفَعُ ضَيْرًا ؛ وَأَنْتُمْ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - تَسْتَأْنِفُونَ نَظْرًا جَمِيلًا ، وَتَوَنَحِرُونَ عَنْهُمْ الخِدْمَةَ الَّذِينَ لَا يَسْتَلْكَونَ مِنَ السِّيَاسَةِ سَبِيلًا ؛ وَتَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِمْ مَنْ تَحْسُنُ فِيهِمْ سِيرَتَهُ ، وَتَكْرُمُ فِي تَمْشِيَةِ الرَّفِيقِ عَلَايَتِهِ وَسِرِّيَّتِهِ ؛ وَمِثْلَكُمْ لَا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِ فِي مَذْهَبٍ تَحْسِنُ عَوَاقِبُهُ ، وَغَرَضُ يَوَاقِفِهِ القَصْدُ الأَخْيَاطِيَّ وَيُصَاحِبُهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الصنف الثالث عشر

(المكاتبات عند حدوث الآيات السماوية)

قال في "مواد البيان" : جرت العادة أن يكتب السلطان إلى الرعايا - عند حدوث الآيات الموهولة التي يريد الله تعالى بها إرشاد عباده إلى الإقلاع عن معصيته ، والإقبال على طاعته ، كالرياح العواصف ، والزلازل والصواعق ، وأحباب القطر ونحوه في التسكاب عما جرت به العادة - كتباً يضمونها من الوعظ الشافي الرفيق ما يأخذ بجماع القلوب ، ويُشعرها التقوى والرغبة ، ويبعث على المراقبة والنظر في العاقبة .

قال : وينبغي للكاتب أن يتلطف في الموعظة ، ويبالغ في الذكرى التي تُحطَّر الخواطر وتقدح الأنفس ، وتُحرك العزائم نحو الإخلاص ، فإنه إذا أبرز هذه المعاني في صور [تُشعر]^(١) الخيفة من غضب الله تعالى وعقابه ، ورغب في عفوه وتوبه ، نفع الله بذلك (؟) من رغب عن الهوى ، ورغب في التقوى بكتابته .

قال : والرسم فيها أن تفتح بحمد الله تعالى على آياته التي يفيضها ابتلاء واختباراً ، وآياته التي يرسلها تحويفاً وإنذاراً ، وموهبته في التوفيق بسايع نعمته على طاعته ، والتحذير بدافع نعمته من معصيته . والصلاة على رسوله الذي أخذ بشفاعته ، وعصم من نزول القوارع بنبوته . ثم يقدم مقدمة تتضمن أن الله تعالى يقدم الإعداء أمام سُخطه وعذابه ، ويبدأ بالإنذار قبل غضبه وعقابه ، فمن استيقظ من سنته ، ونظر لعاقبه [ونهض]^(١) إلى طاعته ، وأقلع عن معصيته ، كشف الرين عن قلبه ، وضاعف أجره ، ومن أضرب عن موعظته ، وتعالى عن تبصيره وقد كبره ، أخذته على غيرته ، وسلبه سربال نعمته .

ثم يأخذ في حث الأمة على الفرع إلى الصلوات ، والمسارة إلى بيوت العبادات ، والإكثار من التضرع والخشوع ، والاستكانة والخنوع ، بإدراء سحاب الدموع ، وإخلاص التوبة عن محقق الآثام ومُخترع الأوزار ، والتوسل إلى الله تعالى في قبول الإجابة بقلوب تقيه ، وطويات على الطهارة مطوية ، وسراير صريحة ، ونيات صحيحة ، يُصدقها الندم على الماضي ، وعقد العزم على الإقلاع في الآتي ، والرغبة إليه في رفع سُخطه وإنزال رحمته ، وما يجارى هذا .

قلت : وهذا الصنف من المكتبات قد ترك في زماننا فلا عناية لأحد به أصلاً ، وإن كان مما يجب الاهتمام به وتقديمه .

(١) بياض بالأصل ، والنصح بفضه المقام .

الصِّنف الرابع عشر

(المكاتبُ في التنبيه على شرفِ مواسمِ العبادة وشريفِ الأزمنة)

قال في "موادِّ البيان" : إن الله وَكَّتَ لعباده أوقاتاً عَظُمَ شأنها ، ورفعَ مكانتها ، وأمرهم أن يتقربوا فيها إليه بتأدية ما فرضه عليهم لُطْفًا بهم ورأفَةً ، وحنانًا ورحمةً .

قال : ولم يزل السلطان يكتب إلى عماله بتنبيه الرعايا عليها ، وتعريفهم فضل العبادة فيها : ليستقبلوها بالإخباتِ والخُشوعِ ، ويتَّقَوْهَا بالتَضَرُّعِ والخُضُوعِ ؛ ويتوسلوا في قبولِ التَّوْبَاتِ ، وغُفْرَانِ الخَطِيئَاتِ ؛ حِفْظًا لنظامِ الدينِ ، وتَفَقُّدًا لمصالحِ المسلمين .

قال : وينبغي للكاتب أن يحسن التَّأثُّرَ في هذه الكتب ^(١) ويُذَكِّرَ النَّاسِيَّ وينبه العَافِلَ الألهي ، والمُهْمِلَ السَّاهي ، ويحركَ النفوسَ نحو مصالحها ، ويبعثها على الأخذِ بفاضلِ الأعمالِ وصالحِها .

قال : والرسم فيها أن تفتح بحمد الله تعالى على أن وهب لعباده أوقاتا يتقبل فيها قُرْبَهُمْ وأعمالهم ، ويَحْتَفُّ بِالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ عند حلولها أَوْزَارَهُمْ وَأَتْقَالَهُمْ ؛ فيففر مُسْتَفْرِهَمٌ ، وَيَعْفُو عَنْ مُسِيئَتِهِمْ ؛ ويتقبل التَّوْبَةَ عَنْ نَائِبِهِمْ . والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله . ثم يقدم مقدمة مبنية على تعظيم هذه الأوقات ، والإبانة عما في قَصْرِهَا على العبادات ، والمسابقة إلى الخيرات ، من عظيم الثواب . وَيَسْتَفْعُ بِعَيْتِ الْوَلَاةِ عَلَى أَخْذِ الرعايا بالمحافظة على السَّنَنِ ، وتَعَهُّدِ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا ، وَالتَّوَسُّعِ فِي توكيدِ الحُجَّةِ ، وَنَقْيِ الشبهه ؛ وإيرادِ المواقظِ الرادعه ، والزواجر الوازعه ؛ التي تعود بِسُجُودِ البصائرِ ، وصفاءِ الضَّائِرِ ، والإتيانِ بحقوقِ هذه الأوقاتِ وواجباتها ،

(١) يياض بالاصل مقدار كلمة .

والفوز بما يُوقرُه من بحريل بركاتها ، والتوفّر على حُسن مجاورتها ، والتقرّب إلى الله تعالى بِبَدَلِ الصَّدَقَاتِ ، والإقبال على الصَّلَوَاتِ وزيارة بيوت العبادات ، ومُذَاكِرَةُ أهل الدّين ، والسَّمْعِ في مصالح المسلمين ؛ ونحو ذلك مما يناسبه .

ثم قال : فإن كان الكتاب مقصورا على الدعاء إلى الحجّ ، أفتتح بالحمد لله على أنّ جعلَ لعباده حرّما آمنا يُحصن ذنوبهم بزيارته ، ويحجّو آثامهم بحجّه ووقادته ؛ وعلى ذلك ما يليق بمن الحثّ على تأدية المناسك ، وتكبير الفرائض والسّنن ، وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك الحكم في سائر الأبواب الدّينية .

الصفحة الخامسة عشر

(المكتبةُ بالسلامة في الركوب في المواسم والأعياد وما يخرط

في سلكها من المواكب الجامعة)

قال في "موادّ البيان" : جرّت العادة أن يكتب السلطانُ عمّاله وولّاته بسلامة المواسم الإسلامية كلّها : لأنها تُشاهدُ لجميع أصناف الرعايا وذوى الآراء المختلفة والمذاهب المتباينة ، والقلوب المتعادية والمتصاحبة في أمر الدين والدنيا ، وكلّ مُتربّصٍ لفتنةٍ ينتهزُ فرصتها . فلانكاد هذه المشاهدُ تخلو من قوّة وحدوث أحداث منكرة تُفضي إلى الفتن التي لا تُرفع . فإذا أنعم الله تعالى بالسلامة منها ، وجب التحدّثُ بِنِعْمَتِهِ ، والشُّكْرُ لمشيئته ؛ وأن يكتب أمير المؤمنين بسلامة ما قبّله إلى عمّاله ، لتسكّن الكفاة إلى ذلك ، ويشتركوا في حمد الله تعالى عليه .

وأعلم أنّ المواسم التي كان يعتاد الخلفاء الركوب فيها والكتابةُ بالسلامة منها هي : عيدُ الفطر ، وعيدُ النحر . وكان الخلفاء الفاطميّون بالديار المصرية يعتادون

مع ذلك الركوب في غُرةِ السَّنةِ ، وفي أوَّلِ رَمَضانَ ، وفي الجمعةِ الأولى ، والجمعة الثانية ، والجمعة الثالثة منه ، على ما تقدم ذكره في الكلام على ترتيب المملكة في المقالة الثانية . وكذلك "عيد الغدير" : وهو عيدٌ من أعياد الشيعة كما سيأتي ذكره . ونحن نُشير إلى ذكر مواكبها موكباً موكباً ، ونذكر ما جرت به العادة في الكتابة في البشارة بالسلامة في ركوب كُلِّ موكب منها .

الأول — البشارة بالسلامة في الركوب في غُرةِ السنة . وقد تقدم الكلام على صورة الموكب في الكلام على ترتيب المملكة في الدولة الفاطمية بالديار المصرية في المقالة الثانية .

وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك ، أورده أبو الفضل الصوري في تذكروته ، وهي : الحمد لله الذي لم يزل يُوبئ إحساناً وإنعاماً ، وإذا أبلئ عبيده عاماً أجدهم بفضله عاماً ، فقد أمدكم معاشر [الخلفاء] كرمًا ومنا ، وآناكم من جوده أكثر مما يحتمى ؛ ومنحك من عطائه ما يُوبئ على ما أردتموه ، (وتنحرف لكم الليل والنهار وآناكم من كلِّ مأسألتنموه) وقد استقبلتم هذه السنة السعيدة ، وإذا عمِلتم بالطاعة كنتم مستنجزين من ثواب الله الأغراض البعيدة .

وصلَّى اللهُ على سيدنا محمد نبيه الذي غدت الجنة مدخرة لمن عمل بهداه لما سمعته ، ومهيأة لمن آمن به واتبع النور الذي أنزل معه ؛ وبين بإرشاده ما تجرئ أمور السنين عليه في العدد والحساب ، ونسخ ما كانت الجاهلية [تفعله] فيه زيادة في الكفر وضلالاً عن الصواب ؛ وعلى أخيه وأبن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي كُلَّ اللهُ الإسلام بإمامته ، وضاعف الأجر لأهل ولايته ، ومنع شيعته مقبول شفاعته ؛

وعلى الأئمة من ذريتهما خلفاء الله على خلقه ، والقائمين بواجب حَقِّه ؛ والعالمين في سياسة الكفاية بما يرضيه سبحانه ، وَيَضْمَنُ غُفْرَانَهُ وَرِضْوَانَهُ ، وَسَلِّمَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، سَلَامًا بَاقِيًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وإنَّ أَحَقَّ النَّعْمِ بِنَشْرِ الذِّكْرِ ، وَأَوْجَبَهَا لِلْوَصْفِ وَإِعْمَالِ الفِكْرِ ، نِعْمَةٌ رَفَعَتْ الشُّكَّ وَأَزَالَتْ اللَّبْسَ ، وَوَضَّحَتْ ضِيَاؤَهَا لِأُولَى الأَلْبَابِ وَوُضُوحِ الشَّمْسِ ، وَأَشْرَكَ النَّاسَ فَضَاعَفَتْ الفَائِدَةَ لَدَيْهِمْ ، وَأَنْتَفَعُوا بِذَلِكَ فِي تَوَارِيخِهِمْ وَمُعَامَلَاتِهِمْ وَمَالِهِمْ وَعَلِيمِهِ ؛ وَتِلْكَ [هِيَ] المَعْرِفَةُ بِاليَوْمِ الَّذِي هُوَ مَطْلَعُ السَّنَةِ وَأَوَّلُهَا ، وَمَبْدَأُهَا وَمُسْتَقْبَلُهَا ؛ وَحَقِيقَةُ ذَلِكَ ظُهُورُ إِمَامِ كُلِّ زَمَانٍ . وَكَانَ ظُهُورُ إِمَامِ زَمَانِنَا مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا الإِمَامِ فُلَانٍ - لِتَسَاوِيٍّ فِي الشَّرَفِ بِرُؤْيَةِ العَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ ، فَيَكُونُ اسْتِمْلَالُ رِيكَابِهِ إِشْعَارًا بِأَنَّ اليَوْمَ الَّذِي تَجَلَّى فِيهِ لِأَوْلِيَائِهِ ، وَلرِعَايَةِ المُتَفَيِّئِينَ ظِلَّ لِيَوَانِهِ ؛ هُوَ آفْتَاخُ السَّنَةِ وَأَوَّلُ مُحَرَّمِهَا ، وَعَلَيْهِ المُعْتَمَدُ فِي عَدَدِ تَامِّ الشُّهُورِ وَنَاقِصِهَا مِنْ مُفْتَتِحِهَا إِلَى مُحْتَمِهَا - يَوْمَ كَذَا غُرَّةَ المُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ كَذَا ، فِي عَسَاكِرٍ لِأَيُّحْصِرَ عَدَدُهَا ، وَقِبَائِلٍ لَا يَنْقَطِعُ مَدَدُهَا ؛ وَإِذَا أَضْطَرَمَّتْ نَارُ الكُفْرِ وَالتَّبَيُّتِ ، طَفِئَتْ بِأَنْوَارِهِمْ وَخَبَّتْ ؛ وَقَدْ تَقَدَّدَتْ هِنْدِيَّةٌ تَرُوعُ إِذَا أَشْرَقَتْ وَسَكَنَتْ ، فَمَا الظَّنُّ إِذَا أَصْطَحَبَتْ ؛ وَالأَرْضُ بِمَرُورِهَا عَلَيْهَا مُبْهَجَةٌ مُوَنِقَةٌ ، وَمَلَائِكَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَافِقَةٌ بِهِ مُخَدِّقَةٌ ؛ فَآذَنَ بِأَنَّ اليَوْمَ المَذْكُورَ هُوَ غُرَّةُ السَّنَةِ المَعِينَةِ ، وَأَنَّ اليَوْمَ الفُلَانِيَّ أَمْسَهُ أَنْسِلَاخُ كَذَا سَنَةِ كَذَا المُتَقَدِّمَةِ : لِتُسْتَقِيمَ أُمُورُهُمْ عَلَى أَعْدَلِ سُبُوحِهِمْ ؛ وَلِيُحْفَظَ نِظَامَ دِينِهِمْ فِي صَوْمِهِمْ وَفِطْرِهِمْ وَحَجِّهِمْ ؛ وَكَذَلِكَ أَصْدَرَ هَذَا الكِتَابَ لِتَلْوَةِ الأَمِيرِ عَلَى مَنْ يَسْكُنُ عَمَلَهُ ، وَجَمِيعِ مَنْ قَبْلَهُ ؛ وَيَتِمَّنُوا فِي مَعْرِفَتِهِ ، وَيَحْمِلُ كُلُّ مِنْهُمُ الأَمْرَ عَلَيْهِ فِي مُعْتَقَدِهِ وَأَسْبَابِ مُعَامَلَاتِهِ ؛ وَيَشْكُرُوا اللهُ عَلَى النِّعْمَةِ عَلَيْهِمْ بِهَدْيَاتِهِ . وَهُوَ يَتِمُّ ذَلِكَ وَيُطَالِعُ بِكَاتِبِهِ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ، وَكُتِبَ فِي اليَوْمِ المَذْكُورِ .

الثاني - البشارةُ بالسلامة في الركوب في أولِ شهرِ رَمَضانَ ، وهي على تحوي مما تقدم في الركوب في غُرَّةِ السَّنة .

وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك ، من إنشاءِ ابنِ الصَّيرَفِيِّ ، وهو :

الحمد لله كَلِمَاتِي خَلَقَهُ فِي الْبَقَّةِ وَالْمَنَامِ ، وَالكَافِلِ لَهُمْ بِمُضَاعَفَةِ الْأَجْرِ فِي شَهْرِ الصَّيَامِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي بَعَثَهُ رَحْمَةً لِلْأَنْبِيَاءِ ، وَعَلَى أُخِيهِ وَابْنِ عَمَّتِهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَحْلَصَ وَرِيًّا ، وَأَشْرَفَ وَصِيًّا ، وَأَفْضَلَ إِمَامًا ، وَعَلَى الْأَئِمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا الدَّاعِينَ إِلَى دَارِ السَّلَامِ ، صَلَاةَ دَائِمَةَ الْأَتْصَالِ ، مُسْتَمْرَةً فِي الْغُدُوِّ وَالْآصَالِ .

وإن من الْمَسْرُةِ الَّتِي تُتَّبَعُ : وَالنَّعْمَةُ الشَّامِلَةُ لِلْفُلُقِ جَمِيعًا وَقُرَادِي ، مَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ مِنْ ظُهُورِ مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا الْإِمَامِ فُلَانِ ، صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ ، وَأَبْنَائِهِ الْأَكْرَمِينَ ، يَوْمَ كَذَا غُرَّةَ شَهْرِ رَمَضانَ مِنْ سَنَةِ كَذَا ، إِعْلَامًا بِأَوَّلِ الشَّهْرِ وَافْتِتَاحِهِ ، وَأَنَّ الصَّيَامَ الْأَوَّلَ مِنْ بَغْرِهِ الْأَوَّلِ قَبْلَ تَنْفِيسِ صَبَاحِهِ ، وَتَوَجُّهُهُ إِلَى ظَاهِرِ الْمُعْزِيَّةِ الْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ فِي عَسَاكِرِهِ الْمُظْفَرَةِ وَجُنُودِهِ ، وَأَوْلِيَائِهِ وَأَنْصَارِهِ وَعِيَدِهِ ، وَالْمِنَّةِ بِرُؤُوسِهِ قَدْ تَسَاوَى فِيهَا الْكَافَّةُ ، وَمَلَأَتْكَ اللَّهُ مُطِيقَةً حَافَّةً ، وَعَوَّدَهُ إِلَى قُصُورِهِ الرَّاهِرَةِ ، وَقَدْ شَمِلَ الْمُسْتَظْلِينَ بِأَقْبَانِهِ بِسَعَادَتِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

أُصَدِّرُ إِلَيْكَ هَذَا الْأَمْرَ لِتَحْفَظَ عَلَى الْجَمَلِ ، وَتَشْكُرَ النِّعْمَةَ السَّابِقَةَ عَلَى أَهْلِ الْمِلَّةِ ، وَتَسْتَلُومَهَا عَلَى أَهْلِ عَمَلِكَ ، وَتَطَالِعَ بِكَائِنِكَ فِي ذَلِكَ ، فَأَعْلَمَ هَذَا وَأَعْمَلَ بِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الثالث - الكُتَابَةُ بِالْبَشَارَةِ بِالسَّلَامَةِ فِي رُكُوبِ الْجُمُعَةِ الْأُولَى مِنْ شَهْرِ رَمَضانَ .

وهذه نسخة كتاب من ذلك ، من إنشاءِ ابنِ الصَّيرَفِيِّ أَيْضًا ، وهي :

أفضل مأسِرٍ ذِكْرُهُ ، ووجب حمدُ الله تعالى عليه وشُكْرُهُ ، ما عادَ على الشريعة بالجمال
 والبَهجة ، وأضحى وأصفه صحيحَ المقالِ صادقَ اللَهجَةِ ، فضاغفَ حَسَنَةً ومَحَصَّ
 سَيِّئَةً ، وجعل أسبابَ السعادةِ مُتَسَهِّلَةً مُتَهَيِّئَةً ؛ وذلك ما بَسَّرَهُ اللهُ تعالى من استقلال
 رِكَّابِ سَيِّدِنَا ومولانا صلوات الله عليه وعلى آياته الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين ؛ يوم
 الجمعة من شهرِ رَمَضَانَ من سنة كذا : مُؤَدِّيَا خُطْبَتِهَا وصالَتِهَا ، وضامنا لأُمَّةٍ أَيْتَمَّتْ به
 خِلاصَها يومَ الفِزَعِ الأكبرِ ونِجَاتِهَا ، في وقَارِ النبوةِ وسكينةِ الرِّسَالَةِ ، والهَيِّئَةِ المُسْتَوْلِيَةِ
 على العِظَمَةِ والجلَالَةِ ، والعساكرِ الجَمَّةِ التي تُفَلِّقُ بمهاجِرَتِهَا وترُجِّعُ ، وتُنظِنُ لكثرتِهَا
 واقِفَةً والرِّكَّابِ يُهْمَلِجُ ؛ ولما آتتهى إليه ، خَطَبَ وعَظَّ ففتح أبوابَ التَّوْبَةِ ،
 وآبَ إلى الطاعاتِ مَنْ لم يُطَمَعْ منه بالأوْبَةِ ؛ وصَلَّى صلاةً تَقَبَّلَها جَلٌّ وعِزٌّ يَقْبُولُ
 حَسَنًا ، وقَصَرَ في وَصْفِها ذُورَ الفِصَاحَةِ واللِّسَنِ ؛ وعاد إلى مُسْتَقَرِّ الخِلافةِ ، ومَثْوَى
 الرحمةِ والرافَةِ ؛ وَعَيْنُ اللهُ له مَلاحِظَةٌ ، وملائكته له حَافِظَةٌ . أُعْلِمَتِ ذلكَ لُتَدْيِعَهُ
 في أهلِ عَمَلِكَ ، وتَطالِعَ بِكَائِكَ .

الرابع - المكتوبة بالبشارة بالسلامة في ركوب الجمعة الثانية من شهر رمضان .

قد تقدم في الكلام على ترتيب المملكة بالديار المصرية في النحلة الفاطمية ،
 في المقالة الثانية : أن الخليفة كان يركب في الجمعة الثانية من شهر رمضان إلى الجامع
 الأنور ، وهو جامع باب البحر ، الذي عمره الحائِمُ بأمر الله ، وجدده الصَّاحِبُ
 شمس الدين المَقْبِي .

وهذه نسخة كتاب في المعنى ، من إنشاء ابن الصَّيرَفِيِّ أيضًا ، وهي :

لم يَزَلْ غَايِرُ كَرَمِ اللهِ وَفَضْلِهِ ، يَفُوقُ حَاضِرُهُ ما كان من قَبْلِهِ ؛ نِعْمَةَ اللهُ تعالى
 سابغَهُ ، وَنِنتَهُ مُتَسَابِغَهُ ؛ ومَلابِسُها ضَافِيَهُ ، ومَغَارِسُها نَاميَهُ ، وتَحَابُّها هَاميَهُ ؛ وهو جَلٌّ

وَعَزَّ بِضَاعِفِهَا عَلَى مَنْ صَلَّى وَصَامَ، وَيُوَالِيهَا عِنْدَ مَنْ تَمَسَّكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لَا أَنْفِصَالَ لَهَا وَلَا أَنْفِصَامَ؛ وَتَجِدُ مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ بُرُوزِ مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا الْإِمَامِ فَلَانَ: صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ، وَأَبْنَائِهِ الْأَكْرَمِينَ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ كَذَا: فِي شَاخِ عِرَّهٖ، وَبَاذِيخِ تَجِدِهِ، وَتَوَجُّهِهِ إِلَى الْجَامِعِ الْأَنْوَرِ الْمُنْسُوبِ إِلَى مَوْلَانَا الْإِمَامِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ جَدِّهِ، بِسَلَامِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَصَلَوَاتِهِ، وَبَرَكَاتِهِ وَنِعْمَاتِهِ؛ وَعَسَاكَرِهِ قَدْ تَجَاوَزَتْ الْحَدَّ، وَكَثُرَتْ عَنِ الْإِحْصَاءِ وَالْعَدِّ، فَإِذَا تَأَمَّلَهَا الْعُرْفُ أَقْلَبَ عَنْهَا حَاسِبًا وَأَرْتَدَّ.

ولما وصل إلى الجامع المذكور خطب فأورد من القول أحسنه، ووعظ فاسمع من الوعظ أوصحه وأبينه؛ وصلى صلاة جهر بالقراءة فيها ورتلها، وعاد إلى قصوره الشريفة وقد شملت البركات برؤيته، ووفى من عمل بموعظته، ونجا من آتدي به في صلاته، وأستولى على السعد من جميع أرجائه وجهاته. أعلمناك ذلك لتعرف قدر النعمة به، فأشكر الله سبحانه بمقتضاه، وأعتمد تلاوة هذا الأمر على رؤوس الأشهاد؛ فأعلم ذلك.

الخامس — المكتبة بالسَّلامَة في الرُّكُوب في الجمعة الثالثة من شهر رَمَضَانَ .

قد تقدّم في الكلام على ترتيب المملكة في المقالة الثانية أن الخليفة كان يركب في الجمعة الثالثة منه إلى الجامع العتيق بمصر، فيخطب فيه ويسود إلى قصره .

وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك، من إنشاء ابن الصَّيرِي، وهي :

(١) ما تقدم في (ج ٣ ص ٥١١) من هذا المطبع صريح في أنه كان يركب في الجمعة الثالثة من رمضان إلى الجامع الأزهر، وأنه لا يركب إلى الجامع العتيق إلا في الجمعة الرابعة، التي أهل هنا ذكره إليها وحاصل ما تقدم أنه يركب في جمع رمضان مانعًا الأولى .

من عوائد الله - سبحانه - الإحسان إلى عبيده ، وتعويضهم للشكر عليه بمجود
ومزيد ، والامتثال بتيسير عصبه ، وتعجيل قصبه ، وتقريب بعيده ؛ فهو لا يحلهم
من نواجه ، ولا يفهم من هواجه .

ولما أقبل هذا الشهر الشريف كان من عموم بركاته ، وتتمول خيراته ؛ أن مولانا
وسيدنا الإمام الفلاني صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين ؛
والى فيه بركاته ، وزكى أعمال المؤمنين في استماع آخطابه والالتزام بصلاته ؛
وفي هذا اليوم وهو يوم الجمعة من شهر رمضان ، أعمل ركابه إلى الجامع العتيق بمصر
ليُسبهم لهذه المدينة من حظ الدنيا والآخرة ، مثل ما أسهمه وعجَّله لأهل المعزية
الفاهرة ، فكانت هيئته يُعجز وصفها كل لسان ، وظهر - عليه السلام - في الرداءين ؛
السيف والطيلسان ، والجوش قد أنبسطت وانتشرت ، والنفوس قد أبتهجت
وأستبشرت ، والألسنة قد عكفت على الدعاء بتخليد ملكه وتوقرت . وعند وصوله
خطب فأحسن في الألفاظ والمعاني ، وحدد من تأخير التوبة والتضجيع فيها
والتواني ؛ وصلى صلاة شرفها الله وفضلها ، ورضيها تبارك وتعالى وتقبلها ؛ وأنكفا
عائدا إلى قُصوره ومنازله المعظمة : ضاعف الله له ثوابه وأجره ، وأوجب شكره
ورفع ذكره ؛ ويجب أن تعتمد إذاعة ذلك ليبلغ المكافئة في الاعتراف بالنعمة فيه ،
ويواصلوا شكر الله تعالى عليه ، والمطالعة بما أعتمد فيه .

السادس - ما يكتب بالبشارة بالسلامة في ركوب عيد الفطر .

وقد تقدم في الكلام على ترتيب الدولة الفاطمية في المقالة الثانية : أن الخليفة
كان يركب لصلاة عيد الفطر صبيحة العيد ، ويخرج من باب العيسد من أبواب

القصر، ويتوجه إلى [المصلى] ^(١) فيصلي ويخطب، ثم يعود إلى قصوره، ويكتب بذلك إلى أعمال المملكة، تارة مع خلو الدولة عن وزيره، وتارة مع اشتغالها على وزيره.

وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك، مع خلو الدولة عن وزيره، من إنشاء أمير الصيرفي، وهو:

الحمد لله ناشر لوائه في الأقطار، ومعوّض المطيعين من جزائه ببلوغ الأوطار، الذي نسخ الإفطار بالصيام ونسخ الصيام بالإفطار؛ وكف عباده ما يطيقونه ووعده عليه جزيل أجره، وأسبغ من نعمه ما لا يطمع [في القيام] بواجب حمده عليه وشكره؛ وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذي أعلن بالإيمان وبأح، وبين المحظور في الشريعة والمباح؛ وأرشد إلى، احرمه الإسلام وحلله، ومهد سبل الهدى لمن استغواه الشيطان وضلله؛ وأوضح مراتب الأوقات ومنازلها، وعرف تفاوت الأيام وتفاضلها؛ وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي مضت في الله عمر مائة، وبيضت وجه الدين الحنيف موافقه ومقاماته؛ وعلى الأئمة من ذريتهما الذين تكفلوا أمر الأمة نصاً، وأمنطوا على منارها فلم يالوا جهداً ولم يتركوا حرصاً؛ فال حاضر منهم يوفي علي من كان [من] قبله، وأحزاب الحق فرحون بما آتاهم الله من فضله؛ وسلم عليهم أجمعين سلاماً لا انقطاع لدوامه، وشرفهم تشرافاً لا انفصام لإبرامه؛ وأسنى ومجّد، وتابع وجدّد.

وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك يوم كذا عيد الفطر من سنة كذا: بعد أن وقي الصيام حقه، وحاز أجر من جعل الله على خزانته رزقه؛ وبعد أن أفطر بحضرتة الأولياء من آله وأسرته، والمقدمون من رؤساء دولته، والمتميزون من أوليائه

(١) بياض بالأصل، والتصحيح عما تقدم في هذا المطبوع (ج ٣ ص ٥١٢).

وَشِعْتِهِ . وكان من نَبَأِ هذا اليوم أن أمير المؤمنين لما أرتجِبَ برُوزِهِ من قُصُورِهِ ،
وَتَحَلَّى فأشرقت الأرضُ بنُورِهِ ، توجه إلى المِصَلِّ قَاضِيًا لِسُنَّةِ العِيدِ ، فكانت نِعْمَةً
ظهوره بالنظر [لِالحَاضِرِ] وبالخبر للبعيد ؛ وأستقل رِكَابَهُ بالعساكر المنصورة التي أبدت
مَنْظَرًا مُفْتِنًا مُعْجِبًا ، وجعلت أديم الأرض بالخليل والرجل مُحْتَجِبًا ، وذخرت الأنتقام
مِن شِقِّ العَصَا ، وتجاوزت في الكثرة عدد الرمل والحصا ؛ وزينت الفضا بيئتها ،
وروعت الأعداء بيئتها ؛ وجمعت بين الطاعة وشدة البأس ، وأدرعت من التقوى
أمنع جنة وأحصن لباس ؛ ولم يزل سائرًا في السكينة والوقار ، ناظرًا للدنيا بعين
الاحتقار ؛ والثرى بالحباء والشفاه مصافع ملثوم ، فهما موسومتان به وهو بهما
موسوم ؛ إلى أن وصل إلى مقر الصلاة ، وحمل المناجاة ، فصلت أتم صلاة وأكملها ،
وأذاها أحسن تأدية وأفضلها ؛ وأخلص في التكبير والتهيل إخلاص من لم يفت
أمرًا ويخشى الله ويتقيه ونصح في إرشاده ووعظه ، وأعرب ببيدع معناه وقصيح
لقظه ؛ وعاد إلى مثوى كرامته ، وفلك إمامته ؛ بحمود المقام ، مشمولًا بالتوفيق
في التقض والإبرام . أعلمك أمير المؤمنين ذلك لتذيعه فيمن قبلك ، وتشكروا الله
على النعمة الشاملة لهم ولك ؛ فأعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى . وكُتِبَ
في اليوم المذكور .



وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك ، والدولة مشتملة على وزير ، عن الحافظ
لدين الله العلوي خليفة الديار المصرية ، في سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ، وهي :
الحمد لله الذي أعز الإسلام وشيّد متارَه ، وأيد أوليائه ونصر أنصارَه ؛ وأظهر
في مواسمه قوته وأسئظهارَه ، وختم الشرائع بشرف أبدى فكان حظها منه إيثارَه ،

وَحَظَّ الْإِسْلَامَ أَسْبَدَّادَهُ بِهِ وَأَسْتَنْارَهُ ؛ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى جَدِّنا مُحَمَّدٍ الَّذِي كَرَّمَهُ بِأَصْطِقَائِهِ ،
 وَأَسْمَعَدَ مِنْ حَافِظٍ عَلَى اتِّبَاعِ تَهْجِهِ وَأَقْتِفَائِهِ ؛ وَبَيْنَ بَشْرَعِهِ مَا حَلَّلَهُ وَحَرَّمَهُ ، وَدَعَا
 الْأُمَّةَ بِإِرْسَالِهِ إِلَى دِينٍ قِيمٍ أَعْلَى بِنَاءِهِ وَأَحْكَمِهِ ؛ وَوَعَدَهُمْ عَلَى مَقْرُوضِهِ وَمَسْنُونِهِ جَرِيْلَ
 الْأَجْرِ ، وَأَمَرَ فِي آعْتِقَادِ خِلَافِهِ بِالذَّفْعِ وَالْمَنْعِ وَالزَّجْرِ ؛ وَعَلَى أُخِيهِ وَأَبْنِ عَمِّهِ أَبِينَا
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَوَّلِ الْأَئِمَّةِ الْخُلَفَاءِ ، وَالْمُشْتَهَرَةِ فَضَائِلُهُ أَشْتَهَارَا
 لَيْسَ بِهِ مِنْ حَقَاءٍ ؛ وَمَنْ جَبَّاهُ اللَّهُ الْمَحَلَّ الرَّفِيعَ وَالْمَنْ الْجَزِيلَ ، وَخَصَّهُ مِنَ الشَّرَفِ
 بِمَا جَاءَ فِيهِ مِنْ مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ ؛ وَعَلَى الْأَئِمَّةِ مِنْ دُرِّيَّتَيْهِمَا الْقَائِمِينَ بِفَرْضِ اللَّهِ وَالْمُؤَدِّينَ
 لِحُقُوقِهِ ، وَالَّذِينَ كَفَّلَتْ أَمَانَتَهُمْ بِأَبْسَاطِ نُورِ الْحَقِّ وَأَنْتَشَارِ لُؤَائِهِ وَخُقُوقِهِ ؛ وَسَلَّمَ
 وَكَرَّمَ ، وَبِحَمْدِ وَعَظْمِ .

وَكَلَّمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ يَوْمَ كَذَا عِيدِ الْفِطْرِ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ،
 الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ فِيهِ بِمَا نَهَى عَنْهُ مِنْ قَبْلِهِ ، وَضَاعَفَ الْأَجْرَ بِكَرَمِهِ وَقَضَلَهُ ؛ فَرَفَعَ تَكَالِيفَ
 الصَّوْمِ ، وَأَوْجَبَ الْإِفْطَارَ فِي هَذَا الْيَوْمِ ؛ وَسَاوَى فِي ذَلِكَ [بَيْنَ] كُلِّ مُنْتَهِدٍ ، وَأَمَرَ بَنِي آدَمَ فِيهِ
 بِأَخْذِ الزَّيْنَةِ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ؛ وَكَانَ مِنْ خَبَرِهِ أَنَّ الْفَجْرَ لَمَّا طَلَعَ مُبَشِّرًا بِالشَّمْسِ ،
 وَمُؤَدِّنًا بِبَعْتِهَا مِنَ الرَّمْسِ ؛ فَتَابَعَتِ الْجُيُوشُ الْمُؤَفَّرَةُ ، وَالْعَسَاكِرُ الْمَنْصُورَةُ ؛
 إِلَى أَبْوَابِ الْقُصُورِ الزَّاهِرَةِ بَوَ كُفًا لِأَنْوَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَرَقَّبًا لظَهْوَرِهِ
 قَاضِيًا حَقِّ الدِّينِ ؛ فَلَمَّا أَسْفَرَ الصُّبْحُ وَأَضَاءَ ، وَمَلَأَتْ الْخَلَائِقُ الْقَصَاءَ ؛ تَجَلَّى مِنْ
 أَفْلَاكِ إِمَامَتِهِ ، وَبَرَزَ فَأَغْطَى كُلُّ مُؤْمِنٍ بِنَبَاتِهِ عَلَى الْمُنْشَايِمَةِ وَإِقَامَتِهِ ؛ وَكَانَ ظَاهِرًا
 وَهُوَ مُحْتَجِبٌ بِالْأَنْوَارِ ، وَمُتَمَتِّعًا وَهُوَ مُتَهَبٌّ بِالْأَبْصَارِ ؛ وَالْكَافَّةُ بِصَاحِبُونَ الْأَرْضِ
 وَيَحْتَمِدُونَ فِي الدُّعَاءِ بِإِخْلَاصِ نِيَّاتِهِمْ ، وَالْعَسَاكِرُ الْمُؤَيَّدَةُ لَوْ أَنَّهَا عَمَّتِ الْأَرْضَ
 بِتَطْيِيقِهَا ، وَسَاوَتْ بَيْنَ قَرِيْبِهَا وَسَحِيْقِهَا ؛ وَصَارَتْ كَالْجِبَالِ الرَّوَاسِي فِيهَا ، لَكَانَتْ
 فَدَ تَزَلْزَلَتْ وَمَادَّتْ بِأَهْلِهَا ، وَهِيَ مَعَ تَبَائِنِ أَجْنَاسِهَا وَطَوَائِفِهَا مُتَظَاْفِرَةٌ عَلَى مُعَايَنَتِي

الدولة ومخالفها ، متلامة على الولاء ، متمالكة على الأعداء ، تتلقت إلى المجاهدة كأنها
 الأسود إقداماً وبأساً ، وكأما فصلت جوامد الغدران سلاحاً لها وليأساً ، والسيد
 الأجل الأفضل التي عظمت به المواهب وجلت ، وذهبت بوزارته الغياهب
 ونجلت ، وتهلل بنظره وجه الملة وكان عانسا ، وأعاد الدولة معصراً وقد كانت قبله
 عانسا ، وحسنت الدنيا بأيامه إذ ليس فيها من بضاهيه ، وانتظمت أمرها على
 الإرادة بصدورها عن أوامره ونواهيه ، ترتب المواكب بمهاتيه ، واستغنى بتوغلها
 في القلوب عن إيمانه وإشارته ، وكل طائفة مقبلة على شانها ، لازمة لمكانها ،
 متصرفة على تهذيبه وتقريره ، عاملة بأدابه : فوقفها بوقفه ومسيرها بمسيره .

وتوجه أمير المؤمنين إلى المصلى محفوقاً بأنوار تجللى ما أنشأته سنائك الخليل ، وتمحو
 آية تقع مئارها مقام ظلام الليل ، وعليه من وقار الإمامة ، ومسكينة الخلافة ،
 ما خصه الله تعالى به دون البرية وحده ، لأنه مما ورث أمية رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وآله وحده ، ولما انتهى إليه قصد [المحراب] وأتمه ، وأدى الصلاة^(١)
 أكمل أداء وأتمه ، ثم انتهى إلى المنبر فعلاه ، وبمجد الله تعالى وحده على ما أولاه ،
 ووعظ وعظاً خوفاً عافية المعاصي والذنوب ، وحل وكاء العيون ودأوى مراض
 القلوب ، وأمر بسلوك سبيل الطاعات وأفعال البر ، وحث على التوفر عليها في الجهر
 والسرى ، وعاد إلى قصوره المكرمه ، ومواطنه المقدسه ، وقد بذل في نصحه لله ولرسوله
 وللمؤمنين جهده ، وفعل في الإرشاد والهداية ما لا غاية بعده .

(١) كذا بالأصل .

(٢) بياض بالأصل ، والتصحيح من المقام .

(٣) في الأصل « إلى المحراب فغلاه » ولا معنى لها .

أنيك أمير المؤمنين خبر هذا اليوم لتشكر الله على النعمة فيه ، وتذيعه قبلك على
الرسم فيما يجاريه ؛ فأعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى .

السابع — ما يكتب بالبشارة بالسلامة في ركوب عيد النحر .

قد تقدم في الكلام على ترتيب دولة الفاطميين في المقالة الثانية أن الخليفة كان
يركب لصلاة عيد النحر كما يركب لصلاة عيد الفطر ، تارة مع اشتغال الدولة على
وزير ، وتارة مع عدم اشتغالها على وزير .

وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك ، من إنشاء ابن الصبري ، وهي :

أما بعد ، فالحمد لله الذي أعلّى منار الملّة ، وشرف مواسم أهل القبلة ؛ وكفل
أمير المؤمنين أمر الأيام ، كما كفله أمر الأنام ، فرأى الناس من حسن سيرته أيقاظاً
ملايوته مجازاً في المنام ؛ وصلى الله على جدنا محمد نبيه الذي أرسله إلى الناس كافة ،
وجعل العصمة محيطه به حافه ؛ فأطلع في ظلام الشرك شمس التوحيد وبدّره ،
وأمن به من شرع الله للإسلام صدره ، وعصاه من تمرد فأنقل الوزر ظهره ؛ وبين
عبادات كرم أجزائها ، وعظم ثوابها ، وألزم طاعات جعل الجنة للعاملين بها مفتحة
أبوابها ؛ وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين على بن أبي طالب مظافره ومظاهره ،
والمساوي في حكمه بين باطنه وظاهره ؛ ولم يزل حاملاً على المحجة البيضاء جاعلاً ذلك
من قرّبه وذخائره ، قائماً بحقوق الله جاهداً في تعظيم حرّماته وشعائره ؛ وعلى الأئمة
من دُرّيتهما نجوم الأرض وهداة أهلها ، والواجبة طاعتهم على من في وعبرها
وسهلها ؛ والدائين بالمشرقية عن حى الشريعة ، والذين متابعتهم من أوجه ذريته .

وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك يوم كذا عيد النحر سنة كذا وكذا : وهو يوم
أظهر الله فيه قوة الدولة وأتقدها ، وأوجب فيه — رغبة ورهبة — مسارعة النفوس

المخالفة إلى الطاعة وأبتدأها؛ وذلك أن عساكر أمير المؤمنين توجهت إلى قُصُورِهِ
الزاهرة عند كَنْجَبَارِ الفَجْرِ، وحافظت على ما نُحِرَّهُ من كريم الثوابِ وحَزِيلِ الأجر؛
وَأَسْتَنْزَلتِ الرَّحْمَةُ بِرُؤْيَةِ إمامِ الأُمَّةِ، وأَعَدَّتِ الإخْلَاصَ في خِدْمَتِهِ من أوفى الحُرْمَاتِ
وأقوى الأذِمَّةِ؛ وأقامت إلى أن برز أمير المؤمنين والأنوار الساطعة طَوَالَهُ، ومَهَابَتَهُ
تنسح كل طرف من استقصاء تأمله وتدافعه؛ وقصد المصلى في كتابٍ بحسبه،
ومواكبٍ للتعظيم مستوجبته؛ وعِزَّةٍ تبيين في الشائيل والصفحات، وقوةٍ يشهد
بطيب وصفها أريج النعمات؛ وقد غدت عُدُّها مُحْكَمَةً؛ وخيوطها مُطَهَّمَةً؛ ودَوَائِلُهَا
إذا ظمِئتْ كانت مَقُومَةً، وإذا رويَتْ عادت مُحَطَّمَةً؛ تتقلد صفائح متى أُنْضِيبَتْ
أنصفت من الحائر الخائف، ومتى أقتضيت عملاً كان اقتضاها مبيضا للصحائف؛
وفي ظلها معاقل للأنذنين، ويحدها مصارع للنايدين؛ وهي للسماء هوارق، وللهامات
قوالق، وأستغلق البلاد مفايح وأستفتحها مغالِق .

ولما انتهى إلى المصلى قضى الصلاة أحسن قضاء، وإذاها أفضل تأديه، وأستزل
رحمة لم تزل بصلاته ممتأديه؛ وأنهى إلى المنبر فرقيه، وخطب خطبة من أستخلفه
الله فكان مراقبه ومتقيه، ووعظ أبلغ وعظ، وأبان عملاً للعامل بنصحه في الدنيا
والآخرة من فائدة وحفظ. وعطف على الأضاحى المعدة له فنحروها جرياً في الطاعات
على فعلها المتبادي، وأصحت تتوقع التكميل بإنجازه وعيده في الأعادي؛ فإله يقضى
بتصديقه، ويمن بتخيئه وتحقيقه؛ وعاد إلى قُصُورِهِ المَكْرَمَةِ مشكوراً سعيه، مضموناً
تقعه؛ مرضياً فعله، مشمولاً عبيده منه بما هو أهله . أعلمك أمير المؤمنين ذلك
فاعلم هذا وأعمل به . وكُتِبَ في اليوم المذكور .



وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك، والدولة مشتملة على وزير، من إنشاء ابن قادوس، وهي :

أما بعد ، فالحمد لله مآجى دنس الآثام بالحج إلى بيته الحرام ، وموجب الفوز في المعاد لمن عمل بمراشد أئمة الهدى الكرام ، ومضاعف الثواب لمن اجتهد فيما أمر الله به من التلبية والإحرام ، ومحوّل العقران لمن كان بفرائض الحج ونوافله شديداً الوأروع والغرام ، وصلى الله على جدنا محمد الذى لبى وأحرم ، وبين ما أحل الله وحرم ، وعلى أخيه أئمة المؤمنين على بن أبى طالب الذى ضرب وكبر ، وحقر من طغى وجبر ، وعلى الأئمة من ذريتهما أعلام الدين ، وحُوف المعتدين ، وسلم وكرم ، وشرف وعظم .

وإن من الأيام التى كُتبت محاسنها وتمت ، وكثرت فضائلها وجمت ، ووجب تحليد عزم صفاتها ، وتعين تسطير تأثيراتها ، يوم عيد النحر من سنة كذا : وكان من قصصه أن الفجر لما سل حسامه ، وأبدى الصباح أبشامه ، نهض عبيد الدولة في جموع الأولياء والأنصار ، وأولى العزيمة والاستبصار ، ميممين القصور الزاهرة متبركين بانبيتها ، ومستملين بسعادتها ، وتألقوا صفواً تبهت النواظر ، ويحجل تألقها تألق زهر الروض الناضر ، مستصحين فنونا من الأزياء تروق ، ومستتبعين أصنافاً من الأساحة يعرض لعمها من لعم اللهب والبروق ، والأعلام خافقه ، والرايات بالسنّة النضر ، على الإخلاص لإمام العصر ، متوافقه ، فأقاموا على تشريف لظهوره ، وتطلع للبرك بلايع نوره .

ولما بزغت شمس سعادته، وجرت الأمور على إيتاره وإرادته؛ وبدت أنوار
الإمامة اجليته، وظهرت طلعتها المظمنة البهية؛ نحر الأنام مجودا بالدعاء والتعجيد،
والاعتراف بأنهم العبيد بنو العبيد؛ وأستقل ركاب أمير المؤمنين، ووزيره السيد
الأجل الذي قام بنصر الله في إنجاد أوليائه، وتكفل للإسلام برفع مناره ونشر لوائه؛
وناضل عن حوزة الدين وجاهد، وناضل أحزاب الكفار وناهد؛ يقوم بأحكام
الوزارة، وتدبير الدولة تدبير أولى الإخلاص والطهارة؛ ويتبع آراء أمير المؤمنين فيما
تتفد به أوامره، ويعمل بأحكام الصواب فيما تقتضيه موارده ومصادره؛ ويحسن
السياسة والتدبير، ويتوخى الإصابة في كل صغير من أمور الدولة العلوية وكبيره؛
ويخلص لله جل وعز وإمامه، ويكف من الأعداء بيدل الجهد في أعماله لخدمته
وحسامته؛ وسار أمير المؤمنين والساكر متتابعة في أثره، متوافقة على أمثال أمره؛
قد رفعت السنايك من العجاج سخابا، وخيلت جنن الحسد للناظرين في البرعبابا؛
والحياد المسومة عوج في أعينها، وتختل في مراكبها وأجلتها؛ وتسرع فتكسب الرياح
نشاطا، وتفيد المتعرض لوصفها إفراطا، وتهدى لمن يحاول مماثلتها غلوا وأشتطاطا؛
وأصوات مرتفعة بالهليل، وأصوات الحديد تسمع بشائر النصر بترجمة الصليل؛
ويكاد يرعب الأرض ترزول الصهيل، وترض سنايكها الهضاب وتقود صلابها
كالكتيب المهيل .

ولما انتهى ركاب أمير المؤمنين إلى المصل والتوفيق يكتفه، والسعادة تصرفه؛
قصد المحراب فأقام الصلاة، ونحا المنبر فشرقه إذ علاه؛ وأدى الصلاة على أكمل
الأوضاع وأتمها، وأجمع [الأحوال] لمرضى الله وأتمها؛ وأنتى للبدين الممدة فتحر
ماحضر تقر بالخاليقه، وأجرى القانون على حقائقه؛ وعاد إلى قصوره الزاهرة وقد غفر
الله بسعيه الذنوب، وطهر برؤيته القلوب، وبلغ الأمم من المرشد نهاية المطلوب .

أعلمك أمير المؤمنين نبأ هذا اليوم الذي تشتمل المسار على جميعه أولاً وآخراً ،
وباطناً وظاهراً ؛ لتُدبغ نَبَاهُ في عمل ولآيتك ، وتُشيع خبره في الرعايا على جاري
عادتك ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، وطالع مجاس النظر السبدي الأجل بما اعتمده
في ذلك ، إن شاء الله تعالى . وكتب في اليوم المذكور .

قلت : وهذا الصنف من المكاتبات قد رُفِصَ وتُركَ استعماله بديوان الإنشاء
في زماننا .

الصنف السادس عشر

(المكاتبة بالبيشارة بوفاء النيل والبيشارة بالسلامة في الركوب لفتح الخليج)

وهذه المكاتبة من خصائص الديار المصرية ، لا يشاركها فيها غيرهما من الممالك .
ولم يزل القائلون بالأمر بالديار المصرية من قديم الزمان وهلمَّ جرأ يكتبون بالبيشارة
بذلك إلى ولاة الأعمال ، اهتماماً بشأن النيل ، وإظهاراً للسُرور بوفائه ، الذي يترتب
عليه الخصب المؤدى إلى العِزَّة وقوام المملكة ، وانتظام أمر الرعية . وقد كان للخلفاء
الفاطميين القائمين بأمر الديار المصرية بذلك كبير العناية ووافر الاهتمام ؛ وكانت
عادتهم في ذلك أنهم يكتبون بالبيشارة بوفاء النيل كتباً مفردة ، وفتح الخليج
وهو المعبر عنه في زماننا بالكسر كتباً مفردة . ولعلَّ فتح الخليج كان يتراخى في زمنهم
عن يوم الوفاء ، فيُفردون كُلَّ واحد منهما بكتاب .

فأما وفاء النيل المبارك فهذه نسخة كتاب بالبيشارة به في الأيام الفاطمية ،
من إنشاء ابن قادوس ، وهي :

النعم وإن كانت شاملة للأمم ، فإنها متفاضلة الأمدار والقيم ؛ فأولها بشكر تُنشر
في الآفاق أعلامه ، وأعتدائهم مُحكم بإدراك الغايات أحكامه ؛ نعمة يشترك في النفع بها

العباد، وتبْدُو بركتها على الناطق والصامت الجماد، وتلك التَّعْمَةُ النَّبِيلُ المِصْرِيُّ الذى
تبرز به الأرض الجُرْزُ في أحسن الملابس، وتظهر حُلُلُ الرِّبَاضِ على القِيَعَانِ والبَسَائِسِ ؛
وتُرى الكُنُوزُ ظاهرةً للعِيَانِ، مُتَبَرِّجةً بالجوهر والنجين والعقيان ؛ فُسُوحَانٌ مِنْ جِملِهِ
سَبِيحًا لِإِنشَارِ المَوَاتِ، وتعالى مَنْ ضَاعَفَ بِهِ ضُرُوبَ البَرَكَاتِ، ووَفَّرَ بِهِ مَوَادَّ الأرزاقِ
والأقوات ؛ وهذا الأمرُ صَادِرٌ إلى الأمير، وقد مِنْ الله جَلَّ وَعَلَا بوفاء النَّبِيلِ المُبَارَكِ،
وَحُلِّيعَ عَلَى القاضى فلان بن أبى الرُّدَادِ في يوم كذا وكذا، وطاف بِالخَلِيعِ والتشريفات،
والمَوَاهِبِ المُضَاعَفَاتِ ؛ بالقاهرة المحروسة ومصر على جَارِي عَادَتِهِ، وقديم سِيرَتِهِ ؛
وَنُوْدِي عَلَى المَاءِ بوفائه ستة عشر ذراعًا وإصبعًا من سبعة عشر ذراعًا ؛ وأستبشر
بالتَّعْمَةُ بذلك الخَلَاقِ، ووَاصَلُوا بالشُّكْرِ مواصلةً لِأَسْتَوْقُمُهُمْ عنها العَوَائِقِ، وبَدَأَ مِنْ
مَسَرَّاتِ الأُمَّمِ وآبَتِهَا جِهَمٌ مَا يَضْمَنُ لَهُمْ مِنْ الله المَزِيدَ، وَيُبْدِلُهُمُ المَتَالَ السَّعِيدَ، وَيَقْضِي
لَهُمُ بِالمَالِ الحَمِيدِ، ومُوصِلٌ هَذَا الأمرُ إِلَيْكَ فلان، فاعتمد عند وُصُولِهِ إِلَيْكَ إِكْرَامَهُ
وإِعْزَازَهُ، وإِحْمَالِ تَلْقِيهِ وإفْضَالِهِ ؛ إلى ما جرت به عادة مثله من رَجَاءٍ، وتَوْبِيهِ
وإِحْتِفَاءٍ، وإِكْرَامٍ وأَعْتِنَاءٍ ؛ لِيَمُودَ شَاكِرًا . فاعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة أخرى من ذلك، من إنشاء ابن الصيرفي، وهي :

أولُ مَا تَحَدَّثَ بِهِ نَاقِلُهُ ورَآوِيهِ، وَتَعَجَّلَ المَسْرَةَ بِهِ حَاضِرُهُ ورَآئِيهِ ؛ مَا كَانَتْ
الفائدةُ بِهِ شَائِعَةً لِأَتَمِّعِيزَ، وَالتَّعْمَةُ بِهِ ذَائِعَةً لِأَيْتَحَفِّصُ أَحَدٌ بِسُمُوطِهَا وَلَا يَتَمَيَّزُ ؛
إِذْ كَانَتْ عَلِيَّةً لِتَكَثُرِ الأَقْوَاتِ، وَبِهَا يَكُونُ التَّمَائُلُ فِي البَقَاءِ والتسليوى فِي الحَيَاتِ ؛ وَذَلِكَ
مَا مِنْ الله تَعَالَى بِهِ مِنْ وَقَاءِ النَّبِيلِ المُبَارَكِ : فَإِنَّهُ آتَمَى فِي يَوْمِ كَذَا مِنْ سَنَةِ كَذَا،
إِلَى سِتَّةِ عَشْرَ ذِرَاعًا وَزَادَ إِصْبَعًا مِنْ سَبْعَةِ عَشْرَ ذِرَاعًا ؛ وَقَدْ سِيرْنَا أَيُّهَا الأمير فلانا

بهذه البشري إليك ، وخصصناه بالورود بها عليك ؛ فتلقها من الشكر بمستوجبها ،
 واستقبلها من الأتباع والاعتباط بما يليق بها ، وأجعل الرسوم التي جرت العادة
 بتوظيفها لفلان بن أبي الرداد محمولةً من جهتك إلى حضرتنا ، لتؤتى إليه من جهتنا ؛
 فاعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى ، وكُتِبَ في اليوم المذكور .

وهذا الصنف من المكاتبات متداول بالديار المصرية إلى أحرقت ، يُكْتَبُ به
 في كُلِّ سنة عن الأبواب السلطانية إلى نواب السلطنة بالمالك الشامية عند وقاء
 النيل ، وتسير به البريدية ، وربما جِيء للبريدي من المالك شيء بسبب ذلك .
 وإذا كانت الدولة عادلة ضمن الكتاب أنه لا يُجِيء للبريدي شيء بسبب ذلك .



وهذه نسخة مثال شريف في معنى ذلك .

ولا زال يُروى عنه وإليه حديث الوفاء والندا ، ويُورد على سمعه الكريم نبأ
 الخصب الذي صفا مورداً ؛ ويهني بكل نعمة تكفلت للعرايا بمضاعفة الجود
 ومرادفة الجدا ، ويخص بكل مئة عممت مواهبها الأنام فلن تنسى أحداً .

صَدَرَتْ هذه المكتوبة إلى الجناب العالي : ويحرمها لايتهاي إلى مدى ،
 ويُسرُّ بشرها دائم أبداً ؛ تُهدى إليه سلاماً مؤكداً ، وتشاء أضحى به الشكر مرّداً ؛
 وتوضح لعالمه الكريم أن الله تعالى قد أجرى على جميل عاداته ، وأراد بالأمة من الخير
 ما هو المألوف من إراداته ؛ ومنع من يد التعم التي لم تزل تُعهد من زيادته ؛ فأسدئ
 معروفة المعروف إلى خلقه ، وأيدهم بما يكون سبباً لمأدّة عطايه ويزيقه ؛ قبلهم
 تأمّلهم ، وأجرى نيلهم ؛ وزادهم بسطة في الأرض ، وملا به الملا وطبق به البلاد
 طولها والعرض ؛ ونشر على الخافقين لواء خصيه ، وأتى بمسكّر يه لقتل الخيل

وجديده، وبينما هو في القساح إذ بلغ بأذن ربه، بفعل من الذهب لياسه، وعطر
بالشذا أنفاسه، ولم يترك خللاً قطراً إلا جاءه بفساه، ونص السير فسير نص مجيئه
في الأرض لما صحح بالوفاء قياسه، وغازلته الشمس فكسته حرة أصيلها لما غدت
له بمشاهدتها ماسه، ولم يكن في هذا العام إلا بمقدار ما قيل: أقبل إذ قيل: وقى،
ومد في الزيادة بأعاً وبسط ذراعاً، وأطلق بمواهب أصابه كفاً، وعاجل إدراك الهرم
في ابتداء أمره مطال شبابه، ومر على الأرض فعلا في الأفواه لما ساع شكر سائغ
شرايه، واعتمد على نص الكتاب العزيز فكاد أن يدخل كل بيت من أبيه.

ولما كان يوم كذا من شهر كذا الموافق لكذا من شهور القبط بادرت إلى الوفاء
شيمه، وأغنت أمواجه عن مية الشحب فذمت عندها ديمه، وزار البلاد منه أجل
صنيف فرست له صفحة خدّها للقرى فعمها كرمه، وبلغ من الأذرع ستة عشر ذراعاً
ورفع لواءه بالمزيد ونشر، وجاء للبشر بأنواع البشر، فرمنا بتعليق ستر مقياسه،
وتخليقه وتضويع أنفاسه، وفي صبيحة اليوم المذكور كسر سدّ خليجه على العاده،
و بلغ الأنام أقصى الإراده، وتباشر بذلك العام وانفاص، وأعلنت الأئسته بحمد
ربها بالإخلاص، وسطرها وهو بفضل الله ورحمته متتابع المزيد، بسيط بحره
المديد، متجدد الثمر في كل يوم من أيام الزيادة جديد. فالحناب العالى يأخذ من
هذه البشرى بأوفر نصيب، ويشكر نعمة الله على ما منح - إن شاء الله - هذا العام
انحصيب، ويذبح لها خبراً وذكراً، ويضوع بطى هانها نثراً، ويتقدم بأن لا يجيئ
عن ذلك بشارة بالجملة الكافية، لتغدو المنه تامة والمسرّة وافية، وقد جهزنا بهذه
المكتبة فلانا، وكتبنا على يده أمثلة شريفة إلى نواب القلايع الفلانية [جرباً] على
العاده، فيتقدم بتجهيزه بذلك على عادة همته، فيحيط علمه بذلك.



وهذه نسخة أخرى في معنى ذلك، كُتِبَ بها في سابع عشر ذى القعدة سنة ست وستين وسبعائة، وصورتها بعد الصدر :

وَبَشِّرْهُ بِأَخْصَابِ عَامٍ ، وَأَخْصِ مَسْرَةَ هَنَاوُهَا لِلوُجُودِ عَامٍ ، وَاكْمِلِ نِعْمَةَ تَقَارِيلِ
العام من عيون الأرض بمزيد الإنعام .

صدرت هذه المكاتبه إلى الجناب العالى تُهْدَى إليه أتمَّ سَلَامٍ ، وَأَعْمُ ثَنَاءٍ تَامٍ ،
وَتَوْضُحٍ لِعَلِيهِ الْكَرِيمِ : أن الله تعالى - وله الحمد - قد جرى في أمر النيل المبارك على
عوائد أطرافه ، وَمَنَحَ عِبَادَهُ وَبِلَادَهُ مِنْ مَدِيدِ نِعْمِهِ مَزِيدٍ مُسْعَفِهِ ، وَأَوْرَدَ الْأَمَالَ
مِنْ جُودِهِ مَنَهْلًا عَذْبًا ، وَمَلَأَهَا بِهِ إِقْبَالًَا وَخِصْبًا ، وَأَحْيَا بِهِ مِنْ مَوَاتِ الْأَرْضِ
فَاهْتَرَتْ وَرَبَّتْ ، وَأَنْبَتَ كُلَّ بَيْهَجٍ وَأَنْجَبَتْ ، وَأَيْبَعَتِ الرِّبَاضَ بِحُرَّتِ فِيهَا الرُّوحُ
وَدَبَّتْ ، وَأَمْتَلَأَتِ الْحَيَاضَ فَنَاضَتْ بِالْمِيَاهِ وَأَنْصَبَتْ ، وَطَلَعَ كَالْبَدْرِ فِي آرْدِيَادِهِ ،
وَتَوَالَى عَلَى مَدِيدِ الْأَرْضِ بِأَمْدَادِهِ ، إِلَى أَنْ بَلَغَ حَدَّهُ ، وَوَصَلَ الْفَرَجَ وَمَنَعَ الشَّدَهَ ،
وَفِي يَوْمٍ كَذَا مِنْ شَهْرٍ كَذَا الْمَوَاقِفَ لِكَذَا وَكَذَا مِنْ شَهْرِ الْقَيْطِ ، وَفَإِنَّ اللَّهَ سِتَّةَ عَشَرَ
ذِرَاعًا قَاهَ فِيهَا بِالنُّجُجِ ، وَعَمَّ تَرَاهُ الْأَرْضَ فَأَشْرَقَ بَعْدَ لَيْلِ الْجَدْبِ بِالرَّخَاءِ أَضْوَاءً صُبْحًا ،
وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَّقَ سِتْرَهُ ، وَخُلِقَ مِقْيَاسُهُ فَاشْتَهَرَ ذِكْرُهُ ، وَكُسِرَ سَدُّهُ ، وَتَوَالَى مَدُّهُ ،
وَتَجَزَّ مِنْ الْخِصْبِ وَعَدَّهُ ، وَعَلَا التَّرَعُ وَالْجُرُوفُ ، وَقَطَعَ الطَّرِيقَ فَأَمَّنَ مِنَ الْجَدْبِ
الْمُخَوِّفِ ، وَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الطَّلُقَ الْحَيَا ، وَأَسْبَلَ عَلَى الْأَرْضِ لِيَأْسَ النَّعْمَ فَبَدَّلَهَا بَعْدَ
الظُّلْمِ رِيًّا ، فَحَمِدْنَا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ ، وَرَأَيْنَا أَنْ يَكُونَ لِلْجَنَابِ الْعَالِي أَوْفَرُ
نَصِيبٍ مِنْ هَذَا الْهِنَاءِ الْأَعْمِ ، وَأَمْرًا بِإِعْلَامِهِ بِذَلِكَ : لِيَكُونَ فِي شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ أَكْبَرُ
مِشَارِكٍ ، فَالْجَنَابِ الْعَالِي يَأْخُذُ حَظَّهُ مِنْ هَذِهِ الْبُشْرَى ، وَيَتَحَقَّقُ مَالَهُ عِنْدَنَا مِنْ

المكانة التي حَصَّه في كُلِّ مُهِجَةٍ بِالذِّكْرِ ، وَيَتَقَدَّمُ أَمْرُهُ الْكَرِيمُ بَأَنِّ لَا يُجْبَى
عَنْ ذَلِكَ حَقَّ بَشَارِهِ ، وَلَا يَتَعَرَّضُ إِلَى أَحَدٍ بِحَسَارِهِ ، وَقَدْ جَهَّزْنَا بِذَلِكَ فَلَانَا .

الصفحة السابع عشر

(فيما يكتب في الإشارة ركوب الميدان الكبير بخط اللوق)

عند وفاة النيل في كل سنة)

وهو مما يتكرر في كل سنة عند ركوب الميدان ، ويكتب به إلى جميع التواب
الأكابر والأصاغر ، وتجهز إلى أكابر التواب خيول مُحَبَّبة المثل الشريف ، ويرسم
لهم بالركوب في ميادين الممالك لِلْعِبِّ الكُرَّة ، تَأْسِيًّا بِالسُّلْطَانِ ، فَيَرْكَبُونَ وَيَلْعَبُونَ
الْكُرَّة . وَالْعَادَةُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ أَنْ تُنْشَأَ نَسْخَةُ كِتَابٍ مِنْ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ الشَّرِيفِ ،
وَيَكْتَبُ بِهَا إِلَى جَمِيعِ الْبِيَايَاتِ ، لَا يَخْتَلَفُ فِيهَا سِوَى صَدْرِهَا ، بِحَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ
حَالُ ذَلِكَ النَّائِبِ .

وهذه نسخة مثال شريف في معنى ذلك ، كُتِبَ بِهِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ سَبْعِينَ
وَسَبْعِمِائَةَ لِنَائِبِ طَرَابُلُسَ ، وَصُورَتُهُ بَعْدَ الصُّدْرِ :

وَلَا زَالَ تُحْمَلُ إِلَيْهِ أَنْبَاءُ مَا يَبْدُو عُلَّتَهُ مِنْ مُضَاعَفَةِ السُّرُورِ ، وَدُبَّتْ لَهُ أَقْوَالُ الْمَنَاءِ
بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ النَّصْرِ الْمَوْفُورِ ، وَتَحُصُّهُ مِنْ إِقْبَالِنَا الشَّرِيفِ بِأَكْلِ تَكْرِيمِ
وَأَتَمَّ حَبُورِ .

صدرت هذه المكتوبة تُهْدَى إِلَيْهِ مِنَ السَّلَامِ وَالنَّوَاءِ كَذَا وَكَذَا ، وَتُوضَّحُ لِعَلْمِهِ الْكَرِيمِ
أَنَا تَحْقِيقُ مَضَاءَ عَزَائِمِهِ جَرِيًّا وَسَائِمًا ، وَأَعْتَلَاءَ هِمَمِهِ الَّتِي تُحْرَسُ بِهَا الْمَمَالِكُ وَتُنْجَى ،

وَأَنْ صَوَّافَتْهُ تُرْبَتُ لُرْكُضٍ ، وَحُبْسُ لَنْهَضٍ ؛ فَلذَلِكَ نُعَلِّمُهُ مِنْ أَنْبَاءِ آسْتِظْهَارِنَا
 مَا يُبْرِجُ خَاطِرَهُ ، وَيُقِرُّ نَاطِرَهُ ؛ وَهُوَ أَتْنَا لِمَا كَانَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ الْمُبَارِكِ خَافِيسَ سُؤَالِ ،
 تَوَجَّهَ رِكَابُنَا الشَّرِيفُ إِلَى الْمِيدَانِ السَّعِيدِ وَفَاضَ بِهِ جُودُنَا فَأَخْضَرَتْ مُرُوجُهُ ،
 وَظَهَرَتْ نَيْرَانًا الْأَعْظَمُ فَأَشْرَقَتْ آفَاقُهُ وَتَشْرَقَتْ بُرُوجُهُ ، وَأَقْرَأَ الْعِيُوبَ مُنِيرًا وَجِهِنَا
 الْمُبَارِكِ وَبَسَّجَهُ ؛ وَغَدَا كُلُّ وِلَى بِمَوْلَانَا أَنْعَامَنَا مَشْمُولًا ، وَبَنَالَاتِ إِكْرَامِنَا مُوصُولًا ؛
 وَرَكَضَ الْأَوْلِيَاءُ بَيْنَ أَيْدِينَا جِيَادًا أَلْقَتْ زِلَالًا وَعَرَفَتْ طِرَادًا ، وَأَنْعَظَتْ لِينًا وَأَنْقِيَادًا ؛
 وَعَدْنَا إِلَى مُسْتَقَرِّ مُلْكِنَا الشَّرِيفِ وَقَدْ جَدَّدَ اللَّهُ لَنَا إِسْعَادًا ، وَأَيْدٍ لِعَزْمِنَا الْمَعَانِ
 مَبْدَأًا وَمَعَادًا ؛ وَأَمْرُنَا بِإِعْلَامِ الْجَنَابِ الْعَالِي بِهَذِهِ الْوَجْهَةِ الْمِيْمُونَةِ ، وَالْحَرَكَةِ الَّتِي هِيَ
 بِالْبَرَكَةِ مَقْرُونَةٌ : لِأَخْذِ حَظِّهِ مِنَ السَّرُورِ بِذَلِكَ وَالْهِنَاءِ ، وَيَتَحَقَّقُ مِنْ إِقْبَالِنَا الشَّرِيفِ
 عَلَيْهِ مَا يَبْلُغُ بِهِ الْمُنَى .



وهذه نسخة مثالي شريف في المعنى ، كُتِبَ بِهِ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ ، سَنَةِ
 أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ . وَصُورَتُهُ بَعْدَ الصَّدْرِ :

وَلَا زَالَتْ مِيَادِينُ سَعْدِهِ لَا تَنْتَاهِي إِلَى مَدْيِ ، وَكُرَاتُ كُرَاتِهِ فِي رِحَابِ النَّصْرِ تَلْمَعُ
 كَنْجَمِ الْهُدَى ، وَمُدُورُ صَوَائِلِهِ كَشَوَاحِرِ الْمُرَانِ تَعْلُو بِتَأْيِيدِهَا لِلْأَوْلِيَاءِ ، وَتَعْتَدُو
 صَرِيحَةَ الْعِدَاءِ .

صَدْرَتْ هَذِهِ الْمَكْتُوبَةُ وَظَفَرُهَا لَا يَزَالُ مُؤَيِّدًا ، وَنَضْرُهَا لَا يَبْرَحُ مُؤَيِّدًا ؛ تُهْدَى إِلَيْهِ
 سَلَامًا مُؤَكَّدًا ، وَشَاءَ كَنْشِيرِ الْأَرْضِ بِالنُّدَى ؛ وَتَوَضَّحَ لِعَلْمِهِ أَتْنَا لَمْ نَزَلْ بِحَمْدِ اللَّهِ تَنْبِغُ
 سَنَنْ سَلَفِنَا الشَّرِيفِ ، وَتُجْرَى الْأُمُورَ عَلَى عَوَائِدِ جَبِيلِهِمُ الْمُئَيِّفِ ؛ وَنَرَى تَمْرِينَ
 الْأَوْلِيَاءِ عَلَى مُمَارَسَةِ الْحُرُوبِ ، وَتَوَثُّرُ إِبْقَاءِ آثَارِ الْجِهَادِ فِيهِمْ عَلَى أَحْسَنِ أُسْلُوبِ ؛

فلذلك لا يُحَلُّ في كُلِّ عامٍ بالتَّعَاهُدِ إِلَى المِيدَانِ السَّعِيدِ، وَالرُّكُوبِ إِلَيْهِ فِي أَسْعَدِ طَالِعِ
يُمْدَى النَّصْرِ وَوَعِيدِ : لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ آتِبَهِاجٍ يَتَّجِدُ ، وَأَسْبَابِ مَسْرَةٍ لِكَاثَةِ الْأَنْامِ
تَأْتِكُ ، وَدَعَوَاتِ أَلْسِنَتِهَا تَتَضَاعَفُ مِنَ الرَّعِيَةِ وَتَتَرَدَّدُ .

ولما كان في يوم السبت المبارك سادس عشر شهر رَجَبِ القَرْدِ ، ركبنا إِلَى المِيدَانِ
السَّعِيدِ فِي أَمِّ وَقْتٍ أَحَدَ مِنَ السَّعْدِ يَجْمُوعُهُ ، وَأَظْهَرَ فِي أَفْقِ العِساكِرِ مِنْ وَجْهِهَا
الشَّرِيفِ البَدْرَ عِنْدَ طُلُوعِهِ ؛ وَلَمْ يَبْرَحْ يَوْمَنَا المَذْكُورِ فِي عَطَاءِ نُجَيْدِهِ ، وَإِنْعَامِ نُفَيْدِهِ ،
وَإِطْلَاقِ نُبْدِهِ وَنُعَيْدِهِ ؛ وَالأَوْلِيَاءِ بَيْنَ أَيْدِينَا الشَّرِيفَةِ يَمْرُحُونَ ، وَفِي بِحَارِ كَرَمِنَا المُنِيفِ
يَسْبُحُونَ ، وَفِي مِيدَانِ تَأْيِيدِنَا المُنِيفِ يَسْبُحُونَ ، وَالمُكْرَاتِ كَالشَّمْسِ تَجْحَجُّ نَارَهُ
وَغَيْبِ ، وَتَحْشَى مِنْ وَقَعِ الصَّوَالِحَةِ فَتَقَابِلُهَا بِوَجْهِ مُصَفَّرٍ مُرِيبٍ ؛ ثُمَّ عُدْنَا إِلَى القَلْعَةِ
المَنْصُورَةِ عَلَى أَمِّ حَالٍ ، وَأَسْعَدِ طَالِعِ بَلَّغِ الْأَنْامِ الأَمَانَ وَالأَمَالَ ؛ وَالعِساكِرِ بِمُجْدَمَتِنَا
الشَّرِيفَةِ مُحْدِقُونَ ، وَالمَالِكَا بِعُقُودِ وَلائِنَّا مُطَوَّقُونَ ؛ وَالرِّعَايَا قَدْ أَلْبَسَهَا السُّرُورُ أَثُوبًا ،
وَفَتَحَ لَهَا مِنَ الأَبْتِهَاجِ أَبْوَابًا ؛ وَقَدْ آثَرْنَا إِعْلَامَ الجَنَابِ بِذَلِكَ لِأَخَذِ حَظِّهِ مِنْ هَذِهِ
المَسْرَةِ وَالبُشْرَى ، وَبَشَرَكِ هُوَ وَالأَنْامِ فِي هَذِهِ النِّعْمَةِ الكُبْرَى ؛ وَمَرَسُومُنَا للجَنَابِ
أَنْ يَتَقَدَّمَ بِالرُّكُوبِ بَعْدَ عِنْدِهِ مِنَ الأَمْرَاءِ فِي مِيدَانِ طَرَابُلُسِ المَحْرُوسَةِ ، وَيَلْعَبَ
بِالْكُرَّةِ عَلَى جَارِي العَادَةِ فِي ذَلِكَ ؛ لِيُسَاهِمَ أَوْلِيَاءُ دَوْلَتِنَا القَاهِرَةِ فِي ذَلِكَ ، وَيَسْلُكَ
مِنْ طَرَفِهِمُ الجَمِيلَةَ أَجْمَلَ المَسَالِكِ .

قلت : وَهَذَا الصَّنْفُ مِنَ المَكْتَابَاتِ السُّلْطَانِيَةِ لَمْ يَزَلْ مُسْتَعْمَلًا بِدِيَوَانِ الإِنْشَاءِ ،
يُكْتَبُ بِهِ كُلَّمَا رَكِبَ السُّلْطَانُ إِلَى المِيدَانِ الصَّالِحِي بِحَطِّ اللُّوقِ ، إِلَى أَنْ عَطَلَ جَيْدَهُ
مِنَ الرُّكُوبِ فِي أَوَاخِرِ الدَّوْلَةِ الظَّاهِرِيَّةِ «بَرْقُوقِ» وَأَقْتَصَرَ عَلَى لَيْبِ الكُرَّةِ فِي المِيدَانِ
الَّذِي جَرَتْ بِهِ العَادَةُ ؛ فَتَرَكْتَ المَكْتَابَةَ بِذَلِكَ مِنْ دِيَوَانِ الإِنْشَاءِ وَرَفِضَ اسْتِعْمَالَهَا .

الصف الثامن عشر

(المكاتبة بالبشارة بحج الخليفة)

لما كانت الأسفار، محلّ الأخطار؛ وموقع الاختلاف وحدوث الفتن؛ كانت الخلفاء يكتبون الكتب إلى عمّالهم بالسلامة عند الإياب من السفر للحج وغيره . والرسم فيها أن يذكر أن الحج من أجل العبادات ، وأن من النعمة [أن ينزل الله تعالى بقضاء المناسك ، والوقوف بالمشعر الحرام ، والطواف بالبيت العتيق ، والسعي بين الصفا والمروة ، وما يجري مجرى ذلك من شعائر الحج ؛ ثم بعد زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، واتفق الكلمة في جميع هذه الأحوال ، على كثرة الخلائق ومنزلة الجيوش والعساكر .

وهذه نسخة كتاب بالسلامة من سفر الحج ، وهي :

الحمد لله الذي جعل بينه مشابة للناس وأماناً ، وحرماً من دخله كان آمناً ؛ الذي اختار دين الإسلام على الأديان ، وأبتعت به صفوته من الإنس والجان ؛ محمداً أكرم نبي معذنان .

يحمده أمير المؤمنين أن أعانه على تادية حقه ، ونصبه لكفالة خلقه ؛ ووفقه للعمل بما يرضيه ويؤدبي إليه . ويسأله أن يصلّي على خير من غار وأنجد ، وصدر وورد ؛ وركع وسجد ، ووحّد ومجد ، وصلّى وعبد ؛ وحلّ وأحرم ، وحجّ الحرام ؛ وأتى المستجار والمكترّم ، والحطيم وزمزم ، مجد سيد ولد آدم ؛ وعلى أخيه وابن عمّه مصباح الدلالة ، وحجاب الرساله ؛ إمام الأمة ، وباب الحكمة ؛ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ،

مُزَّقِ الكُتَّابَ ، وَمُزَّقِ المَوَاقِبَ ، وَمُحَطِّمِ القَوَاضِبَ ، فِي القُلَّالِ وَالنَّسَاكِبَ ، وَعَلَى
الْأئِمَّةِ مِنْ دُرِّيَّتِهِمَا الهَادِينَ ، صَلَاةً بَاقِيَةً فِي العَالَمِينَ .

وَإِنَّ أَوْلَى النَّعَمِ أَنْ يُسْتَعْدَبَ ذِكْرُهَا ، وَيُسْتَمَطَّرَ نَشْرُهَا ، وَتُحَدَّثَ بِهَا الْأَلْسِنَةُ ،
وَتُعَدَّ فِي مَوَاهِبِ اللَّهِ الحَسَنَةِ ، نِعْمُ اللَّهِ تَعَالَى فِي التَّوْفِيقِ الحَجَّ بَيْنَهُ الَّذِي جَعَلَهُ مَثَابَةً
لِرَأْيِيهِ ، وَالْإِطَاقَةَ بِحَرَمِهِ الَّذِي يُوجِبُ المَغْفِرَةَ لِقَاصِدِيهِ ، وَالتَّزْوِيلَ بِأَفْيَئْتِهِ الَّتِي مِنْ
يَحْدُمِ بِهَا فَقَدَ أَنْسَلَخَ مِنَ السَّيِّئَاتِ ، وَتَلَبَّسَ بِالحَسَنَاتِ ، وَكُتِبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا
إِلَيْكَ يَوْمَ النَّصْرِ الْأَوَّلِ : وَقَدْ قَضَى بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَفُّهُ ، وَوَفَّى نَدْرَهُ ، وَنَمَّ حُجَّةً ، وَكَلَّ طَوَافَهُ ،
وَشَهَدَ مَنَافِعَهُ ، وَأَدَى مَنَاسِكَهُ ، وَوَقَفَ المَوْقِفَ بَيْنَ يَدِي رَبِّهِ قَانِتًا دَاعِيًا ، وَرَاجِيًا
رَاجِيًا ، وَعَرَّفَهُ بِعَرَفَاتٍ إِعْلَامَهُ قَبُولَ سَعْيِهِ ، وَإِجَابَةَ تَلْبِيئِهِ ، وَبَلَّغَهُ فِي مَنَى أَمَانِيهِ
مِنْ رَأْقَتِهِ ، وَأَرَاهُ مِنْ مَحَابِلِ الرَّحْمَةِ ، وَدَلَّائِلِ المَغْفِرَةِ ، بِمَاتَلَأَلَاتِ أَنْوَارِهِ ، وَتَوَسَّحَتْ
أَنَارُهُ ، وَأَجْرَاهُ عَلَى تَفْصِيلِ العِبَارَةِ فِي شُمُولِ السَّلَامَةِ لِكُلِّ مَنْ حَجَّ بِحُجَّتِهِ ، وَوَقَفَ
مَوْقِفِهِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَخَاصَّتِهِ ، وَعَامَّتِهِ وَرِعِيئَتِهِ ، وَأَنْعَمَ بِاتِّفَاقِ كَلِمَتِهِمْ ، وَأَجْتِنَاحِ أَهْوِيَّتِهِمْ ،
وَآكْتِنَافِ الدَّعَةِ وَالسُّكُونِ لَهُمْ ، وَرِزْوَالِ الْإِخْتِلَافِ وَالمُبَايَنَةِ بَيْنِهِمْ .
فَإِنْ أَرَادَ زِيَارَةَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : وَهُوَ يَصْنُرُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى
عَنْ مَوْقِفِهِ هَذَا مِنَ البَيْتِ الحَرَامِ ، إِلَى زِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَنْكَفَأَ إِلَى مَقَرِّهِ ، قَالَ :

وَأَشْعُرُكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ وَهُوَ عَائِدٌ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى مَقَرِّ خِلَافَتِهِ ،
فِي عِزٍّ مِنْ قُدْرَتِهِ ، وَعُلُوٍّ مِنْ كَلِمَتِهِ ، وَأَمْتِدَادٍ مِنْ سُلْطَانِهِ ، وَتَضَاعُفٍ مِنْ جُنْدِهِ
وَأَعْوَانِهِ : نَأْخُذُ بِحِظِّكَ مِنَ الْإِبْتِهَاجِ وَالجَدَلِ ، وَتُدْبِعُهُ بَيْنَ أَهْلِ العَمَلِ : لِيشَارَكَكَ
العَامَّةُ فِي العِلْمِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ فَيُحْلِلُوا لَكَ الشُّكْرَ عَلَيْهَا ، وَيَرْغَبُوا إِلَيْهِ فِي الزِّيَادَةِ مِنْهَا ،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة كتاب إسلامة الخليفة من سفر في الجملة .

والرسم فيه أن تُذكر نعمة الله تعالى بما منح أمير المؤمنين في سفره ذلك : من بلوغ المغرب ، وتسهيل المقاصد ، وإدراك الأوطار ، وشمول النعمة في الذهاب والإياب ، وما يمرى مجرى ذلك مما يخرط في هذا السلك ، وهذه نسخته :

الحمد لله ذي الطول والإتمام ، والفضل والإكرام ، والمين العظام ، والأيدى الحسام ، الذي أزعى أمير المؤمنين من حياتيه عينا لا تنام ، وأستخدم لحراسته والمرامة دونه الليالي والأيام ، وقضى له بالتوفيق والسعادة في الظن والمقام .

يحمد أمير المؤمنين أن استخلصه لإمامة الأنام ، وعَدَّق به أساليب النقض والإبرام ، ويسأله الصلاة على من أخصه بشرف المقام ، وأبتعنه بدين الإسلام ، وجلا به حنادس الظلام ، مجد حاتم الأنبياء الكرام ، وعلى أخيه وابن عمه المهام الضرغام ، أمير المؤمنين على بن أبي طالب مكسر الأصنام ، وعلى الأئمة من ذريتهما أعلام الأحكام ، وأدلة الحلال والحرام .

وإن أمير المؤمنين لا يزال يتحدث بنعم الله مستدرا لأخلافها ، متصبيا لقطافها ، ويبيض في ذكورها ، مستديبا للزيادة بشكرها ، ويطلع خالصا على حنين آثارها لديه : وسبوح ملائمتها عليه ، ليأخذوا بحظ من الغبطة والاسبشار ، ويسرحوا في مسارج المباح والمساير ، وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك حين استقر ركابه بناحية كذا ، مبشرا لك بنعمة الله في حياتيه ، وموهبته في سلامته ، وما أولاه من انارة (٩) الدليل ، وتسهيل السبيل ، وطى الجاهل ، وتقريب المنازل ، وإعذاب المناهل ، وإنالة الأوطار ، وتدميت الأوتار ، وبركة المتصرف ، وسعادة المنصرف ، ووُصوله إلى مقصده

قَرِيرَ الْعَيْنِ ، قَلِيلَ الْإِيْنِ ؛ مَحْفُوظًا سَارِيًّا وَأَثِيًّا ، مَكْلُوعًا عَائِدًا وَذَاهِبًا ؛ مُشَرَّدَ النَّصَبِ
 مَسْرُورًا ، مَوْفُورَ النَّصِيبِ مَحْبُورًا ؛ فِي أَجْتِمَاعٍ مِنْ كَلِمَةِ أَوْلِيَانِهِ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَنُفُوزِ
 بَصَائِرِهِمْ فِي تَصِيرِ زَائِنَتِهِ ؛ وَإِعَانَتِهِ عَلَى مَا اسْتَحْفَظَهُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَأَسْتِرْعَاهِ مِنْ بِلَادِهِ : لِیَأْخُذَ
 بِالْحُطِّ الْأَجْرَلِ ، مِنْ الْأَتِهَاجِ وَالْحَذَلِ ؛ وَيَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ ،
 وَيُضِيفُهَا إِلَى سَوَائِفِ نِعْمَةِ التَّالِدَةِ ؛ وَيُذَيِّعُهَا بَيْنَ رَعِيَّتِهِ ، وَأَنْصَارِ دَعْوَتِهِ ؛ لِیَشْتَرِكُوا
 فِي آرْتِفَافِ لُغَاتِهَا ، وَالنِّحَافِ أَسْوَابِهَا ؛ فَاعْلَمْ هَذَا وَاعْمَلْ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قلت : وهذا الصَّنْفُ مِنَ الْمَكْتَابَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ قَلِيلُ الْوُقُوعِ ، فَإِنْ وَقَعَ مِثْلُهُ
 لِلْمَكْتَابِ فِي زَمَانِنَا ، خَرَجَهُ عَلَى نِسْبَةِ الْأَسْلُوبِ الْمُتَقَدِّمِ .

الصنف التاسع عشر

(الكُتَابَةُ بِالْإِنْعَامِ بِالتَّشَارِيفِ وَالْحَلَمِ)

وهذا الصَّنْفُ مِمَّا أَغْفَلَهُ صَاحِبُ "مَوَازِئِ الْبَيَانِ" وَلَا يَدْرِي بِهِ .

وَالرَّسْمُ فِيهِ أَنْ يَكْتُبَ عَنِ الْخَلِيفَةِ أَوْ السُّلْطَانِ إِلَى مَنْ أَخْلَصَ فِي الطَّاعَةِ ،
 أَوْ ظَهَرَتْ لَهُ آفَاقُ كِفَايَةِ : كَقَتْنَجِ أَوْ كَسْرِ عَدُوٍّ ، وَمَا يَجْرِي بِجَرَى ذَلِكَ .

وهذه نسخة كتاب كتبه به أبو إسحاق الصَّابِيُّ عَنِ الطَّائِعِ اللَّهِ ، إِلَى صَهْمَامِ الدَّوْلَةِ
 أَبِي عَضُدِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهٍ ، قَرِينِ خَلْعَةِ وَفَرَسِينَ بِمَرْكَبِينَ مِنْ ذَهَبٍ وَسَيْفٍ
 وَطُوقٍ ، وَهِيَ :

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْإِمَامِ الطَّائِعِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى صَهْمَامِ الدَّوْلَةِ
 وَتَمَسَّ الْمَلَّةَ أَبِي كَالِيَجَارِ بْنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ وَتَاجَ الْمَلَّةَ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

سلام عليك : فإن أمير المؤمنين يتحد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يُصليَ على جده محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد، أظال الله بقاكَ : فإن أمير المؤمنين وإن كان قد بَوَّأَكَ المترلة العُلَيَّا، وأثلك من أثيره النايبة القُصُوي ؛ وجعل لك ما كان لأبيك عَصْدُ الدَّوْلَةِ وتاج المِلَّةِ - رحمة الله عليه - من القَدْرِ والحَلِّ، والمَوْضِعِ الأرفحِ الأَجَلِ، فإنه يُوجِبُ لك عند كلِّ أثيريكون منك في الخدمة ، ومَقَامِ حَمْدِ تَقْوَمِهِ في حِمَاية البَيْضَةِ ؛ إنعاماً يُظَاهِرُهُ، وإِكْرَاماً يُتَابِعُهُ ؛ ويُوَازِرُهُ ؛ والله يَزِيدُكَ من توفيقه وتَسْدِيدِهِ، ويَمْدُدُكَ بمَعُونَتِهِ وتأييده ؛ وَيَجِيرُكَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فيما رَأَيْهُ مُسْتَمِرًّا عَلَيْهِ من مَزِيدِكَ وتَمَكُّنِكَ ، والإِقْبَاءِ بِكَ وتعظيمِكَ ؛ وما تَوَفَّقُكَ أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتَوَكَّلُ وإليه يُنِيبُ .

وقد عرفت - أدام الله عزك - ما كان من [أمر كردويه] كافر نعمة أمير المؤمنين ^(١) ونعمتك ، وجاحد صنيعته وصنيعتك ؛ في الوثبة التي وثبها ، والكبيرة التي أرتكبها ؛ وتقديره أن يتنزه الفرصة التي لم يملكه الله منها ، بل كان من وراء [ذلك] دفعه وردة عنها ؛ ومعاجلتك إياه الحرب التي أصلاه الله فأراها ، وقتعه عارها وشئارها ؛ حتى أنهزم والأوغاد الذين شركوه في إثارة الفتنة ، على أقبح أحوال الذلَّة والقلة ؛ بعد القتل الذريع ؛ والإلتحان الوجيع . فالحمد لله على هذه النعمة التي جعل موقعها ، وبأن على الخاصة والعامة أثرها ؛ ولزم أمير المؤمنين خصوصا والمسلمين عموما نشرها والحديث بها ، وهو المسئول إقامتها وإدامتها برحمته .

(١) تقدم في هذا المطبوع (ج ٦ ص ٣٩٦) عند ذلك أثرًا .

(٢) الذي تقدم « يزيدك » وما هنا أرفع .

(٣) بياض بالأصل ، والتصحيح عما تقدم .

وقد رأى أمير المؤمنين أن يُجَازِيكَ عن هذا الفتح العظيم، والمقام المحيد الكريم،
 بِخَلْعِ نَامَةٍ، وَدَابَّتَيْنِ بِمَرْكَبَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ مَرَاكِبِهِ، وَسَيْفٍ وَطَوْرٍ وَسِوَارٍ مُرْصَعٍ .
 فَتَأْتِي ذَلِكَ بِشُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَالْإِعْتِدَادِ بِنِعْمَتِهِ فِيهِ، وَالْبَسِ خَلْعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 وَتَكْرِمَتَهُ، وَسِرِّ [مِنْ بَابِهِ] عَلَى حَمَلَاتِهِ، وَأَظْهَرِ مَا حَبَّكَ بِهِ لِأَهْلِ حَضْرَتِهِ، لِيُعْزَرَ
 اللَّهُ بِذَلِكَ وَلِيَّهِ وَوَلِيِّكَ، وَيُدْأَلَ عُدُوهُ وَعَدُوكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ
 وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ . وَكُتِبَ فُلَانٌ لِمَنْ بَقِيَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ نَحْمَسٍ وَسَبْعِينَ
 وَثَلَاثِينَ : أَطَالَ اللَّهُ بِقَائِكَ، وَأَدَامَ عِزَّكَ، وَأَجَزَلَ حِفْظَكَ وَحَيَاطَتَكَ، وَأَمْتَحَ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ بِكَ وَبِالنِّعْمَةِ فَيْكَ وَعِنْدَكَ .

قلتُ : وهذا الصنف من المكاتبات السلطانية باقٍ على الاستعمال ، متى أنعم
 السلطانُ على نائِبِ سُلْطَنَةٍ أو أميرٍ أو وزيرٍ أو غيره بِخَلْعَةٍ بعث بها إليه وَكُتِبَ
 قَرِينُهَا مَثَلًا شَرِيفٌ بِذِكْرِ ذَلِكَ ، إِلَّا أَنَّهُ أَهْمِلُ فِي ذَلِكَ السُّجْعُ وَالْأَزْدِوَاجُ ، وَأَقْتَصِرُ
 فِيهِ عَلَى الْكَلَامِ الْمَحْلُولِ كَمَا فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمَكَاتِبَاتِ ، إِلَّا فِي النَّادِرِ الْمُعْتَمَدِ بِشَأْنِهِ .

الصنف العشرون

(المكاتبَةُ بِالتَّنْوِيهِ وَالتَّقْيِيبِ)

قال في "مواد البيان" : جرت عادة الخلفاء بالكاتبِ بالتقريب ، لأن اللَّقَبَ مُوهَبَةٌ
 مِنْ مَوَاهِبِ الْإِمَامِ : أَمْضَاهَا وَأَجَازَهَا ، فَإِذَا جَرَتْ عَلَيْهِ كَانَتْ كغَيْرِهَا مِنْ نَعِيمِهِ الَّتِي يَمْتَحِنُهَا
 عَلَى عَيْدِهِ ، وَالْكُتِبَةُ تَكْرِمَةٌ يَسْتَعْمَلُهَا النَّاسُ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، فَلَيْسَ حُكْمُهَا حُكْمُ اللَّقَبِ .

(١) بياض بالاصل والصحيح عما تقدم (ج ٦ ، ص ٢٩٧) .

(٢) سماه فيما تقدم « أحمد بن محمد » .

قال : والرسم في هذه الكتب أن تفتح بحمد الله على نِعْمِهِ السَّابِقَةِ الضَّائِقَةِ ،
 وَمَوَاهِيهِ الرَّاهِيَةِ النَّامِيَةِ ، وَعَوَارِفِهِ الَّتِي جَعَلَهَا جَزَاءً لِلْحَسَنِينَ ، وَزِيَادَةً لِلشَّاكِرِينَ ؛
 وَنَحْوِ هَذَا مِمَّا يَلِيْقُ أَنْ يَفْتَحَ بِهِ هَذَا الْغَرَضُ ؛ وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ . ثم يقال :

وإنَّ أميرَ المؤمنين بما حَوَّلَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ نِعْمِهِ ، وَبَوَّأَهُ مِنْ قِسْمِهِ ، وَخَصَّهُ
 بِهِ مِنَ التَّمَكِينِ فِي أَرْضِهِ ، وَالْمَعُونَةِ عَلَى الْقِيَامِ بِفَرْضِهِ ، يَرَى الْمَنَّ عَلَى خُلَصَائِهِ ،
 وَإِسْبَاحَ النَّعْمِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ ؛ وَأَخْتِصَّاصَهُمُ بِالنَّصِيبِ الْأَوْفَرَ مِنْ حِبَابِهِ ؛ وَالْإِمَالَةَ بِهِمْ
 إِلَى الْمَنَازِلِ الْبَازِخَةِ ، وَالرُّتَبِ الشَّائِخَةِ . وَإِنْ أَحَقَّ مِنْ وَفَّرَ قِسْمُهُ مِنْ مَوَاهِبِهِ ، وَعَمَّرَ
 سَهْمُهُ مِنْ عَطَايَاهُ وَرَغَائِبِهِ ؛ مَنْ تَمَيَّزَ بِمَا تَمَيَّزَتْ بِهِ مِنْ إِخْلَاصٍ وَمُطَاوَعَةٍ ، وَوَلَايَةٍ
 وَمُشَافَعَةٍ ، وَأَتْقِيَاءٍ وَمُتَابَعَةٍ ؛ وَصَفَاءٍ عَقِيدَةٍ وَسِرِّيَّةٍ ، وَحُسْنِ مَذْهَبٍ وَسِيرَةٍ ؛ وَلِذَلِكَ
 رَأَى أميرَ المؤمنين أَنْ يَنْعَتَكَ بِكَذَا لِاشْتِقَاقِهِ هَذَا النَّعْتِ مِنْ سِمَاتِكَ ، وَأَسْتِنْبَاطِهِ إِيَّاهُ
 مِنْ صِفَاتِكَ ؛ وَشَرَفَكَ مِنْ مَلَابِسِهِ بِكَذَا ، وَطَوَّقَكَ بِطَوِّقٍ أَوْ بَعْفِدٍ ، وَقَلَدَكَ بِسَيْفٍ
 مِنْ سِيوفِهِ ، وَعَقَدَكَ لِكِ لِيَاءٍ مِنْ أَلْوِيْنِهِ ، وَحَمَلَكَ عَلَى كَذَا مِنْ خَيْلِهِ وَكَذَا مِنْ
 مَرَاكِبِهِ . وَبِحُسْنِ الْوَصْفِ فِي كُلِّ تَوْجِيحٍ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ وَأَشْبَهَاتِهَا الْأَلْفَاظِ
 مِنْ مَعَانِيهِ ، يَمْرَبُ عَنْ قَدْرِ الْمَوْجِبَةِ فِيهِ . ثم يقال : إِبَانَةٌ لَكَ عَنْ مَكَانِكَ مِنْ حَضْرَتِهِ ،
 وَإِنَابَةٌ عَلَى تَشْمِيرِكَ فِي خِدْمَتِهِ ؛ فَالْبَسُ تَشْرِيفَهُ وَتَطَوُّقُ ، وَتَقَلُّدُ مَا قَلَدَكَ بِهِ ؛ وَأَرْكَبُ
 حَمُولَاتِهِ ، وَأَبْرُزُ لِلْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ فِي مَلَابِسِ نَعْمَائِهِ ، وَأَرْقُلُ فِي حُلِّ الْآلِيَةِ ، وَزِينُ
 مَوَازِينِ بِلَوَائِهِ ؛ وَقُلْ (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ) وَأَعِنِّي عَلَى
 مَا يَسْتَرْهِنُهَا لَدَيْ ؛ وَخَاطِبُ أميرَ المؤمنين مُنْقَلَبًا بِسَمْعِكَ ، مُتَنَعِّتًا بِنَعْتِكَ .

وهذه نسخة مكتوبة إلى الأفضل بن ولحشى ، وزير الحافظ لدين الله الفاطمي ،
 أحد خلفاء الفاطميين بالديار المصرية ، حين قرَّر الحافظ نُعُونَهُ : السَّيِّدُ ، الْأَجْلُ ،

الأفضل ، أمير الجيوش ، سيف الإسلام ، ناصر الأنام ، كافل قضاة المسلمين ،
وهادى دعاة المؤمنين ، وهى :

أما بعد ، فالحمد لله الذى تفرد بالإلهية ، وتوحد بالقدم والأزلية ، وأبدع من برأ
وخلق ، وأنشأهم من غير مثال سبق ، وأصطفى لتدبيرهم فى أرضه من بعثته برسالته ،
وجعل ما جاءوا به من الشرائع من أمارة لطفه بهم ودلالته ، وصلّى الله على جدنا محمد
رسوله الذى جعل ربته خيرا ونبوته أولى ، فكان أفضل من تقدمه نبيا وسبقه
رسولا ، وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين على بن أبى طالب الذى ذنره لخلافته ،
وأيده بوزارته ، مع كونه من منزلة الأصطفاء ، وتأييد الوحي الظاهر من غير خفاء ،
بحيث لا يقتصر إلى وزير ، ولا يحتاج إلى ظهير ، وإنما جعل ذلك تعليما لمن يستخلفه
فى الأرض من عباده ، وتمثيلا نص - جلّ وعزّ - إلى قصده وأعماده ، ليأف به من
ضمّ النشور ، وصلاح البشر ، وشمول المنافع ، وعموم الخيرات التى أمن فيها من مداخل ،
وعلى الأئمة من ذريتهما العاملين بمرصاته ، والمتقين له حق تقائه ، والكافرين لكل
مؤمن بأمانه يوم القزع الأكبر ونجاته ، وسلم عليهم أجمعين ، سلاما متصلا إلى
يوم الدين .

والحمد لله الذى جعل النعم التى أسبغها على أمير المؤمنين ، بحسب ما اختصّه به
من منزله التى فضله بها على جميع العالمين ، بفعله خليفة فى الأرض ، والشفيع لمن
شابه يوم الحساب والعرض ، وأجزل له من منته مالا يساويه شكرا إلا كان ظالما ،
ولا يقابله اعتداد إلا استولى عليه العجز فلم يكن بما يجب له طامعا ، وإن من
أرقعها مكانا ، وأعظمها شانا ، وأنعمها قدرا ، وأنبهها ذكرا ، وأعمها نفعا ، وأحسنها
صنعا ، وأغزرها مائة ، وأثبتها قاعدة إذا غدت النعم شاردة ناهة ، وأعودها فائدة

على الخاص والعام ، وأصحبها للسعيد المساعد والحظ الوافر التام - ما كان من المنة
 الشاحنة الدرئ ، والمنحة الشاملة لجميع الورئ ؛ والعارفة التي أعترف بها التوحيد
 والإسلام ، والموهبة التي [إذا] أنفق كل أحد عمره في وصفها وشكرها فما يُعدل ولا
 يُلام ؛ والآية انبي أظهرها الله للملة الحنيفة على فترة من الرسل ، والمعجزة التي هدى
 أهلها لها دون كافة الأمة إلى أعدل السبل ؛ والبرهان الذي خص به أمير المؤمنين
 وأظهره في دولته ، والفضيلة التي أبانت مكانه من الله وكريم منزلته ؛ وذلك ما من الله
 به على الشريعة الهادية ، والكلمة الباقية ؛ والخلافة النبوية ، والإمامة الحافظية ؛
 منك أيها السيد الأجل الأفضل : ولقد طال قدرك في حلال الثناء ، وجل استحقاقك
 عن كل عويض وجزاء ؛ وغدت أوصافك مسألة اجتماع وأتلاف ، فلو كانت مقالة لم
 يقع بين أرباب الملل شيء من التناقض فيها والاختلاف ؛ وأين يبلغ أمد استيجابك
 من مستحبه ، أو يتسهل إدراك شأوه على طالبه ومبتغيه ؟ ؛ والإيمان لو تجسم لكان
 على السعي على شكر أعظم مناره ، والإسلام لو أمكنه النطق لقام بالدعاء لك خطيبا
 على المنابر ؛ فاما الشرك فلو أبهتة حيا لتصدى وتعرض ، لكنك أنحيت عليه
 وأدلت التوحيد منه فانهذ بناؤه بحمد الله وتقوى ؛ فكان لك في حق الله العصب
 الذي تفرقت به إليه فأرضيته ، والعزم الذي صممت عليه في نصرة الحق فأمضيته ؛
 والباطن الذي أطلع عليه منك فنصرك ولم تُرق دما ، ولا روعت مساما ؛ ولا أفلقت
 أحدا ولا أزعجت ، ولا عدلت عن منهج صواب لما آتتهجته ؛ وذلك مما أشرك
 الكافة في معرفته ، وتساووا في علم حقيقته ؛ مع ما كان من تسيرك العساكر المظفرة
 محبة أخيك الأجل الأوحى : أدام الله به الإمتاع وعصده ، وأحسن عنه الدفاع
 وأيده ؛ مما جرت الحال فيه بحسن سياستك ، وفضل سيادتك ؛ على أفضل ما عودك الله
 من بلوغ آمالك ، من غير أذى ليق أحدا من رجالك ؛ والأمر في ذلك أشهر من

الإيضاح ، وأمين من ضياءِ فلقِ الصُّباح ، وهذا إذا تأمله أمير المؤمنين أوجب عليه أن يُقَابِلَكَ من إحسانه ، بغاية ما في إمكانه ، وأن يُؤَيِّسَكَ من مِنْتِهِ ، أخصى ما في استطاعته وقُدْرَتِهِ ، ولم يرَ أحضَرَ من أن قرَّرَ نُعُوتَكَ «السِّيدُ، الأجلُّ، الأفضَلُ، أميرُ الجيوش ، سيفُ الإسلام ، ناصرُ الأنام ، كافلُ قُضَاةِ المسلمين ، وهادى دُعاةِ المؤمنين ، أبو الفتحِ رضوانُ الحافظِ» إذ لا أولى منك بكفالةِ قُضَاةِ دَوْلَتِهِ وإرشادِهِم ، وهِدَايَةِ دُعَاتِهِا إلى ما فيه نَجَاةُ المُستَجِيبِينَ في مَعَادِهِم ، وجدد لك ما كان قدَّمه : من تكفيلك أمرَ مَمْلُوكِيهِ ، وإعادةِ القولِ فيما أسلفه من رَدِّهِ إليكَ تَدْبِيرَ ما وراءَ سِرِّيرِ خِلافتِهِ ، النِّبَاذَا بِتَكَرُّارِ ذَلِكَ وترديده ، وآبَتْهَا بِتَطَرُّبِ ذِكْرِهِ وَتَجْدِيدِهِ ، فأمورُ المِلةِ والدَّولةِ مَعْدُوقَةٌ بِتَدْبِيرِكَ ، وأحوالُ الأَدْرِيِّ والأَقْاصِي موكولةٌ إلى تَقْرِيرِكَ ، وقد جمع لك أمير المؤمنين من استخدامِ الأَقْلَامِ ، وجعلَ السِّيَادَةَ لك على سائرِ القُضَاةِ والدُّعاةِ والحُكَّامِ ، وأجعلَ لك بالأختصاصِ بالمعالي والأفرادِ ، والتَّوْحِيدِ بأنواعِ الرِّياساتِ والأستبدادِ ، ولك الإبرامُ والنقضُ ، والرُّقْعُ والخمُصُ ، والوِلايَةُ والعزْلُ ، والتقديمُ والتأخيرُ ، والتَّوْبِيهُ والتأميرُ ، فالتَّقدُّمُ من قَدَمْتَهُ ، والمحمودُ من حَمْدَتِهِ ، والمُعْتَمَرُ من أُنْحَرَتِهِ ، والمذمومُ من ذَمَمْتَهُ ، فلا مخالفةَ لما أَحَبَبْتَهُ ، ولا مَعْدِلَةَ عما أَرَدْتَهُ ، ولا تَجَاوَزَ لما حَدَدْتَهُ ، ولا نُخْرُوجَ عَمَّا دَبَّرْتَهُ ، وأبْنُ ذَلِكَ مِمَّا يُضْمِرُهُ لك أمير المؤمنين وَيَتَوَبَّهُ ، ويعتقده فيك فلا يزال مدى الدهر يُعِيدُهُ وَيُؤَيِّدُهُ ؟ ولو لم يكن من بركاتك على دَوْلَةِ أمير المؤمنين ، وَيُؤَيِّنُ تَدْبِيرِكَ العائد على الإسلام والمسلمين ، إلا أن أَوَّلَ عَسْكَرِ جَهْرَتِهِ إلى جِهَادِ الكُفْرَةِ المَلَاعِينَ : وكان له النُصْرُ العزِيزُ الذي تَبَلَّجَ بَجْرِهِ ، والفتحُ المُبِينُ الذي جَلَّ قَدْرُهُ وَأَنْتَشِرَ ذِكْرُهُ ، وَالظَّفَرُ المُبِيعُ لِلدِّينِ - العَسْكَرُ المَنْصُورُ على الطائفةِ الكافرةِ : قَسَلًا لأبطالِها ، وأَسْرًا لأعناقِ رِجَالِها ، وأخذًا لِقِلاعِ الملسرةِ (١)

(١) كذا بالأصل ، وقد وضع فوقها علامة توقف لعدم ظهور معناها ، ولعلها مصحفة عن "الكفرة" .

منها، وأنه لم يُقِلَّتْ من جماعتها إلا مَنْ يُخْبِرُ عنها؛ ولو عَلِمَ أمير المؤمنين تعظيماً يفرج
 عما تَصَمَّنَه هذا السَّجَلُ لما أَقْتَصَرَ عليه ، إلا أنه عَاجَلَه ما يَسُرُّه بِفَاحِرٍ لَكَ
 بما هو مُسْتَقَرٌّ لَدَيْهِ ؛ والله عَزَّ وَجَلَّ يُجِدُّكَ السُّعُودَ ، وَيُخَصِّصُكَ مِنْ مَوَاهِبِهِ
 بما يتجاوز المعهود ؛ وَيَمُدُّكَ بِمَوَادِّ التَّوْفِيقِ والتأييد ، ويقضى لك في كُلِّ أَمْرٍ
 بما لا مَوْضِعَ فيه لِزَيْدٍ ، إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

قُلْتُ : وهذا الصَّنْفُ من الكُتُبِ السَّاطِنَةِ قد رُفِضَ وَرُكِّ أَسْتَمَالَهُ في زماننا
 فلا مَعْوَلَ عليه أصلاً .

الصنف الحادي والعشرون

(المكاتبُ بالإحاد والإدنام)

قال في "مواد البيان" : الساطان محتاج إلى مكتبة مَنْ يَقِفُ منه على طاعة
 وأجتهاد، ومناجحة وإخلاص، بالشكر والإحاد، والبعث على الأزدباد من الخالصة
 وحسن السعي في الخدمة وغيرها؛ مما يرتبط به النعمة، ويستوجب معه حفظ الرتبة،
 ومكاتبه من يعتز منه على تھصير وتضجیع ، وتفریط وتضجیع ؛ بالذم والتفريع
 والتأنيب : لأنه لا يخلو أعوانُ السلطان من كُفَاةٍ يستديم كفايتهم بتصويب
 مرامهم ، وأستحسان مساعيهم ؛ وإحتادهم على تسميرهم ، وشرح صدورهم
 ببسط آمالهم ؛ والعدية برفع منازلهم ومحالهم ، وتميزهم على نظرائهم وأشكالهم ؛
 وتحذيرهم من التوبيخ وتقديم الأعداء ، والتخويف من سقوط المراتب ، وقبح
 المصاير والعواقب .

قال : وينبغي للكاتب أن يتهمى في خطاب من انتهى في الحالين إلى غايتيهما ، إلى المعاني الناجعة في الغرضين ، ويتوسط فيهما سبباً التوسط الذى يقتضيه الحال المقاض فيها : لأن في ذلك تقريرا للمُحسِن على إحسانه ، ونقلاً للمُسيء عن إساءته : لأنه إذا علم النَّاهِضُ أنه مُتَّابٌ على نَهْضَتِهِ ، وَالْوَائِيُّ أَنَّهُ مُعَاقَبٌ عَلَى وَبَّتِهِ ، أَجْتَهَدَ هَذَا فِي الْأَسْتَظْهَارِ بِخِدْمَتِهِ بِأُزَيْدٍ فِي رُتْبَتِهِ ، وَخَافَ هَذَا مِنْ حَطِّ مَنْزِلَتِهِ وَتَغْيِيرِ حَالِهِ . ثم قال : والرسوم في هذه المكاتبات تختلف بحسب اختلاف أغراضها ، وتشتعب بتشتعب معانيها ، والأمر في ذلك موكولٌ إلى نظر الكاتب العارف الكامل ، ووضعه كُلُّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ ، وَتَرْبِيئِهِ إِيَّاهُ فِي مَرْتَبَتِهِ .

فأما المكتبة بالإحاد ، فكأُكْتِبَ عَنْ صَنْصَامِ الدَّوْلَةِ بْنِ عَضِدِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهٍ ، إِلَى حَاجِبِ الْحُجَّابِ أَبِي الْقَاسِمِ سَعْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَهُوَ مَقِيمٌ بِبَصْرَةَ عَلَى مُحَارَبَةِ بَادِ الْكُرْدِيِّ .

كاتبنا ، ووصل كتابك مؤرخاً بيوم كذا ، تذكر فيه ماجرى عليه أمرُك في الخدمة التي نيطت بكفائتك وغنائك ، ووكلت إلى تديرك ووفائك : من رَدَّ بَادِ الْكُرْدِيِّ عَنْ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَطَّرَقَهَا ، وَحَدَّثَ نَفْسَهُ بِالْتَّغْلِبِ عَلَيْهَا ، وَتَصَرَّفَكَ فِي ذَلِكَ عَلَى مُوجِبَاتِ الْأَوْقَاتِ ، وَالْتَّرَدِّ بَيْنَ أُخْتِنَا وَعُدَّتِنَا أَبِي حَرْبٍ : زِيَادِ بْنِ شَهْرَاكُوَيْهِ وَبَيْدِكَ مِنَ الْمَكَاتِبِ ، وَحُسْنِ بَلَاغِكَ فِي تَحْيِيفِهِ ، وَمَقَامَاتِكَ فِي حَصِّ جَنَاحِهِ ، وَأَنَارِكَ فِي الْأَنْقِضَاضِ عَلَى فَرِيقٍ بَعْدَ فَرِيقٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَأَضْطِرَّارِكَ إِيَّاهُ بِذَلِكَ وَبُضْرُوبِ الرِّيَاضَاتِ الَّتِي آسْتَعْمَلْتَهَا ، وَالسِّيَاسَاتِ الَّتِي سُنَّتْ أَمْرَهُ بِهَا ، إِلَى أَنْ نَزَلَ عَنْ وُجُورَةِ الْمَعْصِيَةِ إِلَى سُهُولَةِ الطَّاعَةِ ، وَأَنْصَرَفَ عَنْ مَجَاهِلِ الْغَوَايَةِ إِلَى مَعَالِمِ الْهِدَايَةِ ، وَتَرَاجَعَ عَنِ السُّؤْمِ إِلَى الْأَقْتِصَارِ ، وَعَنِ السَّرْفِ إِلَى الْأَقْتِصَادِ ، وَعَنِ الْإِبَاءِ إِلَى الْإِقْبَادِ ،

وعن الاعتياص إلى الإذعان؛ وأن الأمر استقر على أن قِلتَ منه الإنباه، وبذلك له فيما طلب الاستجابة، واستعيد إلى الطاعة، واستضيف إلى الجاعة؛ وتصرف على أحكام الخدمه، وجرى تجرى من تضمه الجمله؛ وأخذت عليه بذلك المهود المستحكه، والأيمان المقلظه؛ وجددت له الولاية على الأعمال التي دخلت في تقليده، وضربت عليها حدوده، وفهمناه .

وقد كانت كُتُبُ أخينا وعُدَّتنا أبي حرب [زيد بن شهر الكويه] ^(١) مولى أمير المؤمنين ترد علينا، وتصل إلينا؛ مشتملة على كُتُبِكِ إليه، ومطالعاتك إياه؛ فنعرف من ذلك حسن أثرك [وحزم رأيك] ^(١) وسداد قولك، وصواب اعتمادك؛ ووقوع مضاربك في مقاصيلها، وإصابة مرآميك أغراضها؛ وما عدوت في مذاهبك كلها، ومتقلباتك بأسرها؛ المطابقة لإشارتنا، والموافقة لما أمرت به عنا؛ ولا حلت كُتُبُ أخينا وعُدَّتنا أبي حرب من شكر لسعيك، وإحماد لأثرك؛ وثناء جميل عليك، وتلويح وإفصاح بالمناصحة الحقيقة بك، والمؤالاة اللازمة لك؛ والوفاء الذي لا يستغرب من مثلك، ولا يستكثر من حل في المعرفة عمك؛ ولئن كُنت قصدت في كل نهج استمرت عليه، ومعدل عدلت إليه؛ مكالفة هذا الرجل ومراحمته، ومصابرة ومنازلته؛ والتماس الظهور عليه في جميع ما تراجمته من قول، وتنازعتاه من حد؛ فقد آجتمعت لك إلى إحمادنا إياك، وأرضائنا ما كان منك؛ المنه عليه إذ سكنت جاشه، وأزلت استباحته؛ وأسئلته من دنس لباس الخالفة، وكسوته حسن شعار الطاعة؛ وأطلت يده بالولاية، وبسطت لسانه بالحمه؛ وأوقيت به على مراتب نظرائه، ومنازل قرائه؛ حتى هابوه هيبة الولاه، وأرتفع بينهم عن مطارح العصاه .

(١) الزيادة عن رسائل الصابي المخطوطة .

فالحمد لله على أن جعلك عندنا محموداً ، وعند أخينا وعدتنا أبي حربٍ مشكوراً ؛
وعلى هذا الرجل ماناً ، وفي إصلاح ما أصلحت من الأمر مثاباً ماجوراً ؛ وإياه
نسأل أن يبجري علينا عادته الجارية في إظهار آياتنا ، ونصرة أوليائنا ، والحكم لنا
على أعدائنا ، وإزاهم على إرادتنا ؛ طوعاً أو كرهاً ، وساماً أو حرباً ؛ فلا يخلوا أحدٌ
منهم من أن تحبط لنا بعنته ربةً أسراً ، أو منةً عقوباً ؛ إنه جل ثناؤه بذلك جدير ،
وعليه قدير .

ويجب أن تُفقد إلى حضرتنا الوثيقة المكتتبه على باد الكردى إن كنت لم تُفقدنا
إلى آوانٍ ووصول هذا الكتاب : لتكون في خزائنا محفوظة ، وفي دواويننا منسوخة ؛
وأن نتصرف في أمر رُسُلِهِ وفي بَقِيَّةِ - إن كانت بقيت من أمره - على ما يرشده لك
عنا أخونا وعدتنا أبو حربٍ ، فرأيتك في العمل على ذلك ، وعلى مطالعتنا بأخبارك
وأحوالك ؛ وما يُحتاج إلى علمه من جهتك ، موقفاً إن شاء الله تعالى .

وأما الإذمام فيختلف الحال فيه باختلاف المألوم فيه والمذموم بسببه . فمن ذلك
الذم على [ترك] الطاعة وشق العصا .

كما كتب عمارة يصف شخصاً بأنه لما ارتفع مكانه ، وعلا قدره ، يطر
معيشته ، ونخرج عن طاعة الخليفة ؛ وأن فلانا كان ممن عرفت حاله ؛ في غموض
أمره ، وتحويل ذكره ؛ وضيق معيسته ، وقلة عده وناهضته ، ولا تُجاور حياته
ما يقوله ، ولا يتعاطى ما وراء ذلك ولا يرومه ؛ ولا يمتنه نفسه ، ولا يدفع يد لأمس
عنه بقوة تنوء بملأ ، ولا عز يلجأ إليه . فأنم عليه أمير المؤمنين وأكرمه وشرفه ،
ويبلغ به الغاية التي لم يكن يرجوها ولا تُرجى له ؛ وبسط له من الدنيا ، وآتاه من
غضارتها ونعمتها ، وعزها وسلطانها ، ما لم يؤت أحدًا من أهل زمانه . فلما مكّن الله

له في الدنيا طعنا وتجبيرا، وعلا وتكبيرا، وظن أن الذي كان فيه شيء، قاده إلى نفسه
بجوله وقوته : تهويلا من الشيطان، وأستدرأجا منه له .

وكما كتب عبدالحميد في مثله :

أما بعد ، فقد بلغ أمير المؤمنين عنك أمرٌ لم يحتمله لك ، إلا ما أحب من ربِّ
صنيعته قبلك ، وأستيتام معروفه إليك ؛ وكان أمير المؤمنين أحق من أصلح ما قصد
منك ؛ وإنك إن عدت لمثل مقاتك ، وما بلغ أمير المؤمنين عنك ؛ رأى في معاجلتك
رأيه ؛ فإن النعمة إذا طالت بالعبد ممتدة أبطرته : فإساء حمل الكرامة ، وأستقل
العافية ؛ ونسب ما هو فيه إلى حبيته ، وحسن نية ورهطه وعشيرته . وإذا نزلت به
الغير ، وأكتشفت عمائة العشي عنه ؛ فذل منقادا ، وندم حسيرا ؛ وتمكن منه عدوه :
قادرا عليه ، وقاهرا له . ولو أراد أمير المؤمنين مكافأتك بلفظك ، ومعاجلة
إفسادك ، جمع بينه وبين من شهد فلنات خطتك وعظيم زلتك ؛ ولعمري لو حاول
أمير المؤمنين مكافأتك بلفظك في مجلسك ، ومجودك فضله عليك ، لردك إلى ما كنت
عليه ، ولكنت مستحقا .

وفي مثله :

فإن صاحب البريد كتب إلى عن أصحابك بكذا ، فقلت : إنهم لم يقدموا على
ما أقدموا عليه حتى تجمؤك ، فعرفوا خور عودك ، وضعف مكبرك ، ومهانة
نفسك ، وأنه لا غير عندك ولا تكبر .

ومن ذلك الدم على الخطأ ، كما كتب أحمد بن يوسف :

كان البخل والشوم صارا معا في سبهم ، وكانا قبل ذلك في قسمه ؛ فإزهما
بالوراثه ، وأستحق ما أستملك منهما بالشفعة ؛ وأشهد على حيازتهما أهل الدين

والأمانة حتى خَلَصَ له من كُلِّ ممانِع ، وسَلِمَ له من تَبَعَةِ كُلِّ مُنَازِع ؛ فهو لا يُصِيبُ إلا مُخْطِئًا ، ولا يُجَسِّنُ إلا نَاسِيًا ، ولا يُنْفِقُ إلا كَارِهًا ، ولا يُنْصِفُ إلا صَاحِرًا .
قلت : وهذا الصَّنْفُ من المَكاتِبِ السُلْطانية لا يَمْتَنِعُ وَقُوعُهُ في وَقْتِ من الأوقات . فإن عَرَضَ له مُوجِبٌ ، راعى الكاتِبُ فيه صورة الحال ، وكتب على ما يوجبُه المقام ، وتَقَضِيهِ تلك الوقعة .

الصنف الثاني والعشرون

(ما يُكْتَبُ مع الإِنعام لِنُؤَابِ السُّلْطنة بِالْحَيْلِ وَالْجَوَارِحِ)

وغيرها من أنواع الإِنعامات) وهذا الصَّنْفُ من المستعمل في زماننا كُلِّ وَقْتٍ فأما ما يُكْتَبُ مع الإِنعام بِالْحَيْلِ ، فقد جرت العادة أن السُّلْطان يُنَمِّمُ بِالْحَيْلِ على نُؤَابِ السُّلْطنة بالشام ، ويُكْتَبُ بذلك مِثَالَاتٍ شريفة إليهم . وربما أُنمِّمُ بِالْحَيْلِ وَكُتِبَ بها في غير ذلك .

وهذه نُسخة مِثَالٍ شريف من ذلك :

ضَاعَفَ اللهُ تَعَالَى نِعْمَةَ الْجَنَابِ وَخَصَّهُ مِنَ النِّعَمِ بِمَا لَا تُحْصَى لَهُ آثَارُ ، وَلَا يَتَعَلَّقُ لَهُ بِنُغْبَارِ ، وَلَا يوصف بِجَالٍ واحده : لأنه إن جرى فَبَحْرٌ وَإِنْ وَقَفَ قَنَارُ .

صدرت هذه المَكاتِبُ إلى الجَنَابِ العَالِي بِكُلِّ سلام لا تُدْرِكُ لسوابقه غايه ، وَلَا تُحْصَى له نِهَايَه ؛ وَلَا يردُّ منه كل ما جاء وله في وجهه كَمَنَاقِ الصَّبِيحِ آيَه ، وَلَا يَتَقَدَّمُ في مِيدَانِ إلا وقد حَمَلَ له في كُلِّ مكانٍ رَأْيَه . وَتَوَضَّحَ لعلمه الكَرِيمِ أَنه قد جُهِّزَ له قَرِيْبَتها ما جرت به عادته من الحُصْنِ التي لا يَدْعَى البرُّقُ أَنه لها نِظير ، وَلَا تُجَارِي الرِّياحُ من سوابقها ما يَطِيرُ ؛ كَمَ لها في مِيدَانِ جِجَالِ ، وَكَمَ لها في رُؤْيِه دَوِيَّةُ أَرْتِجَالِ ؛

وكم دُعِيَ الوغى بها على كُلِّ ضَامِرٍ فانت رجلا تَقْدَحُ سَنَايُكُمَا نارا، وَتَفِيضُ جَوَانِيهَا
 مِنَ الرُّكُضِ عَقَارًا، وَيَتَكَفَّلُ بِدِيْعِهَا بِكُلِّ مَرَامٍ، وَتُعْطِي مَا فِي يَدِيهَا لِأَنهَا مِنَ الْكِرَامِ؛
 وَقَدْ تَشْرَفَتْ مِنْ نِعْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ بِالسُّرُوجِ وَاللُّجْمِ وَالْعِدَّةِ الْمُكَمَّلَةِ، وَتَحَلَّتْ مِنَ الذَّهَبِ
 وَالْفِضَّةِ مَا يُعْنِي بِجِلْمَتِهِ الْمُقْصَلَةِ؛ وَأَرْسَلْنَاهَا إِلَيْهِ تَرْفُضٌ فِي أَعْنَتِهَا زَهْوًا، وَتَتْرُكُ بِطِيبِ
 صَهْلِيهَا كُلَّ بَحْرِ مَحْمُوضِهِ إِلَى الْمَنَابِإِ رَهْوًا، وَتُوجِّهُ بِهَا فِلَانٌ كَالْعُرَائِسِ الْمَجْلُوتَةِ فِي حَالَتِهَا،
 وَالتَّجُومِ أَوْلَا مَا تَمَيَّزَتْ بِهِ مِنْ حَلِيٍّ عَطَلِيهَا؛ وَالسَّحَابِ إِلَّا أَنَّهُ لَا تَحْتَاجُ مِنْهُ الرِّيَّاحِ
 فِي تَقْلِيلِهَا .

فَلْيَقَابِلْ هَذِهِ النِّعْمَةَ الشَّرِيفَةَ بِشُكْرِهَا ، وَلْيَسَلِّمْ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ الْعَمِيمَةَ الَّتِي
 تَعْتَرِفُ كُلُّ نِعْمَةٍ بِقَدْرِهَا ؛ وَلِيُحْمَدِ اللَّهَ مِنْ تَقَدُّاتِنَا الشَّرِيفَةِ عَلَى الْكَرَمِ فَرَسٍ جَاءَ
 وَهُوَ سَابِقٌ ، وَجُودِ جَوَانِدِ لَيْدُورٍ مَعَهُ السَّحَابِ فِي طَائِقٍ ، وَيَعْتَمِدُهَا لِارْتِقَاءِ كُلِّ
 صَهْوَةٍ مُنِيفَةٍ ، وَجِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ عَلَيْهَا بَيْنَ أَيْدِينَا الشَّرِيفَةِ ؛ وَيَعِيدُ الْوَاصِلَ بِهَا إِلَى
 خِدْمَةِ أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَدِيمُ عَلَيْهِ بِنَا التَّعَمُّ الْمُتَوَالِيَةِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



آخِرُ : وَلَا زَالَ إِقْبَالَنَا يُمِدُّهُ مِنَ الصَّافِنَاتِ الْجِيَادِ بِمَا يُبَارِي الرِّيَّاحَ ، وَيَتَمَيَّنُ
 بِغُرْبِهَا الصَّبَاحَ ، وَيَطْلُقُ أَعْنَتَهَا فِي حَلْبَةِ السَّبَاقِ فَتَسْبِقُ بِرُكُضِهَا ذَوَاتِ الْجَنَاحِ ؛
 وَلَا يَرِحُ إِنْعَامِنَا يُحِثُّهُ بِكُلِّ طَرَفٍ يَبْهَجُ الطَّرْفَ ، وَيَتَلَجُّ الصَّدْرُ بِمَا اسْتَمَدَّ عَلَيْهِ مِنَ
 الْمَلَاخَةِ الَّتِي تَرُوقُ الْعَيْنَ وَتُفُوقُ الْوَصْفَ ، وَيُقَرِّدُهُ بِمَا آجَمَعَ فِيهِ مِنَ الْحُسْنِ وَالْإِيْمَنِ ؛
 إِذْ هُوَ وَاحِدٌ كَالْأَنْفِ - تُهْدِي إِلَيْهِ سَلَامًا تَعْبُقُ بِطِيبِ نَشْرِهِ أَرْجَاؤُهُ ، وَتَنَاءُ يُعْرَبُ
 عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ مِنْ عُلُوِّ قَدْرِهِ وَسُمُوِّ ذِكْرِهِ فَيُشْرِقُ سَنَاؤُهُ وَيُضَاعَفُ تَنَاؤُهُ ؛ وَتَوْضُّعُ لِعَلْمِهِ
 الْكَرِيمِ أَنَّهُ غَيْرُ خَافٍ عَنْهُ مَا يَبْصُلُ إِلَى أَبْوَابِنَا الشَّرِيفَةِ مِنَ الْخِيُولِ الْبَرَقِيَّةِ فِي كُلِّ عَامٍ ،

وما تحَّصه منها بكلِّ ميمونِ الغرةِ مُباركِ الطَّلعةِ هنيءِ السَّيرِ على الإِنعامِ ؛ وقد أرسلنا إلى جنابه الكَرِيمِ من ذلك سَهْمَهُ ، وأضفنا إلى ذلك ما استصَلَحناه من الخَيْلِ العَرَبِيَّةِ الغَرِيْبَةِ والعِتاقِ العَجِيْبَةِ العَرَبِيَّةِ (١) ، مما الخَيْرُ معقودٌ بنواصِيها ، فترهقُ على صَهَوَاتِها نفوسُ الأعداءِ وتَسْتَرِلُها من صِياصِيها ؛ فإخذ الجَنابِ العالِي ما يحصُّه من ذلك ، ويُفرِّقُ الباقِي على من رَسَمنا له به يُمَيِّنُ رَأْيَهُ المُبارَكِ الذِي لا يُساهِمُه فِيه أَحَدٌ ولا يُشَارِكُ ؛ ويجهزُ الخَيْلَ المَخْصُوصَةَ بفلانِ إِلَيْهِ ، واللهُ تعالى بضاعفِ عِزِّ ظُهُورِها عندَ أمتطائها لَدَيْهِ .

وأما ما يكتب مع الإِنعامِ بالحوارحِ [فَمَا يُكْتَبُ] مع إرسالِ سُقْرِ .

وقد بَشِنا إِلَيْهِ بِسُقْرِ كَأَنَّهُ مَلِكٌ مُتَوَجِّحٌ ، وَرِزْقٌ مُرَوِّجٌ ؛ تَجَزَّأَ على سَفِكِ الدَّماءِ ، وأبى أن يَطْلُبَ رِزْقَهُ إلا من السَّماءِ ؛ يودُّ الكُرْكِيَّ لو خَلَصَ من مَخالِيهِ ، ويخافُ أن يَسْلَمَ من خِطِّ الشَّبَكَةِ وَيَقَعَ فِي كَلالِيهِ ؛ يَدْرِكُ الصَّيْدَ ولا يُوجِّلهُ ، ويرقعُ صَدْرَهُ ثم يُوْجى إِلَيْهِ بِرأسِهِ كَأَنَّهُ يَسْتَعِجِلُ ؛ قد جَمَعَ من المَحاسِنِ كُلِّ الصُّنُوفِ ، وَكُتِبَتْ عَلَيْهِ أُسْطُرٌ تُقْرَأُ بِمَا تُقْرَأُ بِهِ الصُّيُوفُ .

ومما يكتب مع إرسالِ صَقْرِ .

وقد وَجَّهنا إِلَيْهِ بِصَقْرِ لا تُؤسِّى لَهُ من الصَّيْدِ جِراحَ ، ولا يَدْعُ من وَحْشٍ يَسْرَحُ ولا طَائرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِ ؛ أَيْما تَوَجَّهَ لا يَأْتِ إلا بِخَيْرٍ ، وَحِينًا أُطْلِقَ كان حَتْفُ الوَحْشِ وَالطَّيْرِ ؛ يَدْعُ أَقْطارَ الفَلَاةِ بِجِزْرِهِ ، أو رَوْضَةَ الدَّماءِ مُزْهِرِهِ ؛ يَجِدُّ إلى الطَّيْرِ في عُنُقِهِ ، وَيُحَلِّقُ إلى السَّماءِ فِيرْجِعُ وَطائِرُهُ في عُنُقِهِ ؛ تَحافُهُ العَفْرُ على نفوسِها ، وَتَحْضَعُ لَهُ ولا مِثالَهُ فَمَّا تَخْرُجُ إلا وَالطَّيْرِ على رُجُوسِها ؛ يَزِيدُ خُبْرَهُ في مَظانِّ الصَّيْدِ على الخَبَرِ ،

(١) بياض بالأصل ، والنصحيح يقتضيه المقام .

(٢) كذا في الأصل و"الترريف" .

وتخرج الطَّبَّاءُ وقد تَسَجَّتْ خَوْفًا مِنْهُ فِي مَلَأَةٍ مِنَ الْعَجَاجِ مَجْطِيَةً مِنْ قَرُونِهَا بِالْإِبْرَةِ
شَدِيدِ الْأَيْدِ ، قَدْ بَنَى عَلَى الْكَمْرِ حُرُوفَ الصَّيْدِ ؛ يَحْمَدُ مَقْتَنِيَهُ أَيَّامَهُ الْقَرَّ ؛ وَيَقُولُ
لَهُ إِذَا تَلَقَّتْ إِلَى الصَّيْدِ : إِنْ جَلَبْتَ ضَبْعًا فَأَنْتَ حَرْبٌ ؛ لَا يَضْحَبُ مُسْتَضِحُّهُ مَعَهُ
إِلَّا مَرَّادَهُ ، وَأَيْمًا سَارِحًا مِلَّهُ - وَهُوَ مَعَهُ - كَانَ مَعَهُ زَادَهُ .

ومما يكتب مع إرسال شاهين .

وقد وَجَّهَ إِلَيْهِ بِشَاهِينَ إِذَا حَاقَّ وَرَاءَ الطَّيْرِ شَاهَتَ بِهِ الْوُجُوهُ ، وَشَاهَدَتِ الْأَمَالُ
بِهِ مَا تَرْجُوهُ ، قَدْ أَصْبَحَ كُلُّ مُحَلَّقِ الْجَنَاحِ رَهِينَ يَدِهِ ، وَكُلُّ سَارِبٍ مِنَ الْوَحْشِ طَعَامُ
يَوْمِهِ أَوْ غَدِهِ ؛ لَا يُنْعِبُهُ خَلْفَ الطَّرِيدَةِ بَعْدَ الْمَدَى ، وَلَا يَرُدُّهُ خَوْفُ مَسَافَةٍ وَلَا تَقَعُّمُ
رَدَى ؛ رِيَّةٌ عَامٌ لَمْ يُتَمَّعْ بِطُولِ مَادَهْرِ ، وَمَمْنَةٌ مِنْهُ فِي الطَّلَقِ مِثْلَ رِيحِ سُلَيْمَانَ غُدُّوْهَا
شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ .

ومما يكتب مع إرسال كوهية .

وقد جَهَّزْنَا إِلَيْهِ كَوْهِيَّةً ، هِيَ بِالْمَحَاسَنِ حَرِيَّةٌ ، وَلِكثْرَةِ الْإِقْدَامِ حَرِيَّةٌ ؛ يَكُلُّ بِهَا
صَاحِبُهَا أَمْرًا مَطْبِيخَهُ ، وَيَمْدُهَا مِنَ الطَّيْرِ مَنْ لَيْسَ بِمُضْرِحِهِ ؛ لَا تَعْفُ عَنْ دَمٍ ،
وَلَا تُرَى أَطْرَافُهَا إِلَّا مُتَمَرَّةٌ بَعْنَابٍ أَوْ مُخَضَّبَةٌ بَعْنَدَمٍ ؛ قَدْ أَحَلَّتْ مِنْ كُلِّ سَائِحٍ ،
وَلَيْسَتْ زِيَّ الرَّاهِبِ الْمُتَعَبِّدِ وَفَكَتْ بِكُلِّ سَائِحٍ .

ومما يكتب مع سقاوة .

وقد جَهَّزْنَا إِلَيْهِ سِقَاوَةً ، مَحَالِيئُهَا عَلَى الطَّيْرِ كَالْحَدِيدِ أَوْ أَشَدَّ قَسَاوَةً ؛ تُسِيلُ دِمَاءَ
الصَّيْدِ كَالْمَذْأَنْبِ ، وَتَكْمُؤُ الْأَرْضِ حَبْرًا مِنْ رِيَّاسِ الْحُبَّارِيِّ وَفِرَاءً مِنْ جُلُودِ الْأَرَانِبِ ؛

(١) كذا في "التعريف" (ص ٢٢٥) وفي الأصل «مسرة» .

(٢) في الأصل «قد أحلت من كل شائع» والتصحيح عن "التعريف" .

(٣) كذا في "التعريف" وفي الأصل «كالدايب» .

وجعلت في قبضة الكف ما كانت العين عليه تدور ، وتكفلت بكفاية المطبخ
وملأت القدور .

ومما يكتب مع إرسال باز .

وقد بعنا إليه يسارٍ مهما لقي لقف ، ومهما خطا لذيده خطف ، كأنما خط
جوهره بقلم ، أوريش عليه من الصباح والظلم ، قد أعد للطوارق ، وأدرا بمنزل
الطوارق ، قد دحض مجاج الجمل ، وكسرها حتى أبان عليها حمرة النجل ، لا يسأل
في الصيد عما نهب ، ولا تعرف له قيمة إلا أن له عيناً من الذهب .

ومما يكتب مع الفهد .

وقد أنعمنا عليه بفهد أهرت الشدق ، ظاهر الحدق ، بأدى العبوس ، مدتر
المبوس ، شتر البرائن ، ذي أنياب كالمدي ومخالب كالحاجن ، قد أخذ من الفلق والنسيق
إهابا ، وتمصص من مجل الحدق جلبابا ، يضرب المنل في سرعة ونوب الأجل به
وبشيه ، وتكاد الشمس مذ لقبوها بالغزالة لا تطلع من الوجيل على وجهه ، يسبق
إلى الصيد مرابي طرفه ، ويقوت لحظ مريله إليه فلا يستكمل النظر إلا وهو
في كفه ، وتتقدمه الصواري إلى الوحش فإذا وثب له تعرت من خلفه .

وأما ما يكتب مع الإنعام بالسلاح .

فمن ذلك — وقد جهزنا إليه سيفا تلعب تحايل النصار من غمده ، وتشرق جواهر
الفتح في فرنده ، وإذا سابق الأجل إلى قبض النفوس ، عرف الأجل قدره فوقف
عند حده ، ومتى جرد على ملك من ملوك العدا وهت عزائمهم ، وعجز جناح جيشه

(١) وقع في هذه الرسالة تعريف كثير في الأصل ، فصحبنا من "حسن التوسل" (ص ١٠١) .

أَنْ تَهَضَّنَ بِهِ قَوَادِمُهُ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ سَيُقِنَّا الَّذِي عَلَى عَاتِقِ الْمَلِكِ [الأعز] ^(١) نَجَاتُهُ وَفِي يَدِ جِبَارِ السَّمَوَاتِ قَائِمُهُ .

الصنف الثالث والعشرون

(المكتوبة بالإشارة عن الخليفة بولك رزقه)

والرسم فيها أن يذكر شرف الخلافة وعلو رتبته، ويسير إلى تخصيص الخلافة بمصيرها إليه دون سائر البرية، وانتقالها إليه بالتوارث من آبائه الطاهرين كآبائهم عن كآبائهم، وبقائها في عقبه إلى الأبد، ثم يتخلص إلى ذكر النعمة على أمير المؤمنين التي أنعمها الله تعالى عليه، وأن من أعظمها نعمة أن رزقه الله تعالى ولداً، ويذكر اسمه وكُنْيَتَهُ، ويصفه بما يناسبه .

وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك، وهي :

الحمد لله مؤيد الإسلام بحُفَافَتِهِ الرَّاشِدِينَ ، وَمُظْهِرِ الْإِيمَانِ بِأَوْلِيَائِهِ الْهَادِينَ ، الَّذِي جَعَلَ الْإِمَامَةَ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِيهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ، وَأَقَامَ مِنْهُمْ الْخَاضِرَ الْمُتَّبِعَ ، وَالْمَرْجُوَّ الْمُنْتَوَعَّ ، وَأَطْلَعَ مِنْهُمْ فِي سَمَاءِ الْهِدَايَةِ شُهَبًا لَا يُحْبُو مِنْهَا شَهَابٌ حَتَّى يَتَوَقَّدَ شَهَابٌ ، وَفَتَحَ بِهِمُ لِلْإِرْشَادِ أَبْوَابًا لَا يَرْتَجِعُ مِنْهَا بَابٌ حَتَّى يَفْتَحَ بَابٌ .

يحمده أمير المؤمنين أن فوض إليه منازل آبائه، ووقفه (؟) بانتقال ماورثه من آبائه إلى أبنائه، ويسأله أن يصل على من كرمه بولادته وشرفه بالانتساب إلى شجرة سيدنا محمد خاتم رسله، المترجم عن توحيد وعذله، وعلى أخيه وابن عمه على بن أبي طالب قيسميه في فضله، ووصيه على أمته وأهله .

(١) الزيادة عن "حسن التومل" (ص ١٠٠) .

وإن أولى النعم بأن يُفَاضَ في شُكْرِهَا، وتُعَطَّرَ الحَافِلُ بِبَشْرِهَا، نِعْمَةٌ حَاطَتْ
 دَعَائِمَ الدِّينِ، وَأَمَرَتْ حَبْلَ المُسْلِمِينَ، وَتَسَاوَى فِي [تَتَأَوَّلُ] ^(١) فِطَافِهَا الكَافِةَ، وَأَذْنَتْ
 بِسُيُوعِ الرَّحْمَةِ وَالزَّانِفَةِ، وَأَضْحَتْ بِهَا التَّبَوُّةَ مُشْرِقَةَ الأَنْوَارِ، وَالْإِمَامَةَ عَالِيَةَ العَنَابَرِ،
 وَإِخْلَافَةَ مُحَالِمَةِ المِزْبَرِ وَالسَّرِيرِ، رَافِلَةً فِي حُلِّ الأَبْتِهَاجِ وَالسَّرُورِ .

وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك، وقد رزقه الله تعالى ولدا ذكرا مباركا رضيًا، سماه
 فلانا، وكناه أبا فلان، بلعلا بنهار غرته اللاميس، وأقر بمقدمه العائيس، وأخضر
 بين [نقيته] ^(١) اليايس، ووثقت الآمال بسعادة مقدمه، وتطلعت الأعناق إلى جوده
 وكرمه، مبشرا لك بهذه النعمي الحسنة الأخر، القليلة الخطر، علما بمكانك من ولاته
 ومخالصته، وسرورك بما يفيضه الله عليه من شآبيب نعمته: لناخذ من المسرة
 والجدل بحظ المولى الخالص، والعبد المتخصص، ولتشيح مضمون كتابه فيمن قبلك
 من الأولياء، يُشاركونا في الشكر والثناء، فاعلم هذا وأعمل به، إن شاء الله تعالى .

[قلت] ^(١) وهذا الصنف من المكاتبات السلطانية مستعمل في الإشارة عن السلطان
 إذا حدث له ولد، فيكتب بالإشارة به إلى تواب السلطنة وأهل المملكة .

الصنف الرابع والعشرون

(ما يُكْتَبُ عَنِ السُّلْطَانِ بِالإِشَارَةِ بِعَاقِبَتِهِ مِنْ مَرِيضٍ)

وهذه نسخة كتاب بعافية الملك الناصر « محمد بن قلاوون » من مريض، إلى
 صاحب مآردين، وهو :

(١) يباح بالأصل والتصحيح من المقام .

ولا زالت البشائر على سمع الكريم مُتَوَاتِرَةً ، والمسارُ إلى مقامٍ مُلكه سائرٌ ،
 وَالتَّهَانِي ، بِبُلُوغِ الْأَمَانِي ، من كمالِ شَفَانِنَا تجعلُ نُفُورَ الشُّعُورِ بِاسْمَةِ وَوَجْهِهِ الدُّهُورِ
 نَاصِرَهُ ، وَنِعْمَ اللهُ تَعَالَى مُقَابَلَةً بِالشُّكْرِ الْجَزِيلِ عَلَى أَنْ أَجَدَّ مَلِكَ الْإِسْلَامِ بِالْفَتْوَاهِ ،
 وَأَبْنَى لِلذَّيْنِ الْمُحَمَّدِي نَاصِرَهُ . أَصْدَرْنَا إِلَى الْمَقَامِ الْعَالِي وَمَوَارِدُنَا مِنَ الصَّحَّةِ حُلُوهٌ
 فِي الْأَنْوَاهِ ، وَالسُّنَّتُنَا شَاكِرَةٌ لِنِعْمِ اللهِ ، وَعَافِيَتُنَا مُجَمَّدَةٌ فِي كُلِّ جَدِيدٍ ، وَصِحَّتُنَا قَدْ بَلَغَتْ
 مِنَ الْمَزِيدِ مَا يُرِيدُ ، وَقَدْ أَبْنَى اللهُ تَعَالَى مِنَ الشِّفَاءِ ثَوْبًا قَمِيصِيًّا ، وَنَصَرْنَا نَصْرًا عَمِيرًا
 وَقَفَّحَ لَنَا قَتْمًا مُبِينًا - تُهْدِي إِلَيْهِ سَلَامًا تَتَأَرْجِحُ بِهِ أَرْجَاءَ مُلْكِهِ ، وَتُنْشِئُ نَفْطًا الْأَنْبِيَةِ
 فِي سِلْكِهِ ، وَتُوَضِّعُ لِعَالِمِهِ الْكَرِيمِ مَا حَصَلَ مِنْ عَافِيَتُنَا الَّتِي تَضَاعَفَ بِهَا فَرَحُ الْإِسْلَامِ
 وَالْمُسْلِمِينَ ، وَوَجِبَ الشُّكْرُ عَلَيْهِمُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

الضرب الثاني

(من مقاصد المكاتبات السلطانية ما يُكْتَبُ عَنِ السُّلْطَانِ فِي الْجَوَابِ)

وَكُلُّ مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي الْوَارِدِ بِهَا الْكَلْبُ إِلَيْهِ يُسْتَقُّ جَوَابُهُ مِنْهَا ، وَغَالِبُ مَا يُعْتَمَدُ
 بِهِ مِنْ ذَلِكَ جَوَابُ مَا يَرِدُ مِنَ الْمَكَاتِبَاتِ بِالتَّقَادُمِ وَالْهَدَايَا ، وَمَا فِي مَعْنَى ذَلِكَ .

وهذه أدعية من ذلك يستضاء بها في أوائل الأجوبة عن المعاني التي ترد فيها .
 جَوَابُ سُلْطَانِيٍّ عَنِ وُصُولِ خَيْلٍ : - وَلَا زَالَ يُخْفِ بِكُلِّ صَاهِلٍ فِي الْجَحْفَلِ ،
 وَبِحَالِ فِي الْمُحْفَلِ ، وَأَجْرَدَ إِذَا أُمَّ غَايَةَ لَمَعَتْ فِي أَثَرِهِ الْبُرُوقُ تَتَطَفَّلُ ، وَمُسَوِّمٌ يَلْتَرَمُ
 جَلَالَهُ بِمَزِيدِ جَلَالِهِ ، وَكَيْفَ لَا وَهِيَ إِذَا أُسِدَّتْ عَلَيْهِ يَتَكْفَلُ ! . أَصْدَرْنَا وَالْعِطْرُ
 يَصُوعُ مِنْ سَلَامِهَا ، وَالْمَسْكُ يُفُوحُ مِنْ خِتَامِهَا ، وَأَثَارُ النَّدَى تَحْكِي آثَارَ أَقْلَانِهَا .

آخر في المعنى : ولا زال مُحَفَّلًا بِالْحَيَادِ وإرسالها ، ومُهَدَّبًا لِرِكَابِ الشَّرِيفِ السَّوَابِقِ التي إذا لم يسبقها شيءٌ من ليوان تجلَّت في مُسَابَقَةِ ظِلَالِهَا ، وَيَتَّقَى لِمَوَاقِبِهَا الخَبُورَ التي إذا أصبحت في مَدَى أصبحت الرِّيحُ تتعلق بأذيالها . أصدرناها .

آخر في مثله : ولا زال يُهْدَى إِلَيْنَا مِنَ الْحَيَادِ بِجَوَاءِ ، وَيَقُودُ مِنَ الْعِرَابِ مَا تَمَلَّأَ عُرَّتُهُ الْمَوَازِبَ بِشِرَاءِ ، وَإِذَا طَلَعَ فِي الْكَتِيبَةِ بِزَيْدِهَا عِزًّا وَنَصْرًا ، مِنْ كُلِّ طَرَفٍ نَاصِلٌ حُسْنًا وَحَسَنًا إِهَابًا وَجَلَّ قَدْرًا .

آخر في مثله : وأعلى له على صَهَوَاتِ الْعِتَاقِ مُرْتَقِيًا ، وَخَصَّه بِكُلِّ جَوَادٍ وَهُوَ مُنْتَقِلٌ إِلَيْهِ مُتَّقِيًا ، وَأَطْلَعَ عَلَيْهِ نَوَاصِي الْمَصَوِّفِينَ التي عَقِدَ الْخَيْرَ بِهَا عَقْدًا مُوْتَقًا . أصدرناها وَنُورُ التَّحَايَا مِنْ أَرْجَائِهَا يُبِيرُ ، وَمَقَانِعُهَا تَشْرَفُ بِهَا كُلُّ مَنِيرٍ وَسَرِيرٍ ، وَرِكَابُ أُثْبِيَّتِهَا تَسِيرُ إِلَى مَقَامِهِ فَطَيْبٌ رَاحِلَةٌ فِي ذَلِكَ الْمَسِيرِ .

آخر في مثله : ولا زال يُهْدَى مِنَ الْحَيَادِ الْمُسَوِّمَةِ أَصَائِلُهَا ، وَيُتَّخَفُ مِمَّا يَجِيهِ عِنْدَ الرِّقَادَةِ عَلَيْهِ صَاهِلُهَا ، وَيُقَابِلُ أَكْرَمَ غُرَّةٍ : الْخَيْرِ مَعْقُودٌ بِنَاصِيَتِهَا وَالْيَمْنُ يُقَابِلُهَا ، وَيَمْتَعُ بِأَعْرَاجِ جَوَادٍ حَلِيَّةٍ الشَّفِيقِ دُونَ إِهَابِهِ إِذْ يُمَانِلُهَا ، وَسُرْعَةُ الْهَرَقِ خِفَّتُهُ إِذْ يُسَاجِلُهَا .

الضرب الثالث

(من الكتب السلطانية المكتُوب الصادر عن نواب السلطنة إلى النواب)

(بسبب ما يرد عليهم من المثالات السلطانية)

إعلم أنه قد جرت العادة بأنه إذا ورد على نائب السلطنة بالشام مثال شريف من الأبواب السلطانية ، يأمرهم ^(١) كَتَبَ نَائِبُ الشَّامِ إِلَى نَوَابِ السُّلْطَنَةِ بِوَرُودِ

(١) يباح بالأصل ولعله يأمر .

المثال الشريف مُبَشَّرًا بذلك ؛ ويجهز إلى كُلِّ منهم مع المثال الوارد إلى كُلِّ نائب من نواب السلطان معنى المثال الوارد من الأبواب السلطانية بذلك . إلا أنه يكون حاكيا لصورَة المثال الوارد بذلك ، لأنه مُبْتَدَأُهُ ؛ ويشتمل ذلك على عدة أمور .

فمن ذلك جلوس السلطان على تخت المُلْك ، فيخبر نائب الشَّام في الكتاب الصادر عنه إلى بعض النواب بأنَّ المثال الشريف ورد عليه بذلك ، وأنه ورد كتاب إلى المكتوب إليه بجهزه إليه .

[وهذه نسخة كتاب من ذلك] كُتِبَ به عن نائب الشَّام إلى بعض نواب السلطنة ، بالبشارة بسلطنة السلطان الملك الصَّالِحِ إِسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون ، وقد ورد على يد بعض المُجَّاب . من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نُبَّانة ، في سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، وهي بعد الصدر :

أَمَّعَهُ [الله] من البشائر بما يَتَوَضَّعُ على جَبِينِ الصَّبَاحِ نُشْرُهُ ، وبما يَتَرَجَّحُ على مِيزَانِ الكواكب قَدْرُهُ ؛ وبما يَتَفَسِّحُ من أوقات أَمْنٍ لا يَخْتَصِمُ في ظلِّها زيدٌ وعمرو حتى يقال : ولا زَيْدُ النَّحْوِ وعمره . وَيُنْهَى بعد دعاء يَبْتَلِجُ في الليل فَجْرَهُ ، وثناء يَتَأَرَّجُ في طَيِّ النَّسِيمِ نُشْرُهُ ، وولاءٍ يَسَاوِي في درجات الصِّفَاءِ بِرَّهُ وجَهْرُهُ . أنْ خَيْرَ البشائر ما خَصَّ أولياءَ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ وعمَّ الرعايا ، وسمَّأ إلى نُغُورِ الإِسْلامِ خَبْرَهُ الحَلِيَّ فقال : «أنا ابنُ جَلالٍ وطلَّاعُ النَّبَايا» وقِسْمَتِ مَسْرَرِهِ على كافِلي الممالك فقالت مملكة مولانا : «لنا المِرْبَاعُ مِنْهَا والصِّقَايا» وسلك المملوك من الإِسْراعِ بإشاعته الحقَّ الواجب ، وجَهْرَ خَدْمَتِهِ بين يَدَيِ المِثالِ الشريفِ الذي سبق طائرُ بُمْنِهِ ولِكنَّهُ جاء وفي خَدْمَتِهِ حاجب ؛ وهي البُشْرَى الوارِدَةُ في الأمثلة الشريفة السلطانية ، المالكية المَلِكِيَّة ، الصالحية العبادية ، العريفة في نَسَبِ النُصْرِ بالانساب النَّاصِرِيَّةِ المنصورة ، أعلى الله

تعالى أبداً على قواعد الملك عمادها، وصرف بها الأئمة لما سرّ وصرفها عما دهي؛
يجلوسه على الكرسي الملكة الذي هو آية سعيه الكبرى، وتحت السلطنة الذي عينه
ملك الجود والعلم فقال: السلام عليك تجراً، وإجماع الأمة على أنه صالح المؤمنين،
وكفاة الحلّ والعقد على أنه سلطان الإسلام والمسلمين؛ وأركان البيت الناصري
على أنه عماده، وعلى أنه سنده المكلل وإذا انقضت بيت سادته؛ فياله جلوساً قامت
فيه كواكب السعد مشدودة المناطق، وباله إجماعاً آتق فيه - حتى من نصميم
السيوف وتعبير الأقلام - كل صاميت وناطق؛ وباله بيت ملك أبي الله إلا أن يقيم
وزنه أفضل الأفاعيل، وباله ملكاً قال الدهر الطويل أنتظاره: (الحمد لله الذي
وهب لي على الكبير إسماعيل). وباله أمراً بلغ خبره وخبره الأوطار والأوطان،
ونفذت برده المصرية على حين فترة نالية له السعود: (فانفذوا لاتنفذون إلا سلطاناً)
وحشر الناس صحنى ليوم الزينة، وجاءوا إليها مستبشرين من أدنى وأقصى كل من
في المدينة، وضربت البشائر وباعجباً! أنها تضرب ومكاتها من القلوب مكينه.
حتى إذا أخذت مضرباً حظها من المناء فسمت على الأمصار، وأضاء بأرق نثرها
من كل وجه فسمت بالشامات غرة الابصار؛ ورخص برید الخبير بمبارك باب البريد،
ووصل نيل النيل إلى أنهار دمشق فبردى على الشكر نائت ويزيد؛ وبشر الإسلام
من وجه الخلف الصالح باكرم من بر، واستفاض الاسم الشريف: فلو كلف مشتاق
فوق وسع له لسمي إليه المنبر.

فالحمد لله على أن سر البيت الشريف الناصري يجمع شمله، وعلى أن أتى الملك
العقيم الصالح من أهله؛ وقد جهز المملوك المثل الشريف المختص بمولانا: ومولانا
أولاً من انتظمت لديه درر هذه الأخبار الثمينه، وعظمت بناحيته شعار هذه الدولة
المكينه، وكل الخير سماه خير قرينه؛ والله تعالى يعز الإسلام بعزيمه، ويمضي الآجال

والأرزاق على يدي حربه وسليته ، ويُحجز رأيه ورأيه النصر قبل أن يطوف الأولياء بعلمه ، وقبل أن يحيط الأذكاء بعلمه .

ومن ذلك الكتابة بورود مثال شريف بعافية السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ، بن الناصر محمد بن قلاوون ، في خلافة المعتضد بالله أبي الربيع سليمان ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهي بعد الانقلاب :

أورد الله عليه من الهناء كل سرى يسره ، وكل سنى يقره أمام ناظره الكريم وقره ،
وكل وفي إذا طلع في آفاق حلب قيل : لله دره ، ولا زالت البشائر تلقاه بكل وجه
جميل ، وبكل جلي جليل ، وبكل خير تصح الدنيا بصحته فليس بها غير النسيم
عليل ، ثقيلًا يزاحم عقود الثغور ، ويكاد يمنع صم الشفتين للثم طول الأبتام
للسرور ، وينهى بعد زرع اليد بدعائه ، وضم الجوائح على ولائه ، وجرم الهناء المشترك
بمسرة مولانا وهنائه ، أن المثال الشريف زاده الله شرفا ، وزاد فضل سلطانه على
العباد شرفا ، ورد باليشارة العظمى ، والنعماء التي ماضتها لأيام قبل نعمى ، والمسرة
التي يأكل حديثها أحاديث المسرات أكلاما ، ويحجها الإسلام والمسلمون حيا جماء ،
بسلامة جوهر الجسد الشريف من ذلك العرض ، وشفايه الذي في عيون الأعداء
منه شفاة تظعن وفي قلوبهم مرض ، وأن مادة الأداة بحمد الله قد آنحست ،
والواردة من الأفتقاد بالأجر والعافية قد آبتست ، وأن طنون الإشفاق قد آصحت ،
وسمات الروض قد قدت الجسم الشريف فأعتلت ، وأخبار الهناء بعينها كل يريد
نسون من القرح [ينشد] أسألها أى المواطن حلت ، فإلها بشارة خصت الإسلام
وعمت يديه ، وسارت فوق الأرض وسرت تحتها أسلاف الملك ومبنيه ، وشملت البلاد
وعبادها ، والسلطنة وقد حجب الله عمادها عما دهن ، والمملك السنيانى وقد ثبت الله

به على الدنيا من السماء خيمتها ومن الجبال أوتادها؛ والطير وقد حلت ورقه أوراق
 السرور، والوحش وقد قالت مهاة : على عيني أحمّل ذلك السقام أو ذلك الفتور؛
 ﴿ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيًّا ﴾ والألطف الأرحم بها المؤمنين من خلقه
 ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ .

وكان ورود هذا المثال الشريف على يد فلان ، فيأله من وأريد لمشاريع الأمن
 أورد ، ولروائع الناس عن القلوب حجب أورد ؛ وقد جهزه المملوك بالمثال الشريف
 المختص بمولانا وهذه الخدمة بعد أن ضربت البشائر مسوعة في كل ضرب من
 التهاى ، وزينت البلد زينة ما نظمت فيها غير العقود أيدي النواني ؛ فيأخذ حظه
 من هذه البشرية ، ونصيبة من هذا الوجه الذى ملأ الوجود بشرًا ، وشطره من الهناء
 المخصوص الذى جعل منه المملوك شطرًا ؛ والله تعالى يسره بكل خير تُشرق زواهره ،
 وتعتق في كاتم الدروج أزهيره ، ويتألق على يد بريده من الخلفات كل كوكب صبح
 تملأ الدنيا بشائره .

ومن ذلك المكاتبه بورود المثال الشريف بوقاء النيل .

إذا ورد على نائب الشام بوقاء النيل المبارك ، كتب نائب الشام عن نفسه إلى
 نائب حلب وغيره ، من تواب السلطنة بالممالك الشامية ، بورود المثال الشريف عليه
 بذلك ، ويكتب عنه كما يكتب عن السلطان : من السجج ، وإيراده مورد البشارة ،
 وإظهار الفرج والسرور بذلك ، لا يكاد يخافه إلا في كونه وأردًا مورد الحكاية لمثال
 السلطان ، ومثال السلطان محيرٌ بذلك ابتداء .

وهذه نسخة مثال كريم من ذلك عن نائب الشام ، من إنشاء الشيخ جمال الدين
 ابن نباتة ، كُتِبَ به لسنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، وهى بعد الصدر :

لا زالت مبشرة بكل منبهجه، مغطرة الأرجاء بكل سائرة أريجها، مبشرة الأوقات
 بمقدمتى سماج وعيان: كلاهما للسائر متبجه، مستحضرة في معالى الكرم كل دقيقة
 تشهد بسطة النيل أنها أرفع منه درجة، وينهى بعد دعاء مال الروض أعطر من شذاه،
 ولا ماء النيل وإن كرم وفاء بأوفى من جداه؛ أن المرسوم الشريف زاده الله تعالى
 شرفاً، ورد بوقاء النيل المبارك وحيداً هو من وفى موافى، ومتغير المجرى وعيش
 البلاد به العيش الصافي، وحسن الزيارة والرحيل ماضاته الغيوب في ولافى؛ ووارد
 من معبد بعيد، وحيل لا يجرم أن مده ثابت^(١) وزيد؛ وجائيد إذا نتاج حيث تياره
 يقد بره ودره من الأرض وساكينها كل جيد، وإذا ذكر الحصب لمكان عبيده
 المشهود ألقى السمع وهو شهيد؛ وذلك فى يوم كذا، وأن البلاد جبرت بكسر
 خليجه، واستقامت أحوالها بتفريجه: وأنتت عليه بالانه، ووسمت لونه الأصب
 على رغم الصباء بأحسن أسمائه؛ وخلق فلات الدنيا بسائر محلقه، وعلق ستره
 المصرى التبرى فزكا على معلقه، وخلق مسير ترابعه على القرى فبات على الندأ صيف
 محلقه؛ وحدت عن البحر ولا حرج، وأنخرج على البقاع يلوى مغمصه فله أوقات
 ذلك اللوى والمنعرج؛ واستغرت الرعايا آمين آمين، وقطع دابر الحدب بسعود
 هذه الدولة القاهرة (وقيل الحمد لله رب العالمين) ورسم أن لا يجنى حق بسارة،
 ولا تصب يد التنقيص منها ليزداد الخبر نوراً على نور، ويكون فى إيثاره وحسنه الخبر
 الحسن المأثور؛ ووصل بهذا الخبر فلان وعلى يده مشال شريف يختص بمولانا
 وقد جهزه؛ فياخذ مولانا حظه من هذه البشرى، ويوح بها على كل الوجوه

(١) فى الاصل "لا يجرم أن يده".

بشراً، والله تعالى يملأ له بالمسرات صدراً، ويضع بعده عن الرعية إصراً؛ ويسرهم في أيامه بكلّ وارٍ يقول الإحسان لمُتَحَمِّله : (لَوْ شِئْتَ لَأَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا)
 إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة كتاب آخر في المعنى إلى بعض التواب، من إنشاء الشيخ جمال الدين
 ابن نباتة أيضاً، وهي بعد الصدر :

وضاعف مواد نعيمه ونعمائه ، ومسرتيه وهنائه ؛ وحفظ عليه ما وهبه من المناقب
 التي يروى النيل عن كرمه ووفائه ، وشرف السيوف لكونها من ميمات كرمه والسيوف
 لكونها من سمائه .

المملوك يحدد الخدمة بفتحات سلامه وثنائه ، ويصف ولأه لو تجسم لاستمدت
 عين الشمس من سنامه ؛ ويهي أن المرسوم الشريف زاده الله تعالى شرفاً ، ورد
 ميثراً بوفاء النيل المبارك في يوم كذا ؛ فياله ربيعاً جاء في ربيع ، وحاملاً في مقرده
 الفضل الجميع ؛ وداعياً بالخصب ينشد كل تانية اثنين ربحانة الداعي السميع ،
 ومتغنياً على منصة المقياس عرسه يحلى عليه من شيا كها الستر الرفيع ؛ وأنه أقبل
 والبلاد أشهى ما تكون للقياه ، وأشوق ما ترى لمباشرة ربه ورياه ؛ وقد امتدت أيدي
 الجسور لقمه ، واستعدت شفاء الحروف اللعس للنعمة ؛ فكرم عليها زائره ، وصحبها
 بالنجح ساريه وسائره ، ودارت على الجذب من خطوط الأمواج دوائر ؛ وعمت
 المنافع ، وتلفت عبوب الفلا ناهلة بالأصابع ؛ وقاض البحر يره ، ونشر رداءه على
 الأرض وسبضوع روضها بنشره ؛ وخلق المقياس فيالك من قياس بشرى غير ممنوع ،
 وكسر الخليج فياله غصن قلم على النيل وطائر سمجه على القرات مسموع ؛ ورسم أن

لَا يُبْحِي حَقَّ بِنَايِهِ ، وَلَا يَدْخُلُ فِيهَا التَّقْيِصُ لِدَارٍ وَلَا التَّنْقِصُ لِدَاوَرِهِ ؛ وَوَصَلَ بِهَذَا الْأَمْرَ فَلَانَ وَقَدْ جُهِّزَ بِمَا عَلَى يَدَيْهِ ، وَأَنَّهُ تَعَالَى يُتَمَعُّ مَوْلَانَا مِنْ أَقْسَامِ الْمَسَارِّ بِصُنُوفٍ ، وَيُدْفَعُ عَنْ حُصُونِ الْإِسْلَامِ بِمِثْنَيْهِ أَيْدِي الصُّرُوفِ ؛ وَيَنْفَعُهَا بِظِلَالِهِ الَّتِي آوَاهَا مُلْكُهُ الْكَرِيمُ إِلَى جَنَّةٍ : وَكَذَلِكَ الْجَنَّةُ تَحْتِ ظِلَالِ السُّيُوفِ .

الضرب الرابع

(من المكاتبات السلطانية ما يُكْتَبُ عَنِ التَّوَابِ وَالْإِتْبَاعِ إِلَى الْخَلِيفَةِ أَوِ السُّلْطَانِ ، وَفِيهِ مَهَبَاتٌ)

المهبع الأول

(في الأجوبة عن الكُتُبِ السُّلْطَانِيَّةِ السَّابِقَةِ فِي الضَّرْبِ الْأَوَّلِ)

قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى مَقَدِّمَةِ الْمَكَاتِبَاتِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ ذِكْرُ انْتِخَافٍ : هَلِ الْكُتُبُ الْإِبْتِدَائِيَّةُ [أَعْلَى رُتْبَةٍ ^(١)] فِي الْإِتْيَانِ بِهَا أَمْ الْجَوَابِيَّةُ ، وَذِكْرُ الْأَحْجَااجِ لِكُلِّ مِنَ الْمَذْهَبَيْنِ ، وَذِكْرُ التَّحْقِيقِ فِي ذَلِكَ ؛ فَلْيَرَا جَمْعٌ مِنْ مَوْضِعِهِ هُنَاكَ . وَنَحْنُ نَذَكُرُ الْكَلَامَ عَلَى أَجْوَابَةِ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ عَلَى التَّرْتِيبِ الْمَتَقَدِّمِ ، جَارِينَ فِي ذَلِكَ عَلَى مَا قَرَّرَهُ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" .

فَأَمَّا الْجَوَابُ عَنِ الْكُتُبِ الْوَارِدِ بِانْتِقَالِ الْخِلَافَةِ إِلَى الْخَلِيفَةِ ، فَإِنَّ الْكُتَابَ إِنْ كَانَ مُتَضَمَّنًا التَّعْزِيَةَ فِي سَلْفِهِ ، وَالْهِنَاءَ بِتَجَدُّدِ النِّعْمَةِ عِنْدَهُ فِي انْتِقَالِ الْخِلَافَةِ إِلَيْهِ ، فَارْتَمَ فِيمَا يُكْتَبُ بِهِ عَنِ الْخَلِيفَةِ أَنْ يُبْنَى عَلَى الْإِسْتِشَارِ بِالنِّعْمَةِ فِي خِلَافَتِهِ ،

(١) بياض بالأصل . والتصحيح عما تقدم في (ج ٦ ص ٣٢٣) .

والمسارعة بإخلاص الضمير إلى الدخول في طاعته وبيئته ؛ وأنفساح الآمال في دولته ، والشكر لله تعالى على جبر الوهن وطوق كلمة الإسلام والمسلمين بدعوته ؛ وتعزيتيه عن أبيه ، بما يوجب محل المحنة ويقنضيه ؛ يعنى إن كان الخليفة الميت أباه ، فالدعاء له بأن ينهضه الله تعالى بما حمله ، ويعينه على ما كفله ، ويقرن ملكه بالحد السعيد ، والخلود والتأييد ؛ وإدالة الأولياء ، وإدالة الأعداء ؛ ونحو هذا مما يجاريه .

وإن كان الكتاب الوارد بانتقال الخلافة إليه عن أبيه ، ومن في معناه من يواليه في المحنة ، فإن الكتاب يحوم في الجواب على ما حصل بذلك من صلاح حال الأمة ، وأستقامة أمر الرعية بانتقال الخلافة إليه ، من غير أن يصرح بدم الذهاب قبله . ولا يخفى أن الجواب عن ورود الكتاب بانتقال السلطنة إلى السلطان وجلوسه على تحت الملك في معنى الجواب في انتقال الخلافة إلى الخليفة ، لا يكاد يفرق بينهما ، على ما سأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

وأما الجواب عن الكتب الواردة بالدعاء إلى الدين ، فإنما يتكلفها كتاب مُحائلي الملة ، لأنها إنما تصدر إليهم . قال في "مواد البيان" : إلا أنه لا غنى لكتاب الإسلام عن علم ما يقع فيها ، لتقدم عندهم المعرفة بما يجيب به المخالفون ، فيأخذوا عليهم بأطراف الحجّة إذا كاتبهم ابتداء أو جواباً .

قال : ولا تخلو أجوبة هذه الكتب من أربعة معانٍ :

أحدها — إجابة الدعاء إلى الدين ، وقبول الإرشاد والهدى ، والذروع عن الفئ ، والإقبال على البصرة والتذكرة ، بعقائد خالصة ، ونيات صريحة .

والثاني — الإصرار على ما هم متمسكون به ، وتمحل الشبهة في نصرته ، وأدعاء الحق فيما يعتقدونه ، والمغالطة عن الإجابة إلى قبول ما دُعوا إليه .

والثالث - بَدَلُ الْحِزْبِ وَالْمُصَالِحِ، وَالْجُنُوحُ إِلَى السَّلْمِ وَالْمُؤَادَعَةِ .

والرابع - إظهار الحمية ، والقيام في دفاع مَنْ يروم اقتسارهم على مفارقة شرائعهم وأديانهم ، وبَدَلُ الْأَنْفُسِ فِي مَقَارَعَتِهِ .

وأما الجواب عن الكُتُبِ الواردة بالحَثِّ على الجهاد، فقد ذكر في "مواد البيان" أنها لا تخرج عن معنيين :

أحدهما - إجابة الصريح، والمبادأة إلى التشمير في الجهاد ، والقيام في معونة الأولياء، على كفاح الأعداء .

والثاني - الاعتذار والتعلُّل والتناقل .

هذا إن كانت الكُتُبُ صادرة إلى القوادِ والمُقدِّمين . أما إذا كانت مقصورة على الاستنفار، فلا جواب لها إلا التُّور أو الإمساك . قال في "مواد البيان" :
والطريق إلى إقامة العذر للتصريح في التأخر عن مُستصرِخه متى أراد الاعتذار عنه صَعِبَ على الكاتب، ولا سيما إذا كانت الأعداء مُتكلمة غير صحيحة .

قال : وينبغي أن يتأني لذلك ويحسن التلطف فيه ، ولا يعتل بكذب صراج ينكشف للعتدِر إليه .

وأما الجواب عن الكُتُبِ الواردة بالحَثِّ على لزوم الطاعة ، إذا وردت على التواب والولاء وأمرها ببراءتها في أعمالهم على الرعايا ، فإنه يكون : إما بانقياد الرعايا إلى مادعوا إليه ، أو استنادتهم لمركب التناق ، وأستدعاء مادة لتقويمهم .

وأما الجواب عن الكتب إلى مَنْ نكث عهده من المعاهدين ، فقد ذكر في "مواد البيان" أنها لا تخلو من أحد أربعة معان .

أولاً — الاعتذار والاستقالة من مراجعة الكتب، والرغبة في الصنيع عن النبوة، والمسامحة بالهفوة .

والثاني — المغالطة والمراوغه، وأستعمال المدهانة والمخادعة .

والثالث — التجليح والمكاشفة .

والرابع — إيجاب الحجّة على المحبوب (؟) عنه في أنه المبتدئ بفسخ ما عقده عليه . قال : والكاكب إذا كان ماهراً كما كُمل معنى من هذه المعاني الغرض اللائق به في الصناعة .

وأما الجواب عن الكتب إلى من خلّع الطاعة ، فقد قال في "موادّ البيان" : إنها تحتل معنيين : أحدهما الاعتذار ، والآخر الإصرار ؛ وكل واحد منهما محتاج إلى عبارة لائقة به . ثم قال : والكاكب إذا كان حاذقاً عرّف سبيل التخصّص فيها بمشيئة الله تعالى .

وأما الجواب عن الكتب الواردة بالفتوح ، فإنها إن صدرت من السلطان إلى ولاةه ، فينبغي أن يثنى جوابها على الاستبشار بموقع النعم في الظفر بالعدو ، والجدل بمجدد الفتح ؛ وأن ذلك إما تهنأ بسعادته ، وعلوّ رأيه ، وأنساض هيئته ؛ وما عودته من إظهار أوليائه ، وخذلان أعدائه ؛ وأنهم قد أشاعوا هذا النبا في الخاصة والعامة من رعاياه فأنهجوا به ، وشكروا الله تعالى عليه ودعوا له بصالح الدعاء . وإن صدرت من ولاة الحرب إلى السلطان ، فينبغي أن يكون ما يبيحهم به مبدئاً على حمد الله تعالى على عوارفه ، والرغبة في مضاعفة لطائفه ؛ وشكره على إنجاز وعده في الإظفار بأعداء الملة والدولة ونحو هذا . ومحاطة أهل الطاعة بما يرحف عن أئمتهم ، وتقوى شوكتهم ؛ وتقربط وإلى الحرب ووضفه بما يسعد بصيرته في الخدمة ، والتناء على

الأجناد ، ووعدهم بجزيل الجزاء على الجهاد والإبلاء ، إلى غير هذا مما يقتضيه الحال ، ويوجبه تدبير الأمر الحاضر .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة بالأعتذار عن السلطان عند ما يحصل له زلل في التدبير أو [في] الظفر بقبض الأعداء على جيش من جيوشه ، فإنما تقع الإجابة عنها إذا نُقِيت إلى أحد العُمال خصوصاً . قال في "مواد البيان" : وحينئذ فينبغي أن يكون الجواب عنها مبنياً على تقوية نفس السلطان وتوثيقه بالأدلة ، وأن ما ناله لا يتوجه كثيراً على ذوى الحرم ، إلا أن عواقب الفلج والظفر والإصابة في الرأي والتدبير تكون لهم ، ونحو هذا مما يُجاريه ويليق به .

قال : أما إذا كانت المكتوبة في ذلك إلى الكافة ، مُهَدَّةً لعذر السلطان ، قاطعةً قالة الرعية عنه ، فإنه لا جواب عنها : لأنها إذا لم تُوجه إلى واحد بعينه لاستدعى خطاباً .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة عن السلطان بالنهي عن التنازع في الدين ، إذا صدرت إلى العُمال ، وأُمرُوا بقراءتها على الرُطابا على منابر أعمالهم ، فإنه ينبغي الأمر فيها على امتثال الأمر ، والمطالعة بأرتسام القوم ما ريسم لهم فيها . أما إذا كانت صادرة لتقرأ على العامة ليُبصروا ما فيها ويعملوا عليه ، فإنه لا جواب عنها ، لأنها إنما تستعمل على مواعظ ومراشد تتخول بها الأئمة رعاياهم .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة بالأوامر والنواهي ، فقد ذكر في "مواد البيان" أن الكتاب الوارد في ذلك : إن كان شيئاً قد جزم المتبوع فيه الأمر ، وصيَّق على التأييد في إثاره سبيل المراجعة فيه ، فإن الجواب عنه سهل : لأنه إنما يجب بجواب جامع ، وهو وقوفه على ما أمر به وإنفاذه له . وإن كان الوارد أمراً محتملاً للمراجعة ، من حيث إن في إفضائه إذا أمضى إفساداً للعمل ، وإخلالاً بأسباب

المُلكِ والسلطان؛ فالجواب عنه شاقٌ صعبٌ؛ لأنه ينبغي أن يُبنى على تَطْفِيفٍ شديدٍ في الإبانة عما يُنتجُه ذلك المأمور به إذا أُنفِذَ على وجهه من قِتيٍّ وحَلَلٍ، وموردُ المراجعة في الفاظه لا يتبين فيه إزراء على رأي الرئيس ولا طعن في تديره؛ بأن تكون ناطقةً بأن رأيه الأعلى، وتديره الأصوب؛ فيكون باطنُ الكلام توقيفاً على الصواب، وظاهره تصويباً وتقريظاً؛ لأن كثيراً من الرؤساء والملوك يُعجبون بأرائهم، ويترأون أنفسهم بحكم الرياسة في منزلة من لا يرجع ولا يعارض فيها بأمر به .

قال : وقد أتى من كُتُب الأوامر كُتُبٌ يأمر الرئيس فيها المرعوس بشرح حال واقتصاص أمور . ثم قال : وأجوبة هذه الكُتُب يجب أن تكون مُستقصيةً للمعنى المنشرح، مُستوليةً على حواشيه، غير مُخلَّة بشيء مما يحتاج إلى تعرفه منه .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة عن الإمام عند حدوث الآيات السماوية ، وهي مشتملة على مواعظ ومراشد يتخول بها الائمة رعاياهم؛ فإذا صدرت إلى العيال وأمرؤا بقراعتها على الرعايا، فأجوبتها إنما تُبنى على أمثال الأمر والمطالعة بأرنام القوم ما رُسم لهم فيها . أما إذا كانت صادرة لتقرأ على العامة ليقبصوا بما فيها ويعملوا عليه، فإنه لا جواب عنها .

وأما الجواب عن التنبية على مواسم العبادة، فإنه يصدر عن وِرد عنه إلى الإمام بعد شهود ذلك الموسم، والألفصاح عنه على حال السلامة، كما في صلاة العيد ونحوها . قال في " مواد البيان " : وأجوبتها تصدر إلى الخلفاء مقصورةً على ذكر ما من الله تعالى به من قضاء الفريضة على حال الائتلاف والاتفاق، وشمول الأيمن والهدى والسكون، وسبوغ النعمة على الكافة؛ وأن ذلك بسعادة وعباية الله تعالى بدولته وبرعيته، ونحوها مما يقتضيه المعنى .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة عن الإمام إلى ولاة أمره بالسلامة في ركوب
 أوّل العاصم وُعْرَةَ رَمَضَانَ ، والجمعة الأولى والثانية والثالثة منه ، وعِيدِي الفِطْرِ
 والأشْحَى ، وَفَتْحِ الخَلِيجِ بعد وفاء النيل ، فقد قال في "مواد البيان" : إنّه إن كان
 الكتاب عن السلامة في صلاة العِيدَيْنِ أَوْجَعَ رَمَضَانَ ، فينبغي أن يكون مَبْنِيًّا عَلَى
 وَرُودِ كُتُبِهِ مُتَضَمِّنَةً مَا أَعَانَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ أمير المؤمنين من تَأْذِيَةِ فَرِيضَتِهِ ، والجمع
 في صلاة عِيدِ كَذَا رِعِيَّتِهِ ؛ وما ألبسه الله تعالى من الهَدْيِ وَالوَقَارِ ، وَأَفَاضَهُ عَلَيْهِ
 مِنَ النَّهْأِ وَالْأَنْوَارِ ، وَبُرُوزِهِ فِي حَاصِنَتِهِ وَعَامَّتِهِ إِلَى مُصَلَّاهُ ، وَسَمَاعِ خُطْبَتِهِ وَعَوْدِهِ
 إِلَى قَصْرِه الزَّاهِرِ ، وَعَلَيْهِ تَلَأُ القَبُولِ لصلواته ودُعَائِهِ ، مما أجزاه الله تعالى فيه على
 عادة آلائه ؛ ووقف عليه وقابله بالشكر والإحسان ، والأعتراف والأعتراف ، وَأَقْتَضَتْهُ
 عَلَى رِهْوسِ الأَشْهَادِ ؛ فَأَغْرَقُوا فِي شُكْرِ اللهِ تَعَالَى عَلَى المَوْهَبَةِ فِي أمير المؤمنين ، وَرَغِبُوا
 إِلَيْهِ فِي إطالَةِ بَقَائِهِ مُرَامِيًّا عَنِ الإسلامِ وَالْمُسْلِمِينَ ؛ ونحو هذا مما يُجَارِيهِ .

ثم قال : فإذا نُفِذَتْ هذه الكتب من العُمَّالِ إِلَى أمير المؤمنين مُبَشِّرَةً بِاجْتِمَاعِ رعاياه
 لتأدية فريضتهم ، وَعَوْدِهِمْ إِلَى منازلهم سالمين ، فينبغي أن يكون الجواب عنها :
 «وصل كتابك مُتَضَمِّنًا مَا لَا يَزَالُ اللهُ تَعَالَى يُؤَلِّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي رِعِيَّتِهِ ، وَحَاصِنَتِهِ
 وَعَامَّتِهِ : من آنفاق كلمتهم ، وَأَسْتِلافِ أفضلتهم وسلامة كآفتهم ؛ وما من الله به عليه
 وعليهم من اجْتِمَاعِهِمْ لتأدية فريضتهم ، وَعَوْدِهِمْ إِلَى منازلهم ؛ عَلَى السَّلَامَةِ مِنْ ضَمَائِهِمْ ،
 وَالطَّهَارَةِ مِنْ سَرَائِهِمْ ، حَمِيدًا أمير المؤمنين الله تعالى على ذلك وسأله مَزِيدُهُمْ مِنْهُ ،
 وَتَوْفِيقَهُمْ لِمَا يُرِضِيهِ عَنْهُمْ ؛ وَشُكْرَ مَسْعَاكَ فِي سياستهم ، وَأَمْتِدَادَ يَدِكَ فِي إِيَابَتِهِمْ ؛
 وهو يأمرك أن تُجَرِّيَ عَلَى عَادَتِكَ ، وَتَسِيرَ فِيهِمْ بِجَمَلِ سِيرَتِكَ » وما يليق بهذا .

ثم نبى على ذلك سائر كتب السلامة، وقال: ينبغي أن يُستَبطَ من نَفْسِ كُلِّ كِتَابٍ منها المعنى الذى تجب الإجابة به، مثل أن يكون الكتاب ورد من أمير المؤمنين إلى أحد عماله، مُبَشِّرًا بِسَلَامَتِهِ من سَفَرِهِ؛ فينبغى أن يُبْنَى جوابُهُ على ما صُوِّرَتْه: «ورد كتاب أمير المؤمنين مُبَشِّرًا عِندَهُ بِمَا هَيَّأَ اللهُ تَعَالَى لَهُ مِنَ السَّلَامَةِ وَيَمْنِ الْوَجْهِهِ، مع تقريب الشُّقَّةِ؛ وإزالة المَسَازِ، وتسهيل الأوطار، وإدناء الدار؛ فوقف العبد عليه، وأمثلة الرسوم في إطلاع الأولياء على ما نُصِّصَ فيه من هذه البُشْرَى؛ فَعَظُمَتِ الْمُنْحَةُ لديهم، وَجَلَّتِ النِّعْمَةُ عندهم؛ وَأَنْشَرِحَتْ صُدُورُهُمْ، وَأَنْفَسِحَتْ أَمَامَهُمْ، وَوَفَّقُوا بِصُنْعِ اللهِ تَعَالَى لَهُمْ؛ وَارْتَفَعَتْ أَيْدِيهِمْ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ بِالرَّغْبَةِ فِي حَيَاةِ أمير المؤمنين قَاطِنًا وَظَاطِعًا، وَحُسْنِ صَحَابَتِهِ حَالًا وَرَاحِلًا؛ وَجَمِيلِ الْخِلَافَةِ عَلَى مَنْ خَلَفَهُ مِنْ حَامَتِهِ وَعَامَتِهِ، وَأَهْلِ دَعْوَتِهِ وَخَاصَّةِ دَوْلَتِهِ؛ وَاللهُ تَعَالَى يَجِيبُ فِي أمير المؤمنين صَاحِجَ الدُّعَاءِ، وَيَمُدُّهُ بِطَوِيلِ الْبَقَاءِ» وما ينظم في سلك هذا الكلام وبُضَائِهِ .

قلت: وقد تقدم في الكلام على المكاتب السلطانية الابتدائية: أن المكاتب بالبشارة بالسلامة في رُكُوبِ الْعِيدَيْنِ وما في معناها من قدوم السَّفَرِ وغيره، قد ترك استعماله بديوان الإنشاء في زماننا. فإن قُدِّرَ مِثْلُهُ في هذه الأيام، أجزاه الكاتب على نحو ما تقدم، على ما يقتضيه مصطلح الزمان في المكاتب السلطانية .

وأما الجواب عن الكتب الواردة بالخلع وما في معنى ذلك، فينبغى أن يكون مَبْنِيًّا على تعظيم المنه، والاعتراف بجزالة المنحه؛ وجميل العطية، وزائد الفضل؛ وأنت ما أُسْدِي إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ تَفَضُّلٌ عَلَيْهِ، وَتَطَوُّلٌ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ لَذَلِكَ؛ بَلْ قَائِضٌ فَضْلٌ، وَجَزِيلٌ أَمْتَانٌ؛ وَأَنْهُ عَاجِزٌ عَنْ شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ وَالْقِيَامِ بِوَاجِبِهَا، لَا يَسْتَطِيعُ

لها مكافأة غير الرغبة إلى الله تعالى بالأدعية لهذه الدولة . وما يناسب ذلك من الكلام وبلائمه .

وأما الجواب عن الكُتُب بالتَّوْبِيهِ والتَّقْيِيبِ إذا صدرت إلى نواب المملكة ، فالذي ذكره في "مواد البيان" أن المُنَوِّه به يُجِيبُ عَمَّا يَصِلُهُ من ذلك بوصول الكتاب إليه ، ووقوفه عليه ، ومعرفة بقدر العارفة بما تضمنته الرغبة إلى الله تعالى في إرضائه الشُّكْر ، ومُؤْتَتِهِ على مقابلة النعمة بالإخلاص والطاعة . أما إذا كُتِبَتْ بالتَّوْبِيهِ والتَّقْيِيبِ لأحد من المقيمين بحضرة الخلافة ، فإنه لاجواب لها .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة بالإحاد والإذمام ، فيختلف الحال فيه : فإن كان الكتاب الوارد بالإحاد والتَّقْرِيبِ ، بخوابه مقصور على الشُّكْر الدال على وقوع ذلك الإحاد موقَّعه من المحمود ، ومُطَالَئَتِهِ لنفسه بالخروج من حَقِّهِ باستفراغ الوُسْع في الأسباب المُوَجِّبة للزيادة منه . وإن كان الكتاب بالإذمام : فإن كان ذلك لِمَوْجِدَةٍ بسبب أمرٍ بلغه عنه من علوٍّ أو حاسِدٍ نِعْمَةٍ أو مترلة هو مَخْصُوصٌ بها من رئيسه ، كان الجواب بالتَّصَلُّلِ والمقابلة بما يُرَى سَاحَتَهُ ، ويدلُّ على سلامة نَاحِيَتِهِ ؛ وأن يُورِدَ ذلك بصيغة تُرِيْلُ عن النفس ما سبق إليها ، وتَبَعَتْ على الرِّضَا . وكذلك في كل واقعة بحسبها ، مما يحصل به التَّصَلُّلُ والاسترضاء ونحو ذلك .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة مع الإنعام السلطاني ، فعلى نحو ما سبق في الخلع : من تعظيم المِنَّة ، والاعتراف [بجزالة المِنَّة ^(١)] وجميل العطية ، وزيادة الفضل ، وما في معنى ذلك مما تقدم ذكره .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة عن الخليفة أو السلطان بتجدد وُلْدِهِ ، فإنه يكون بإظهار السرور والأغباط ، وزيادة الفرح والسرور بما من الله تعالى به من تكثير

(١) بياض بالأصل والصحيح عما تقدم قريبا في الجواب عن الخلع .

العَدَد، وزيَادَة المَدَد، والرَّغْبَة إلى الله تعالى في أن يُوَالِي هذا المَزِيدَ وَيُضَاعِفَهُ .
ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة بعافية الخليفة أو السلطان من مَرِيضٍ كان قد عَرَضَ له ، فطريقه حَمْدُ الله تعالى وشُكْرُه على ما مَنَّ اللهُ تعالى به من العافية ، وتَفَضُّلُ به من إِزَاحَة المَرِيضِ ، وِوَقَايَة المَكْرُوهِ ، وإظهارُ الفَرَحِ والسُّرُورِ بذلك . وما يَنفِطُ في هذا السُّلُكِ .

(١)
وأما الجواب عن الكُتُب الواردة بالتعزية بوليدٍ أو قَرِيبٍ ، فإنه يظهر فيه التَّمَنُّمُ والحُزْنُ والكَآبَة ، وحمدُ الله تعالى على سلامة نَفْسِهِ ، والرَّغْبَة إلى الله تعالى في الخَلْفِ عليه ، إن كان المَيِّتُ وُلْدًا ، مع الدعاء بِطُولِ البَقَاءِ ومُطَوِّدِ الدَّوْلَةِ ، وما يجرى هذا المجرى .
وهذه نسخ أجوبة عن مكاتبات سلطانية ، مما يكثر وقوعه ، ويتعدد تكراره ، يَسْتَضِيءُ بها الكاتب في كتابة الأجوبة ، وَيَسْتَجُحُّ على مِثْوَالِهَا .



نسخة جواب عن كتاب وصل من الخليفة بانتقال الخلافة إليه ، كُتِبَ به إلى أمير الأمراء ، قَرِيبِ خَلْعَةِ وَسَيْفِ وَتَاجِ وَسِوَارِيْنِ ، من إنشاء أبي الحسين بن سعد ، وهو :

فإن كان سَيِّدُنَا أمير المؤمنين ، بما أعلم من فَضْلِ مُرَاعَاتِهِ لأمور الدين ، وصدق عِيَانَتِهِ بمصالح المسلمين ، وأَيْضًا لَهُ (؟) من مَوَاهِبِ الله عندهم ، وَصُوفِ نَعْمِهِ عليهم ؛ فبها هُدهَا من طُرُقِ الرِّشَادِ ، وَبَصْرَهُ إِيَّاهُ من مَبَاهِجِ الصُّوَابِ ؛ وَقَرْنَهُ به من التَّوْفِيقِ في عَمْرَائِهِ ، وَالْجِدُّ في مَرَّاسِمِهِ ؛ وَتَوَعَّدَهُ فيه بِالخَيْرَاتِ التَّامَّةِ ، وَالْكِفَايَةِ العَامَّةِ ؛ في كُلِّ

(١) في الاصل "النعيم" ولم نشر عليه في كتب اللغة .

أَمْرٍ يُخَيِّضُهُ ، وَرَأْيٍ يَرْتَبِيهِ ، أَعْتَادًا لَهُ بِحُسْنِ الْمَعُونَةِ عَلَى مَا اسْتَرْعَاهُ ، وَوَصْلِهِ بِالْمَزِيدِ
فِي خَوْلِهِ وَأَعْطَاهُ ، وَحِرَاسَةِ مَسَافَةِ إِلَيْهِ مِنْ إِثْرِ النَّبُوءِ ، وَحَمَلَهُ إِيَّاهُ مِنْ ثِقَلِ الْإِمَامَةِ ؛
لَمَّا عَرَفَهُ مِنْ نُهُوضِهِ بِالْعَيْبِ ، وَقِيَامِهِ بِالْحَقِّ فِيهَا نَاطِقًا وَأَسْنَدَهُ إِلَيْهِ ، وَتَأَمَّلَهُ مَا تَأَمَّلَهُ
مِنْ حَالِ عِبْدِهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ لِبَطَاعَتِهِ مُعْتَقِدًا ، وَبِعِصْمَةِ وِلَايَتِهِ مُعْتَصِدًا ؛ وَلَوْ قَبِلَتْ
سَيِّفُهُ مَنَازِلَ الْإِحْمَادِ ، وَبِحُجُوزِهِ عَائِدَةَ الْأَجْتِهَادِ ، فِيمَا أَرْضَاهُ مُرْتَضِدًا ؛ وَلَسَعِيهِ وَنَيْبَتِهِ ،
وَوَظَاهِرِهِ وَطَوَيْبَتِهِ ، مُعْتَمِدًا ؛ وَوُجُودِهِ أَيْدَهُ اللَّهِ فِي سَيْرِ مَا آمَنَ حَتَّى بِهِ بَلَاءٌ ، وَعَرَفَ
فِيهِ غَنَاءَهُ ؛ مَوْضِعًا لِلصَّبِيحَةِ ، مُحْتَمِلًا لِلْعَارِفِ ، مُقْرَأًا بِحَقِّ النِّعْمَةِ ، عَارِفًا بِقَدْرِ الْمَوْجِبَةِ ؛
وَتَرَقُّبِهِ فُرْصَةً يَنْبَهَرُهَا فِي إِبْدَاءِ عَزْمِهِ ، وَإِمضَاءِ رَأْيِهِ ؛ وَأَنَّهُ [وَأَتَّقِ] بِالْإِسْتِظْهَارِ بِمَكَانِهِ ،
وَالْإِسْتِهَامِ لَهُ فِي عِزِّ سُلْطَانِيهِ ؛ حَتَّى اسْفَرَتْ رَوِيئَتُهُ ، وَاسْتَقَرَّتْ عَرِيضَتُهُ ؛ فَأَخْتَصَّ
عَبْدَهُ بِجَيْلِ الْأَثَرِ ، وَأَصْطَفَاهُ بِلطيفِ الْخُطْوَةِ ، وَأَعْتَمَدَ عَلَيْهِ فِي إِمَارَةِ الْأُمَرَاءِ ،
مُوفِيًا بِهِ عَلَى رُتْبَةِ النَّظَرَاءِ ، وَكَاسِيًا لَهُ حُلَّةَ التَّجِيدِ وَالسَّنَاءِ ؛ وَرَدَّ إِلَيْهِ تَدْيِيرَ الرِّجَالِ ،
وَتَقْدِيرَ أُمُورِ الْعُمَالِ ؛ وَشَفَعَ ذَلِكَ بِالتَّكْنِيَةِ وَالتَّلْقِيْبِ فِي مَشَاهِدِ حَقْلَتِهِ ، وَجِجَالِ
خَلْقَتِهِ ؛ وَأَكْمَلَ الصَّنْعَ عِنْدَهُ بِإِلْحَاقِ عِبْدِهِ فِيهَا قَسَمَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ شَرِيفِ
حَيَاتِهِ ، وَسَنَى عَطَانَهُ ؛ وَتَجَاوَزَ فِي التَّكْرِمَةِ لَهُ إِلَى أَعْلَى الْأَحْوَالِ ، وَأَرْقَعَ الرُّتْبِ وَالْمَحَالِ ؛
فِيمَا أَمَرَ - أَعْلَى اللَّهِ أَمْرَهُ - بِتَجَمُّهِ إِلَيْهِ مِنَ الْخَلْمَةِ الَّتِي يَتَّقِي شَرَفَ [بِاسْمِهَا] [عَلَى] الْأَيَّامِ ،
وَيُحَلِّدُ ذِكْرَهَا عَلَى الدُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ ؛ وَالسَّيْفِ الَّذِي تَقَابَلَ لِعَبْدِهِ فِيهِ بِمَا يَرْجُو مِنْ
مَوْلَاهُ وَسَعَادَةِ حَمْدِهِ : أَنْ يُحَقِّقَهُ اللَّهُ فِي الْأَعْتَادِ بِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ ، وَتَعْمِدِهِ فِي نُحُورِ مُشَاقِقِهِ
وَعَامِيصِي تَعْمَاتِهِ ؛ وَالتَّأَجُّجِ الْمُرْصَعِ الَّذِي تَنظَّمُ لَهُ جَوَامِعُ الْفَخْرِ ، وَالرِّشَاحِ الْمَوْشَى الَّذِي
وَسَّخَتْ حَلِيَّةَ الْجَمَالِ مَدَى الدَّهْرِ ؛ وَالطُّوقِ الَّذِي طَوَّقَهُ فَلَانِدُ التَّجِيدِ ، وَالسَّوَارِيْنَ الَّذِينَ
أَذْنَاهُ بِقُوَّةِ الْعُضْدِ وَبَسْطَةِ الْيَدِ ، وَاللَّوَاءِ الْمَعْقُودِ بِهِ مَفَاتِحُ الْعِزِّ فِي طَاعَتِهِ ، الْمَرْفُوعِ بِهِ
مَعَالِمُ النُّصْرِ عَلَى شَانِي دَوْلَتِهِ ؛ وَوَصَلَ إِلَى وَفَهْمَتِهِ .

وسيدنا أمير المؤمنين - فيما أكرمه الله به من خلافته ؛ وأتمته من الحكم على
 برته ؛ ووكله إليه من حقوق الدين ، وحياطته كرم المسلمين ؛ وإحياء السير الرضية ،
 والشأن الحميدة ؛ وإماطة الأحكام الخاترة ، والمظالم الظاهرة ؛ وتقويم أود المملكة
 بعد تزجج أركانها ، وتصديق بنيانها ؛ وإعزاز الأمة وإيناسها ، بعد أن أشتمت
 [الذلة^(١)] عليها وتمكنت الوحشة فيها ؛ وحكم اليأس في آمالها ، وغلب القنوط على
 أطعائها ؛ وتعامل بما أعتمده له ، وفوضه إلى نظيره : من الخلية بحفائقه ، والتوكيد
 بما لم تزل الخبايل فيه لأئحيه ؛ والأمارات منه واضحة ؛ والشواهد به صادقة ،
 والدلائل عليه ناطقة ؛ حتى تدارك بنعمة الله الدين بعد أن طمس مناره ، ونفقت
 آثاره ؛ ودرست رسومه ، وغارت نجومه ؛ وأنحى الشيطان بجرانه ، وأشرأب لتبديله
 بعدوانه ؛ وأتدب لنصرة الإسلام برأي يستغرق آراء الرجال ، وحلم يستخف رواسي
 الجبال ؛ وروية تستخرج كوامن الغيوب ، وتكشف عنها حنادس الشكوك ؛ وبأج
 لما يمتد إليه بسيط ، وذراع لما يتظم عليه رحيب ؛ وصدر يتسع لمعضلات
 الأمور ، ويشرق في مذاهب الحوادث ؛ فشرد أعداء الله بعد أن اتصلت بهم مهلة
 الاعتزاز ، وتناولت بهم مثة الإصرار ؛ ومد رواق الملك وضرب قبايه ، وثبت أواخيه
 وأحصد أسبابه ؛ وقطع أطاع الملحدين ، وأبطل كيد الكافرين ، وقت في أعضاء
 المنايدين ؛ فتحصنت البيضة ، واجتمعت الكلمة ؛ وأتفقت الأهواء المتفرقة ،
 وانتظمت الآراء المتشعبة ، وسكنت الدهماء المضطربة ، وقرت القلوب المترجحة ؛
 وصدقت خواطر الصدور المثلجة ؛ وظهر الحق ورتخ عموده ، ومهر جماله ونصر
 عوده ؛ ونشرت أعلامه وطلعت سوعده ، وعز أولساؤه ونصرت جنوده ؛ وساخ

(١) بياض بالأصل ، والنصح من الغمام .

(٢) في الأصل «أخذ» وهو تصحيف .

بالباطل قَدُمه ، وَأَنْقَطَعَتْ وَصَائِلُهُ وَعِصْمُهُ ، وَأَنْبَتَتْ حِبَالُهُ وَرُمُّهُ ، وَأَخْلَتْ أَسْبَابَهُ
وِدْمُهُ - حَقِيقٌ بِمَا بَانَ مِنْ فَضْلِهِ ، وَأَسْتَفَاضَ فِي الْأُمَّةِ مِنْ عَدْلِهِ ، وَعَمَّ كَافَّةَ الرِّعْيَةِ
مِنْ طَوْلِهِ ، وَوَصَلَتْ إِلَى الْمَلِيّ وَالذَّمِيّ وَالذَّائِيّ وَالْقَاصِيّ عَائِدَةُ الْخَيْرِ فِي أَيَّامِهِ ، وَفَائِدَةُ
الْأَمْنِ بِمَمْلَكَتِهِ وَسُلْطَانِهِ ، وَمَأْمُورٌ لِأَفْضَلِ مَا بَدَأَ لِعَبِيدِهِ مِنْ نَمْرَةٍ أَجْتَبَاهُ وَأَصْطَفَاهُ ،
وَمَا تَعَمَّدَهُ بِهِ مِنْ النِّعَمِ الْعَظِيمَةِ ، وَالْمَوَاهِبِ الْجَسِيمَةِ ، وَأَسْبَغَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْعَوَارِفِ
السَّيِّئَةِ ، وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ مِنَ الْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ ، الَّتِي تَقْضُرُ عَنْهَا هِمُّ دَوَى الْأَقْدَارِ ، وَتَقِفُ دُونَهَا
أَمَالُ أَوْلِي الْأَخْطَارِ ، مُقَدِّمًا لَهُ عَلَى أَهْلِ السُّوَابِقِ مِنْ أَنْصَارِ دَوْلَتِهِ ، وَأَشْيَاعِ دَعْوَتِهِ .

فلو ترادفت السُّنُّ العباد - أَيْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - عَلَى اخْتِلَافِ لُغَاتِهِمْ ، وَتَبَايُنِ
طَبَقَاتِهِمْ ، وَتَفَاوُتِ حَالَاتِهِمْ ، فِي مَقَابِلَةِ نِعْمَةِ سَيِّدِنَا الَّتِي أَغْشَى الْعَيُّونَ بِهَا أَوْهَا ، وَتَأْدِيَةِ
حَقُوقِهَا الَّتِي أَعْيَا الْمُجْتَهِدِينَ قَضَائُهَا ، لَكَانَتْ - حَيْثُ أَنْتَهَتْ ، وَأَثَى تَصَرَّفَتْ ،
عَلَى اسْتِفْرَاقِ الْقُدْرَةِ وَاسْتِيفَادِ الطَّاعَةِ - غَيْرَ مُقَارِبَةٍ حَدًّا مِنْ حُدُودِهَا ، وَلَا مُؤَدِّيَةٍ
فَرَضًا مِنْ فُرُوضِهَا ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ - أَيْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - فِي قُوَّةِ
الْإِحْسَانِ مَقَادِيرِ الشُّكْرِ ، وَإِيفَانِهِ عَلَى مَبَالِغِ الوُسْعِ ، فَقَصْدُ عِبَادِهِ فِي جَبْرِ النِّقِصَةِ ،
وَسَدِّ انْحِلَالِهِ ، الْأَزْدِيَادُ فِي الطَّاعَةِ ، وَالْإِحْلَاصُ فِي الْمُوَالَاةِ وَالْمُشَابَعَةِ ، وَإِدَامَةُ الْأَبْتِهَالِ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَرَفْعُ الرِّغْبَةِ فِي مَعُونَةِ عَبْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مُجَافَاةِ بَلَائِهِ ، وَالْتِفَرُّدِ
بِحِزْمَاتِهِ ، وَتَجْدِيدِ الْمَسْأَلَةِ فِي إِطَالَةِ بَقَائِهِ : فِي عِزِّ لَاتِلِيَّ جِدَّتِهِ ، وَسُلْطَانِ لَانْتَهَى مُدَّتِهِ ،
وَمَوَادِّ مِنْ مَسَاسِحِهِ وَمَوَائِدِهِ ، وَرَوَادِفِ مِنْ عَوَائِدِهِ ، مُنْتَظَاهِرَةً لَا يَنْقَطِعُ مِنْهَا أَوَّلٌ
حَتَّى يَلْحَقَ تَالِيَهُ ، وَلَا يَنْصَرِمُ سَائِقُهُ حَتَّى يَنْصَرِفَ آتِيَهُ ، وَيَكُونَ الْمَالُ بَعْدَ امْتِدْقَاءِ
شُرُوطِ الْأَمَلِ ، وَتَقْضَى حُدُودِ الْمَهَلِّ ، إِلَى النِّعَمِ الْمُقِيمِ ، فِي جَوَارِ الْعَزِيزِ الْكَرِيمِ .

ومن تمام إفضال سيدنا على عبده، ونظام معرفه عنده، بدوّه إياه بما يمتحن به خفة نهضته، وسرعة حركته؛ وقعوده لأمره بحدّ حديد، وبعثش عبيد؛ وصمده لما يُخطيه لذلك مولاه، ويجوز له حمده ورضاه؛ بصديق بصيره، وخلص سريره؛ وأستسهل لكلّ خطئه، وتجنّب لكلّ مشقّه؛ دنت المسافة أم شتت، قرّبت الطيبة أم نزحت؛ وسيدنا أهل لأستقام يده أبتداها، وإكّال عارفة أنشأها وكرامة أبتناها؛ باستعمال عبده بأمره ونهيه، وأعتاده لمهماته بحضرتة وفي أطراف ملكته؛ إن شاء الله تعالى.



قلت : وهذه نسخة كتاب أنشأته : ليكتب به إلى أمير المؤمنين المستعين بالله، أبو الفضل العباس خليفة العصر، من نائب الغيبة بالديار المصرية، حين وردت كتبه الشريفة من الشام إلى الديار المصرية بالقبيض على الناصر فرج بن الظاهر برقوق بالشام، وأستبدّاه بالأمر دون سلطان معه، في أوائل سنة خمس عشرة وثمانمائة، مُفتتحاً له «بِقَبْلِ الأَرْض» التي يكتبُ بها الملوك، وإن كان قد تقدم من كلام المقرّ الشهابي بن فضل الله أن المكتبة إلى أبواب الخلافة بالدعاء للديوان، لا يختلف فيه ملك ولا سوقة، وهو :

بِقَبْلِ الأَرْضِ وَبِنَيْ وَرُودِ المِثَالِ الأَشْرَفِ المِثْمُونِ طَائِرِهِ، المَرْقُومِ عَلَى صَفَحَاتِ الأَفلاكِ تَهَانِيهِ المَحْمُولِ عَلَى مَتْنِ السَّحَابِ بَسَائِرِهِ، الشَّاهِدِ بِالقَبْجِ المِثْمِينِ أَوَائِلِهِ وَبِالنَّصْرِ العِزِّيزِ أَوَائِرِهِ؛ مُتَضَمَّنًا مَا مِنْ الله تَعَالَى بِهِ مِنْ جَمِيلِ الصَّنِيعِ الَّذِي وَكَّفَتْ بِالخَيْرِ تَعَالِيهِ، وَخَيَّرَ اللُّطْفِ الَّذِي بَهَرَّتِ العُقُولَ عَجَائِبِهِ؛ بِمَا مَنَحَ اللهُ تَعَالَى بِهِ مَوْلَانَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ مَدَدَ اللهُ تَعَالَى عَلَى الإِسْلَامِ وَارْفَ ظِلَّهُ، وَأَتَامَ الأَنَامَ بِمَدَدِ رِوَاقِ

الإمامة المعظمة في مهَادِ عَدْلِهِ ، وَمَكَّنَ لَهُ فِي الْأَرْضِ كَمَا مَكَّنَ لِآبَائِهِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ قَبْلِهِ : مِنْ جُلُوسِهِ عَلَى سِدَّةِ الْخِلَافَةِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي وُصِّلَ مُنْتَقِطِيعُ حَدِيثِهَا بِإِسْنَادِهِ ، وَحَازَمَتِهَا بِأَشْرَفِ مَقْعِدِ تَرَاثِ آبَائِهِ الْكِرَامِ وَأَجْدَادِهِ ، وَأَبْتِهِمْ تَعَرُّ الْخِلَافَةِ بَعْبَاسِهِ ، وَتَأَسَّسَ مِنْهَا جَانِبَ الدِّينِ بَعْدَ الْإِسْتِيْحَاشِ بِإِسْنَانِهِ ، فَقَبَّلَ الْمَمْلُوكُ لَهُ الْأَرْضَ خَاضِعًا ، وَبَيَّ وَأَمِيرًا هِ الشَّرِيفَةَ خَازِعًا ، وَأَجَابَ دَاعِيَهُ بِالْإِمْتِنَالِ سَامِعًا طَائِعًا ، وَبِحَسَدِ حُجُودِ الشُّكْرِ لِذَلِكَ فَعَرِيفَ بِسِيَاهِهِ ، وَأَنْتَسَبَ إِلَى الْوَلَاءِ الشَّرِيفِ الْإِمَامِيِّ أَنْتَسَابًا شَامِلًا لِأَسْمِهِ وَمَعْنَاهُ ، وَأَعْلَمَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالْأَجْنَادِ بِذَلِكَ فَقَابَلُوهُ بِالْإِسْتِيْحَاشِ طَرَأً ، وَتَقَوُّهَا تَلَقِّيًا يَلِيقُ بِمَثَلِهَا وَإِنْ كَانَ لَا مِثْلَ لِهَذِهِ الْبَشْرِيِّ ، وَقُرِئَتْ الْمُطْلَقَاتُ الشَّرِيفَةُ عَلَى الْمَنَابِرِ فَسَكَنَتِ الدِّهْمَاءُ وَقُرَّتْ ، وَسَرَّتْ أَلْفَاظُهَا إِلَى الْإِسْمَاعِ الشَّرِيفَةِ فَسُرَّتْ ، وَكُرِّرَتْ أَلْفَاظُهَا الْعَدْبِيَّةُ مِرَارًا فَخَلَّتْ لَدَيْ النَّفُوسِ إِذْ مَرَّتْ ، وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ بِالدَّعَاءِ بِدَوَامِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ النَّبَوِيَّةِ دَوَامًا لَا يَسْتَشْعِرُ مُسْتَشْعِرُ خِلَافَتِهِ ، لِحَقِيقَتِ ظُهُورِ مُعْجِزَةِ الْكِرَامِ مُرْسَلٍ بَعْدَ التَّمَانُّعَانَةِ بِقَوْلِهِ لَعَمْرُ الْعباسِ : « أَلَا أُبَشِّرُكُمْ بِأَعْمَ : بِ خَيْمَتِ النَّبُوَّةِ وَبِوَلَدِكُمْ مُحَمَّدٍ الْخِلَافَةَ » .



وهذه نسخة جواب عن نائب طرابلس عن ميثال شريف ورد بوفاة السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون » واستقرار ولده السلطان الملك المنصور « أبي بكر » مكانه في الملك بعهد من أبيه . من إنشاء القاضي تاج الدين بن الباربناري ، بعد التعزية بأبيه السلطان الملك الناصر ، وهي :

وَيُنَبِّئُ وَرُودَ الْمَرْسُومِ الشَّرِيفِ شَرَّفَهُ اللهُ تَعَالَى وَعَظَّمَهُ ، يَتَضَمَّنُ أَمْرَ الْمُصَابِ الَّذِي كَادَتْ لَوْ قُوعَهُ الْأَرْضُ تَتَزَلُّ بِأَهْلِهَا ، وَالْعُقُولُ تَتَزَلُّ عَنْ مَحَلِّهَا ، وَبَلَّغَتْ الْقُلُوبُ

الحنَّار، وأستوحِشَتِ القُصُورُ وأستأنستِ المقابرُ، وَصَدَعَتْ لَهُ صُورُ السُيُوفِ
وَرُغُوسُ المَنَارِ؛ وَقَصَمَ الظُّهُورُ، وَشَيَّبَ السُّودَ مِنَ الشُّعُورِ؛ وَجَرَعَ كُفُوسَهُ،
وَصَدَعَ الحُوزَةَ المَحْرُوسَةَ؛ وَذَلِكَ بِمَا قَدَّرَ اللهُ تَعَالَى مِنْ أَسْتِقَالِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ السَّعِيدِ،
الشَّهِيدِ؛ وَالدُّمُولَانَا السُّلْطَانِ - حَلَّدَ اللهُ مُلْكَهُ - إِلَى رَحْمَتِهِ وَرِضْوَانِهِ: فَأَجْرَى المَمْلُوكُ
عَوَضَ الدُّمُوجِ دَمًا، وَأَقَامَ الإِسْلَامَ وَالمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ مَأْمَنًا، وَتَغَيَّرَ البَدْرُ المُنِيرُ لِقَدِيدِهِ
فَامْسَى مُظْلِمًا؛ وَنَدَبَهُ الإِسْلَامَ فِي سَائِرِ تَحَارِيرِهِ وَمُصَلَّاهُ، وَأَسَفَ عَلَيْهِ البَيْتُ الحَرَامُ
وَرُكَّاهُ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

لَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَدِينَةَ، أَشْرَقَ مِنْهَا ذَلِكَ اليَوْمُ كُلُّ شَيْءٍ، وَاليَوْمَ
قُبِضَ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أُثِمَّتِ النَّاسِ يَوْمَ
وَقَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ الخَلِيفَةُ مِنْ بَعْدِهِ؛ وَمَوْلَانَا السُّلْطَانُ الشَّهِيدُ - قَدَسَ
اللهُ رُوحَهُ - كَانَ مُشَرَّفًا بِاسْمِ نَبِيِّهِ، وَمُتَبَرِّكًا فِي دَرَجَةِ الشَّرِيفَةِ بِذِكْرِ سَمِيهِ؛
وَلَوْ ذَابَتِ المُهْجُ اسْفًا عَلَيْهِ لَمَّا أَنْصَقَتْ، وَقَدْ أَسَفَتْ عَلَيْهِ الأُمَّمُ بِأَمْرِهَا وَحَقَّ لَهَا
أَنْ أَسَفَتْ؛ نَبَتَتْ لِحُومًا مِنْ صَدَقَاتِهِ، وَعَمَّزَتْ المَمْلُوكُ وَالمَسَالِكُ جِزَلَاتُ هِبَاتِهِ؛
وَمَا نُقِلَ مِنْ قَصْرِهِ إِلَّا إِلَى جَنَاتِ البُعِيمِ، وَمَا فَارَقَ مُلْكَهُ إِلَّا وَبَاتَ فِي جِوَارِ
اللهِ الكَرِيمِ؛ وَكَانَ سُلْطَانًا وَهُوَ اليَوْمَ عِنْدَ اللهِ سُلْطَانًا، فَسَقَى اللهُ عَهْدَهُ صَوْبَ
الرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ.

وَبِحَمْدِ اللهِ قَدْ جُبِرَتِ القُلُوبُ المُتَّصِدِعَةُ بِمَجْلُوسِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ - حَلَّدَ اللهُ مُلْكَهُ -
عَلَى تَحْتِ السُّلْطَنَةِ المَعْظَمَةِ وَاللهِ مَعَهُ، وَمَا جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ المَلِكِ إِلَّا أَهْلُهُ، وَلَا قَامَ
بِأَمْرِ المُسْلِمِينَ إِلَّا مَنْ عِلِمَ فَضْلُهُ؛ وَمَوْلَانَا السُّلْطَانُ وَارِثُ المَلِكِ النَّاصِرِيِّ المَنْصُورِ

حَقًّا ، وَالْقَائِمُ بِشَانِ السُّلْطَنَةِ غَرَبًا وَشَرْقًا ، وَخُلَاصَةُ هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ زَادَهُ اللهُ تَصَرًّا ، وَأَدَامَ مُلْكَهُ دَوَامًا مُسْتَمِرًّا ، وَالْعُيُونُ الْبَاكِيةُ قَدِ قَوَّيْتِ الْآنَ بِهَذِهِ الْبُشْرَى ، وَالْقُلُوبُ النَّاكِلَةُ قَدِ مَلِئَتْ بِهَبَّةٍ : (إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) وَأَسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ بَعْدَ قَلْقَعِهِ ، وَنَامَ عَلَى جَفْنِهِ بَعْدَ أَرْقِهِ ، وَأَسْتَقْبَلَتِ الْأُمَّةُ عَامًا جَدِيدًا ، وَسُلْطَانًا مَنصُورًا سَعِيدًا ، وَأَسْتَبَشَرَتِ الْقِبْلَتَانِ ، وَتَنَاجَى بِالْمَسْرَةِ الثَّقَلَانِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَمْسَوْا حَآئِبِينَ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا أَحْمَقُوا فَرِحِينَ (هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ يَنْصُرُهُ وَالْمُؤْمِنِينَ) وَمَوْلَانَا السُّلْطَانُ هُوَ الْعَرِيقُ فِي سُلْطَنَةِ الْإِسْلَامِ ، وَالْإِمَامُ الْأَعْظَمُ آيْنُ الْإِمَامِ ، تَخَلَّدَ اللهُ مُلْكَهُ مَا دَامَتِ الْأَيَّامُ ، وَأَحْسَنَ عَزَاءَهُ فِي خَيْرِ سُلْطَانَ الْأَنَامِ ، وَأَبْتَهَلَتِ الْأُنْسَةَ بِالْتَّرَحُّمِ عَلَى مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الشَّهِيدِ - قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ - بِدُمُوعِ سَائِلِهِ ، وَقُلُوبِ مَوْجُوعَةِ بِحَرَاحَاتِ النَّيَّاحَاتِ ثُمَّ عُوْضُوا بِالْمَسْرَاتِ الْكَامِلَةِ ، وَالِدِنَاءِ مَرْفُوعِ لِمَوْلَانَا السُّلْطَانِ - خَلَّدَ اللهُ مُلْكَهُ - بَرًّا وَبِحِرَاءِ ، وَالْبِلَادِ مُطْمَئِنَّةً وَالْعَسَاكِرَ عَلَى مَا يَجِبُ مِنَ التَّحْسِينِ بِالطَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَالتَّشْرِيفِ بِإِقْبَالِ دَوْلَةِ سُلْطَانِهِمْ ، وَوَارِثِ سُلْطَانِهِمْ ؛ وَكَانَ الْمَلُوكُ يُوَدُّ لَوْ شَهِدَ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ - خَلَّدَ اللهُ مُلْكَهُ - عَلَى ذَلِكَ السَّرِيرِ وَالْمِنْبَرِ ، وَقَبْلَ الْأَرْضِ بَيْنَ يَدَيْ الْمَوَاقِفِ الْمُعْظَمَةِ وَالْمَقَامِ الْأَشْكَرِ ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة جَوَّاهٍ عَنِ وُرُودِ الْمَثَالِ الشَّرِيفِ بِرُكُوبِ السُّلْطَانِ بِالْيَدَانِ ، وَالْإِذْنَ لِنَتُوبِ فِي لَيْعِبِ الْكُرَّةِ ، وَهِيَ :

وَبُيُوهِي وُرُودَ الْمَثَالِ الشَّرِيفِ شَرَّفَهُ اللهُ تَعَالَى وَعَظَّمَهُ ، يَتَضَمَّنُ الصَّدَقَةَ الَّتِي أَجْرَتْ أَوْلِيَاءَهَا عَلَى أَجْمَلِ عَادَةٍ مِنَ الْأَحْتِفَالِ ، وَالْمَرَاحِمِ الشَّامِلَةِ الَّتِي وَسَّعَتْ لَهَا كَرَمَهَا سَافِرَةً عَنِ أَوْجِهَةِ الْإِقْبَالِ ، وَالْبُشْرَى الَّتِي جَمَعَتْ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَسْرَاتِ مَا بَلَغَتْهُ

الآمال ، وهو أن الركب الشريف استقل إلى الميدان السعيد نهار السبت في كذا من شهر كذا : في أسعد طالع ، وأمين وقت مطاوع ، وفي الخدمة الشريفة من الأمراء - كثرتهم الله تعالى - من جرت العادة بهم من كل كمي مفتح ، قد لبس من الطاعة برداً وبالإخلاص تدرج ، وأمتطى من فائض الصدقات الشريفة صهوة سائقي قد شمر للسبي ذريلاً ، وفر كبريق لعم ليلاً .

وأن مولانا السلطان - خلد الله ملكه - طلع عليهم طلوع البدر عند السكال ، وحواله الممالك الشريفة كالأنجم الزاهرة التي لا تعد ولا تحسب بمثال ، والحياد لا يرى لها أثر من الرخص ، والكرة تشرف بالصوبجان كما تشرف بالتقيل الأرض ، وعباد الركاب الشريف - زاده الله شرفاً وعظمه - إلى القلعة المنصورة ، إلى محل المملكة الشريفة ، وفي دست السلطنة المعظمة ، محضوا من الله تعالى بلطفه (له معقبات من بين يديه ومن خلفه) .

وما اقتضته الآراء الشريفة ، والمراحم المظيفة ، وآثرت به إعلام المملوك بذلك ، والمرسوم الشريف - شرفه الله تعالى وعظمه - أن يتقدم المملوك بالزول إلى ميدان قلعة المحروسة ، ومعه ممالك مولانا السلطان - خلد الله تعالى ملكه - والأمراء ، فقابل المملوك هذه الصدقات ، بتقيل الأرض ورفع الدعوات ، وجمعوا بين الكرة والصوبجان ، وحصل لهم من الممرات ما لا يحصره بيان ، وأبتسطت نفوسهم إذ أصبحوا في أمان وأمان ، وآتاهوا إلى الله تعالى بدوام هذه الأيام التي توقعهم بأنواع الإحسان ، وصحوا بالأدعية لمولانا السلطان - خلد الله ملكه - التي عممت مواهبه وفاق بمكاريه المباحين ، وأرقي على سلفه الشريف بالعطاء والتمكين ، جعل الله أعداءه تحت قهره إلى يوم الدين ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة جواب يوقاء النيل المبارك، كتب به عن نائب طنابلس، وهي :

وَيْهَى وَرُودَ الْمَشَالِ الشَّرِيفِ - شَرَّفَهُ اللهُ تَعَالَى وَعَظَّمَهُ - الَّذِي أَشْرَقَتْ أَنْوَارُ
تَهَانِيهِ، وَتَأَلَّقَتْ رُؤُوقُ أَلْفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ؛ فَبَشَّرَتْ بِقَبِيضِ فَضْلِ الرَّحْمَةِ، وَعَمُومِ الرِّعَايَا
بِتَوَاتُرِ عَمِيمِ النِّعَمَةِ، وَوَقَاءِ النَّيْلِ الْمُبَارَكِ الَّذِي مَا بَرِحَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الزَّاهِرَةِ يَنْجِي
بِعَمْدِهِ، وَيَسْلُ سَيْفَ الْخَضِيبِ مِنْ غَمِّهِ، وَيَقْتُلُ الْمُخَلَّ بِجُمْرَةِ مَتْنِهِ وَجَوْهَرِ حَدِّهِ؛
مُهَيِّئًا لِلْأَوْلِيَاءِ هَذِهِ الدَّوْلَةَ الَّتِي أَصْبَحَتْ قُلُوبُهُمْ مُطْمَئِنَّةً بِالْأَمْنِ وَالرِّخَاءِ، مَسْرُورَةً
بِمَا مِنْ اللهُ بِهِ مِنْ تَرَادُفِ الْآلَاءِ، وَعُمُومِ النِّعَمَاءِ؛ وَحَالَ مَا وَرَدَ الْمَرْسُومِ الشَّرِيفِ
- شَرَّفَهُ اللهُ تَعَالَى وَعَظَّمَهُ - بِأَدْرَ الْمَمْلُوكِ إِلَى أَمْتَالِ الْمَرْسُومِ الشَّرِيفِ بِتَقْبِيلِ الْأَرْضِ
وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَأَخَذَ كُلَّ حَظْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْبُشْرَى، الَّتِي عَمَّتْ تَهَانِيهَا بَرًّا وَبِحَمْرًا؛
وَجَعَلَتْ أُمُورَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يُنْبِئُ بِرَكَّةِ هَذِهِ الْأَيَّامِ الشَّرِيفَةِ بَعْدَ عُسْرِ يُسْرًا؛ وَقَدْ عَادَ
فَلَانُ الْبَرِيدِيِّ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ بِالْجَوَابِ الشَّرِيفِ، طَالِعَ بِذَلِكَ
إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .



آخر في المعنى :

وَيْهَى وَرُودَ الْمَثَالِ الشَّرِيفِ زَادَهُ اللهُ عُلُوقًا وَشَرَفًا، وَبَيَّضَ لَهُ فِي الْقِيَامَةِ صُحُفًا؛
يَتَضَمَّنُ أَنْوَاعَ الْإِنْعَامِ الْخَازِنِ، وَابْتِدَاءَ آثَارِ السُّرُورِ بِمَا يَسْرَرُهُ مِنَ وَقَاءِ النَّيْلِ؛
فَأَشْرَقَتْ أَنْوَارُ تَهَانِيهِ، وَتَأَلَّقَتْ رُؤُوقُ أَلْفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ؛ فَبَشَّرَتْ بِقَبِيضِ فَضْلِ الرَّحْمَةِ،
وَعَمُومِ الرِّعَايَا بِتَوَاتُرِ عَمُومِ النِّعَمَةِ؛ إِذْ جَاءَ مُجِيَّاهُ فِي هَذَا الْعَامِ طَلْقًا، وَسَلَّكَ فِي عَوَائِدِ
الرِّوَالِ الْإِحْسَانَ طُرُقًا؛ وَأَدَانَ بِلُوحِ الْمَرَامِ وَالْمُرَادِ، وَكَسَّرَ سَدَّ خَلِيجِهِ جَبْرًا لِلْعِبَادِ

والبلاد، حيث ملأ الأرض ريباً، وأهدى من نفعات الأمان والمن ريباً، والمرسوم الشريف - شرفه الله وعظمه - بأن لا يُجْبَى على ذلك حق يساره، ولا يتعرض إلى أحد بحساره، فقابل المملوك المشال الشريف والمرسوم الشريف بتقريب الأرض والسَّمْع والطاعة، وبأدب المملوك إلى إذاعة هذه البشيرة، التي عمّت تهايتها برأً وبحراً، وجعلت أمور هذه الأمة بين بركة هذه الأيام الشريفة بعد عشرئسرا، وأستنطق الألسنة بالدعاء لهذه الدولة الفاهرة، وجلاً وتلاً صوراً الهناء وسور الآلاء بهذه النعمة الوافية والمنية الوافرة، وسأل الله تعالى أن يحلّد مُلك مولانا السلطان، ويوالي أنبأه البشائر في أيامه الشريفة مروية بالامانيد الحسان، وقد عاد فلان البريدي بالأبواب الشريفة - شرفها الله تعالى وعظمها - بهذا الجواب الشريف، وقد عاب آتتهال أهل هذه المملكة الفلانية بالدعاء بدوام هذه الأيام الزاهرة السارة بهذه البشائر بخلوها من الكلف والحساره، طالع بذلك، إن شاء الله تعالى.



وهذه نسخة جواب عن مشال شريف بوصول قرس إنعام، كُتِبَ به عن نائب طرابلس، وهي:

يَقْبَلُ الأَرْضَ وَيُنْهَى وَرُودَ المرسوم الشريف أعلاه الله تعالى وشرفه، يتضمن ما اقتضت الآراء الشريفة من الخير التام، والإنعام العام، والصدقة الوافية الوافرة الأقسام، التي ما برحت ممالك هذه الدولة الشريفة في إنعامها العميم تتقلب، والخيل السوابق بسعادتها الأيديّة تجلب وتجنب وتركب: من تجهيز الحصان البرقي بسرجه ولجامه وعدته الكاملة، وشمول المملوك بالصدقات التي ما برحت مُرادفة متواصله، ولعبد هذا البيت الشريف شامله، وقبل المملوك الأرض وقبيل حوافره، وأخذ

بهذه النعمة الباطنة والظاهرة؛ وأعدّه ليومئ تجلّ وجهه، وإلقاء عدوّ وطراد؛ والله تعالى يحلّد هذه الصدقات الشريفة التي ما برحت تشمل المقرب والبعيد، والموالي من أولياء هذه الدولة الشريفة والبعيد؛ طالع بذلك؛ إن شاء الله تعالى.



وهذه نسخة جواب عن وصول خيل من الإنعام السلطاني، من إنشاء الشيخ
شهاب الدين محمود الحلبي.

وَيْبِي وَصَوْلَ مَا أَنْتُمْ بِهِ مِنَ الْخَيْلِ الَّتِي وَجَدَ الْخَيْرُ فِي نَوَاصِيهَا، وَتَخَدُّصَهَا ^(١)
حُصُونًا يُعْتَصَمُ فِي الْوَعْنَى بِصِيَاصِيهَا.

فَمِنْ أَشْهَبَ غَطَاءُ النَّهَارِ بِجُلْتِهِ، وَأَوْطَاهُ اللَّيْلُ عَلَى أَهْلَتِهِ؛ يَمْشُجُ أَدِيمَهُ رِيًّا، وَيَتَارِجُ
رِيًّا، وَيَقُولُ مَنْ أَسْتَقْبَلَهُ فِي حُلِيِّ جِلْمِيهِ: هَذَا الْفَجْرُ قَدْ طَلَعَ بِالْثَرِيَّا؛ إِنْ أَنْفَلَتْ ^(٢)
فِي الْمَضَابِقِ أَنْسَابَ أَنْسِيَابِ الْأَيِّمِ، وَإِنْ أَنْفَرَجَتْ الْمَسَالِكُ مَرَّ مُرُورِ الْغَيْمِ؛ كَمْ أَبْصَرَ
فَارِسُهُ يَوْمًا أَبْصَرَ بَطْلَعَتِهِ، وَكَمْ عَايَنَ [طَرْفُ] ^(٣) السَّنَانِ مَقَاتِلَ الْعَدُوِّ فِي ظِلَامِ النَّعْمِ
بُنُورِ أَسْبَعِيهِ؛ لَا يَسْتَنُّ دَاحِسٌ فِي مِضَارِهِ، وَلَا تَطْمَعُ الْغَبْرَاءُ فِي شَقِّ عِبَارِهِ، وَلَا يَنْظُرُ
لَا حِقٌّ مِنْ لِحَاقِهِ بِيَوْمِ أَنْارِهِ؛ كُسَابِقُ يَدَاهُ مَرَامِي طَرْفِهِ، وَيُدْرِكُ سُورِدَ الْبُرُوقِ ثَانِيًا ^(٤)
مِنْ [عِظْفِهِ].

وَمَنْ أَدَهَمَ حَالِكِ الْأَدِيمِ، حَالِي الشُّكِيمِ، لَهُ مُقَلَّةٌ غَائِبَةٌ وَسَالِفَةٌ رِيمٍ؛ قَدْ أَلْهَسَهُ
الْلَيْلُ بُرْدَهُ، وَأَطْلَعَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ سَعْدَهُ؛ يَنْظُرُ مِنْ نَظَرِ إِلَى سَوَادِ طَرْفِهِ، وَيَبَاضُ مَجْجُولَهُ

(١) في "حسن التوسل" (ص ٩٩) «وأذخرت».

(٢) في "حسن التوسل" (ص ٩٩) إن «أنفقت المضابق» وهي أروض.

(٣) يياض بالأصل والتصحیح من "حسن التوسل" (ص ٩٩).

كَالْوَعْلِ ؛ مَتَى مَا تَرَّقَّ الْعَيْنُ فِيهِ تَسَهَّلَ ، وَمَتَى أَرَادَ الْبُرْقُ مُجَارَاتَهُ قَالَ لَهُ الْوُقُوفُ
عِنْدَ قَدْرِهِ : مَا أَنْتَ هُنَاكَ فَتَمَهَّلْ .

وَمِنْ حَبِشِي أَصْفَرُ رِيوقُ الْعَيْنِ ، وَيُسَوِّقُ الْقَلْبَ بِمِشَابَهَةِ الْعَيْنِ ؛ كَأَنَّ الشَّمْسَ
أَلْقَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَسْفَعِهَا جِلَالًا ، وَكَأَنَّهُ نَفَرَ مِنَ الدُّجَى فَأَعْتَقَ مِنْهُ عُرْفًا وَأَعْتَقَ أَحْجَالَ ؛
ذِي كَفَيْلٍ يَزِينُ سَرَجَهُ ، وَذَيْلٍ يُسَدُّ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ مِنْهُ فَوَجَهُ ؛ قَدْ أَطْلَعَتْهُ الرَّيَاضَةُ
عَلَى مُرَادِ فَايِرِسِهِ ، وَأَغْنَاهُ نَضَارَ لَوْنِهِ وَنَضَارَتَهُ عَنْ تَرْصِيعِ قَلَانِدِهِ وَتَوْشِيعِ مَلَابِسِهِ ؛
لَهُ مِنَ الْبُرْقِ خِفَّةٌ وَطَيْبَةٌ وَخَطْفَةٌ ، وَمِنَ النَّسِيمِ لِينٌ مُرْوَرٌ وَلُطْفَةٌ ، وَمِنَ الرَّيْحِ مَهْرٌ يَزُهَا
إِذَا مَا جَرَى شَاوِيْرِيْنَ وَأَبْسَلَّ عِطْفُهُ ؛ يَطِيرُ بِالْتَمَزِ ، وَيُدْرِكُ بِالرَّيَاضَةِ مَوَاقِعَ الرَّمْلِ ،
وَيَعْدُو كَأَلْفِ الْوَصِيلِ فِي اسْتِغْنَاءِ مِثْلِهَا عَنِ الْمَهْمَزِ .

وَمِنْ أَحْضَرَ حَكَاةً مِنَ الرُّوْضِ تَفْوِيْقُهُ ، وَمِنَ الْوَشْيِ تَقْسِيمُهُ وَتَأْيِيْنُهُ ؛ قَدْ كَسَاهُ
النَّهَارُ وَاللَّيْلُ حُلَّتِيْ وَقَارِ وَسَنًا ، وَأَجْتَمَعَ فِيهِ مِنَ السُّوَادِ وَالْبَيَاضِ ضِدَانٍ لَمَّا اسْتَجَمَعَا
حَسَنًا ، وَمِنَعَهُ الْبَازِي حُلَّةٌ وَشِيْهِ ، وَنَحَلَتْهُ الرِّيَاحُ وَقَعَابَاتُهَا قُوَّةَ رَكْبِهِ وَخِفَّةَ مَشِيْهِ ؛
يُعْطِيكَ أَفَانِيْنَ الْجُرِيْ قَبْلَ سُؤَالِهِ ، وَلَمَّا لَمْ يُسَاقِمْهُ شَيْءٌ مِنْ انْحِلَالِ أَغْرَادِ حُبِّ الظَّفَرِ
بِمَسَاقِمَةِ حَيَالِهِ ؛ كَأَنَّهُ [تَقَارِيْقُ] ^(٢) شَيْبٍ فِي سَوَادِ عِدَارٍ ، أَوْ طَلَّاعِ بَحْرٍ خَالِطِ بَيَاضِهِ
الدُّجَى ، فَمَا تَعَبَى ، وَمَازَجَ ظَلَامَةَ النَّهَارِ ، فَمَا أُنَارَ ؛ يَخْتَالُ لِمِشَارَكَةِ اسْمِ الْجُرِيْ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ الْمَاءِ فِي السَّيْرِ كَالنَّيْلِ ، وَيُدْنُو بِسَبْقِهِ عَلَى الْمَعْنَى الْمَشْتَرِكِ بَيْنَ الْبُرُوقِ وَاللَّوَامِيْعِ

(١) فِي الْأَسْلِ « الْعَيْنِ » وَالتَّصْحِيْحُ عَنْ « حَسَنِ التَّوْسِلِ » .

(٢) فِي الْأَسْلِ « طَرِيقُهُ » وَالتَّصْحِيْحُ عَنْ « » « » .

(٣) الزِّيَادَةُ عَنْ « حَسَنِ التَّوْسِلِ » .

وبين البرقية من الخليل ؛ ويكذب [الماتويه^(١)] لتولده اليمن فيه بين إضاءة النهار وظلمة الليل .

ومن أبلق ظهره حرم ، وجره صرم ؛ إن قصد غاية فوجود القضاء بينه وبينها عدم ، وإن صرف في حرب فعمله ما يشاء البنان والعنان وفعله ما تريد الكف والقدم ؛ قد طابق الحسن البديع بين صدى لونه ، ودلت على اجتماع التقيضين علة كونه ؛ وأشبه زمن الربيع باعتدال الليل فيه والنهار ، وأخذ وصف حلقى الدجى في حلقى الإبدار والسرار ؛ لا يتكل ما كبه ، ولا يضل في سحرات الجيوش رآ كبه ، ولا يحتاج ليله المشرق بجواره نهاره بل أن تسترسل فيه كوا كبه ؛ ولا يخاربه الخيال فضلا عن الخليل ، ولا يمل السرى إلا إذا مله مشبهاه : النهار والليل ؛ ولا تمسك البروق اللوامع من لحافه بسوى الأثر فإن جهدت فبالذيل ؛ فهو الأبلق الفرد ، والحواد الذى يخاربه العكس وله الطرد ؛ قد أعتته شهرة نوعه في جنسه عن الأوصاف ، وعدل بالرياح عن مياراته لسلو كها له في الاعتراف جادة الإنصاف .

فترقى المملوك إلى رتب العز من طهورها ، وأعدتها خطبة الجنان إذ الجهاد عليها من أنفيس مهورها ؛ وكلف برؤيها فكلم أكله عاد ، وكلما أمله شرة إليه فلو أنه زيد الخليل^(٢) لما زاد ؛ ورأى من آدابها ما دل على أنها من أكرم الأصائل ، وعلم أنها ليومى سنيه وحره جنة الصائيد وجنة الصائل^(٣) ؛ وقابل إحسان^(٤) مهديها بثاناه ودعائه ؛

(١) بياض بالاصل ، والتصحيح عن "حسن التوسل" (ص ١٠٠) .

(٢) كذا في "حسن التوسل" في الأصل «زيد البحر والخليل» .

(٣) كذا في "حسن التوسل" وفي الأصل «جنة الصائل وجنة الصائل» .

(٤) في الأصل «الصدقات الشريفة» والتصحيح عن "حسن التوسل" (ص ١٠٠) .

وَأَعَدَّهَا فِي الْجِهَادِ لِمُقَارَعَةِ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَأَعْدَائِهِ [وَاللَّهُ تَعَالَى يَشْكُرُهُ الَّذِي أْفْرَدَهُ فِي النَّدَى بِمَدَاهِيهِ، وَجَعَلَ الصَّافِنَاتِ الْحَيَادَ مِنْ بَعْضِ مَوَاقِبِهِ^(١)].

المهيـع الثاني

(من مقاصد المكتوبات السلطانية ما يُكْتَبُ بِهِ عَنْ نَوَابِ السُّلْطَانَ وَالْأَتْبَاعِ إِلَى السُّلْطَانَ أَبْسَدَاءِ)

وهو على أنواع كثيرة، نذكر منها ما يَسْتَضِيءُ بِهِ الْكَاتِبُ فِي مِثْلِهِ .

فمن ذلك ما يُكْتَبُ عَنْ نَائِبِ كُلِّ مَمْلُوكَةٍ إِذَا وَصَلَ إِلَى مَحَلِّ وِلَايَتِهِ .

قد جرت العادة أن النائب إذا وصل إلى مملكته ومقر وِلَايَتِهِ، كَتَبَ إِلَى السُّلْطَانَ

يُخَبِّرُهُ بِذَلِكَ وَيَسْأَلُهُ بِهَا الْمَمْلُوكَةَ عَلَيْهِ .

وهذه نسخة مكتوبة من ذلك، كُتِبَ بِهَا عَنْ نَائِبِ حَلَبَ فِي مَعْنَى ذَلِكَ، وَهِيَ :

يُقْبَلُ الْأَرْضَ وَيُنَبِّئُ أَنَّ الْمَمْلُوكَ وَصَلَ إِلَى الْمَمْلُوكَةِ الْفُلَانِيَةِ الْمَحْرُوسَةِ، وَحَلَّ بِمَحَلِّهَا
الْمَأْنُوسَةَ؛ الَّتِي شَمِلَتْهُ الصَّدَقَاتُ الشَّرِيفَةُ بِكَفَالَتِهَا، وَأَهْلَتْهُ الْمَرَاحِمُ الْمُنِيفَةُ لِإِلَاتِهَا؛
رَاقِلًا فِي حُلِّ الْإِنْعَامِ الشَّرِيفِ، مُتَقِينًا ظِلَّ الْعِزِّ الْوَرِيفِ؛ وَحَبَّةَ فُلَانٍ مُسْفِرِهِ،
وَدَخَلَهَا يَوْمَ كَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا لِأَيَّامِ تَشْرِيفِهِ الشَّرِيفِ الْمُنْعَمِ بِهِ عَلَيْهِ، مَا شِئْنَا لِمَحَلِّ
الْكَرَامَةِ الَّذِي سَارَ إِلَيْهِ؛ [بِحَضُورٍ مِنْ جَرَتْ الْعَادَةُ بِحُضُورِهِ^(٢)] مِنْ قُضَاةِ الْقُضَاةِ
وَالْأَمْرَاءِ وَالْحُجَّابِ، وَالْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ وَالْأَصْحَابِ؛ عَلَى أَجْمَلِ الْعَوَائِدِ، وَأَكْمَلِ

(١) الزيادة عن "حسن الترمذ" (ص ١٠٠) .

(٢) الزيادة مأخوذة من نسخة الكتاب التالية وهي من مقطع النسخ .

القواعد؛ وقيل الأرض بياب القاعة المنصورة، ودخل دار العدل الشريف وقطوف
الأماني له مهضوره؛ وقري بها بحضرة أولياء الدولة تقليده، وعظم المراسم الشريفة
تأييده، وتصدى لما نصبت له المراسم الشريفة من إنصاف المظلوم، وتنفيذ كل مهم
شريف ومرسوم؛ وتصفح أحوال الملكة، وسلك كل أحد مسلكه، واستجلبت
الأدعية لمولانا السلطان، واجتهد في حياة البلاد من يمد إليه شيطان المفيد
بأشطان؛ وانتظم له أمر الملكة بالمهابة الشريفة أحسن انتظام، وبلغ به كل ولي
من قهر العدو غاية المرام؛ وقد أعاد الملوك فلاناً مسفراً إلى خدمة الأبواب الشريفة
مراح الأعداء، مبلغ الأوطار؛ على العادة - طالع بذلك - ولا زال منه مزيد الشرف
والعلو، إن شاء الله تعالى.



وهذه نسخة كتاب في المعنى إلى الأبواب السلطانية عن نائب طرابلس، وهي :

يُقْبَلُ الأَرْضَ وَيُنْبِي أَنَّهُ وَصَلَ إِلَى طَرَابُلُسِ المَحْرُوسَةِ مَعْمُورًا بِالصَّغْدَقَاتِ
الشريفة، والإعامات المطيفة؛ صحبة ملوك مولانا السلطان فلان خلد الله تعالى
ملكه، وأليس شريفة الشريف، وقري تقليده الشريف بدار العدل، وقيل الأرض
مرازا على العادة. وتقدم الملوك بالحاف الشريف على النسخة المجهزة صحبة المشار
إليه من الأبواب الشريفة عظمها الله تعالى؛ بحضور من جرت العادة بحضوره :
من قضاة القضاة والأمراء، وكتب خطه عليها؛ وانتصب الملوك لخلاص الحقوقي،
وإزالة المظالم؛ ونشروا العدل الشريف، لينصف المشرووف من الشريف،
ويتزجر القوي عن الضعيف؛ وأتباع الحق في القضايا؛ واستجلاب الأدعية بدوام
هذه الدولة العادلة من الرعايا؛ ورتب أمور الآزك المنصورة على أكمل عادة وأجمل

قاعدة؛ وقد عاد فلان إلى الأبواب الشريفة، شرفها الله تعالى وعظّمها، ليُهيى بين يدي الأباذي المُعظّمة ماعايتته من المملوك من إخلاصه في الطاعة الشريفة ومُعالاته . طالع بذلك . إن شاء الله تعالى .

ومن ذلك ما يكتب به في التهنئة بالخلافة :

أما التهنئة بالخلافة ، فقد قال في "موادّ البيان" : من الأدب المُستفيض ترفُّهُ الخلفاء عن المناء والعزاء ، إبتاراً لهم وتعظيماً . إلا أننا رأينا ذوي الأخطار من القُدَماء قد شافَهُوهم بالعزاء مُسلّين ، وبالمناء دَاعِينَ ؛ وربما دُفِعَ الكُتُبُ إلى صُحْبَةِ رَئِيسٍ يَقْتَضِي عَمَلَهُ أَنْ يُبَيِّنَ الخليفةَ بِمُتَجَدِّدِ النِّعَمِ لَدَيْهِ ، وَيُعْزِيهِ لِمُتَطَرِّقِ النُّوَابِ إِلَيْهِ ؛ فَاحْتِجِجْ إِلَى أَنْتِ بِرُؤْسِ فِي هُنَاءِ الخلفاءِ وَعِزِّائِهِمْ مَا يُحْتَدَى عَلَيْهِ ، عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى اسْتِعْمَالِ مِثْلِهِ .

وهذه نسخة تهنئة بالخلافة ، أوردتها في "موادّ البيان" وهي :

أولَى النِّعَمِ - خَلَّدَ اللهُ مُلْكَ مولانا أمير المؤمنين - إِنْ تَنَطَّقَ بِهَا السُّنُّ الدَّاكِرِينَ يَضُوعُ عِطْرُهَا ، وَتَتَنَاقَلُهَا أَقْوَاهُ الشَّاكِرِينَ يَفُوحُ نَشْرُهَا - نِعْمَةٌ إِيْلَانَةٌ فِي خِلَاقَتِهِ الَّتِي جَعَلَهَا ذُنْحَرًا لِلْأَنَامِ ، وَعِصْمَةً لِلْإِسْلَامِ ، وَحَاجِزًا بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ؛ وَقِيَامًا لِلتَّوَلَدِ وَالِاتِّسَاقِ ، وَزِمَامًا عَنِ الْاِخْتِلَافِ وَالِافْتِرَاقِ ؛ وَنِظَامًا لِصَلَاحِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَةِ ، وَسَبِيلًا إِلَى اجْتِنَاحِ الْكَلِمَةِ وَسُكُونِ الْأَمَةِ ؛ وَسَبَبًا لِحَقْنِ الدِّمَاءِ ، وَدَعَةِ الدِّهْمَاءِ ، وَجَاهِدَةِ الْأَعْدَاءِ ؛ وَإِقَامَةِ الصَّلَوَاتِ ، وَإِيْتَاءِ الزُّكُوتِ ؛ وَالْعَمَلِ بِالفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ ، وَحَرَمِ الْبِدْعِ وَالْفِتَنِ ؛ وَعَدَقِهَا بِالْأَخْيَارِ وَرَثَةِ نَبِيِّهِ وَعِزَّتِهِ ، وَالْأَبْرَارِ الطَّهْرَةِ مِنْ أَرْوَمَةِ رِسُولِهِ وَشَجَرَتِهِ ؛ الَّذِينَ نَصَبَهُمْ دُعَاةً إِلَى طَاعَتِهِ ، وَهُدَاةً لِبَرِيَّتِهِ ، وَأَعْلَامًا لِشَرِيعَتِهِ ؛ بِأَسْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَأْتَمُرُونَ ، وَيَتَهَوَّنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَهَيَّبُونَ ، وَيَقْضُونَ

بالحقِّ وبه يعدُّلون ، وكُلَّمَا لَحِقَ مِنْهُمْ سَلَفٌ بِمَقَرِّ أَوْلِيَّتِهِ ، أَقَامَ خَلْفًا يَخْتَصُّهُ بِانْتِخَابِهِ وَتَكْرِمَتِهِ .

والحمد لله الذي قَصَرَ خِلَافَتَهُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَبَانِهِ ، وَجَمَلَ مِنْهُمْ الْمَاضِيَ الَّذِي كَانَتْ مُفَوَّضَةً إِلَيْهِ ، وَالْآتِيَ الَّذِي أُفْرِتُ عَلَيْهِ ، وَأَنْجَزَ لَهُمْ مَا وَعَدَهُمْ مِنْ إِبْقَاءِ الْإِمَامَةِ ، فِي عَقِيْبِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَسْتَخْلَصَ لَهَا فِي عَصْرِنَا هَذَا وَلَيْسَ الْحَاقِمِي لِحَقِيقَتِهَا ، الْمُرَامِي عَنْ حَوَزَتِهَا ، الْمُعْزِلَ لِكَلِمَتِهَا ، الرَّافِعَ لِرَايَتِهَا ، الْمُحَدِّدَ لِحُدُودِهَا ، الْحَافِظَ لِعُقُودِهَا ، وَسَلَّمَ قَوْسًا مِنْهُ إِلَى بَارِيهَا ، وَنَاطَهَا بِكُفَّتِهَا وَكَافِيَهَا ، وَأَفْضَى إِلَيْهِ بِشَرَفِ الْوِلَادَةِ وَالْأُبُوَّةِ ، وَمِيرَاثِ الْإِمَامَةِ وَالنُّبُوَّةِ ، وَأَلْفَ بِهِ بَيْنَ الْقُلُوبِ الْآيِسَةِ ، وَجَمَعَ عَلَيْهِ النُّفُوسَ النَّائِيَةَ ، وَأَنْفَقَتْ الْآرَاءَ بَعْدَ تَبَايُئِهَا وَتَنَاقُطِهَا ، وَنَطَاقَتْ الْأَهْوَاءَ عَلَى آخْتِلَافِهَا وَتَعَادِيهَا ، وَأَسْتَدَّتْ نُهْمَةَ الدِّينِ بَعْدَ انْشَاغِهَا ، وَأَطْمَأَنَّتِ الدِّهْمَاءُ بَعْدَ نِفَارِهَا ، حَمْدًا يَكُونُ لِنِعْمَتِهِ كِفَاءً ، وَلِمَوْهِبَتِهِ جَزَاءً .

وخلافة الله وإن كانت الغاية التي لا تترجع الخيم إليها ، ولا تتطلع الأمانى عليها : لا اختصاص الله بها صفوته من بريته ، وحالصته من أهل بيته نبيه وعترته ، فإن أمير المؤمنين يتعاطم عن تهنئته بوضوئها إليه ، وسبوغ ملابسها عليه ، إذ لا يسوغ أن يهنأ بإدراك ما كتب الله له أن يدركه بأقلام الأقدار ، على صفحات الليل والنهار ، والعبء يسأل الله تعالى ضارعا إليه في إنهاض أمير المؤمنين بما حمَّله وكلفه ، وتوفيقه فيما كلفه واستخلفه ، وأن يمكن له في الأرض ، ويعلو يده بالسطر والقبض ، ويمدحه بعز السلطان ، وعلو الشأن ، وظهور الأولياء ، وثبور الأعداء ، وإعزاز الدين ، وآباز الملحدين ، وتبوية يده في نصره الإسلام ، وسياسة الأئمة ، ويعرف رعيته من بين دولته ، وسعادة ولايته ، ويمجمهم على الطاعة والموافقة ، ويمصمهم من المعصية والمفارقة ،

وَيُوقِّعُهُمْ مِنَ الْإِخْلَاصِ فِي مُوَالَاتِهِ، لَمَّا يُؤَفِّرُ حَظَّهُمْ مِنْ مَرْضَاتِهِ؛ وَيَجْعَلُ وِلَايَتَهُ
هَذِهِ مَقْرُونَةً بِاتِّسَاعِ الْمُدَّةِ وَالْأَجَلِ، وَبُلُوغِ الْمُنَى وَالْأَمَلِ، وَصَالِحِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ؛
وَيُبَلِّغُهُ فِي مَمْلَكَتِهِ وَدَوْلَتِهِ أَفْضَلَ مَا بَلَغَهُ خَلِيفَةٌ مِنْ خُلَفَائِهِ، وَوَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَائِهِ .

ومن ذلك ما يكتب في البشارة بالفتوح .

قد جرت العادة أن السلطان إذا وجه جيشاً لفتح قلعة أو قُصْرٍ مِنَ الْأَقْطَارِ
وحصل الفتح على يديه أن يكتب إلى السلطان مبشراً بذلك الفتح، منوهاً بقدره،
معظماً لأمره؛ وما كان فيه : من عزيز النصر وقوة الظفر .

(١)

[فن مكتوبة في البشارة بفتح حصن المرقب، وهي:]

قد أسفر عن الفتح المين صباحه، والتأييد وقد طار به مخلق التبشير
نفق في الخافقين جناحه؛ والإسلام وقد وطئ هامة الكفر بقدمه، والدين وقد
عزّ بفتكات سيفه المنصور فانف أن يكون الشرك من خدمه؛ والأفلاك وقد
علمت أنه لهذا الفتح القريب كان آجتاج كواكبها، والأملك وقد نزلت لتشهد
أحمد النصر البدرية في صوفها ومواكبها؛ وحصن المرقب وقد ألقته عليه الملة
الإسلامية أشعة سعدها، وأنجزت له الأيام من الشرف بها أماله بعد ما طال أنتظاره
لوعدها، وأمنت الأقدار التي ذلته للإسلام أن تطاول إليه الحوادث من بعدها؛
وقد أحاطت العلوم بأن هذا الحصن طالما شمت الأحمال، أن تحيل فتحه لمن
سلف من الأنام؛ فما حدثت الملوك أنفسهم بقصده إلا وسأها النجل، ولاخطبته ببذل

(١) لم يذكر المؤلف عنواناً لهذه المكتوبة، فذكرنا عنوانها بحسب ما يقضيه المقام لينتم الكلام .

وقد بحثنا عن هذه المكتوبة في الكتب التي بأيدينا فلم نهند إليها، غير أن الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي

قد ذكر فقرات منها في "حسن التوسل" (ص ١٠١) .

التفانس والنفوس إلا وكانت من الحرمان على ثقة ومن معالجة الأجل وقته على وجل ؛
 وحوله من الجبال كل شايخ تهب عقاب الجو قطع عقابه ، وتقف الرياح خدماً
 دون التوقل في هضابه ؛ [وحوله من] الأودية خادق لا تعلم منها الشهور إلا بانصافها ،
 ولا تعرف فيها الأهلة إلا بأوصافها ؛ وهو مع ذلك قد تفرط بالتجوم ، وتفرطق
 باليوم ، وسمّا قرعه إلى السماء ورّسا أصله في التجوم ؛ تحال الشمس إذا علت أنها
 تنقل في أبراجه ، ويظن من سما إلى السها أنه ذبالة في سراجها ؛ فكم من ذى جيوش
 قد مات بقصه ، وذى سطوات أعمل الحيل فلم يفر من نظره على البعد بفرصه ؛
 لا يعلوه من مسمى الطير سوى نسر الفلك ومرزومه ، ولا يرقق متبرجات أبراجه غير
 عين شمسه والمقل التي تطرف من أنجه ؛ وقد كان نصب عليه من المجانيق ما سهامه
 أنفذ من سهام الجفون ، وخطراته أسرع من لحظات العيون ؛ لا يجتأب إلا بوساطة
 رسله بضمير الطلاب ، ولا يرى لسان سهره إلا كما ترى خطفات البرق إذا تالق
 في علو السحاب ؛ فزلت عليه الجيوش نزول القضاء ، وصدمته بهمها التي تستعير
 منها الصوارم سرعة المضاء وروعة الأتضاء ؛ فنظرت منه حصناً قد زرر عليه الجو
 جيب غمامه ، وأقرت قره كلما جذب عنه البرق فاضل لسانه ؛ فتذلت صعابه ،
 وسهلت عقابه ؛ وركرت للجنوبات (١) في سفحه وطالما رامت الطير أدناه فلم تقو عليه
 القوادم ، وكم همت العواصف بتسم رياه فأصبحت مخلقة تبيكي عليها الغمام ؛ فضرب
 بينها وبين الحصن بسور باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، ونصبت فوقه
 من الأسيئة تغور براقه النايأ ولكنها غير عذاب ؛ فعاد ذلك السفع مصفحاً بصفايحها ،

(١) في الأصل «فتى الأودية» والتصحيح من «حسن التوسل» .

مُشْرِقًا بِأَعْلَامِ أَسِنَّةِ رِمَاحِهَا ، فَأُرْسِلَتْ إِلَى أَرْجَائِهَا مَا أُرْبَى عَلَى الْقَعَائِمِ ، وَزَادَ فِي نَفْسِهِ
عَلَى النَّعَائِمِ .

وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ * وَبِئْسَ جُنْحٌ الْقَتْلِ عَلَيْهَا تَمَائِمُ!

وُضِعَتْ عَلَيْهَا الْمَجَانِيقُ فَلَمْ تَرَعْ حَقَّ جُنْحِهَا ، وَسَطَّتْ عَلَيْهَا فَأَصْبَحَ غَدُهَا فِي التَّحَامِلِ
أَبْعَدَ مِنْ أَمْسِهَا ، وَأَسْتَنْهَضَتْهَا الْعِدَا فَأَعْلَمَتْهُمْ أَنَّهَا لَا تُطَبِّقُ الدَّفَاعَ عَنْ غَيْرِهَا بَعْدَ أَنْ
عَجَزَتْ عَنْ نَفْسِهَا ، وَبَسَطَتْ أَنْفَهَا أَمَارَةً عَلَى الْإِذْعَانِ ، وَرَقَعَتْ أَصَابِعَهَا : إِمَّا لِجَابَةِ
أَنْ تَنْدَلَ لِلتَّشْهَدِ وَإِمَّا لِإِنَابَةِ إِلَى طَلَبِ الْأَمَانِ ؛ نَخَافُ الْعِدَا مِنْ طُهورِ هَذَا الْأَسْطِظْهَارِ ،
وَعَلِمُوا أَنَّ الْمَجَانِيقَ لِحَوْلٍ لَا تَنْبِتُ لَهَا الْإِنَابَةَ الَّتِي عَمِرَتْ مِنَ النَّفْعِ بِأَيْدِيهِمْ فَاسْتَعَانُوا
عَلَيْهِمْ مَعَ الْعِدَا بِطُولِ الْجِدَارِ ؛ فَمِنْدَ ذَلِكَ عَدَّتْ تَكُنُّ كُنُونِ الْأَسَاوِدِ وَتَيْبُ وَتُوبُ
الْأَسُودِ ، وَسَارَى بِهَا الْحُصُونُ السَّمَاءَ فَكَلَّمَا قَدَفَتْ هَذِهِ بِكُوا كِبَاهُ النَّبْرِ قَدَفَ هَذَا
بِكُوا كِبَاهُ السُّودِ ؛ وَلَمْ يُكْمَرْ لَهُمْ مَنَجْنِيقٌ إِلَّا وَنَصَبُوا آخَرَ بِمَكَانِهِ ، وَلَا يُطْعَمُ لِأَحَدٍ
إِصْبَعٌ إِلَّا وَصَلَ الْآخَرُ بِنَاتِهِ ؛ فَظَلَّتْ تَتَحَارَبُ مِثْلَ الْكِبَاةِ ، وَتَتَحَامَلُ تَحَامِلَ الرَّمَاهِ ؛ حَتَّى
لَفَحَتْ وَفَسَحَتْ لِلرَّضَا بِجَالَا ، وَمَالَتْ وَمِيلَ فِيهَا وَكَذَلِكَ الْحَرْبُ تَكُونُ بِجَالَا .

هَذَا وَالْقُوبُ قَدْ دَبَّتْ فِي بَاطِنِهِ دَيْبُ السَّقَامِ ، وَتَمَشَّتْ فِي مَفَاصِلِهِ كَمَا تَمَشَّى
فِي مَفَاصِلِ شَارِبِهَا الْمُدَامِ ؛ وَحَشَّتْ أَضَالِعَهُ نَارًا تُشْبِهُ نَارَ الْهَوَى : مُحْرِقُ الْأَحْيَاءِ
وَلَا يَسْتَدُوهَا ضِرَامُ ؛ قَدْ دَاخَلَتْ مَرْسَلَةَ الْوَجَلِ ، فَتَحَقَّقُوا حُلُولَ الْأَجَلِ ؛ وَعَلِمُوا
أَنَّ هَذَا الْفَتْحَ الَّذِي تَمَادَّتْ عَلَيْهِ الْأَيَّامُ قَدْ جَاءَ يَسْعَى إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى عَجَلٍ ، وَأَيُّقِنَنَّ
الْحِصْنَ بِالْإِنْتِظَامِ فِي سِلْكِ الْمَالِكِ الشَّرِيفَةِ فَكَادَ يُرْقِصُهُ بَيْنَ فِيهِ فَرَطُ الْجَدَلِ ؛ وَزَادَ

شَوْقُهُ إِلَى التَّشْرِيفِ وَبِاصْبَابِهِ لَوْسِمِهَا وَأَسْمِهَا مَشْتَاقٌ لَكُنْهَمْ أَظْهَرُوا الْجَدَّ ، وَأَخْفَوْا
ضِرَامَ نَارِ الْجَزَعِ وَكَيْفَ تَخْفَى وَقَدْ وَقَدَ ، وَتَدَفَّقَتْ إِلَيْهَمْ الْجُيُوشُ فَلَمَاتِ الْأَفْقُ ،
وَأَحَاطَتْ بِهِمْ إِحَاطَةُ الطُّورِ بِالْعُنُقِ ، وَنَهَضَتْ إِلَيْهَمْ مُسْتَعِدَّةً مِنْ عَزَمَاتِ سُلْطَانِهَا ،
مُسْتَعِدَّةً لِاتِّزَاعِ أَرْوَاحِ الْعِدَا عَلَى يَدَيْهَا مِنْ أَوْطَانِهَا ، فَانْقَطَعَتْ بِهِمْ الطُّنُونُ ،
وَدَارَتْ عَلَيْهِمْ رَحَى الْمُنُونِ ، وَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمُ الْجَبَابِيْقُ أَجْحَارَهَا (فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) وَحَطَّتْ بِسَاحَتِهَا عِقَابَانُ تِلْكَ الْأَحْجَارِ ، فَهَدَمَتِ الْعِمَارَ وَالْأَعْمَارَ ،
وَأَجْرَتْ فِي أَرْجَانِهَا أَنْهَارَ الدَّمَاءِ فَهَلَكُوا بِالسَّيْفِ وَالتَّيْلِ وَالنَّارِ ، وَتَحَكَّتْ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ
فِي أَهْلِ التَّثَلُّثِ فَبَدَّلُوا بِالْخَوْفِ مِنْ أَمْنِهِمْ ، وَهَرَبُوا مِنْهَا إِلَى تَحَايِلِ حِصْنِهِمْ .

وَمَا رَكِبَ الْأَوَّلُ لِلرَّحْفِ فِي جُيُوشِهِ الَّتِي كَثُرَتْ الْبَحْرَ بِأَمْوَاجِهِ ، تَزَلُّزِ الْحِصْنِ
لِشِدَّةِ رَكْبِهِ ، وَتَضَعُّعِ مَنْ خَوَّفَ عِضْيَانَهُ فَلِحَقَّتْ سَمَائُهُ بِأَرْضِهِ ، وَتَحَلَّتْ قَوَاعِدُ
مَا شِيدَ مِنْ أَرْكَانِهِ فَانْحَلَّتْ ، وَالْقَتِ الْأَرْضُ مَا فِيهَا وَتَحَلَّتْ ، وَمَشَتْ النَّارُ مِنْ تَحْتِهِمْ
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ بِلِ فِي السُّورِ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ، وَمَا كَانَ
إِلَّا أَنْ قَابَلَتْ الْعَاكِرُ ذَلِكَ الْبُرُجَ حَتَّى أَهْوَى يَلِيمُ التُّرَابِ ، وَتَادَبَ بِأَدَابِ الطَّاعَةِ
فَفَخَّرَا كَمَا وَأَنَابَ ، فَهَاجَمَتْهُمُ الْجُيُوشُ مُهَابِجَةً الْخَوْفِ ، وَأَسْرَعَتِ الْمَضَاءُ وَالْإِنْتِضَاءُ
فَلَمْ تَدْرِ الْعِدَا : أَمُّ أُمِّ الدِّينِ فِي أَيْمَانِهِمُ السُّيُوفِ الَّتِي تَسْبِقُ الْعَدْلَ . وَثَبَّتَ مِنْهُمْ
مَنْ لَمْ يَجِدْ وَرَاءَهُ مَجَالًا فَلَجَّشُوا إِلَى الْأَمَانِ ، وَتَمَسَّكَ رَبِّي ، كُفِّرْهُمْ بِعِزَّةِ الْإِيمَانِ ،
وَتَسَبَّحُوا بِسَاحِلِ الْعَفْوَاحِ حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ،
وَسَالُوا أَنْ يَكُونُوا لَنَا مِنْ جُمَلَةِ الصَّنَائِعِ ، وَتَضَرَّعُوا فِي أَنْ تَجْعَلَ أَرْوَاحَهُمْ لِسُيُوفِنَا
مِنْ جُمَلَةِ الْوَدَائِعِ فَتَصَدَّقَ عَلَيْهِمْ بِأَرْوَاحِهِمْ كَرَمًا ، وَظَلُّوا عَلَى مَعْنَى الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ :

يَرَوْنَ الْمَمَاتَ يَقْظَةً وَالْحَيَاةَ حُمًا وَأَطْلَقْتَهُمُ الْيَدَ الَّتِي لَا يَحْتَجِبُ لَهَا الْأَمَلُ ، وَأَعْتَقْتَهُمُ
 الْيُسْبُيَ الَّتِي فَجَّاحُ الْأَرْضِ فِي قَبْضَتِهَا : فَتَى تَشَاءُ تَجْمَعُ عَلَيْهِمُ الْأَنْامِلُ ؛ وَتَرْجُوا بِنُفُوسِ
 قَدْ تَجَزَّدَتْ حَتَّى مِنْ الْأَجْسَامِ ، وَمُقِلَّ طَلَّقَتِ الْكِرَا حَوْقًا مِنَ الصُّوَارِمِ الَّتِي تَسْلُهَا
 عَلَيْهِمُ الْأَحْلَامُ ؛ وَسُطَّرَتْ وَالْمَدِينَةُ قَدْ تُسَنَّمُ أَعْلَاهَا ، وَشِعَارُ الْإِيمَانِ قَدْ جَرَّهَا مِنْ لِيَاسِ
 الْكُفْرِ وَأَعْرَاهَا ؛ وَالْأَعْلَامُ قَدْ سَلَكَتْ إِلَى ذَلِكَ الْحِصْنِ أَعْلَى مَرْقِيٍّ ، وَالسَّعَادَةُ
 قَدْ بَدَلَتْ يَبْعَهُ مَسَاجِدَ وَتَحَارِيْبَهُ قِبَلَةً وَكَانَتْ شَرْقًا ؛ فَاصْبِحْ بَرْقُلٌ فِي حُلَيْلِ الْإِيمَانِ ،
 وَأُدْعِنَ بِالطَّاعَةِ فَانْحَرِسْ بَحْرَسِ الْجَحْرِسِ بِهِ صَوْتُ الْأَذَانِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

[ومن ذلك] ما يكتب به في التعازي إلى الخلفاء .

وقد تقدم في الكلام على التهنئة بولاية الخلافة ، أنه كما ينبغي أن لا يهتأ الخليفة
 بالخلافة إعظاما ، فكذلك ينبغي أن لا يعزى في مصابه . إلا أنه ربما دعت ضرورة
 الكاتب إلى ذلك : لإكرام بعض أخصاء الخليفة إياه بالكتابة بذلك إلى الخليفة .
 ولا ينبغي أن الحال في ذلك مختلف باختلاف المعزى : من والدٍ أو ولدٍ أو غيرها .

[وهذه نسخة مكتوبة في معنى ذلك] ذكرها في "مواد البيان" وهي :

أما بعد ، فإن الله تعالى جعل خلافته نخلقه قواما ، ولبريئه نظاما ، وجعل له
 خلقا يدعهم لمراثيا ، ويحتصمهم بمراثيا ، فإذا انتقضت مدة ماضيهم : لما يريد الله
 من استدانته إلى مقر خصاصه ، نقلها إلى نوره بأصطنامه وأصطفائه .

والحمد لله الذي قصر خلافته على أمير المؤمنين وآبائه ، وجعل منهم زعيمهم
 الماضي الذي كانت بيديه موارثها ، والآتي الذي صار إليه [رأثها] .

والحمد لله الذى ختم لأمر المؤمنين المنتقل إلى دار الكرامة بأفضل الخاتمته ،
وأحسن له الجزاء عن السعي في الأئمة ؛ وأنعم باستخلاص أمير المؤمنين لإمامة خليفته ،
وحياطة شريعته ؛ وحماية بلاده ، وسياسة عبادته ؛ ولوراثته ثراث آبائه وأجداده ؛
وجعل الماضى منهم مرضياً عنه ، والآتى مرضياً به ؛ وأعدت الرعية من عدل
أمير المؤمنين ما جبر كتمها في خليفته ، وصبرها في رزيته ؛ وهو المسئول أن يلهمه
على المصيبة في سلفه الطاهر صبوراً ، وعلى ما أخلفه عليه في تأهيله لخلافته التى
لا كفاء لها شكراً ؛ بمنه وفضله إن شاء الله تعالى .



[وهذه نسخة كتاب في التعزية ^(١) أيضاً] وهى :

إن الله خص أمير المؤمنين بما هو أهله من خلافته ، وعظم محله بما نصبه له
من إمامة بريته ؛ وجعله عماداً لأهل الإسلام تجتمع عليه أهواؤهم ، وتسكن إليه
أملأؤهم ؛ ويصلح به دينهم ودنياهم ، ويستقيم به أمر أولاهم وأخراهم ؛ فإذا أسغ
نعمة من نعمه عليه ، وظاهر موهبة من مواهبه لديه ؛ شركوه فيها ، ونهضوا معه
على الشكر عليها ؛ وإذا ابتلاه بيليه ، وأمتحن صبره برزيه ؛ أخذوا بالنصيب العظيم
من الحادث ، والحظ الجسيم من الكارث ؛ [و] ما أفردوه بثواب الله فيها وما جعله
جزاءً من الأجر عليها .

وإن الله تعالى كان أعار أمير المؤمنين من ولده فلان - رضى الله عنه - عارية
من عواريه ، وبلغه من الاستمتاع بها ما احتسب من أمانته ؛ ثم استرجعها ليثقل بها
ميزانه ، ويضاعف إحسانه ؛ ويجعلها له ذخراً ، ونوراً يسمي بين يديه وأجراً ؛ فعظم

(١) يياض بالاصل ، والتصحيح يقتضيه المقام .

بذلك المصائب على رعيته، وكبر الرزء على أهل دعوته، لما كانوا يرجونه من سُكون القلوب، وطمع الخطوب، واستقرار قواعيد الخلافة، وشمول الرحمة والرافة، وقد حصل أمير المؤمنين على نعيم كثيرة من موهبته وتوابعه في استعادته، وحصول كافة خاصته على الفلق لفقده، والأسى من بعده، وقد جعله الله تعالى صلاح كل فساد، ونقاص كل مباد، ومهبط كل رمة، وطريق كل نعمة، وهو خليق بأن يظهر من صبره، ورضاه بقضاء الله وتسليمه لأمره، ما يبعث على التمسك به، والتأديب بأديه، والله تعالى يحنن لأمر المؤمنين الخلف، ويعوضه أحسن العوض في الموتى، ويوفر حظه من الثواب، ويعظم له الأجر على المصائب، ويريه في أوليائه وأحبابه، أعظم محابه وغاية آراه، وينقل المنقول إلى ابواب الكرامة والأحتفاء، بأفضل الأجداد والآباء، بفضلِهِ ورحمته، إن شاء الله تعالى.



[وهذه] نسخة كتاب : كُتِبَ به إلى الأبواب السلطانية عند فتح (آياس)

قاعدة بلاد الأرمن وأتباعها من أيديهم، وهي :

يُقْبَلُ الأَرْضَ وَيُنْهَى أَنْ لَيْلَةَ الأَنْتِظَارِ أَطْلَعَتْ صَبَاحَهَا، وَمَوَاعِدَ الأَمَالِ بَعَثَتْ عَلَى بَدِ الإِقْبَالِ تَجَاحَهَا، وَالْعَسَاكِرَ المَنْصُورَةَ جَرَدَتْ رَابِعَ ربيعِ الأَوَّلِ بِمَدِينَةِ آيَاسَ صِفَاحَهَا، وَأوردت إلى الصُدُورِ رِمَاحَهَا، فَلَمْ يَكُنْ إِلا كَمَجِّجِ البَصْرِ، وَلِسَانُ صِدْقِ القِتَالِ قَائِلٌ : بَأَنَّ الجَيْشَ النَّاصِرِيَّ قَدْ أَتَصَرَ، وَأَنْقَضَى ذَلِكَ النَّهَارَ، بِإِقْبَادِ نارِ حَرْبِ الحِصَارِ، عَلَى أبراجِ وَأَسْوارِ، أُدِيرَتْ عَلَى المِيثَاقِ أُدِيرَ المِعْصَمُ عَلَى السَّوارِ، فَمَا أَشْرَقَ

(١) كان الأولى ذكر هذه المكتوبة مع المكتوبات التي ذكرت في البشارة بالفتوح، إذ لاسماسة في ذكرها

صَبَّاحُ الصَّفَاحِ وَوَلَّاحُ ، إِلا والأعلام النَّاصِرِيَّةُ عَلَى قُلَّةِ القَلْعَةِ مَأْسِئَةُ الأَعْطَافِ مِنْ الأَرْتِيَّاحِ ، مُعْلِنَةً أَلْسِنَتَهَا بِحَى عَلَى الفَّلَاحِ وَحَى عَلَى النِّجَاحِ ، وَعِزُّ الإِسْلَامِ يُقَابِلُ ذُلَّ الكُفْرِ : بِهَذَا النَّصْرُ وَهَذَا الأَفْتِاحُ ، وَجَمُّ الأَرَمَنِ المَلَّا تَفَرَّقَ مَا بَيْنَ قَتْلِ وَأَسِيرٍ وَأَنْتِرَاحٍ ، وَلَمِيتُ أَيْدِي التَّيْرَانِ فِي القَلْعَةِ وَجَوَانِبِهَا ، وَتَفَرَّقَتْ مِنَ الأَسْوَارِ أَعْضَاءُ مَنَآكِبِهَا ، وَنَطَقَ بِالأَقْدَارِ لِسَانُ النَّارِ : هُدَى مَنَازِلُ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ .

ثم أنتقلت المحاصرة إلى قلعة البحر، وضم الأرمين الملا إليها سيف القدرة والقهر؛ وهذه القلعة عروس بكر في سماء العزم شاهقه، لم يسبق لأحد من الملوك الأوائل إلى خطبتها سابقه، قد شمعت بأنفها، ونات بعظفها، وتأهت على وإمقيها، وغضت عين راميقها، فهي في عقاب لوج الجو كالطائر، وسورها البحر والخمر فلا يكاد يصل إلى وكرها الناظر، وقد أوقفت بحلقات الحديد، وقيدت كأنها عاصية تساق بالأصفاذ إلى يوم الوعيد، فأرسل عليها المتجنق عقابه، وأعلق بها ظفره ونابه، فكشف من شرفاتها شنب نغرها، وسقاها بأكف أسهمه كئوس حجارة فتأملت من شدة سكرها، وقص من أراجها الصناديق المقله، وفصل من أسوارها الأعضاء المتصلة، فترززل عمدتها، وزيل عن مكانه جلمدها، وعلت الأيدي المرامية بها، وظلت الأيدي المحامية عنها، وأشد مرضها من حرارة وحم الحصار، وضعت قوتها عن مقاومة تلك الأحجار، ولم يبق على سورها من يفتح له جفعا، وشن المتجنق عليها غارته إلى أن صارت شتا، فأرسل إليها من سماء غضبه رجوما، وإلى ذلك عليها سبع ليل وثمانية أيام حوما، فبادرت إلى الطاعة وأستسلمت، وكررت نحوها ركوه فمسجدت، وركبت الجيوش المنصورة عوص الصافات البلج، وسمحت في سبيل الله عز وجل بالمهج، فعند ذلك سارع أهلها إلى التعلق بأسباب الحرب،

وكان نحرابُ قلعةِ المينا هذِي نحرابِ قلعتهم من الحرب، وأحرقوا كبدَها من أيديهم
بنارِ النَّصَبِ، وأتَّرحوا منها لَيْلا، وجرَّوا من الهزيمة ذَيْلا، وأسلمها المسلمون،
وتحصَّرها الحسرة الكُبرى الكافرون، وهدمت حجرا حجرا، وصاحت بجهتها وجه
الثرى، وأعدمت من الوجود عينا وأثرا، فما أعجب هذا الفُوح وأغرب!،
وما أحلى ذِكْرُه في الأفواه وما أعذب!!، وما ألدَّ حديثه في الأسماع وما أطرب!!،
وما أشعدَّ هذا الجيشِ النَّاصِرِي وما أُنَّج!!،

بُشْرَاكُ بُشْرَاكُ هَذَا النَّصْرُ وَالظَّفَرُ * هَذَا الْفُتُوحُ الَّذِي قَدْ كَانَ يُنْتَظَرُ!
فَتَحَ مَبِينٌ وَنَصْرٌ جَلَّ مَوْقِعُهُ * سَارَتْ بِهِ وَآلَهُ الْأَمْلاكَ وَالْبُشْرُ!
عَجَائِبٌ ظَهَرَتْ فِي فَتْحِهِ بَهْرَةٌ * لَمْ تَأْتِ أُمَّتَهَا الْأَيَّامُ وَالسَّيْرُ!
لَوْ كَانَ فِي زَمَنِ مَاضٍ بِهِ تَزَلَّتْ * فِي وَصْفِ وَقَعَتِهِ الْآيَاتُ وَالسُّورُ!
هَذِي أَيَّامُ آلِي قَدِ عَزَّ جَانِبُهَا * وَعَزَّ حَاطِبُهَا حَتَّى آتَى الْقَدْرُ!
جَاءَتْ إِلَيْهَا جُيُوشٌ كَمَ بِهَا أُسْدٌ * بِيضُ الصَّفَاحِ لَهَا الْأَنْبَابُ وَالظَّفَرُ!
جَيْشٌ لَهَا كَبْحَرٍ زَاخِرٍ لَجِبٌ * إِذَا سَرَى لَا يُرَى شَمْسٌ وَلَا قَمَرُ!
يَسِيرُ بِالنَّصْرِ آتَى سَارَ مُنْجِهَا * مَا زَالَ يَقْدُمُهُ النَّأْيُ وَالظَّفَرُ!
جَيْشٌ لَهُ اللَّهُ وَالْأَمْلاكَ نَاصِرَةٌ * مَلِكُهُ نَاصِرٌ لِلدِّينِ مُتَّصِرُ!
يَوْمَ الْخَمَيْسِ رَأَيْتُ الْخَيْلَ حَامِلَةً * عَلَى رُؤُوسِ عُدَاةِ هَامِهَا أُسْرُ!
وَقَلْعَةَ الْبَحْرِ كَانَتْ آيَةً لَهُمْ * فَمَنْ يَسِيرُ فَأُفْحِتٌ لِلرُّؤَى عِبْرُ!
كَانَتْ بَأْفَقِ سَمَاءِ الْمَرْزَ شَاهِقَةً * أَبْرَاجُهَا بِأَسْقَاتٍ نَحْرُهَا حَظْرُ!

فَرَكَبَ الْمُسْلِمُونَ الْبَحْرَ بِإِذْنِهِ * أَرْوَاحَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَدَحَّرُ
 لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَمِيرٌ وَلَا وَلَا مَلِكٌ * يَا أَيُّهَا مَقْرَأُ إِلَى أَنْ مَدَّتِ الْجَسْرُ!
 وَعَجَّلَ اللَّهُ بِالْفَتْحِ الْمُبِينِ لَهُمْ * هَذَا الْفَتْوحُ الَّذِي تُوفِّي لَهُ النَّذِيرُ
 يَرْضَى بِهِ اللَّهُ وَالْإِسْلَامُ قَاطِبَةً * وَشَاهِدُ الْقَوْلِ فِيهِ الْعَيْنُ وَالْأَثَرُ!

تم الجزء الثامن . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء التاسع

وأزله القسم الثاني

(من مقاصد المكاتبات الإخوانيات)

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين ، وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل

فهرس

الجزء الثامن

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي

صفحة

- المقصد الثالث - في المكتبة إلى أهل الجانب الجنوبي : من العرب
 ٥ السودان، وفيه ثلاث حمل
 ٥ الحملة الأولى - في المكتبة إلى من بهذا الجانب من العربان ...
 ٦ الثانية - « » مسامى ملوك السودان
 ١١ الثالثة - « » ملوك المسامين بالحبيشة
 المقصد الرابع - « » أهل الجانب الشمالى، وفيه ثلاثة
 ١٢ أطراف
 الطرف الأول - في المكتبات إلى أمراء الأتراك ببلاد الروم المسماة
 ١٢ الآن ببلاد الدروب
 « الثاني - في المكتبة عن ملوك الديار المصرية إلى ملوك الكفر ٢٥
 « الثالث - « إلى من وراء بحر القسوم، ويشتمل على
 ٢٦ أربعة مقاصد
 المقصد الأول - في المكتبة إلى ملوك الكفار ببلاد الشرق ... ٢٧
 « الثاني - « » « » المغرب من
 ٣٣ جزيرة الأندلس وما والاها
 « الثالث - في المكتبة إلى ملوك الكفار بالجانب الجنوبي ... ٣٩
 « الرابع - « » « » الشمالى من
 ٤٢ الروم والقرنجة على اختلاف أجناسهم
 الفصل الخامس - من الباب الثانى من المقالة الرابعة فى الكتب
 الواردة على الأبواب السلطانية من أهل المملكة
 وغيرها، وفيه نوعان ٥٤

صفحة

- النوع الأول — المكتبات الواردة عن ملوك المسلمين ، وهي
 على قسمين ٥٤
- القسم الأول — في الكتب الواردة عن أهل هذه المملكة بالديار
 المصرية والبلاد الشامية ، وفيه ضربان ٥٤
- القسم الثاني — في الكتب الواردة على الأبواب السلطانية عن
 أهل الممالك الإسلامية ، ويشتمل على أربعة
 مقاصد ٦٢
- المقصد الأول — في الكتب الواردة عن أهل الشرق ، وفيه أطراف ٦٣
 الطرف الأول — الكتب الواردة عن القنات العظام من بني
 جنك خان ٦٣
- » الثاني — في المطالعات الواردة إلى الأبواب السلطانية عن
 أهل الشرق ٧١
- » الثالث — في رسم المكتبات الواردة عن صاحب أيمن إلى
 هذه المملكة ٧٢
- » الرابع — في الكتب الواردة إلى الأبواب السلطانية عن
 ملوك الهند ٧٦
- المقصد الثاني — في المكتبات الواردة عن ملوك الغرب ، وفيه جمل ٧٨
- الجملة الأولى — في المكتبة الواردة عن صاحب تونس ٧٩
- » الثانية — في المكتبات الواردة عن صاحب تلمسان من
 بني عبد الواد ٨٤
- » الثالثة — في المكتبات الواردة عن صاحب فاس ٨٧
- » الرابعة — في عادة الكتب الواردة عن صاحب الأندلس ... ١٠٦

صنعة

- المقصد الثالث - في رسم المكاتبات الواردة عن ملوك السودان ،
 وفيه ثلاثة أطراف ١١٥
- الطرف الأول - في المكاتبات إلى صاحب مالى ١١٥
- « الثاني - » الصادرة عن صاحب البرنو ١١٦
- « الثالث - » عن ملك الكانم ١١٩
- المقصد الرابع - في الكتب الواردة من الجانب الشمالى وهى
 بلاد الروم ١١٩
- النوع الثانى - [كتب خطأ القسم الثالث] من المكاتبات الواردة إلى
 هذه المملكة الكتب الواردة عن ملوك الكفار ،
 وهى على أربعة أضرب ١١٩
- الفصل السادس - من الباب الثانى من المقالة الرابعة فى رسوم
 المكاتبات الإخوانيات ، وفيه طرفان ١٢٦
- الطرف الأول - فى رسوم إخوانيات السلف من الصحابة والتابعين
 « الثانى - » الإخوانيات المحدثه بعد السلف ، وفيه
 ثلاثة مقاصد ١٢٧
- المقصد الأول - فى رسوم إخوانيات أهل المشرق ، وفيه أربعة مهامع
 المبع الأول - فى صدور الأبداءات ١٢٧
- « الثانى - » فى الأجوبة على هذا المصطلح ١٣٩
- « الثالث - » فى خواتم الإخوانيات على هذا المصطلح ١٤١
- « الرابع - » فى عنوانات الكتب على هذا المصطلح ١٤٤

صفحة

- المقصد الثاني — في رسوم إخوانيات أهل المغرب، وفيه جملتان ... ١٤٨
- الجملة الأولى — في مفتحات المكاتبات على أصطلاحهم، وفيها مهيعان ١٤٨
- المهيع الأول — في ابتداء المكاتبات ١٥٤
- » الثاني — في الأجوبة ١٥٨
- الجملة الثانية — في خواتم المكاتبات على أصطلاحهم ١٥٩
- المقصد الثالث — في الإخوانيات المستعملة بالديار المصرية، وفيه
- ثلاثة مصطلحات ١٦٠
- المصطلح الأول — ما كان الأمر عليه في الدولة الطولونية ... وفيه
- ثلاثة مهايح ١٦٠
- المهيع الأول — في الصدور ١٦٠
- » الثاني — في خواتم الكتب ١٦٦
- » الثالث — في عنوانات الكتب ١٦٦
- المصطلح الثاني — من مصطلحات الديار المصرية ما كان عليه الحال
- في الدولة الأيوبية ١٦٧
- » الثالث — من مصطلحات الديار المصرية في الإخوانيات
- ما جرى عليه الاصطلاح في الدولة التركية، وفيه مهيعان ١٦٨
- المهيع الأول — في رتب المكاتبات المصطلح عليها ... وهي
- على قسمين ١٦٨
- القسم الأول — الابتداءات ١٧١
- » الثاني — من المكاتبات الإخوانيات الدائرة بين أعيان
- المملكة وأكابر أهل الدولة الأيوبية ٢١٢
- المهيع الثاني — في بيان رتب المكتوب عنهم والمكتوب إليهم من
- أعيان الدولة ٢١٧

صفحة

- الفصل السابع - من الباب الثاني من المقالة الرابعة في مقاصد
 المكاتبات، وهي قسمان ٢٣٣
- القسم الأول - مقاصد المكاتبات السلطانية، وهي على نوعين ... ٢٣٣
- النوع الأول - ما يكتب عن الخلفاء والملوك، وهو على ثلاثة
 أصناف [صراه أربعة] ٢٣٣
- الضرب الأول - ما يكتب عن الخلفاء والملوك ومن ضاهاهم، وهو
 على أصناف ٢٣٣
- الضرب الأول - الكتب بانتقال الخلافة إلى الخليفة ٢٣٣
- « الثاني - من الكتب السلطانية الكتب في الدعاء إلى الدين ٢٤٤
- « الثالث - « « « بالحث على الجهاد ٢٤٦
- « الرابع - « « « في الحث على لزوم
 الطاعة وذم الخلاف ٢٥٢
- « الخامس - من الكتب السلطانية الكتب إلى من نكث
 العهد من المخالفين ٢٥٩
- « السادس - من الكتب السلطانية الكتب إلى من خلع الطاعة ٢٦٣
- « السابع - الكتب في الفتوحات والظفر ٢٧٤
- « الثامن - المكتبة بالاعتذار عن السلطان في الهزيمة ... ٢٩٠
- « التاسع - المكتبة بتوبيخ المهزوم الخ ٢٩٩
- « العاشر - في المكاتبات بالتضييق على أهل الجرائم ... ٣٠٣
- « الحادي عشر - الكتب في النهي عن التنازع في الدين ... ٣٠٦
- « الثاني عشر - المكتبة بالأوامر والنواهي ٣٠٨
- « الثالث عشر - المكاتبات عند حدوث الآيات السماوية ... ٣١٠
- « الرابع عشر - « في التنبيه على شرف مواسم العبادة الخ ٣١٢

صفحة	
	الصف الخامس عشر — المكتبة بالسلامة في الركوب في المواسم والأعياد... .. ٣١٣
	« السادس عشر — المكتبة بالبشارة بوفاء النيل والبشارة بالسلامة في الركوب لفتح الخليج ٣٢٨
	« السابع عشر — فيما يكتب في البشارة بركوب الميدان الكبير الخ ٣٣٣
	« الثامن عشر — المكتبة بالبشارة بحج الخليفة ٣٣٦
	« التاسع عشر — الكتابة بالإنعام بالتشريف والخلع ٣٣٩
	« العشرون — المكتبة بالتنويه والتلقيب ٣٤١
	« الحادي والعشرون — المكتبة بالإحسان والإذعام ٣٤٦
	« الثاني والعشرون — ما يكتب مع الإنعام لتواب السلطنة بالخليل والحوارج ٣٥١
	« الثالث والعشرون — المكتبة بالبشارة عن الخليفة بولد رزقه ... ٣٥٦
	« الرابع والعشرون — ما يكتب عن السلطان بالبشارة بعافيته من مرض ٣٥٧
	الضرب الثاني — من مقاصد المكتبات السلطانية ما يكتب عن السلطان في الجواب ٣٥٨
	« الثالث — من الكتب السلطانية الكتب الصادرة عن تواب السلطنة الخ ٣٥٩
	« الرابع — من المكتبات السلطانية ما يكتب عن التواب والأتباع إلى الخليفة أو السلطان، وفيه مهيمنان ... ٣٦٦
	المعج الأول — في الأجوبة عن الكتب السلطانية ٣٦٦
	« الثاني — من مقاصد المكتبات السلطانية ما يكتب به عن تواب السلطان والأتباع إلى السلطان ابتداء ٣٩٠

(تم فهرس الجزء الثامن من كتاب صبح الأعشى)